

جليس

OUR HOUSE

الرواية الفائزة بجائزة أفضل روايات الجريمة
والإثارة في جوائز الكتاب البريطاني لعام 2019

لويز كاند ليش

تحولت الرواية
إلى مسلسل ضخم
يُعرض الآن على

نتفليكس

منازلنا

مكتبة ياسمين

ترجمة: عبد الرحيم يوسف

OUR HOUSE

منزلنا

«منزلنا» للوينز كاندليش هي رواية تشويق نفسية آسرة تدور حول في لوسون، التي تعود إلى منزلها لتجده قديمًا لغيراء. وبينما تكشف الحقيقة حول اختفاء زوجها والأسرار المروعة وراء البيع، تستكشف الرواية موضوعات الثقة والخيانة وتعقيدات العلاقات. بفضل بنية السرد المزدوجة وتطور الشخصية المقنع والكتابة الحادة، تحافظ كاندليش على تفاعل القراء وتوترهم حتى النهاية. إنها قراءة مثيرة للاهتمام لأي شخص يستمتع بالحكايات الشيقة ذات العمق العاطفي.

«فكرة فريدة بشكل رائع!» - جيليان مكاليستر

«عمل صادق إلى حد مرعب، مع أفضل نهاية قرأتها منذ زمن!»

- كلير فروست (مجلة فابيلوس)

«عمل يجبرك على قراءته بشراهة. لم أستطع أن أقلب الصفحات بالسرعة الكافية!» - أليسون جايلين



ISBN 978-9921-772-58-6



9 789921 772586

جاليس

✉ info@jalees.net

🌐 jalees.net

📷 jalees_bookstore

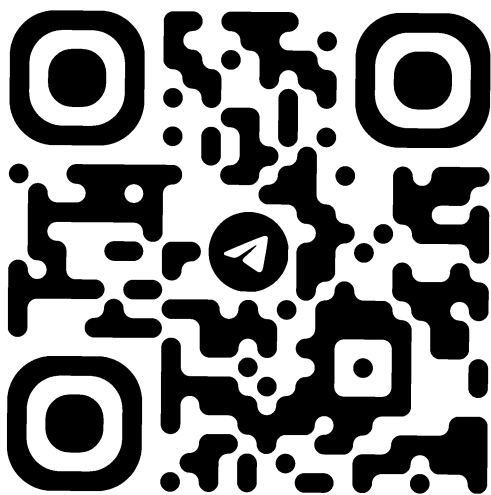
🐦 @jalees_net

مخبرنا

يسعدنا انضمامكم الى قناة



معكم تكبر ونستمر بكل جديد





telegram @
yasmeenbook

مَنْزِلُنَا

لويز كاند ليش

Our House

LOUISE CANDLISH

جليس

شركة جليس للنشر والتوزيع

☎ 0096560393960

✉ info@jalees.net

🌐 jalees.net

📷 jalees_bookstore

🐦 @jalees_net

اشراف عام : د. حمود طاهر

تصميم غلاف وإخراج : داليا العزب

ر.د.م.ك : 978-9921-772-58-6

لویز کاند لیش



telegram @
yasmeenbook

متر لنا

ترجمة: عبد الرحيم يوسف

جليب

أكتوبر 2024

إلى سارة-جايد فيرتشو المميزة والتي لا مثيل لها



telegram @
yasmeenbook

الجمعة، 13 يناير 2017

لندن، 12.30 مساء

لا بد أنها مخطئة، لكن يبدو فعلاً كما لو أن أحدهم ينتقل إلى منزلها.

الشاحنة الصغيرة مصفوفة في منتصف الطريق من جادة ترينيتي، فمها المربع مفعور، وقطعة أثاث كبيرة تنزلق فوق اللسان المعدني المضلع. تراقب فاي المشهد، وهي تضيق عينيها في ضوء الشمس الناعم - شيء نادر في هذا الوقت من السنة، هدية - بينما يحمل رجلان تلك القطعة من الأثاث بارتفاع الكتف ويمران عبر البوابة ويسيران بها في الممر.

بوابتي. محري.

لا، هذا غير منطقي: بالطبع لا يمكن أن يكون منزلها. لا بد أنه بيت آل ريس، بعد بيتين من منزلها؛ لقد طرحوا بيتهم للبيع في الخريف ولا أحد على ثقة تامة إن كان البيع قد تم أم لا. المنازل على هذا الجانب من جادة ترينيتي مشيدة كلها بنفس الطريقة: بيوت مزدوجة على النمط الإدواردي⁽¹⁾ مبنية بالقرميد الأحمر ولها واجهات

1 العمارة الإدواردية طراز معماري شعبي ظهر في بريطانيا ودول أخرى خلال فترة حكم الملك إدوارد السابع تقريباً، أي 1901-1914. تُعتبر العمارة الإدواردية عموماً أقل زخرفة من العمارة الفيكتورية. (المترجم)

مزدوجة، اتفق مالكوها في تفضيلهم لدهان الأبواب الأمامية باللون الأسود، ويتفق الجميع أن هذا يجعل من السهل أن يخطئ المرء تمييزها.

ذات مرة، عندما عاد برام إلى البيت مترنحا من إحدى مرات شربه «السريعة» في حانة (توبُرووارز)، مضى إلى الباب الخطأ وسمعت عبر نافذة غرفة النوم المفتوحة اللهووجة والفحيح عندما فشل زوجها المخمور في وضع مفتاحه داخل قفل البيت رقم 87، منزل ميرل وأدريان. كان إصراره مذهلا، واعتقاده العنيد أنه لو استمر فقط في المحاولة سيفتح المفتاح.

قال محتجا في الصباح: «لكنها كلها تشبه بعضها البعض».

«المنازل، نعم، لكن حتى السكران لا يمكن أن تفوته شجرة الماغوليا..» قالتها فاي ضاحكة. (كان هذا فيما مضى عندما كان ما زال سُكره يسليها ولم تكن ممتلئة بالحزن.. أو الازدراء، بناءً على حالتها المزاجية).

تتعثر خطواتها: الماغوليا. إنها معلّم، شجرتهم، مشهد يشير الإعجاب عندما تزهر وجميل حتى عندما تكون عارية، كما هي الآن، حيث تنطبع الأغصان الخارجية على خلفية السماء بأسلوب فنان. وهي بالتأكيد في الحديقة الأمامية للمنزل الذي تقف الشاحنة الصغيرة خارجه.

فكري. لا بد أنها عملية توصيل، شيء يخص برام لم يذكره لها. لا تصل إليها كل تفصيلة؛ وهما الاثنان متقبلان لفكرة أن نظامهما الجديد ليس خاليا من العيوب. تسرع مرة أخرى، مستخدمة أصابعها كواقي من

الشمس، هي قريبة بما يكفي لأن تتمكن من قراءة الحروف المكتوبة على جانب السيارة: بريستيغ هوم لنقل الأثاث. إنه نقل أثاث بيت إذاً. لا بد أن أصدقاء لبرام يتركون شيئاً في طريقهم إلى مكان ما. لو كان بمقدورها الاختيار، فسيكون بيانو قديماً من أجل الأولاد (من فضلك يا رب، ليس عدة درامز).

لكن مهلاً، لقد ظهر رجلا التوصيل من جديد والآن يُنقل المزيد من الأشياء من الشاحنة إلى المنزل: كرسي سفرة، صينية معدنية كبيرة مستديرة، صندوق عليه وسم (قابل للكسر)، خزانة ثياب صغيرة نحيلة في حجم تابوت. لمن هذه الأشياء؟ فورة من الغضب تشعل دمها إذ تصل إلى الاستنتاج الوحيد الممكن: لقد دعا برام أحدهم للإقامة. لا شك أنه رفيق شراب بئس لا يملك مكاناً آخر كي يذهب إليه. («فلتبق كما تشاء يا صاحبي، لدينا سعة في المكان»). متى كان سيخبرها بحق الجحيم؟ حسنٌ، مستحيل أن يشاركهم غريب بيتهم، مهما كان ذلك مؤقتاً، مهما كانت نوايا برام خيرة. الأولاد يأتون أولاً: ألم يكن ذلك هو الهدف؟

مؤخراً، بدأت تشعر بالقلق من أنها نسيا الهدف.

كادت تصل. وبينما تمر برقم 87، تلمح ميرل في نافذة الطابق الأول، وقد اكتسى وجهها بالعبوس، وذراعها مرفوع لتجذب انتباه فاي. بالكاد تشير إليها فاي بأقصر تحية ممكنة بينما توسع خطواتها عبر بوابتها وعلى الممر المكسو بالقرميد.

«عذراً؟ ماذا يحدث هنا؟» لكن في الضجة لا يبدو أن أحداً يسمع. صوتها أعلى الآن، وأكثر حدة: «ماذا تفعلون بكل هذه الأشياء؟ أين برام؟»

امرأة لا تعرفها تخرج من المنزل وتقف على عتبة الباب مبتسمة: «أهلاً، هل يمكنني المساعدة؟»

تشهق كما لو أنها رأت شبحاً. أهذه صديقة برام المعوزة؟ إنها مألوفة النوع أكثر مما هي مألوفة الملامح، امرأة على شاكلة فاي -رغم أنها أصغر سنًا، في الثلاثينات من عمرها- شقراء ومفعمة بالحياة والمرح، من النوع الذي يشمر عن ساعديه ويتحمل المسؤولية. النوع الذي يثبت التاريخ أنه قادر على أن يلجم روحاً حرة مثل برام. «أمل ذلك، نعم. أنا فاي، زوجة برام. ماذا يحدث هنا؟ هل أنت... هل أنت صديقة له؟»

تخطو المرأة خطوة أقرب، في عزم وأدب: «آسفة، زوجة من؟»

«برام. أقصد أني زوجته السابقة، في الحقيقة». يجلب التصحيح نظرة فضولية، تتبعها إشارة بأن تبعد كلتاها عن الممر وتتجنباً عن طريق «الرجلين». بينما تمر لوحة ضخمة مغلفة بالبلاستيك ذي الفقاعات الهوائية، تترك فاي المرأة تقودها إلى أسفل ضلوع الماغوليا. تسأل: «علامَ اتفق أن يحدث هنا يا ترى؟ أيا كان، فأنا لا أعرف شيئاً عنه».

«لست واثقة مما تقصدينه». ثمة تقطيع واهية على جبهة المرأة وهي تتفحص فاي. عيناها بُنيتان ذهبيتان وصادقتان. «هل أنت جارة؟»

«لا، بالطبع لا». تغدو فاي نافذة الصبر. «أنا أعيش هنا».

تتعمق التقطيع. «لا أعتقد هذا. نحن منتقلون للتو. سيكون زوجي هنا بعد قليل مع الشاحنة الثانية. نحن آل فون؟» تقولها كما لو أن فاي ربما سمعت بهم، بل وتمد يدها لمصافحة رسمية. «أنا لوسي».

بفم مغفور، تجاهد فاي كي تصدق أذنيها، تلك الرسائل الكاذبة التي تنقلها إلى عقلها. «انظري، أنا مالكة هذا المنزل وأعتقد أنني كنت لأعرف لو كنت أرتب لتأجير».

يزحف لون الحيرة الوردي على وجه لوسي فون. تحفض يدها. «نحن لم نستأجره. لقد اشتريناه».

- لا تكوني سخيفة!

«لست كذلك!» تلقي المرأة الأخرى نظرة على ساعة يدها. «لقد أصبحنا المالكين الجدد في الساعة الثانية عشرة رسميًا، لكن الوكيل سمح لنا بأخذ المفاتيح قبل ذلك بقليل».

«عمّ تتحدثين؟ أي وكيل؟ لا يوجد وكيل يملك مفاتيح منزلي!» يتشنج وجه فاي بمشاعر متصارعة: الخوف، الإحباط، الغضب، بل وتسلية كالحة على مضض؛ لأن هذا لا بد وأن يكون مزاحًا، رغم أنه على نطاق فادح. أي شيء يمكن أن يكون غير هذا؟ «هل هذا مقلب من نوع ما؟» تبحث من فوق كتفي المرأة عن آلات التصوير، عن هاتف يسجل ارتباكها باسم الترفيه، لكنها لا تجد شيئًا - ليس إلا سلسلة من الصناديق الكبيرة تمر محمولة إلى جانبها. «لأنني لا أجده موضوعًا مضحكًا جدًا. عليك أن توقفي هؤلاء الناس».

«لا نية لدي لإيقافهم». تقولها لوسي فون بحزم وحدة، تمامًا مثل فاي في العادة، عندما لا تتعرض لهجوم مباغت من شيء كهذا. يلتوي وجهها في انزعاج قبل أن يفتح في دهشة مفاجئة. «انتظري لحظة، هل قلتِ فاي؟ تقصدين فيونا؟»

- نعم. فيونا لا وسون.

«إِذَا لَا بَدَأُكَ...» تتوقف لوسي، وتلاحظ النظرات المتسائلة من ناقلي الأثاث، وتخفض صوتها. «أعتقد أنه من الأفضل أن تدخل.»

وتجد فاي نفسها مُساقة عبر بابها ذاته، إلى داخل بيتها ذاته، كأنها ضيفة. تخطو إلى داخل الرواق العريض ذي السقف العالي وتتوقف فجأة، مذهولة. هذه ليست صالتها. الأبعاد صحيحة، نعم، ويظل نظام لون الطلاء الأزرق الفضي على حاله والسلم لم يتحرك، لكن المكان جُرد، نُهب منه كل شيء ينتمي إليه: طاولة الإفريز الجانبية وأريكة الرهبان العتيقة، كومة الأحذية والحقائب، الصور على الجدران. ومِرآتها الحبيبة من خشب الورد، التي ورثتها عن جدتها، اختفت! تمد يدها لتلمس الجدار حيث كان ينبغي لها أن تكون، كما لو أنها تنتظر أن تجدها غارقة داخل الجص.

توجه سؤالها إلى لوسي: «ماذا فعلتِ بكل أشياءنا؟» يجعلها الذعر عالية الصوت ويلقي نحوها أحد ناقلي الأثاث العابرين نظرة لوم وتأنيب، كأنها هي من تمثل تهديدا.

تقول لوسي: «لم أفعل شيئا. أنت نقلتِ أشياءك. بالأمس، كما أظن.»

«لم أفعل شيئا من هذا القبيل. أحتاج إلى إلقاء نظرة على الطابق العلوي.» تقولها فاي وهي تندفع بكتفها من جانبها.

«حسناً...» تبدأ لوسي في الكلام، لكنه ليس طلباً. فاي لا تطلب إذناً كي تتفحص بيتها.

بعد أن صعدت السلم وهي تقفز درجتين معا كل مرة، تتوقف على بسطة الطابق العلوي، ويدها ما زالت تقبض على ثنية خشب الماهوجني في قضيب

الدرايزين وكأنها تتوقع أن يرتج المبنى ويتقوض أسفلها. هي بحاجة إلى أن تثبت لنفسها أنها في المنزل الصحيح، أنها لم تفقد عقلها. حسنٌ، كل الأبواب يبدو أنها تؤدي إلى حيث ينبغي أن يكون: حمامان في الواجهة الوسطى والخلفية، غرفتا نوم على اليسار واثنان على اليمين. حتى عندما تفلت الدرايزين وتدخل كل غرفة بالدور، ما زالت تتوقع أن ترى أشياء أسرتها حيث ينبغي لها أن تكون، حيث كانت دائماً.

لكن لا شيء هناك. كل ما يملكونه تلاشى، لم تبق عصاة من الأثاث، فقط فجوات في السجادة حيث كانت تقف منذ أربع وعشرين ساعة أرجل الأسرة وخزانات الكتب والثياب. ثمة بقعة خضراء زاهية على السجادة في إحدى غرف الأولاد من كرة غرين دبق انفتحت خلال معركة في أحد أعياد الميلاد. في ركن مقصورة استحمام الأولاد تقف أنبوبة جل، من ذلك النوع المصنوع من زيت شجرة الشاي - تتذكر أنها اشترته من أحد محلات (سنزبريز). خلف صنابير الحمام تعثر أصابعها على البلاطة المشقوقة حديثاً (لأن الكسر لم يُصلح قط) وتضغطها حتى تؤلمها، وكأنها تطمئن أنها ما زالت من لحم ودم، وأن أطراف أعصابها سليمة.

في كل مكان، هناك رائحة الليمون الحادة لسوائل التنظيف.

في عودتها إلى الطابق الأرضي، لا تعرف إن كان مصدر الوجود بداخلها أم في جدران بيتها الأجرد.

عند اقترابها، تفض لوسي اجتماعاً مع اثنين من ناقلي الأثاث وتشعر فاي أنها رفضت عرضهما بالمساعدة - بالتعامل معها، مع هذه المتطفلة. «السيدة لاوسون؟ فيونا؟»

«هذا شيء لا يُصدَّق..» تقولها فاي، وتكررها، العبارة الوحيدة الصالحة. عدم التصديق هو كل ما يمنعها من الانفعال، من السقوط في الهستيريا. «لا أفهم هذا. من فضلك هل يمكنك تفسير ماذا يحدث هنا بحق الجحيم؟»

«هذا ما كنت أحاول أن أفعله. ربما لو رأيت الدليل..» تقترح لوسي:

«تعالى إلى داخل المطبخ.. نحن نسد الطريق هنا».

المطبخ أيضا أجرد، إلا من منضدة ومقاعد لم ترهم فاي من قبل قط، وصندوق مفتوح بمعدات الشاي على رخام المطبخ. لدى لوسي ما يكفي من الذوق لأن تدفع الباب كي لا تنجرح عينا زائرتها بمنظر الغزو المستمر وراءه.

زائرة.

تقول لوسي وهي تقدم لفاي هاتفها: «انظري إلى هذه المراسلات الإلكترونية. هي من محاميتنا: إيمّا غيلكريست في مكتب بينيت، ستافورد وشركاهما».

تتناول فاي الهاتف وتأمّر عينيها بالتركيز. الرسالة الإلكترونية الأولى منذ سبعة أيام ويبدو أنها تؤكد تبادل العقود في 91 جادة ترينيتي، أولدر رايز، بين ديفيد ولوسي فون وأبراهام وفيونا لاوسون. الرسالة الثانية في هذا الصباح وتعلن اكتمال البيع.

تقول لوسي: «دعوته برام، أليس كذلك؟ لهذا استغرق الأمر مني دقيقة كي أتبين الأمر. برام اختصار أبراهام، بالطبع». لديها أيضا خطاب حقيقي تُسلمه، فتح كشف حساب من شركة الغاز البريطانية، موجه إلى آل فون في جادة ترينيتي. «رتبنا أن تكون كل فواتير الماء والكهرباء غير ورقية، لكن لسبب ما أرسلوا هذا بالبريد».

تعيد فاي إليها الهاتف. «كل هذا لا يعني شيئاً. يمكنها أن تكون مزيفة. احتيال أو شيء من هذا القبيل».

- احتيال؟

- نعم، عقدنا حواراً كاملاً عن الجريمة في المنطقة منذ بضعة شهور في بيت ميرل وأخبرتنا الضابطة كل شيء عن هذا. الرسائل الإلكترونية والفواتير المزورة تبدو مقنعة جداً الآن. حتى الخبراء يمكن أن ينخدعوا.

تبتسم لوسي نصف ابتسامة غاضبة. «إنها حقيقة، أقسم لك. كلها حقيقة. ستكون الأموال قد حُوت إلى حسابكم قبل قليل».

- أي أموال؟

- المال الذي دفعناه مقابل هذا البيت! أنا آسفة، لكني لا أستطيع الاستمرار في تكرار هذا يا سيدة لاوسون.

تقاطعها فاي بحدة: «لا أطلب منك هذا. أنا أقول لك إنك لا بد أخطأت. أنا أقول لك ليس من الممكن لك أن تكوني قد اشتريت منزلاً لم يكن أبداً للبيع».

- لكنه كان للبيع، بالطبع كان. وإلا، ما كنا استطعنا شراءه قط.

تحقق فاي في لوسي، مشوشة تماماً. ما تقوله، ما تفعله، هو جنون تام ومع ذلك لا تبدو امرأة مجنونة. لا، تبدو لوسي امرأة مقنعة أن الشخص الذي تتحدث إليه هو المختل.

أخيراً تقول لوسي: «ربما يجب عليك أن تهاتف زوجك».

يتمدد على السرير في غرفته بالفندق، يشعر بوخز في ذراعيه وساقيه. الحشية جيدة، مصممة لامتصاص الأرق، والهوى، وأعمق الكوابيس، لكنها تفشل في تخفيف توتر كتوتره. ولا حتى حبتي مضاد الاكتئاب اللتين تناولهما قد تغلبتا عليه. ربما هي الطائرات ما تثير جنونه، الطريقة التي تهدر بها داخله وخارجة بلا رحمة، واحدة بعد الأخرى، وهي تئن تحت ثقلها. الأرجح أنه الرعب مما فعله، الفهم البازغ لكل ما ضحى به.

لأنه صار حقيقيا الآن. دقت الساعة السويسرية. الواحدة والنصف هنا، الثانية عشرة والنصف في لندن. هو الآن تجسيد لما كان في ذهنه لأسابيع: طريد، رجل ألقى نفسه في مهب الريح بيديه. يدرك أنه كان يأمل أن تكون هناك -بطريقة كثيفة ما- راحة، لكن الآن بعد أن جاء الوقت يوجد شيء أكثر كآبة: لا شيء. فقط نفس الاختيار السقيم للمشاعر التي أحس بها منذ غادر المنزل في وقت مبكر من هذا الصباح، بطريقة ما مستسلم للقدر على نحو قاتم وفي نفس الوقت متأهب للبقاء والنجاة.

آه يا ربي! آه يا فاي. هل عرفت بعد؟ بالتأكيد أحدهم رأى؟ أحدهم اتصل بها ليبلغها بالخبر. ربما حتى تكون في طريقها إلى المنزل بالفعل.

يعتدل جالسا، مسنداً ظهره إلى لوح السرير خلف رأسه، ويحاول أن يجد بؤرة لتركيزه في الغرفة. المقعد ذو الذراعين من الجلد الصناعي الأحمر، والمكتب مكسو بقشرة خشبية سوداء. عودة للجاليات الثمانينيات من القرن العشرين، شيء أكثر تشويشا مما يحق له أن يكون. يؤرجح ساقه على جانب

السريـر. الأرضية دافئة بالنسبة لقدميه الحافيتين، مصنوعة من الفينيل أو شيء آخر صنعه الإنسان. كانت فاي لتعرف ما هي هذه المادة، لديها ولع بالتصميمات الداخلية.

تسبب الفكرة في تشنج مؤلم، في انقطاع أنفاس جديد. ينهض، باحثاً عن الهواء -الغرفة، في الطابق الخامس، متقدة بالتدفئة المركزية- لكن خلف نظام الستائر المعقد النوافذ مغلقة ومختومة. تندفع السيارات، البيضاء والسوداء والفضية، على طول الخرق بين الفندق ومبنى المطار، وفيما وراءه، تنقسم الجبال وتتضام، وذراها البيضاء مشوبة بزرقة حلوى النعناع. مدركاً حبسته، يستدير مرة أخرى ليوأجه الغرفة، مفكراً على نحو غير متوقع في أبيه. تمتد أصابعه نحو المقعد ذي الذراعين، يقبض على ظهر المقعد. لا يتذكر اسم هذا الفندق، الذي اختاره لقربه من المطار، لكنه يعرف أنه مكان بلا روح مثلها يستحق.

لأنه باع روحه، هذا ما فعله. لقد باع روحه.

لكن لم يمض على هذا وقت طويل بما يكفي لأن ينسى كيف كان شعوره عندما كان يملك روحاً.

مارس 2017

مرحبا بكم في موقع (الضحية) الإلكتروني، الموقع المشهود له والمختص بالتدوين الصوتي للجرائم والفائز بجائزة (مستمعي التدوين الصوتي التوثيقي الوطني). كل حلقة تحكي القصة الحقيقية لجريمة ما بكلمات الضحية مباشرة. موقع (الضحية) ليس جهة تحقيق، بل رؤية متبصرة متميزة داخل معاناة شخص بريء. من التلصص إلى سرقة الهوية، من العنف المنزلي إلى الاحتيال على الممتلكات، خبرة كل ضحية عبارة عن رحلة مريضة أنت مدعو لمشاركتها - وحكاية تحذيرية عن زماننا.

متاحة الآن حلقة جديدة تماما بعنوان «قصة فاي»! اسمعوها هنا على الموقع أو على أحد تطبيقات التدوين الصوتي المتعددة. ولا تنسوا أن تغردوا بنظرياتكم بينما تستمعون على تويتر باستخدام وسم #VictimFi

تحذير: تحتوي الحلقة على لغة عنيفة



telegram @
yasmeenbook

اسمي فيونا لاوسون وأنا في الثانية والأربعين من عمري. لا يمكنني أن أقول لكم أين أعيش، فقط أين اعتدت أن أعيش، لأنه منذ ستة أسابيع باع زوجي بيتنا دون علمي أو موافقتي. أعرف أنني ينبغي أن أقول «أزعم»، أنني ينبغي أن أقولها قبل كل شيء، إذاً ماذا عن هذا: أنا «أزعم» أن ما أقوله في هذه المقابلة هو الحقيقة. أقصد، العقود القانونية لا تكذب، أليس كذلك؟ وقد أكد الخبراء صحة توقيعه. نعم، تفاصيل الجريمة الأدق ما زالت ستتكشف -ومن ضمنها هوية شريكته في الجريمة- لكن كما يمكنكم أن تُقدِّروا أنا ما زلت أحاول التواءم مع تلك الحقيقة المركزية بأنه لم يعد لدي بيت.

لم يعد لدي بيت!

طبعاً ما إن تسمعوا قصتي ستعتقدون أنني لا أملك أحداً كي ألقى اللوم عليه إلّا إي - تماماً مثلما سيفعل جمهوركم. أعرف كيف تسير الأمور. سيكونون جميعاً على تويتر.. يقولون كم أنا مغفلة. وأنا أفهم هذا. لقد استمعت إلى الموسم الأول كاملاً وفعلت هذا بالضبط أنا نفسي. هناك خيط رفيع بين الضحية والمغفل.

«يمكن أن يحدث هذا لأي شخص يا سيدة لاوسون». هكذا أخبرني ضابطة الشرطة يوم اكتشفتُ الأمر، لكنها كانت لطيفة فقط لأنني كنت أبكي وكان بمقدورها أن ترى أن فنجانا من الشاي لن يوقف هذا البكاء. (ربما حقنة مورفين).

لا، يمكن أن يحدث هذا فقط لشخص مثلي، شخص مثالي أكثر من اللازم، متسامح أكثر من اللازم. امرأة خدعت نفسها لدرجة التفكير أن بمقدورها

إصلاح الطبيعة ذاتها. أن تجعل من رجل ضعيف قويا. نعم، تلك الحكاية القديمة البالية.

لماذا أشارك في هذا المسلسل؟ أي شخص يعرفني سيخبركم أنني شخص متحفظ جدا، إذا لماذا أعرض نفسي للسخرية أو الشفقة أو ما هو أسوأ؟ حسنا، جزئيا لأنني أريد أن أحذر الناس من أن هذا يمكن أن يحدث فعلا. الاحتيال على الممتلكات في حالة ارتفاع: هناك قصص في الصحافة كل يوم، تلعب الشرطة والمحاماة لعبة المسّاقة مع التكنولوجيا. على مالكي البيوت أن يكون يقظين: لا يوجد حد لما سيحاوله المجرمون المحترفون - أو، في هذه المسألة، المجرمون الهواة.

أيضا هذا تحقيق مستمر وقد توقظ قصتي ذاكرة، قد تشجع أحدا لديه معلومات ذات صلة على الاتصال بالشرطة. أحيانا لا تعرف ما هو الشيء ذا الصلة إلى أن تسمع السياق الصحيح، لهذا لا تمنع الشرطة في قيامي بهذا - حسنا، هم لم يطلبوا مني ألا أفعل ذلك، دعونا نصيغها بهذه الطريقة. كما ربما تعرفون، لا يمكن إجباري على الشهادة ضد برام في محاكمة، بفضل الامتياز الزوجي (هذا مثير للضحك). ما زلنا متزوجين، رغم أنني قد اعتبرت أننا منفصلان منذ اليوم الذي طردته فيه خارجا. بالطبع يمكنني اختيار أن أشهد، لكننا سنعتبر هذا الجسر عندما نصل إليه، كما تقول محاميتي.

كي أكون صادقة، ينتابني الشعور بأنها تعتقد أنه لن تحدث أبدا أي ملاحقة قضائية. ينتابني الشعور بأنها تعتقد أنه حصل على هوية جديدة قبل فترة، وبيت جديد، وحياة جديدة - كل هذا اشتراه بثروته الجديدة.

تقول إنها تمتد باستمرار؛ تلك الآماد التي سيذهب إليها الناس ليخدعوا بعضهم البعض.

حتى الزوج والزوجة.

بهذه المناسبة، قلت إن هناك فرصة جيدة في أن يسمعه، إنه قد يكون العامل الذي يدفعه إلى الاتصال؟ حسنا، دعوني أخبركم الآن فوراً، دعوني أخبره هو - ولا أبالي بما تعتقده الشرطة:

لا تفكر أبداً في الرجوع يا برام. أقسم لو فعلتها سأقتلك.

#VictimFi

@rachelb72 أين الزوج إذا؟ هل فر هاربا بجريمته؟

@rachelb72 @patharrisonuk لا بد أنه اختفى بالمال. تُرى كم

كان المنزل يساوي؟

@patharrisonuk @rachelb72 @Tilly-McGovern زوجها

فعل هذا؟ ياه! العالم مكان مظلم.

برام لاوسون، مقتطف من ملف وورد أُرسل بالبريد الإلكتروني من ليون،

فرنسا، مارس 2017

دعيني أزيل أي شك مباشرة وأخبرك أن هذه رسالة انتحار قصيرة. قبل أن تقرأي هذه، سأكون قد فعلتها. سُرّي الخبر برفق من فضلك. قد أكون وحشا، لكنني ما زلت أبا وهناك ولدان سيحزنان لفقدي، ولدان سيكون لديهما سبب كي يتذكراني بشكل أكثر لطفاً.

وربما حتى أمهما أيضاً، امرأة فريدة من نوعها لا بد أن حياتها كابوس الآن، بفضل.

امرأة، يمكن أن أقولها على سبيل التسجيل، لم أتوقف عن حبها قط.

«قصة فاي» < 00:03:10

رغم أن الموقف مدمر، بل وكارثي، فمن الملائم إلى حد كبير أنه انتهى بالشكل الذي انتهى إليه، لأن الأمر كان دائماً متعلقاً بالمنزل. زواجنا، أسرتنا، حياتنا: لم يبدُ أنها تحمل معنى صحيحاً إلا في البيت. الذي أخرجنا منه -حتى في إحدى تلك الأجازات الظرفية التي اعتدنا أن نكافئ أنفسنا بها عندما كان الأولاد صغاراً جداً ونحن محرومان من النوم جداً- وسيفك الصمغ. كان المنزل يأوينا ويحمينا، لكنه كان أيضاً يُجِدُنَا. أبقانا صالحين بعد وقت طويل من انتهاء تاريخ صلاحيتنا.

زائد، ولنكن صرحاء، أن هذه لندن، وفي السنين الأخيرة اكتسب المنزل في النمو الرأسمالي أكثر مما حققته أنا أو برام من مرتباتنا. كان مورد الرزق الأساسي للأسرة، مولانا الرحيم. أحس الأصدقاء والجيران بنفس الإحساس، وكأن قوتنا البشرية أُخذت منا واستثمرت في الحجارة والملاط. لم يصب احتياطي النقد في أموال المعاش أو التعليم الخاص أو عطلات نهاية الأسبوع في باريس لإنقاذ الزواج، بل في المنزل. أنت تعلم أنك ستستعيده، هكذا كان أحدنا يقول للآخر. هذا بديهي لا يحتاج إلى تفكير.

يُذكرني هذا بشيء كنت قد نسيتُه حتى الآن. ذلك اليوم، ذلك اليوم الفظيع عندما عدت إلى البيت واكتشفت آل فون في منزلي، سألتهم ميرل مباشرة ما لم أكن قد فكرت بعد في أن أسأله: كم دفعتم مقابلته؟

ورغم أن زواجي، وأسرتي، وحياتي كانت قد دُمرت، إلا أنني أوقفت
نشيجي لأسمع الإجابة:

«مليونان..» قالتها لوسي فون بصوت مكسور.
وقلتُ في عقلي: كان يساوي المزيد.
كنا نساوي المزيد.

اشتريناه بربع هذا الثمن - لكنه كان مبلغاً ضخماً وقتها بما يكفي لأن
يجعلنا نقضي ليالي مؤرقين. لكن ما إن وقعت عيناى على 91 جادة ترينيتي، لم
أستطع التفكير في أنني يمكن أن أصاب بالأرق في أي مكان آخر. كانت تلك
الثقة البورجوازية للواجهة ذات القرميد الأحمر، بتفاصيلها الحجرية الباهتة
وطلائها الأبيض الطباشيري، وزهور الغليسين البنفسجية تلتف حول شرفة
جوليت بحديد المطاوع أعلى الباب. مهيب لكنه في المتناول، صلب لكنه
رومانتيكي. ناهيك عن الجيران ذوي الحساسية المشابهة لحساسيتنا. واحداً
بعد الآخر، رحلنا عن هذه البقعة البهيجة، وضحينا بمحطة مترو لصالح
ذلك الكسل الذي تحس به في الضواحي، تلك العذوبة، ذلك الهواء المرشوش
بالسكر مثل الملبّن التركي.

بالداخل كانت قصة أخرى. عندما أفكر الآن في كل التحسينات
التي أجريناها على مدى السنين، الطاقة التي امتصها البيت (النقود!)،
لا يمكنني أن أصدق أننا شرعنا في ذلك أضلاً. كان هناك، دون ترتيب
محدد: المطبخ الذي أعيد تنظيمه، الحُمامات المجددة، الحدائق التي
أعيد تصميمها (الخلفية والأمامية)، حجرة المعاطف المرممة في الطابق
الأرضي، أطر النوافذ التي جرى إصلاحها، الأرضية الخشبية المجددة.

بعد ذلك، عندما انتهت كل أفعال التجديد، كان هناك عدد كبير من الأشياء الجديدة: أبواب فرنسية جديدة من المطبخ إلى الحديقة، خزانات ورخام جديد للمطبخ، تركيب خزانات ملابس جديدة في غرفتي نوم الأولاد، حاجز مصقول جديد في مساحة تناول الطعام، سياجات جديدة وبوابة جديدة للواجهة، بيت لعب جديد وزلافة في الحديقة الخلفية... وهكذا سار الأمر، برنامج تجديد مستمر، وأنا وبرام (حسنًا، غالبًا أنا) مثل مديري هيئة خيرية ننحت بالتفصيل ميزانيتها السنوية، نقضي وقت الفراغ كله نفحص عروض الأسماك، نحجز ونشرف على العمل، نبحث في الإنترنت وخارج الإنترنت عن التجهيزات والتركيبات والأدوات اللازمة لتجهيزها وتركيبها، وننسق الألوان والأنسجة. والحقيقة المأساوية أني أبدًا ونهائيًا لم أراجع وأقول: «تمت!» خدعتني فكرة البيت المثالي مثل شخص خبيث في رواية رومانسية قديمة.

بالطبع لو امتلكت وقتي من جديد ربما لم أكن لألصق شيئًا. كنت لأركز على البشر. كنت لأعيد توجيههم قبل أن يدمروا أنفسهم.

#VictimFi

@ash_buckley ياه! ليس معقولاً كم كانت العقارات رخيصة وقتها.

@ash_buckley @loumacintyre78 رخيصة؟ 500 ألف؟
ليس في بريستون. توجد حياة خارج لندن، كما تعرف!
@richieschambers حدائق أعيد تصميمها؟ تنسيق ألوان؟ هل
هذه المرأة حقيقية؟

كان المالكان السابقان زوجين أكبر سنًا، تماما من النوع الذي تخيلت أننا سنصبح عليه. حققا نجاحا معقولا في مهنتهما كمعلمين (كانا قد اشتريا المكان عندما لم تكن بحاجة لوظائف شركات مثل وظائفنا أو، لاحقا، وظائف مصرفية مثل وظائف آل فون، لتحمل تكاليف بيت عائلي محترم) وصارا واثقين من العمل الذي أنجزاه في تربية أبنائهما، أرادا أن يفكا الوديعة، أن يتحررا هما شخصا. خططا للسفر وتخيّلتهما كبدوين ولدا من جديد يعبران الصحراء تحت النجوم.

«لا بد أنه من الصعب جدا أن تودع منزلا كهذا..» قلتها لبرام ونحن عائدان بالسيارة إلى شقتنا بعد زيارة لأخذ مقاسات الستائر انتهت بزجاجة أو اثنتين من النبيذ. لعله كان يتجاوز حد السرعة، وربما حد القيادة تحت تأثير الشراب أيضا، لكن هذا لم يزعجني وقتها، قبل الأولاد، عندما لم تكن هناك غير حياتينا لنجازف بهما. أضفت: «اعتقدت أن هناك شيئا ما حولهما به بعض الكآبة».

قال برام: «الكآبة؟ سيبيكيان طوال الطريق إلى البنك».

برام، ملف وورد

إذا كيف وصلتُ إلى هذه النقطة؟ نقطة اليأس النهائي؟ صدقيني، كان الأمر ليغدو أفضل لكل من يهमे الأمر لو كنت قد وصلت إليها قبل ذلك بكثير. حتى النسخة القصيرة عبارة عن قصة طويلة (طيب، هذه إذا أكثر قليلا من أن تكون رسالة قصيرة - إنها اعتراف كامل).

قبل أن أبدأ، دعيني أطرح هذا السؤال: أكان المنزل ذاته هو المحكوم عليه فعلا بالهلاك؟ هل أغرقت هذه السفينة ببساطة كل من أبحر بها؟

الزوجان العجوزان اللذان اشتريناه منها كانا ينفصلان، أنفهميني؟
أفشى الوكيل العقاري لي بهذا عندما عرجنا على حانة (توبرووارز) لنشرب
كأساً في طريق العودة من زيارة مع بنائنا. («ما رأيك أن تجرب حانتك الجديدة
في المنطقة؟» سألني، ولا أظن أي كنت بحاجة إلى أي دعوة أخرى).

اعترف لي: «هذا ليس من نوعية المعلومات التي تشاركها مع مشتريين
محتملين. لا أحد يعجبه أن يفكر في أنه ينتقل إلى منزل شهد انهيار زواج».

«إمم». قبضت على الكأس، ورفعتها إلى شفتي، كما سأفعل في تلك
الحانة آلاف المرات القادمة. كانت البيرة الذهبية أكثر من معقولة
وللمكان سمت عتيق الطراز، لم تبتلعه بعد المسارات التي اتخذتها أغلب
الخمّارات في المنطقة.

تابع حديثه: «ستندهش لو عرفت كم يشيع الطلاق بين هؤلاء الآباء
الذين كبر أولادهم وتركوا لهم البيت. احزم متاع الابن الأصغر وابعته إلى
الجامعة وبعد ذلك فجأة سيكون لديك أنت وزوجتك الوقت كي تلاحظا
أن أحدهما يكره الآخر وذلك منذ سنين».

اندهشتُ. «فعلاً؟ ظننت أن هذا حال جيل آبائنا فقط الذين كانوا
يتحملون لخاطر الأبناء».

- ليس هذا هو الحال. ليس في مناطق مثل هذه، وأناس مثل هؤلاء.
الأمر أكثر اعتيادية مما تعتقد.
- حسناً، إنه مجرد طلاق كما أظن. يمكن أن يكون الأمر أسوأ. يمكن
العثور على أشلاء جسد في المجاري.

قال ضاحكاً: «بالقطع لم أكن لأخبرك بذلك».

لم أقل شيئاً من هذا الفاي. كان لديها تصور رومانسي ما عن هذين الزوجين العجوزين اللذين يجمعان معاشات مرتبهما الأخير ويركبان الجمال عبر الصحراء مثل لورانس العرب. يطيران في مناطق منفوخة بالهواء الساخن فوق جبل فيزوف، وما شابه من هراء. وكأنه لم يكن لديهما بالفعل أربعون عاماً من إجازات المعلمين كي يسافرا حول العالم.

كنا قد رأينا على الأقل دستتي منازل قبلها وآخر ما كنت بحاجة إليه هو أن تغير رأيها حيال أول منزل تتقبله على أساس أن «الكأبة» نوع من الأمراض التي يحملها الهواء. مثل الجدري أو السل.

«قصة فاي» <00:07:40

هل كنتُ واعية بقيمة المنزل المتصاعدة؟ بالطبع. كنا دائماً نتابع موقع رايموف.⁽²⁾ لكنني لم أكن لأبيعه أبداً. بالعكس: كانت لدي آمال في الإبقاء عليه ضمن ميراث عائلة لاوسون، في العثور على طريقة فعالة ضريبياً كي يربي الولدان أطفالهما هناك، وتستريح رؤوس أحفادي على نفس الوسادات، وتحت نفس النوافذ، كما استراح رأسا ابني من قبل.

سألتنى صديقتي ميرل: «كيف سيفلح هذا؟» تعيش بعد بيتي بيتين (بيتي القديم، ما زال من الصعب قولها). «أقصد ما هي فرص أن ترغب زوجتاهما في مشاركة منزل إحداهما مع الأخرى؟»

من المؤكد أن النساء في المستقبل سيتخذن القرارات. جادة ترينيتي، أولدر رايز، مقر لنظام أمومي.

2 شركة تدبير موقع rightmove.co.uk أكبر بوابة عقارية وموقع على شبكة الإنترنت في بريطانيا. (المترجم)

قلت: «لم أفكر في المفاوضات الرسمية، ألا يمكنك فقط أن تسمح لي ببناء قلعتي الصغيرة في الهواء؟»

«أخشى أن تلك حقيقتها فعلا يا فاي». وانتزعت ميرل ابتسامتها تلك الصغيرة السرية التي تجعلك شاعرا بأنك مختار بشدة، كأنها أنعمت بها فقط على شخص مميز جدا. من بين النساء الموجودات في دائرتي كانت ميرل الأقل اهتماما بمظهرها -جسد صغير ورشيق، عينان داكنتان، شعثناء الشعر عادةً- وجعلها هذا، حتما، واحدة من أكثرهن جاذبية. «تعرفين مثلما أعلم جيدا أننا سنضطر جميعا إلى البيع عاجلا أو آجلا كي ندفع مصاريف دور المسنين لنا. مقابل رعايتنا في مرحلة الخرف».

اعتقدت نصف النساء في الشارع أنهن يعانين من الخرف، لكنهن في الحقيقة كن مرهقات فقط، أو على أقصى حال يعانين من قلق عام. كان ذلك ما تسبب في انجذاب ميرل وأليسون وكيرستي وأنا نحو بعضنا البعض: لم نكن «نبدي» أعراض العصاب. ظللنا هادئات وأكملنا المسير (كنا نكره هذه العبارة).

عندما أسمع نفسي الآن، أجد ذلك مضحكا: لم نكن «نبدي» أعراض العصاب؟ ماذا عن ذلك النوع الذي يتسبب فيه انهيار الزواج، والخيانة، والاحتيال؟ من كنت أظن نفسي؟

لعلكم قررتم هذا بالفعل. أعلم أن الجميع سيصدرون أحكاما عليّ - صدقوني، أنا أحاكم نفسي. لكن ما نفع قيامي بهذا إذا كنت لن أقدم نفسي بأمانة، بعيوي وكل شيء؟

@PeteYIngram إمم. في رأيي فقد منزلك الفاخر لا يعني أنك ضحية
لجريمة عنيفة.

@IsabelRickey101 @PeteYIngram ما هذا الهراء؟ إنها مشردة!
@IsabelRickey101 @PeteYIngram ليست في الشارع مع
ذلك، أليس كذلك؟ ما زالت لديها وظيفة.

ماذا أعمل كي أكسب رزقي؟ أعمل أربعة أيام في الأسبوع مديرة
حسابات لبائع تجزئة كبير للأجهزة المنزلية - شاركت مؤخرًا في خطنا الجديد
من السجاد ذي المصدر الأخلاقي المستدام، وكذلك بعض القطع الجميلة
لصانعي الزجاج الإيطاليين التي تستلهم الحلزونات.

إنها شركة عظيمة، لديها أخلاقيات كلية فعلا وذات تفكير مستقبلي: هل
يمكنكم أن تصدقوا أنهم اقترحوا عليّ العمل لساعات مخفضة كي يناسب
ذلك أمومتي بشكل أفضل؟ وهذا بيع بالتجزئة؟ لقد اشتركوا في مبادرة
للاتحاد الأوروبي لدعم الأمهات العاملات وكنت في المكان المناسب في
الوقت المناسب. حسنا، تعرفون ما يقولونه عندما يحدث هذا: لا تتركها أبدا.

صحيح أنه كان بمقدوري أن أكسب أكثر بالعمل في إحدى تلك
التكتلات المتوحشة، لكنني دائما كنت أؤمن التوازن بين الحياة والعمل على
المرتب. بعضنا لا يريد أن يتوحش، أليس كذلك؟ أعلم أن هذا كلام مبتذل،
لكنني أعشق العمل مع ذلك النوع من المنتجات اليدوية التي تجعل بالفعل
أي منزل بيتًا.

نعم، حتى الآن وأنا لم أعد أملك بيتًا يخصني.

برام، ملف وورد

عملتُ ما يقرب من عشر سنوات لصالح مصنع لمستلزمات تقويم العظام مقره في كرويدون واحدا من مديري مبيعاتهم الإقليميين لمنطقة الجنوب الشرقي. كنت أرتحل كثيرا على الطريق، خاصة في السنوات الأولى. بعثُ كل أنواع الدعاءات -للركب، الأكواع، وكل ما يخطر ببالك- ووسائد الرقبة وأربطة البطن، لكن بالفعل كان يمكن أن تكون أي شيء. مشابك ورق، طعام كلاب، ألواح شمسية، إطارات سيارات.

كانت بلا معنى وقتها وهي بلا معنى الآن.

«قصة فاي» < 00:10:42

نعم، انفصلنا أنا وبرام منذ الصيف الماضي. أقول لكم لماذا؟ سأخبركم لماذا بالتحديد، متى بالتحديد: 14 يوليو 2016، في الساعة الثامنة والنصف مساءً. كان ذلك عندما وجدته يضاجع امرأة أخرى في بيت لعب الأولاد في الطرف السحيق من حديقتنا.

أعرف، ياله من مكان يختاره! واحة جميلة، معزولة، مبرقة بنور الشمس وملئمة بزهور الهدرانج والفوشية والورد؛ مأوى لمستطيل منبعج من العشب المهترئ، به مرمى كرة قدم باللونين الأزرق والأبيض، مسرح العديد من ركلات الجزاء. وكر عيال.

مكان لا يُنسى تقريباً مثل الفعل ذاته.

كان مفترضاً أن أذهب إلى المكتب للقاء ودي وتناول المشروبات وكان برام مسؤولاً عن الأولاد، لكن اللقاء ألغى وبدلاً من مهاتفتهم مقدماً لإخبارهم، اعتقدت أنني سأفاجئهم - تعرفون، ذلك الكليشيه عن الدخول المفاجئ لحكي قصة قبل النوم ورؤية وجوههم الصغيرة تتفجر بالفرح. مامي، أنتِ هنا! أن تجظى بقليل من التهليل على ما يؤخذ عادةً كأمر مسلم به. أعترف أنني فكرت أيضاً في أنني قد أتأكد أن برام ملتزم بالروتين السليم، لكن فقط لأنني كنت آمل أن أراه ملتزماً بالفعل.

بالطبع هو قد يجادل بأن ما كنت أريده في الحقيقة هو أن أقبض عليه وهو يعيث فسادا وأتساءل الآن إن كان هناك ربما ذرة من الحقيقة في ذلك. ربما ارتكب الخطيئة لأنه كان يعرف أنني توقعت منه ذلك، ربما كان هذا العرض المرعب بأكمله نبوءة حققت ذاتها.

(يميل الضحايا إلى لوم أنفسهم. أظن أنكم تعرفون هذا).

على أي حال، كان المنزل هادئا عندما دخلته - عادت نوبات التأخير في مواعيد القطارات ولم ألحق موعد نوم الأولاد في النهاية. ظننت أن برام ما زال في الطابق العلوي، غفا وهو يقرأ رواية «جيمس والخوخة العملاقة» (لا يوجد رجل في أولدر رايز لم يفعل ذلك، هدا على وقع صوته ذاته، وخدرته الرواية الموازية عن العمل في ذهنه). لكن عندما صعدت على أطراف أصابعي إلى الطابق العلوي لأطمئن، وجدت الولدين في السريرين الصحيحين في الغرفتين الصحيحتين، وستار التعتيم مسدل، ومصابيح الليل متوهجة على طاولات السرير الجانبية المدهونة باللون الأزرق. كل شيء كما ينبغي له أن يكون - ما عدا أنه لا أثر لأبيهما.

همست: «برام؟» وأنا أنتقل من غرفة إلى أخرى، شعرت بانزعاجي يتصاعد بطريقة مبررة على نحو ليس جذابا. فكرت: لقد تركهما، وأنا أسير عائدة إلى الطابق الأرضي، لقد تركهما وحدهما في البيت تماما، ولد في السابعة وولد في الثامنة من العمر! ربما كي يذهب إلى شارع باريد من أجل وجبة جاهزة مقرزة ما أو حتى لكأس سريع في حانة تو برووارز. لكنني عندئذ فكرت: لا، كوني منصفة، لم يفعل ذلك قط. إنه أب صالح، مشهور بذلك. الأرجح أنه نسي هاتفه في السيارة وخرج سريعا ليأتي به. نادرا ما تمكنا من صف السيارة خارج المنزل، بسبب قربنا من شارع باريد من ناحية ولحقيقة أن

بيوتا كثيرة جدا في جادة ترينيتي تمتلك سيارتين على الأقل، ولم يكن من غير المألوف أن نضطر إلى صف السيارة في أي مكان يمتد حتى يتجاوز التقاطع مع حدائق ويندهام. ربما فاتني أن أراه في الشارع بثوان: سيدخل من الباب في أي لحظة. سيقول: لو أزلنا الحديقة الأمامية وجعلناها مكانا لصف السيارة بعيدا عن الشارع لما اضطررنا إلى هذا اللغو، وسيرمي مفاتيح السيارة داخل الطبق المحدد لذلك على طاولة الرواق.

لكنه لم يقل ذلك لأنه لم يدخل من الباب وظلت حقيقة أنه لو لم تُلغ جلسة المشروبات لبقى الولدان في المنزل دون شخص بالغ ليحميهم.

نعم، بالطبع كنت قلقة من أن يكون شيء ما جرى له، لكن فقط لفترة وجيزة جدا، لأنني بمجرد أن وصلت المطبخ لمحت زجاجة نبيذ أبيض مفتوحة على النضد. أشار تجمد التكشف إلى أنها لم تخرج من الثلاجة منذ وقت طويل، إذا لو خطفته كائنات فضائية فقد ذهب وفي يده كأس من نبيذ (سانسير).

كان باب المطبخ غير موصد بالقفل وخطوت خارجة إلى المساء الذي كان بلا نسمة، وكل شيء أخضر ووردي وذهبي. رغم أني لم أكن واعية بأي وجود بشري في الحديقة، شجعني اضطراب ما غير محدد في الحالة المزاجية على أن أسرع في قطع الممر نحو بيت اللعب في آخر الحديقة. كان عمره بضعة شهور فقط وقتها، شيء صغير ظريف له سلم خشبي يؤدي إلى سقفه وزلاقة تلتف حول جانبه، شيدته وعدله برام. الباب، الذي يتأرجح مفتوحا في العادة، كان مغلقا.

تناهت إلى سمعي كل الأصوات المعتادة لحدائق الشارع في أمسية صيفية: أزواج وزوجات ينادي بعضهم البعض لتناول العشاء، نداءات أخيرة للأطفال تنبههم إلى موعد النوم، كلاب وثعالب وطيور وقطط نعترض على

قرب أحدها من الآخر، لكنني لم أضف إليها مناداتي باسم برام لأنني كنت متأكدة قبلها أنه في بيت اللعب.

ماذا كنت أتوقع عندما خطوات فوق حافة الزلاقة واسترقت النظر عبر النافذة؟ أنبوب لتدخين الكوكايين؟ حاسوب محمول مفتوح على صورة ثابتة لشيء لا يمكن الحديث عنه؟ بكل أمانة، توقعت أن أجده يدخن سيجارة خلسة وكنت بالفعل قد هدأت، وأخطط للانسحاب. في النهاية كانت هناك جرائم أسوأ، ولم أكن طبيبه العام.

مرت لحظة كانت فيها الأشكال أكثر تجريداً من أن تُحدد، لكنها لحظة قصيرة لأن الإيقاع كان حقيقياً بما يكفي، بل ومبتذلاً: رجل وامرأة يمارسان الجنس. رجل متزوج وامرأة لم تكن زوجته يمارسان جنساً محموماً لأن الوقت كان جوهرياً هنا. نعم، هي خرجت لقضاء المساء، لكن ما زال هناك الولدان في المنزل، ولم يكن باستطاعته أن يجعلها يستيقظان ويجدان المكان مهجوراً. يحكيان لماذا كل شيء عن الرعب في الصباح بطريقتي تلك اللاهثة، متنافسين لتحقيق أعلى أداء دراماتيكي: «المنزل كله كان خالياً تماماً!» «ظننا أن باباً قُتل!»

كان هناك إحساس طاحن مرعب في جوفي وأنا واقفة هناك، يغمرني شعور غير متوقع بالسلطة. هل ينبغي أن أرفس الباب لأفتحه، كما يستحق، أم ينبغي أن أنسل مبتعدة وأنتظر الوقت المناسب؟ (لأي غرض؟ لأرى إن كان سيفعلها مرة أخرى؟ كان هذا بالتأكيد دليلاً كافياً على أنه سيفعلها). وعندئذ لمحت وجهه، تلك التكشيرة الوحشية المقرقة الهائجة، وعرفت أنه لا خيار أمامي. دفعت الباب وفتحته، وشاهدتها يجفلان كحيوانين. تمایل كأس نبیذ نصف ملآن على يسار الباب لكنه لم يسقط.

«فای!» قالها برام لاهثاً، دائخاً.

تعرفون، منذ سنة أو نحو ذلك، سمعت بالصدفة أختي بولي تتحدث إلى صديقة لها عني: «كأنها شخص ذكي عادي في كل جانب آخر، لكن لديها تلك البقعة العمياء عندما يتعلق الأمر ببرام. ستغفر له أي شيء». وأردت أن أقاطعها وأقول لها: «مرة يا بولي! فعلها مرة!»

حسنا، الآن صارتا مرتين. وأقصد كلامي عندما أقول كان من المريح اكتشاف الأمر، راحة قوية جدا حتى أنها كادت تكون متعة.

رددت عليه: «برام..»

برام، ملف وورد

سأبدأ بها حدث في بيت اللعب، ذلك الذي لا شك لديّ في أن فاي ستبدأ به، رغم أنه مسار مضلل، يمكنني أن أقول لك إن هذا لا معنى له. لكنه كان المحفز الرسمي، اغتيالنا للأرشيذوق فرانس فرديناند⁽³⁾، ولهذا له مكانه في هذه القصة، أقبل ذلك.

اسم شريكتي في الجريمة نقطة فرعية، وبما أنني أشك في أن زوجها يعرف ما فعلته ولن يجذب ربطها بي وبجرائمها، سأدعوها كونستانس في هذه الوثيقة، على اسم الليدي تشاترلي. (أمل أن تسمح لي بهذه المزحة الصغيرة. لا، أنا لست قارئاً عظيماً للكلاسيكيات. رأيت الفيلم مرة - وكان اختيار فاي).

«خطر على بالي أن أمر في زيارة قصيرة». قالتها ذلك المساء عند الباب، بتلك الطريقة التي لا يمكنك أن تخطئها لشخص يعرض بضاعة. بدت ثملة

3 فرانس فرديناند، الوريث المفترض لعرش الإمبراطورية النمساوية المجرية، كان اغتياله في سرايفو على يد الصربي غافريلو برينسيب هو ما أشعل فتيل الحرب العالمية الأولى. (المترجم)

جدا، لكن ربما كانت تلك استشارة كونها المبادرة، وهو شيء مثير في حد ذاته، كما يعرف الرجال منذ آلاف السنين. «قلت إنك ستريني بيت لعبك من الداخل، أتذكر؟»

قلت بابتسامة عريضة: «حقاً؟ لست واثقاً إن كان هناك أي شيء يستحق المشاهدة».

هزت هاتفها الآيفون: «هل يمكن أن ألتقط صورة لأريها لنجّاري؟»

مازحتها: «نجّاري؟ حسناً، يمكنك، نعم، لكن أتعرفين أن بإمكانك فقط أن تشتري هذه الأشياء مفككة في صندوق لتقومي بتجميعها بمعرفتك من شركة بي آند كيو؟ كل ما فعلته أنني ركبّتها وبعد ذلك صنعت الزلاقة».

هتفت: «لكن الزلاقة أفضل جزء. ربما سأجرّبها - إذا لم تلتصق بها مؤخرتي».

ماذا كان ذلك إن لم يكن دعوة للنظر؟

كانت ترتدي فستاناً قطنياً أبيض، منفوش عند الكتفين وملوم تحت نهديةا برباط، وكان النسيج خفيفاً جداً حتى أنه كان يعلق بفخذها مع كل خطوة تخطوها.

«هل هناك أي فرصة لتناول كأس من النبيذ؟» تساءلت ونحن نمر عبر المطبخ.

أتعرف؟ ليس صحيحاً أنه في لحظات الإغواء الجنسي ينحط الرجال إلى نوع أدنى من الثدييات، وينمحي كل تفكير عقلائي. بل هو بالأحرى ضعف تدريجي. أولاً، عندما لاحظتُ الفستان ينسلح، قلت في عقلي: لا تفكر حتى

في ذلك. مستحيل. بعد ذلك، عندما كنت أفتح زجاجة النبيذ، قلت في عقلي: حسنا، عليك أن تستسلم في وقت ما. بعدها بقليل، وأنا أقودها عبر عمر الحديقة (يبدو هذا سيئا) قلت في عقلي: هيا، ليس هنا على الأقل، لا تفعلها وطفلاك نائمان بالداخل. ثم: لا بأس، هذه المرة فقط وبعد ذلك لن تحدث مرة أخرى أبدا.

ما إن دخلنا بيت اللعب وانغلق الباب، حتى كانت تضغط بكامل طولها عليّ: جسدها محموم، شعرها رطب، وجهها مشتعل. كانت السخونة هي السبب، لا النعومة ولا الجسارة ولا الندادة، ولا رائحة العرق أو عطر شانيل أو النبيذ. ثمة إلحاح في الجلد الساخن، في القرب من دم شخص آخر، يستجيب دمك وكأنه انجذب بالمغناطيس.

ينبتك بما يستحقه الشيء المعروض.
ينبتك أنه يستحق كل شيء تملكه. كل شيء تحبه.
طيب، ربما إذا ينمحي كل تفكير عقلائي.

«قصة فاي» < 00:17:36

لا، لا أريد أن أخبركم باسمها. إنها مسألة توفير مشاعر، أليس كذلك؟ هذه التسميات والفضائح نادرا ما تدمر الفرد وحده؛ فالناس لهم عائلات وأحباب يعلقون في ذلك التراشق بالرصاص. وفي النهاية، لا يهم ذلك فعلا. كان يمكن أن ترتدي قناعا وكنت سأشعر بالشعور ذاته: تلك هي الحقيقة. لم أوجه إليها الحديث مباشرة، ولا كلمة. تركتهما يتعثران في محاولتهما للوقوف وانتظرته في غرفة المعيشة. فتحت التلفزيون حتى لا أستطيع متابعة الهمسات المذبذبة المصاحبة لرحيلها، لكن ما إن سمعت الباب الأمامي ينغلق حتى أطفأته من جديد.

بلغني صوته حتى قبل أن يدور مقبض باب غرفة المعيشة: «فاي، أنا لا...»

التفت إليه، مستعدة، وقاطعته: «وفر عليك مجهودك يا برام. أعرف ما رأيته ولست مهتمة بمناقشته. هنا ينتهي الأمر. أريدك أن ترحل».

«ماذا؟» وقف محصورا في الرواق، محاولا أن يصد الضربة بالضحك، ضحكٌ ثلثاه تبجح، وثلثه خوف. كان شعره مشعثا ورطبا عند صدغيه وما زالت بشرته متوردة، وعليه مسحة الهشاشة الغربية لرجل قوطع أثناء ممارسة الجنس.

- أريد الانفصال. زواجنا انتهى.

كان بمقدوري أن أرى في وجهه مجاهدته كي يعثر على رد الفعل الصحيح، وأن نبرة حكمي النهائي كانت أكثر إثارة للقلق من الهستيريا التي توقعها.

قال: «ظننتُ أني تركت الولدين، أليس كذلك؟»

كنت أعرفه عن ظهر قلب وأعرف أنه في أوقات المواجهة يكون تكنيكة ألا يدافع عن قضيته بل يحاول أن يحول تركيز قضيتي، وبفعله ذاك يقوض أركان الجريمة الأصلية.

- هل اعتقدتِ حقا أني سأترك المنزل هكذا ولا أكون هنا إن احتاجا إليّ؟

كان هذا مكرًا حتى بمقاييسه: كنت أنا في الجانب المخطئ لاتهامي غير المبرر له بالإهمال. جريمة لم يُنطق بها أيضا، جريمة التفكير. قلت: «أنت تركتَ المنزل فعلا».

- لكن لم أخرج عن نطاق المبنى مع ذلك.
- لا، أنت على حق. فلنضع الأمور في نصابها: ما كنت تفعله لا يختلف عن إخراج القمامة أو القيام بقليل من جز الحشائش.
- رفع حاجبيه، كما لو أن السخرية لا محل لها في هذا النقاش، كما لو أنه في وضع يسمح له بامتلاك الأفضلية الأخلاقية. لكن أصابعه شردت نحو شفتيه كما تفعل عندما يكون مترددا.
- قلت ببرود: «اذهب وامكث عند أمك. ستتحدث غداً ونتفق متى يمكنك أن ترى الولدين في الإجازات المدرسية».
- «الإجازات المدرسية؟» قالها مأخوذاً، وكأنه ظن أن أي خروج لن يزيد عن وقت مستقطع، تهدة مؤقتة في مقعد مرتكبي المخالفات.⁽⁴⁾
- إذا كنت تفضل، سأأخذها وأذهب إلى بيت ماما وبابا، لكنني أعتقد أنك ستوافق أن الأمر سيكون أقل إرباكاً لو غادرت أنت وبقينا نحن.
- «نعم. نعم، بالطبع». ملتزماً الآن بعرض أدائي للتعاون، أسرع إلى الطابق العلوي ليجمع بعض الأشياء. كانت هناك فترة ركود موجزة في الحركة عرفت أنها لا بد تشير إلى تلكؤه عند بابي الولدين، يتطلع إليهما قبل أن يغادر، وقد تسبب هذا في شعور ممزق صغير بداخلي.
- «فأي؟» عاد إلى الرواق، وعند قدميه حقيبة سفر قماشية، لكنني لم أجعل عيني تلتقي بعينه.

4 مقعد أو مساحة يجلس فيها اللاعبون المرتكبون للمخالفات والمطرودون في ألعاب مثل الرجبي.
(المترجم)

- لا أريد أن أسمع شيئاً يا برام.

قال متوسلاً: «لا من فضلك. أحتاج فقط إلى أن أقول شيئاً واحداً».

تنهدتُ، ورفعت وجهي نحوه. ما عساه يكون ذلك الشيء الواحد الذي سيقوله؟ تعويذة منوم مغناطيسي لمحو ذاكرة المدى القصير لديّ؟

- أياً كان ما فعلته كزوج، أنا لست ذلك الشخص كأب. سأفعل أي شيء تريدينه لجعل هذا الأمر مقبولا بالنسبة للولدين. لأبقى في حياتيهما.

أومأت برأسي، ولا يمكنني أن أقول إنني لم أتأثر.

بعدئذ رحل. رحل بسمت رجل لاحظ أن الحافة أسفل قدميه تتداعى فقط في اللحظة التي كانت تبتعد فيها تماماً.

#VictimFi

@Emmashannock72 لو فعل زوجي ذلك لأخصيته بالتأكيد!
@crime_addict كان ينبغي أن تنظفي جيوبه تماماً في حينها ومكانها،

مع حبي.

«قصة فاي» < 00:21:25

ما سمعتموه صحيح: قلت مرتين. خانني من قبل.

وإذا لا يعني أننا لم نكن قط سعيدين لأننا كنا، أقسم إننا كنا سعيدين، لسنوات. كنا متلازمين في البداية، ولم يكن هناك شيء من ذلك يُبقي أحداً مع الآخر حتى تأكدنا. كان انجذاباً جسدياً، نعم، لكنه انجذاب عقلي أيضاً، افتتان حقيقي بنوع مختلف من الحياة. كنت هادئة من الخارج لكن واثقة من الداخل، وكان هو صاحباً في مواجهة العالم لكن في مواجهة نفسه، لا أعرف ماذا... أقول: كان ضائعاً، بل وربما كان خاوياً. أظن أنني أردت أن أملأه. عندما تزوجنا، ظننت أنني فعلت المستحيل، استقررت مع رجل لم يكن سيستقر أبداً - إلى أن قابلني، بالطبع.

طيب، إذا سهوت عن الكرة عندما احتاج المنزل للاهتمام، وبعد ذلك كان هناك الولدان، لكن هكذا يفعل الجميع في تلك المرحلة من الحياة. كانت الكرات الساقطة تتدحرج في الشارع بطول جادة ترينيتي، وأنت فقط تعتادين على تخطيها.

ثم، منذ بضع سنين، نام مع زميلة في فاعلية بناء فريق عمل. كانت هناك إقامة لمدة ليلة في فندق، وبار مجاني، ومزاج يشبه فيلم

ما يحدث في فيجاس⁽⁵⁾: الكليشيهات المعتادة. رأيت رسائل نصية منها جعلت من المستحيل عليه أن ينكر، حتى لرجل مثل برام، ماهر جدا في التفكير السريع ومواجهة المواقف.

كنت في البيت مع الولدين بينما كان «بناء الفريق» مستمرا. كانا صغيرين وقتها، ربما أربع وخمس سنوات، صعبا المراس كما يمكن لك أن تتخيل، حتى بدون عملي وغيره من الضغوط. كانت خيانة حقيرة، نعم، لكنها حقيرة بطريقة مألوفة وكلاسيكية، وأيا كان ما يقوله الناس هناك عزاء أكيد في معرفة أن آخرين شعروا بنفس الألم.

«لا تخبري أي شخص آخر بما فعل». أذكر أليسون وهي تقولها، عندما أسررت إليها وإلى ميرل أني قررت أن أسامحه (ليست الكلمة الصحيحة تماما، لكن لخاطر المناقشة تلك هي الكلمة التي سأستخدمها). «سيغير ذلك من الطريقة التي سيكون عليها رد فعل الناس تجاهك أكثر مما سيغير رد فعلهم تجاهه».

تلك نصيحة كنت لأبلي حسنا لو اتبعتها، لأنه حتى عندما شاركت محتتي مع بولي، عرفت أن هذا كان خطأ. لأنها منذ البداية كان لديها نفور طبيعي من مفاتن برام وخصاله الساحرة، صار لديها الآن دليل يثبت حدسها، دليل لم تكن مستعدة لتجاوزه حتى لو تجاوزته أنا. وتماما كما تنبأت أليسون، وجدت بولي بصورة غريزية الخطأ في. قالت: «لا يمكنك أن تنجذي إلى

5 الإشارة إلى فيلم ما يحدث في فيجاس الأمريكي إنتاج عام 2008 الذي يحكي عن شاب وشابة يلتقيان ويتزوجان في فندق في لاس فيجاس في ليلة سكر في لاس فيجاس، واسم الفيلم أصلا مأخوذ من عبارة شائعة: ما يحدث في لاس فيجاس، يظل في لاس فيجاس. (المترجم)

شخص بكل هذا الوضوح، حسناً، كما تعلمين، ولا تتوقعين أن
ينجذب آخرون إليه كذلك».

- ما هو كل هذا الوضوح؟
- مثير جنسيا يا فاي. ولا يقر له قرار، كما تعرفين، بتلك الطريقة
العصبية.
- أهكذا يراه كل الآخرين؟
- بالطبع يفعلون. إنه نمط. الفتى الشقي. مهما حاول بجِد، لا يمكن
إعادة تأهيله أبدا بشكل تام.

قلت: «هذا هراء نمطي».

وهكذا كانت المحادثة التي أجريتها مع برام نفسه.

قلت له: «لا أعرف إن كان يمكنني أصلاً أن أثق بك مرة أخرى».

قال متوسلاً: «حاولي. لن يحدث هذا مرة أخرى أبداً، عليك أن تصدقي
هذا».

المحاولة، والثقة، والتصديق: أكثر جاذبية ألف مرة من البديل عندما
تتشاركان طفلين صغيرين. وقد كان مخلصاً بعد ذلك، أنا واثقة من ذلك،
حتى ذلك المساء من يوليو الماضي.

هل كنتُ مخلصاً له؟ ظريف جداً. بالطبع كنت مخلصاً. أحيلكم إلى
الطفلين الصغيرين. حتى لو كانت لديّ الرغبة في الانحراف - التي لم تكن
لديّ - حسناً، لم يكن لديّ الوقت.

وأقول لكم لا، بولي ليست متزوجة.

إذا لم يكن قد قيل لك بالفعل فسيقال لك قريبا: كانت هناك زلة أسبق خارج نطاق الزواج. لن أسهب في ذلك هنا، لأن هذا كما أقول لا يتعلق بالجنس. الحب والإخلاص ليسا نفس الشيء، مهما تَقُل النساء. (مرة أخرى، لا حاجة هناك للأسماء. كانت فتاة في فاعلية خاصة بالعمل، علاقة لليلة واحدة. وسرعان ما تركت الشركة بعدها).

لماذا خُنتُ المرأة التي أحبتها؟ أفضل طريقة يمكنني أن أفسر بها ذلك أنه لم يكن إدمانا ولا حتى شهوة، لكنه أقرب إلى ذكرى الجوع بعد سنوات من الأكل الجيد. الاعتقاد بأنني كنت أفضل عندما كنت متهورا، وكانت حواسي أكثر حدة، والمتعة تؤخذ بشكل أقوى. نوع من الحنين النرجسي.

لن أكمل. لا شك لديّ أنك تقلبين عينيك تأفقا بالفعل. سترين زميلك ذلك الجزء الأخير وستقولين: «لقد سمعت كل هذا قبل الآن».

«قصة فاي» < 00:24:41

بالمناسبة، لا تظنوا أنني لا أعرف أنه بعد تلك النزوة مع الفتاة في العمل أسمته بولي: «اضرب يا برام، شكرا يا مدام».⁽⁶⁾

دعابة ذكية، يجب أن أعترف بهذا.

أما ما أسمته به بعد حادثة بيت اللعب فتعبير صادم جدا لدرجة أنه لا يصلح التصريح به في هذا التدوين الصوتي.

6 في الأصل تلاعب بعبارة wham, bam, thank you, ma'am التي تشير إلى ممارسة الجنس بسرعة وعنف وترجمتها الأقرب: طاخ، بام، شكرا يا مدام. (المترجم)

عندما كان الولدان صغيرين وكانت فاي شديدة العصبية، اعتدنا أن ندعوها «في.. فاي.. فو.. فَمَ».⁽⁷⁾ كنا نقولها بمودة طبعاً، رغم أني صرت أرددها أقل من جانبي ما إن أدركت أن دماء الإنجليزي التي تشمها في الغالب هي دمائي.

7 هو السطر الأول من رباعية تاريخية تشتهر باستخدامها في حكاية الجنيات الإنجليزية الكلاسيكية: جاك وساق الفاصوليا. Fee Fi Fo Fum، عبارة لا معنى لها يرددها العمالق كلما دخل جاك قلعة: في فاي فو فم، أشم رائحة رجل إنجليزي، سواء أكان حياً أم ميتاً، سأطحن عظامه لأصنع خبزي. (المترجم)

الجمعة 13 يناير 2017

لندن، الواحدة مساء

الرقم الذي تتصلين به لم يعد موجودا في الخدمة.

تسألها لوسي فون «هل حالفك الحظ؟»

«لا». هي بحاجة للتخلص من هذه المرأة برسائلها الإلكترونية المزورة وأوهامها عن امتلاك بيت شخص آخر. هل ينبغي أن تتصل بالشرطة على الفور؟ أم تنتظر حتى تجد برام بحيث يتمكنان من التعامل مع هذا الغزو الشائن معًا؟ والآن بعد أن نُصب الكثير من أثاث آل فون، هل يملكون أهلية واضعي اليد؟ هل هم، تقنيا، محتلون؟

أسئلة بلا إجابات. يبدوون غير حقيقيين مثل الصور الماثلة أمام عينيها. التجربة كلها هلوسات، لا يمكن الوثوق بها.

تجرب الاتصال ببرام مرة ثانية. وثالثة.

الرقم الذي تتصلين به لم يعد موجودا في الخدمة.

لا يمكنها حتى أن تترك له رسالة صوتية. «أين هو بحق الجحيم؟»

لوسي تراقب، وهاتفها في يدها. «لديك طفلان، أليس كذلك؟ أيمن أن يكون معهما؟»

«لا، هما في المدرسة». كيف تعرف لوسي أشياء عنها في حين أنها لم تعرف حتى بوجود لوسي هذه حتى بضع دقائق مضت؟

تقول في عقلها: ماما. ستطلب منها أن تأخذ الولدين من المدرسة وتُقلهما إلى بيتها. لا يمكنهما المجيء إلى هنا، سيصيبهما الذهول والاضطراب عندما يجدان غرفتي نومهما متزوعتي الأحشاء، وممتلكاتها الثمينة نُقلت دون علمهما.

نُقلت إلى أين؟ قد يكون امتلاك البيت وهما لدى هذه المرأة الغريبة (تظل فاي متشبثة بفكرة أنها مزحة فعلية)، لكن محتويات البيت الحقيقية مفقودة على نحو فادح ولا يقبل الجدل. شخص ما نقلها فعليًا.

عندئذ تخطر لها... ليست فكرة بقدر ما هي دفقة طليقة العنان من هاجس منذر يفتح الوعي على هيئة زعر تام: إذا أمكن لشيء تملكه أن يتلاشى في يومين غابتهما، أيمن أن يحدث ذلك لطفليها؟ تقول: «آه يا ربي! أرجوك لا، أرجوك...» ويبدن مرتعشتين تتصفح جهات الاتصال في هاتفها.

تساءل لوسي في قلق: «ما الأمر؟ ماذا حدث؟ بمن تتصلين؟»

- مدرسة أطفالي. يجب أن... أوه يا مسز إيميري! معك فاي لاوسون.
ابني هاري في الصف الثالث وليو في الصف الرابع.

«طبعًا، كيف حالك سيدة...» تبدأ سكرتيرة المدرسة حديثها، لكن فاي تقاطعها:

- أحتاج منك أن تتأكدي من وجودهما لأجلي - على وجه السرعة.
- أتأكد من وجودهما؟ لست واثقة من فهمي.

- هل يمكنك فقط أن تتأكدي أنهما موجودان حيث ينبغي لهما أن يكونا؟ في فصليهما أو الملعب، أينما يكن. الأمر مهم حقاً.

تردد مسز إيميري. «طيب، سيكون الصف الرابع في قاعة الطعام، أعتقد...»

«من فضلك!» بشكل أقوى من ولولة: زعقة، عدوانية لدرجة تجعل لوسي تجفل. «لا يهمني أين يكون، فقط تأكدي من أنهما هناك!»

ثمة سكتة مصدومة، ثم: «هل تمانعين في الانتظار لحظة...؟»

ترهف فاي سمعها كي تتابع حديثاً خلفياً بين مسز إيميري وزميلة لها، عشر ثوان موجعة أو نحو ذلك من تبادل الحديث بصوت منخفض، وبعد ذلك تعود مسز إيميري على الخط: «أنا آسفة يا مسز إيميري، لكنني أبلغتُ للتو أن ولدك ليسا هنا فعلياً».

«ماذا؟» على الفور تبدأ لطمات مريعة في قفصها الصدري وتهدهدها معدتها بأن تُفرغ ما فيها.

- هما ليسا في المدرسة اليوم.

- أين هما إذا؟

- حسناً، مع أبيهما، على حد علمنا. اسمعي، سأوصلك بمديرة...

هي ترتعش الآن، والارتجافات لا تطابق إيقاع لطمات قلبها. لقد غدت ماكينة فقدت السيطرة على وظائفها.

«مسز لاوسون؟ معك سارة بوتوملي. يمكنني أنؤكد لك أنه لا يوجد أي شيء على الإطلاق كي تقلقي بشأنه». لدى مديرة مدرسة أولدر رايز

الابتدائية أسلوب داعم، واثقة من النظام في كل الأوقات، فقط تشعر بأقل إحساس بالإهانة من تلميح فاي الحالي بانعدام النظام. «طلب زوجك إذنًا بأخذ الولدين من المدرسة لهذا اليوم ووافقت على أن أمنحه له. غيابهما معتمد تماما».

«لماذا؟» تبكي فاي. «لماذا أخذهما من المدرسة؟ ولماذا وافقتِ على ذلك؟»

- يؤخذ التلاميذ من المدرسة لأسباب من جميع الأنواع. في هذه الحالة، كان الأمر يتعلق بصعوبة أن يُقلها أحد بعد المدرسة، ما الحال وكلاهما ليس في لندن اليوم؟

كلاهما ليس في لندن؟ من المفترض أن يكون برام هنا، في هذا المنزل، على بُعد شارعين من المدرسة! «لا، لا، هذا خطأ. أنا كنت خارج لندن، لكن برام كان يعمل من البيت».

البيت الذي يستمر تزويده بمتعلقات الغريبة.

تقترح مسز بوتوملي: «هل هناك احتمال أن تكون مواعيدكما اختلطت؟ عندما تحدثت إلى زوجك منذ بضعة أيام، وصلني انطباع بأنك تعرفين كل شيء عن ذلك الطلب».

«لم أعرف شيئاً. لا شيء». تتبع هذه الجملة ولولة حيوانية شنيعة وفقط عندما تأخذ لوسي الهاتف منها تدرك فاي أنها صارت أكثر هياجاً من أن يُسمح لها بالاستمرار.

تقول لوسي: «آلو؟ أنا صديقة لأسرة مسز لاوسون. بالطبع، نعم، دعي هذا لنا، سنحاول أن نتبع أثر والد الطفلين. أنا واثقة أنها مجرد حالة لخبطة والطفلان في أمان تام. مسز لاوسون مصابة

بصدمة خفيفة وليست في حالتها الطبيعية. نعم، سنحيطك علماً
بمجرد أن نعرف مكانهما».

عندما تنتهي المكالمة، تحاول فاي أن تسترد هاتفها، لكن لوسي تصر وتسألها
بلطف: «ألن يكون من الأفضل أن أجرب الاتصال بزوجك من أجلك؟»

ترد فاي بحدة: «لا، لن يكون. لا علاقة لك بالأمر. لا ينبغي أن تكوني
هنا! أعطني هاتفني واخرجي من منزلي!»

«أعتقد حقاً أنك ينبغي أن تجلسي وتأخذي نفساً عميقاً». عندما تسحب
لوسي مقعداً من أجلها عند طاولة المطبخ، يبدو الأداء وكأنه بين ممرضة
ومريضة. «سأصنع لك فنجاناً من الشاي».

«لا أريد شايًا، بحق الله!» يعود هاتفها إليها، وتجرب فاي الاتصال ببرام
مرة أخرى - الرقم الذي تتصلين به لم يعد موجوداً في الخدمة - قبل أن تضعه
مقلوباً على وجهه فوق الطاولة. تعتقد أن شيئاً مريعاً يجري. تعرف. تعرف في
قرارة نفسها. هذا الارتباك في حال المنزل، هذه المرأة الوقحة لوسي، مجرد جزء
منه: لقد حدث شيء ما لبرام والولدين. شيء سيء جداً.

جنيف، الثانية مساءً

يكره الغرفة بالفعل. يكره الفندق. يكره ذلك القليل الذي رآه
وسمعه من هذه المدينة. تصرخ طائفة قادمة من الشرق، تمزق أذنيه أكثر
من البقية، يحتضن نفسه خوفاً من الزجاج المتهدم. ربما هذا ما سيتطلبه
الأمير، هكذا يفكر، كي يسمح لكارثته بالانكماش والتضاؤل. شيء
مروع - حرفياً - كتحطم طائرة.

ليست هذه بالمرة الأولى التي يفكر فيها على هذا النحو. عندما اقتربت طائرته ذاتها من المدينة ذلك الصباح، خطرت على باله تلك الفكرة الواضحة أنه لا يهم لو فشلت أجهزة الهبوط، لو انشق بطن هذا الشيء فوق المدرج وقذفه من فتحته. لم يكن ليعترض على موته بهذه الطريقة. بطريقة حقيرة - نظراً لوجود هؤلاء الركاب البالغ عددهم مائتان والذين كان مستعداً لأخذهم معه - صلى من أجل ذلك.

«لجأ هبطت الطائرة بسلاسة، وهو الشخص الوحيد الذي كان متشنجاً في ألم. هو الوحيد الذي كان يتوسل للآلهة كي تنقلب ريح الحظ في هدية لم يكن من الممكن أن تُمنح له أبداً.

في الحقيقة، كان ينبغي له أن يعرف أن الهروب لم يكن إلا سجنًا له اسم آخر.



telegram @
yasmeenbook

«قصة فاي» < 00:24:56

كان انفصلاً غريباً في البداية، خمسة أسابيع من التغافل طوال آخر يوليو وكامل أغسطس. بالطبع، لو أُعطيت نصف فرصة لعشته مرة بعد مرة، وقدّرت ذلك الفاصل الانقطاعي الخفيف الذي كان عليه، لكن وقتها بدا الأمر أشبه بمسافة كثيفة لا بد من تحملها.

لا، لا أقصد الأثر العملي لكوننا منفصلين. رغم أنني كنت أعمل في وسط لندن، مشوار يستغرق خمسا وأربعين دقيقة يمكن أن تزيد إلى الضعف لو كان اليوم سيئاً، وأضافت الإجازات الدراسية تعقيدات المعادة، إلا أنني كنت قد رتبت أموري مسبقاً لذلك. ساعدتني أمي وكانت هناك صديقات في الشارع تبادلتُ معهن الاعتناء بالأطفال. لا، أقصد عاطفياً. كان هدي في ألا يكون لي ولا عليّ، أن أبقى سليمة العقل.

كان برام مقبياً في بيت أمه في منطقة بينج بجنوب لندن، منتظراً خطوتي التالية، وقد غطيت على غيابه مؤقتاً فيما يخص الولدين. كنت أقول: «هو مسافر في مهمة عمل. سنراه يوم السبت». وعندما كانت تحل زيارته يوم السبت، كانت تمتد إلى ما بعد وقت النوم ولا يعرف الولدان أنه رحل. في الصباح، كنت أقول إنه اضطر إلى الاستيقاظ مبكراً كي يذهب إلى المكتب. ساعدني أنها كانا في العادة أكثر انشغالاً بخطط رأس أحدهما

الآخر بسلطانيات السريلاك عن أن يتشككا في الخدعة، لكنها رغم ذلك لم تمثل تكتيكاً مستداماً طويل المدى.

ألغينا إجازة الأسرة التي كنا ننوي أن نقضيها في منطقة الغرب بالبرتغال وبقينا في أولدر رايز، التي بدا أن المدينة بأكملها حطت عليها. جزئياً بسبب قصة صحفية في قسم العقارات بجريدة ستاندارد، تجمع أزواج حول واجهات الوكلاء العقاريين ليروا ما هو ثمن شقة عبارة عن غرفة نوم واحدة، أو شقة لها شرفة، أو منزل عائلي به أربع غرف نوم مثل البيوت الموجودة في جادة ترينيتي. يقول الوكلاء إنهم نادراً ما يتجاوزون ذلك، رغم أنه كانت هناك إشاعة أن آل ريس في البيت رقم 97 قاموا للتو بثمنين بيتهم.

كان من المستحيل فعليا صف السيارة في القسم الشمالي من جادة ترينيتي وكثيراً ما نسيت أين تركت السيارة.

قالت أليسون: «هذا هو الثمن الذي ندفعه مقابل استحقات منازلنا لكل هذا القدر. الشكوى غير لائقة».

(كانت عبارة «غير لائقة» من عبارات أليسون اللصيقة).

كانت أول من زارني عندما أفضيتُ نبأ رحيل برام عن البيت. جاءت بتلك الباقة المتيسة من زهور الهاردنج الشبيهة بالمصاصات والتي يكون شكلها لطيفاً جداً عندما تجف. إنها زهرات باهظة الثمن - لا يمكنك أن تحصل عليها في أولدر رايز إلا من محلات بيع الزهور الفاخرة في شارع باريد.

قالت وهي تعانقني: «أوه يا فاي، أتريدين أن نتحدثي عن الأمر؟»

قلت: «لا يوجد ما يقال».

كانت عيناها الخضراوان بلون البحر تدمعان عندما تضحك - وكانت دائما تمسح لطخات الماكياج - لكن كان الأقل اعتياداً رؤيتهما تلمعان حزناً كما كان حالهما ساعتها. «فقط أخبريني، هل علينا أن نختار بينكما؟»

- بالطبع لا.

- إذا ليست هناك خطة مدروسة للانتقام؟ أو حتى خطة أولية؟

قلت: «لا يجب أن تدور كل قصة عن الانتقام».

- صحيح. لكن أغلبها كذلك.

حسناً، أعترف أن هناك أوقاتاً تخيلت فيها برام يلتقي بمثيلته، امرأة تعامله بقسوة واحتقار - لكن بطريقة لا يكون لها أي تأثير من أي شكل على صالح الولدين - لكني لم أقرب قط من السعي وراء القصص المباشرة. أعتقد أنني من بين كل الناس كنت أعرف أنه شخصياً أسوأ أعداء نفسه، رجل لديه نزعة لتدمير ذاته. لو انتظرتُ ما يكفي من وقت طويل، سيتقم هو من نفسه.

قلت لأليسون: «تعرفين؟ أذكر أنني شاهدت لقاء قديماً مع جورج هاريسون. كان ذلك بعد أن تركته زوجته من أجل إريك كلابتون وكنيت لتوقعي منه أن يقذف حملاً بركانية من فمه، لكنه كان هادئاً جداً وفيلسوفاً في حديثه. قال إنه يفضل أن تكون مع صديق له عن أن تكون مع أي فلان أو علان عجوز».

فكرت في كلامي قليلاً ثم قالت: «ربما كان ثملاً يا فاي».

زفرت زفرة خفيفة من أنفي مرت كأنها ضحكة خلال هذا الوقت الكئيب. «قصدي أنني أطلقت سراحه. لقد أطلق أحداً

سراح الآخر. ما أريده الآن أن أضع الولدين في المقام الأول وأجد طريقة للعيش في انسجام تام. مثل تلك الأغنية القديمة لبول مكارتنى».

«تقصدين أغنية (الأبنوس والعاج)؟⁽⁸⁾» واتسعت عيناها. خشيت أن تكون إحدى زوجات ستيفورد ذات ولوع مرضي بفريق البيتلز قد حلت في جسدي⁽⁹⁾. «حسنًا، لست واثقة من وجود سوابق كثيرة لهذا في تاريخ الزيجات المنهارة، لكن إن كان يمكن لأي أحد أن يفعل ذلك، يمكنك أنت أيضًا».

مثل والديّ، لطالما أعجبت أليسون ببرام، على ما يبدو أنها فهمت بشكل غريزي أنه بالرغم من حبه للشرب وأكاذيبه، والطبيعة التشويقية المرهقة للعيش معه، كانت هناك طيبة في قلبه.

سألتني: «أستظلين في المنزل؟»

- طبعًا.

- هذا جيد. هذا أهم شيء.

8 أغنية الأبنوس والعاج Ebony and Ivory كتبها وغناها بول مكارتنى مع ستيف واندر عام 1982 ويقول مطلعها: الأبنوس والعاج يعيشان معا في انسجام تام / جنبًا إلى جنب على لوحة مفاتيح آلة البيانو خاصتي / آه يا ربي! لماذا لا نكون نحن كذلك؟! (المترجم)

9 الإشارة هنا إلى رواية زوجات ستيفورد للكاتب الأمريكي إيرل ليفين التي صدرت عام 1972 وتحولت إلى السينما في فيلمين عامي 1975 و2004، تشك بطلّة الرواية في أن زوجات الحي الذي تنتقل إليه مع أسرتها روبوتات. والإشارة إلى الولوع بفريق البيتلز نظرًا لتكرار إشارة فاي إلى بعض نجوم هذا الفريق الغنائي الشهير: جورج هاريسون، بول مكارتنى. أما إريك كلابتون فموسيقي إنجليزي آخر شهير من علامات موسيقى الروك لكنه لم يكن ضمن فريق البيتلز. (المترجم)

كانت هناك ثلاث زهرات هادرنج، واحدة لكل واحد من آل لاوسون الباقيين، رغم أنني لا أعتقد أن هذا خطر على بال أليسون عندما اشترتهن. لقد اشترتهن لأن مصممي الديكور قالوا إنه ينبغي أن ترتب الأشياء في العدد ثلاثة. كانت قاعدة في التناسق، نفس القاعدة التي جعلت ميرل تتوق دائما إلى إنجاب طفل آخر. لم يكن طفلاها الموجودان متوافقين ولا متعارضين. (قال زوجها أدريان مرة: «هناك دائما خطر وجود ثالث»، وتذكرتُ جملته هذه بسبب نبرته، كما لو كان يتكلم عن حرب عالمية، عن حدوده التي سيدافع عنها برنامج ترايدنت)⁽¹⁰⁾.

قالت أليسون وهي تغادر: «لو حدث هذا لعلمك، كنت لأختارك أنت».

أنا آسفة، هل أبدو هزلية على نحو بالغ بعض الشيء؟ ألم أكن غاضبة من ذلك الوغد؟ بالطبع كنت. احتقرته بطريقة لا يمكنك أن تحتقر بها إلا شخصا تحبه بعمق. لكنني لم أستطع تحمل أن أدعه يجعلني ضعيفة. تطلب الأمر قوة كي أبقى على غضبي غطاءً، كي أضعه في الثلج بالطريقة التي وضعت به، وكنت فخورة بقوتي.

صدقوني، رغم ذلك، ما شعرت به نحو الخيانة لا وجه للمقارنة بينه وبين ما أشعر به تجاه المنزل. هذا أسوأ بكثير. هذه هي المرارة.

10 برنامج ترايدنت النووي أو الرادع النووي برنامج يغطي تطوير وشراء وتشغيل الأسلحة النووية في بريطانيا ووسائل إيصالها. (المترجم)

لا أذكر الكثير عن تلك الفترة الانتقالية. بدت مؤلمة إلى حد كبير وقتها، لكنني عندئذ لم تكن لدي فكرة عن مقدار السواد والعجز اللذين يمكن أن يصل إليها الألم.

لم يساعدني أنني كنت مقبلاً مع أمي. أذكر محاولاتها لتقديم النصيح، اعتمادها على نوعية التعاليم المسيحية التي بدت بالية (إن لم تكن مخبولة) في طفولتي. والآن، في جنوب لندن القرن الواحد والعشرين، كانت منبته الصلة إلى حد الرطانة. يكفي أن أقول إن الحكمة التي تظاهرتُ بها لم تكن كفوًا لاسمي التوراتي⁽¹¹⁾ ورفضتُ أن أناقش ذلك معها... أو مع أي أحد بصراحة.

أذكر التفكير في أن الولدين لم يتأثرا بغياي على نحو مدهش، ويكاد يكون بغيصاً. تقبلاً هداياي في عطلات نهاية الأسبوع من رقائق البطاطس وحبوب الهلام وكأن زواج والديهما لم يتحطم، وكأن متعة رمي رقائق البطاطس ماركة برينجلز عبر الأفواه المواربة فاقت أي سوء يمكن أن يقذفها به الكون.

أما بالنسبة لفاي، بدا أن رؤيتي لا تملؤها بأي من العذاب الذي كنت أشعر به - ولا الغضب الذي كنت أستحقه. بل ذهبنا إلى المتزّه معاً، نحن الأربعة، ذات يوم أحد قانظ في منتصف أغسطس. «فستق أم كراميل مملح؟» سألتني عند نضد الآيس كريم في الكافيتريا، كأنها تمثل دور المضيفة الكريمة لطالب أجنبي في برنامج تبادل طلابي.

11 إشارة إلى النبي إبراهيم، أبراهام. (الترجم)

قلت: «اختاري أنتِ...» ولمحت تقوسا واهيا للغاية في حاجبيها. قرأته: لقد اخترتَ أنت، وكان اختيارك هو الخاطئ.

كان شيئا غريبا: مكوناتها هي ذاتها بالضبط كالسابق -شعر أشقر مقصوص ومنسدل حتى نحرها، وعينان بُنيتان داكتان لها أهداب مستقيمة متساوية، ومنحنيات تجذب أنظار الذكور ومع ذلك تتنصل منها صاحبتهما على أنها زائدة- لكن الطعم كان مختلفا. وكأنها وجدت طريقة كي تغطي لذوعتها بالسكر، كي تخفي مرارتها تجاهي.

تمشينا عبر العشب المتآكل إلى الملعب. كان المكان يعج بزوار اليوم الواحد، أنصاف عراة في العشرينيات من أعمارهم يرتدون تلك النظارات الشمسية الرائجة ذات العدسات الزرقاء التي تبدو أفضل على النساء منها على الرجال (أوربما لم ألاحظ إلا النساء). بل كان هناك طابور أمام الأرجوحات.

قلت: «من أين أتى كل هؤلاء الناس؟» لم أكن قد غبت عن أولدر رايز كل هذه الفترة الطويلة.

«تقول أليسون هذا هو الثمن الذي ندفعه مقابل استحقاق منازلنا لكل هذا القدر...» قالتها فاي، وتمكنت بطريقة ما أن تجعل لها وقعا يشبه التضحية الذاتية، كأنها أصعب قضية واجهتها في حياتها. أن تكون مليونيرة عقارات.

ماذا غني؟ أردت أن أنوح. العيش في بينج مع مخبولة متدنية، النوم على سرير هوائي ورأسني في مواجهة شبكة تبريد الهواء! كنت حريصا حتى ذلك الوقت كي لا أضغط على فاي أو أقدم

أي مطالب، لكن الآن فاض بي القلق: «في هذا السياق، علينا أن نقرر ماذا سنفعل بالمنزل. لا يمكنني البقاء في بيت أمي للأبد. إذا كنا سننفضل حقاً، فنحن بحاجة للحديث عن كيفية تقسيمنا للممتلكات».

الآن لاحت عاطفة في عينيها. «عز صافي».

تابعت حماقتي، راغباً في أن أولمها وفي نفس الوقت دافعاً إياها كي تعيدني للتو واللحظة وتمنحني الفرصة كي لا أولمها مرة أخرى أبداً. «هل تواصلت مع محام؟ أو وكيل عقاري؟ هل تنتظرين مني أن أفعل ذلك؟»

«لا». وعندما خلت أرجوحتان، أخذت قمعي آيس كريم غير متهيين من الولدين وحثتهما على أن يأخذا دوريهما.

«فاي..» شرعت مرة أخرى في الحديث، لكنها رفعت قمعاً يقطر آيس كريم محتجة.

- من فضلك. توقف.
- لكن إلى متى أكثر من ذلك...؟

قالت: «أسبوع آخر. أعطني أسبوعاً آخر وسأتي ببعض الاقتراحات للخطوات القادمة».

الخطوات القادمة: لغة إدارة المشروعات. ستكون الخطوات القادمة هي تحديد المنقولات، وتأمين الأشخاص المعهودة إليهم المنقولات، وتثبيت إطار زمني.

قلت: «حسن».

- ويا برام؟

- نعم؟

«نحن (فعلا) منفصلان. فقط لا أريد أن أكون متسرعة في ذلك. أريد ما هو أفضل لهما». والتفتت لتراقب الولدين وهما يتأرجحان، وهي تكاد لا تطرف بعينيها، كأنها نوع جديد ومنوم من الألعاب الرياضية التي تجتذب المتفرجين - إلى أن أدركت أنها فقط لا تستطيع تحمل النظر إليّ.

عندما عدت إلى بيت ماما ذلك المساء، أذكر أنه دار بخلدي أن هذا ما لا بد يشعر به رجل مُدان ينتظر نبأ استئنافه.

مُدان؟ لم أعرف كم كنت أنعم بالحرية وقتها.

«قصة فاي» < 00:28:49

أسفة على هذه الثورة الصغيرة - أنا بخير الآن. مشاعري مشتتة تماما في هذه اللحظة، كما يمكنكم أن تتخيّلوا.

إذاً، ماذا حدث بعد ذلك؟ كان حديث برام عن تقسيم الممتلكات، هذا ما دفعني إلى التصرف. تظاهرنّا بالتجمع معاً ذات ظهيرة كي نذهب إلى المتنزه في رحلة عائلية، وأعتقد أنها لم ينبغ أن تكون صدمة كما بدت عندما سأل ماذا سنفعل بالمنزل. ذلك المساء، ذهبت إلى النافذة ووقفت لفترة أنظر إلى شجرة الماغوليا، التي كانت دائما مصدر عزاء لي. كانت قد أزهرت مبكرا هذا العام وتكلمنا جميعنا بحماس عن جمالها، التقط المارة

صورا لها بهواتفهم وتسلق الولدان الأغصان الأدنى ليمسدا الأزهار،
برقة، وكأنهما يمسدان هامستر حديث الولادة، حريصين ألا يهلهلا أي
بتلات.

لم أكن لأجد أبدا هذا الجمال وراحة البال في مكان آخر. وكان الجميع
يعرفون أن سوق العقارات فاقم من عداوات الانفصال والطلاق وأنه في
لندن وضواحيها لم يعد بمقدورك أن تتوقع بيع بيت كبير واحد وشراء بيتين
أصغر في المقابل. كان عملي يمنحني راتبا معقولا، لكنني كنت بحاجة إلى أن
توظفني شركة النفط والغاز السعودية كي أملك أي فرصة لشراء نصيب برام
الذي يبلغ النصف من العقار الكائن بجادة ترينيتي.

فكرت، أو على الأقل حاولت أن أفكر، كيف قد يكون الإحساس بفتح
هذه البتلات الوردية الغالية لشخص آخر في الربيع التالي. لا، هذا شيء لا
يمكن التفكير فيه. سيفطر قلبي بعنف لا يمكن لزوج خائن أن يصل إليه.

لافتة «للبيع» عند بوابتنا؟ على جثتي.

#VictimFi

@SharonBrodie50 إنها تبالغ قليلا، أليس كذلك؟ لا أفهم كيف
يكون الناس مهوسين إلى هذا الحد بمنازهم.

@RogerMason @SharonBrodie50 المال. على الأقل هي
صادقة.

«قصة فاي» < 00:30:10

نعم، كانت ترتيبات الوصاية حاسمة في وقوع الجريمة، هكذا أرى، لأنها منحت برام القدرة على الوصول إلى المنزل ذاته وفي نفس الوقت الوثائق التي احتاجها لبيعه - ليس فقط الأوراق الخاصة بملكية البيت المشتركة، لكن أوراقى الشخصية أيضا. لا، لم أفكر في إبقائها منفصلة عن أوراقه بعد انفصالنا، رغم أن ذلك بوضوح أول شيء كنت لأحث النساء الأخريات على فعله في ذلك الموقف. أبقى جواز سفرك مثبتا بشريط لاصق إلى جسدك، حتى وأنت نائمة!

لا تبدأ المفارقة في التغطية على حقيقة أن الحل الذي خرجتُ به كان مقصودا به أن يدعني أحتفظ بالمنزل. اسمها (وصاية عش الطائر)، ومثل كل الأفكار الجيدة، بدت صحيحة منذ اللحظة الأولى لسماعي بها. قرأت عنها أولاً في جريدة الجارديان وبعد ذلك على مواقع الأبوة والأمومة على الإنترنت؛ فكرة تجاوزت المرحلة التجريبية بمسافة، وهي ترتيب أصله الولايات المتحدة وتتنامى شعبيته. ويعمل بطريقة أن يظل الأطفال طوال الوقت في بيت الأسرة ويأخذه الوالدان بالدور كي يكونا معهم. ويُقضى وقت «الابتعاد» في بيتيهما الثانيين على التوالي أو، في حالة الميزانيات الأضيّق مثلنا، في بيت مشترك. بل إن بعض الأزواج يتمكنون من إدارة المسألة دون مسكن ثان، مستخدمين غرفة إضافية لدى والديهم أو أريكة صديق.

بالنسبة لبرام، كان العرض مثل غصن زيتون مقطوع من أيكة كاملة غارقة في شمس منطقة بوجليا الإيطالية الدافئة.

«لماذا؟» سألني دون أن يجروء على تصديق حسن نيتي. «لماذا تعطيني هذا؟»

قلت له: «هذا ليس من أجلك، إنه من أجل الولدين. لا أريدهما أن يخسرا بيتهما. أريد أن يتغير أقل ما يمكن أن يتغير بالنسبة لهما. أنت ختنتي..» وأضفت بجرأة: «لكنك لم تخنهما».

بالطبع أوضح لي الإنترنت أن هذا التأويل لا ينطبق على الجميع، وأن نساء كثيرات أصررن على أنه بخيانة أم الأطفال فقد خان الرجل الأطفال أيضا، لكنني لم أتفق مع الإنترنت. الزوج، الأب: دوران مرتبطان، لكنهما رغم ذلك متمايزان. أيا كان ما فعلته كزوج، أنا لست ذلك الشخص كأب. ولم يكن. كما أقول، كان ممتازا، واعترف آباء آخرون أنه الأب الذي يجذب إليه الأطفال، الأب الذي بنى أوكارا وبيوتا في الأشجار (وبيوت لعب) والأب الذي ابتكر فكرة (يوم كرة المناورة) و(أولمبياد لاوسون)، والأب الذي جمع أطفال الشارع ذات يوم أحد ليساعده في إسقاط شجرة ميتة بالحبال، عندما كان بقية الآباء ربما مطاطئين رؤوسهم مع هواتفهم، محاولين ألا تلمحهم عين شخص آخر.

قالت لنا مستشارتنا القانونية في موضوع عش الطائر: «لو التزمتما بجعل الأمر يفلح، لن يكون هناك أساس أفضل لحياة الأطفال».

قلت في عقلي: فيما عدا زواج سعيد.

اسمها روان وكانت دقيقة ولبقة، توضح التفاصيل الدقيقة التي سنحتاج لممارستها إذا كان لاقتراننا بصيغته الجديدة أن ينجح. «تقدم وصاية طائر العش ما تتوقعونه بالضبط من عش طائر حقيقي: القوة، الأمان، والاستمرارية للصغار. حتى في وجود أفضل النوايا في هذا العالم، قد يكون من المتعب لهم أن يتنقلوا ذهابا وإيابا بين بيتين، خاصةً إن كان هذان البيتان ليسا في نفس المنطقة. أما هذا الترتيب فيلغي تماما ذلك الاضطراب. في أفضل السيناريوهات، لن يلاحظوا تقريبا أن شيئا قد تغير».

أرشدتنا عبر الدروب والأزقة - أو الأدغال والريش كما قالت على سبيل المزاح. سنمر بفترة اختبار أتعامل فيها أنا مع أيام الأسبوع ويتعامل برام مع عطلات نهاية الأسبوع. وتجري عمليات التسليم في السابعة مساء يوم الجمعة وفي ظهيرة يوم الأحد، لتعطي لكل واحد منا وقتا في عطلة نهاية الأسبوع مع الولدين. كان له أيضا أن يقوم بالزيارة في أمسيات الأربعاء ليتولى روتين وقت النوم. قالت روان ناصحة: «سيفلح الأمر أكثر لو أمكنكما الاحتفاظ بغرف نوم منفصلة في المنزل الأساسي. يساعد هذا في وضع الحدود وترسيخها».

ملتُ بالفعل إلى هذه الفكرة، وشعرت بالامتنان لأن حجم المنزل وتصميمه ناسبا أغراضنا بهذا الاستعداد. لن يكون هناك اقتلاع للولدين ولا تكاليف للتعديل. «يمكننا أن نفعل ذلك. لدينا أربع غرف نوم، لذا يمكننا استخدام الغرفة الإضافية لواحد منا وهناك حجرة مكتب في الطابق الأرضي يمكن أن تكون الغرفة الإضافية الجديدة».

قالت روان: «أنتما محظوظان جدا. يضطر بعض الأزواج إلى تبادل الأدوار في نفس غرفة النوم. ستندهشان لو أخبرتكما بكمّ المفاوضات التي تورطت فيها حول من يقوم بتغيير الملاءات».

قال لي برام: «احتفظي بغرفتنا، بما أنك ستكونين موجودة في ليال أكثر مني». غرفتنا. كان إرساء ترتيبات نوم جديدة شيئا، وتعديل اللغة في كلمات مثل بيتنا، حياتنا، شيئا آخر.

قالت روان: «الخدعة أن تفكرا في أن كلا المكانين بيتكما. منزلك هو بيتك الأساسي، والمكان الآخر بيتك الثانوي. لا أحد له الحق الأكبر في أي منهما، أنتما شريكان في الملكية والإيجار. وقبل كل ذلك، أنتما شريكان في الأبوة. متساويان».

عرضت علينا تطبيق يوميات إلكترونيًا أوصت به: «هذا هو المكان الذي يؤول إليه كل شيء: مَنْ في المنزل، مَنْ في الشقة، مَنْ سافر للعمل، من سيُقبل الأطفال من المدرسة. النوادي، مواعيد اللعب، حفلات عيد الميلاد: كل شيء له رمز لوني».

أما بالنسبة للترتيبات المالية، فقد تطلبت القليل من التعديل على المدى القصير. كنا أنا وبرام نحصل على نفس المرتبات، ونساهم بنفس القدر في الحساب المشترك، الذي ندفع منه أقساط الرهن العقاري والخدمات وكل نفقات الطفلين. سيزيد هذا الرقم الموحد الآن ليغطي الإيجار في العقار الثاني في أولدر رايز، الأرجح أن يكون استوديو أو غرفة في بيت مشترك، ويترك القليل لادخاره. لهذا السبب، اقترحتُ أن النفقات الأخرى، محامو الطلاق، ينبغي أن تؤجل في هذه الفترة التجريبية.

قال برام: «هذا معقول». وكان هناك قدر من التفاؤل الخام في نبرته يكفي لأن أرمقه بحدة.

قلت، مجاهدة كي أبعد الحدة عن نبرتي: «هل تفهم أننا منفصلان؟ سيحدث الطلاق، فقط ليس بطريقة مباشرة. لا رجعة بقدر اهتمامي».

قال: «طبعاً».

راقبت روان الموقف رابطة الجأش في كياسة. «في بعض الحالات، يُفضل وجود فاصل تام في ترتيبات المعيشة. الطريقة التي تختارها ستجلب حتماً مستوى ما من اختراق الخصوصية لأنه لن يكون من العملي إزالة كل آثارك في كل مرة تغادر عقارا إلى آخر. هل أنتما واثقان أن هذا ما تريده؟ فيونا؟»

أخذت نفساً عميقاً جداً حتى أنني ملأت كل فجوة في رثتي، وبعد ذلك تخيلت وجهي الولدين، ورأسيهما المجدتين كعائلة لاوسون، وأومات برأسي.

وافق برام بجدية غير معهودة: «فلنفعها». قالها وجعلتني ابتسامته، الواعية بذاتها على نحو غير متوقع، أتذكر لماذا أحببته في المقام الأول.

#VictimFi

@LydiaHilluk تبدو أشبه بأسلوب الهيبيز، تلك الفكرة عن عش الطائر.

@DYeagernews @LydiaHilluk أعتقد العكس - إنها شيء متحضر وناضج. يبدو أنها يمكن أن تفلح.

@DYeagernews @LydiaHilluk حسناً، من الواضح أنها لم تفلح، أليس كذلك؟

هل تعرفين ذلك السطر العظيم في أغنية «السما» تعرف أني
بائس الآن»⁽¹²⁾ لفرقة ذا سميثرز عن احمرار وجه كاليجولا خجلاً؟
حسناً، الشيء الذي اقترحتة فاي، كان لي جعل وجه أي قديس يحمر
خجلاً. بجد، لم يمر يوم دون أن يكون هناك مقال جديد عن آباء
مطلقين يودعون في مستشفى المجانين المسماة بمشاركة الشقة، ولا
توجد لديهم أُنَى فرصة في الحصول على رهن عقاري جديد بينما
ما زالوا يسددون الرهن القديم. لكن فاي وفرت عليّ ذلك؛ وفرت
عليّ كل أشكال البؤس التي كان لها كل الحق في أن تبتليني بها. بدلا
من طردي، كانت تعيد إدماجي، بدلا من أن تنظفني مما أملك من
مال، كانت تسمح للترتيبات المالية الحالية أن تصمد.

كانت تفعل ما يقول الآباء دائما إنهم سيفعلونه لكنهم لا يصلون
أبدا إلى منتصف الطريق في تحقيقه: وضع الأطفال في المقام الأول.

كتبنا اتفاقا - ليس ملزما، لكنه مهم بالنسبة لها- ووقعناه. طبعاً
نحن نتكلم عن فاي ولذلك كان لا بد من إلحاق لمسة حساسة
ما. كان للمستشارة القانونية صوت منخفض مُقَطَّر يكاد يكون
مغويا. سألتنا: «هل هناك أي شيء غير قابل للتفاوض؟ أي شيء
غير مقبول؟»

12 أغنية «Heaven Knows I'm Miserable Now» لفريق الروك الإنجليزي ذا سميثرز The
Smiths صدرت عام 1984 والسطر المشار إليه ترجمته: «ما طلبته مني في نهاية اليوم / كان وجه
كاليجولا ليحمر خجلاً منه / قالت: أوه، أنت كنت في المنزل لوقت أطول من اللازم. / وهربت
بشكل طبيعي». (المترجم)

قالت فاي على الفور: «ممنوع وجود شركاء جدد في المنزل. فقط في الشقة. وممنوع القيادة السريعة، ليس والأولاد في السيارة. لديه بالفعل قائمتا مخالفات على رخصته. وممنوع الشرب أثناء المناوبة».

قلت هازئا: «يال له من بورترية فائن ذلك الذي ترسمينه لي!». كان لديها حق في شأن قيادتي، لكن بدا لي أن الاختلاف الوحيد بين شرابي وشرابها أنها تشرب لوناً أجمل. كانت تحب كوكتيلات الموخيتو ذات اللون الأخضر النعناعي وكوكتيلات (كير رويال) ذات اللون الأحمر الياقوتي؛ كوكتيلات الجبن العجيبة بأعشاب الراوند أو التوت البري أو توابل الكريسماس. كل نساء جادة ترينيتي كان يصيبنهن الجنون بالنسبة لشراب الجبن.

وما زلن كذلك على ما أظن.

قالت روان: «وأنت يا برام؟ أي شروط؟»

«لا شروط. كل ما تريده فاي، أنا تحت أمرها». وكنت أعني ما أقول، كنت «صادقا». حتى أنني لم ألقِ أي نكات عن سترات النجاة.

قالت أمي عندما نقلت إليها الخبر: «إنها امرأة نادرة، فاي تلك». لطالما كان لديها بعض القلق تجاه فاي وعائلتها، بارتباطات الطبقة الوسطى لديهم برسائل الشكر وزيارة المسرح بانتظام، ورحلاتهم إلى إقليم الدوردوني بجنوب غرب فرنسا - أو على الأقل ربما كانت تشعر بهذا القلق لو لم تكن فاي دوماً لطيفة جداً ومراعية لها. لكن ظلت الحقيقة أنها اعتقدت أنني أبليت بلاء حسنا. لقد تزوجت - والآن ها أنا أنفصل أيضا.

قالت لي محذرة: «لا تفسد هذا أيضا يا برام». ونظرتها تحمل آثار استياء وتسامح معاً. «قد لا تجد فرصة أخرى».

حمل كلامها معنى أن الرب أنزل رحمته عليّ - وقتها.

«قصة فاي» < 00:36:18

اتفقنا على أن يكون يوم الجمعة الثاني من سبتمبر اليوم الأول للخطة الجديدة. كانت عطلة نهاية الأسبوع قبل بداية العام الدراسي، وهو ما منحنا وقتاً قليلاً جداً للعثور على «مسكننا الثاني» (فكرت فيه هكذا، بأقواس التنصيص، كما لو كان شيئاً مصطنعاً، مكاناً لن أرتبط به أبداً بأي شكل حقيقي).

لكن بدا أن المشروع محروس برؤية ما، لأن برام لا يحرق جسوره أبداً، على الأقل ليس فيما يتعلق برفاقه في الشراب. كان ما زال يتناول كأساً من وقت لآخر مع الوكيل العقاري الذي باع لنا المنزل في جادة ترينيتي وكان هذا الوكيل يعرف بأمر ستوديو معروض للإيجار في عمارة سكنية ارتفعت منذ بضعة أعوام في الجانب الغربي من أولدر رايز، على مبعدة تمشية بسيطة لمدة عشر دقائق من منزلنا بطول شارع باريد وعبر المتنزه. منذ اشتراها صاحبها بغرض الاستثمار، انتقلت من مستأجر إلى آخر، من الواضح أنها أصغر من أن يرغب الناس في البقاء بها وقتاً أطول من أقل فترة ممكنة.

كانت واجهة المبنى الخارجية أنيقة إلى درجة كافية. صُممت كصدي للمبنى المشيد على طراز الآرت ديكو في الشارع الرئيسي الذي ضم فيما مضى مدرسة الفنون، واجهة مصقولة وببيضاء ذات أطر نوافذ من الفولاذ

وشرفات مقوسة. دعا الوكلاء هذه العمارة «بيبي ديكو» (في أولدر رايز حتى العمارة كان يجري التعبير عنها بمجازات أسرية).

تعامل برام مع كل شيء: تفاوض حول الإيجار، راجع ووَقَّع العقد، بل وقام برحلة إلى فرع شركة إيكيا ليأتي بأدوات المطبخ التي كنا بحاجة إليها.

في معاينة للمكان معًا، انتهزتُ الفرصة لتذكيره بشرطي عن النساء الأخريات: «يمكنك أن تفعل ما يحلو لك هنا، لكن البيت خارج الحدود».

قال: «فهمت. سأدير معلمي لتصنيع المخدرات البلورية من هنا كذلك، تمام؟»

«ظريف جدًا!» ونظرت في عينيه: «وكنت أعني ما أقول بشأن القيادة السريعة أيضًا. لا أريد أي مفاجآت قذرة».

أكنتُ أتخيل الأمر أم كانت هناك رفة مكر عابرة في وجهه؟ من المستحيل أن أجزم، حتى مع عيني الخبيرة، لكن شيئاً ما جعلني أؤكد على هذه النقطة: «أعني ما أقول يا برام، لا أسرار».

قال: «لا أسرار».

كان ينبغي أن أجعل هذا مكتوباً، أن أضعه في الاتفاق الموقع. كان ينبغي أن أضعه كإشعار يومي - كل ساعة - في تطبيق يومياتنا المشترك الجديد: لا أسرار.

و، نعم، بالرغم من كل ما حدث، ما زلت أعتقد أن الأساس كان ممتازاً - أي بالنسبة لأشخاص غير متزوجين من مجرمين.

أعذب نفسي أحيانا بفكرة كيف كان من المحتمل لترتيب عش الطائر أن ينجح لو تمكنت فقط من إبقاء خطايا الماضي سراً وتحاشي ارتكاب خطايا مستقبلية. («فقط!») أعتقد أنه كان لينجح، أعتقد صدقا. فيما يتعلق بتقسيم الوقت والعمل، توافق فعلا مع قوانا: كنت لأتولى أمر هرج ومرج عطلة نهاية الأسبوع، ذلك التنفيس الضروري للبخار (اعتادت الأمهات في جادة ترينيتي دائما أن يقلن إن الأولاد يحتاجون بدقة إلى نفس القدر من التمرين الذي يحتاجه كلب لابرادور)، بينما تعاملت فاي مع احتياجات المدرسة، والغسيل، ونظام التغذية المتوازن. حسنا - تلك هي أغلب الأشياء.

لا يعني هذا قول إنها لم تخرج مع ليو وهاري. ربما كانت الشخص الوحيد الذي يمكنه تذويب الدرجة المحمومة من الروح التنافسية بينهما، لتذكرهما أنه بمقدورهما اختيار أن يكونا فريقا من اثنين. كانا يصخبان طلباً للألغاز، خاصة تلك التي تتعلق بعواصم البلاد، وفقط عندما يقترب الأمر من خطر تبادل اللكمات حول بوخارست، كانت تخرج بالجدل عن مساره بنكتة سيئة. مثل: «من أين يشتري التونسيون موسيقاهم؟ آيتونس⁽¹³⁾». وكان الولدان ساعتها ينظران أحدهما إلى الآخر في استسلام حنون. «أوه يا ماما. كوني جادة».

(أظن أنها كانت تبحث عن النكات على الإنترنت مقدما).

13 تورية ولعب بالكلام بين آيتونز iTunes والنطق المحرف لها iTunis. آيتونز تطبيق مجاني من شركة أبل يتيح تنظيم وتشغيل الموسيقى الرقمية والفيديو على أجهزة الكمبيوتر. (المترجم)

ينفطر قلبي إذ أعلم كم تشعر الآن بندم عميق على تلك الترتيبات. سيدمرها إدراك أن الكارثة لم يكن من الممكن أن تقع دون إطار الخدمات اللوجيستية الذي اقترحته، دون الثقة التي استمرت في إيلائها لي كرجل أسرة، كرب منزل شريك.

حتى عندما لم يعد بمقدورها أن تثق بي كزوج.

«قصة فاي» < 00:38:35

من الصعب أن أقول ما هي الدلائل الأولى على الخديعة لأنني لم أميزها بصراحة كدلائل في وقتها. كانت السيارة موضوعًا حتى قبل أن ننفصل، أعرف ذلك بالتأكيد.

كنا في أبريل أو مايو عندما وجدت مخالفات القيادة السريعة. ربما أتخيل ذلك الآن، لكنني أذكر أنه انتابني شعور غير يقيني عندما ناقشنا أمر هذه المخالفات، شعور بأن ما يجري إخفاؤه أكثر مما نتشاركه. ربما كان هذا هو السبب في أنني فتحت موضوع قيادته المسرعة مع المستشار القانونية لاحقًا.

«برام؟ ما هذه؟» رفعتُ بضع خطابات من وكالة ترخيص السائقين والمركبات كنت قد اكتشفتها مطوية بين صفحات دليل استخدام ماكينة القهوة عندما توقفت فجأة عن العمل: إشعاران منفصلان بتأكيد أن ثلاث مخالفات أضيفت إلى رخصته. لقد كانت سرعته في القيادة لوقت طويل مصدر خلاف بيننا، رغم أنه كان يفلت في الغالب من أمر اكتشافها. لم تكن الطريقة التي يقود بها نابعة من تفكيره بأن القواعد لا تنطبق عليه بقدر ما نبعت من ظنه أنه قد تعرف على واجدة من متع الحياة الأساسية المتمثلة في مخالفتها. «ست مخالفات؟ اعتقدت أنك تلقيت دورة الانتباه للسرعة تلك منذ فترة؟»

قال بحذر: «فعلاً».

- لماذا إذا أرسلوا إليك مخالفات؟
- لأن هذه مخالفات مختلفة. لم تكن الدورة التدريبية متعلقة بالمخالفة الأولى.

عبستُ، وحاولت أن أسوي الموقف: «إذا هناك ثلاثة في الإجمالي؟ دورة تدريبية ومجموعتان من المخالفات؟»

- نعم. ليس مسموحاً لك تلقي الدورة التدريبية أكثر من مرة كل ثلاث سنوات.

يا للأسف! هكذا قلت في عقلي، بما أنه بوضوح لم يتعلم شيئاً في المرة الأولى. «أين أوراق المخالفات الأصلية؟ هل هي في حجرة المكتب؟»

- لماذا؟
- أنا فقط مهتمة بمعرفة التفاصيل، هذا هو كل ما في الأمر.

اعترض طريقي إلى خزانة الملفات. «سأتي بها».

بتمنّع فائق ناولني إخطارات المقاضاة، واحد من شرطة مقاطعة سري وواحد من شرطة العاصمة. من الواضح أن حادثة مقاطعة سري كانت خلال رحلة عمل: تسعة أميال في الساعة فوق حد السبعين ميلاً على طريق رئيسي، وهو ما لا يختلف عن مخالفته الأولى قبل ثمانية عشر شهراً، عندما كان «متأخراً، دون النظر إلى العداد». أما مخالفة لندن فكانت أكثر إثارة للقلق: ثلاثة وأربعون ميلاً في الساعة في منطقة حد سرعتها عشرون ميلاً في الساعة على طريق يربط منطقة كريستال بالاس بأولدر رايز. هذا الحد للسرعة يؤكد غالباً أنه امتداد سكني مثل جادة ترينيتي، وثلاثة وأربعون ميلاً في الساعة سرعة تكفي بسهولة لقتل أحد المارة، طفل مثل طفلينا.

بعد ذلك لاحظتُ التواريخ: واحد منذ عام ونصف والآخر منذ تسعة أشهر. «كيف لم أسمع بهذا إلا الآن؟»

سؤال سخيف: لأنني تعثرت فيهم عن طريق الخطأ. من الواضح أنه اعتقد أنه أبعد كل المراسلات عن الأنظار. «ليس مسموحاً لك إلا باثنتي عشرة مخالفة قبل أن تفقد رخصتك، أليس كذلك؟ لذا أملك غلطان فقط...»

قاطعني محتداً: «أنا أعرف جدول الضرب يا فاي. بربك! هناك ملايين الناس لديهم مخالفات على رخصهم، من ضمنهم أغلب جيراننا في هذا الشارع. لماذا تعتقدين أنهم يحققون فجأة أرقاماً قياسية في المخالفات؟ إنها مجرد ماكينة نقود للسلطات».

قلت: «إنها مجرد رادع بهدف إنقاذ الأرواح. هل أبلغت شركة التأمين؟»

- طبعاً أبلغتها. بجد، إنها ليست مشكلة كبيرة.

ليس بالنسبة له. «هذه المخالفة في لندن، لم يكن الولدان معك في السيارة، أليس كذلك؟»

«لا، كنت وحدي». بعد أن شعر بالإهانة الآن، انتقل زثيره من نغمة الدفاع إلى الهجوم في حوالي خمس ثوان. «هذا محبط، أليس كذلك؟ لقد أضعت فرصة بالفعل هنا، هه؟»

- لا تحول هذا إلى انتقاد لي!

حتى وقتها رأيت في ذلك الحديث توضيحاً مثالياً لما كان يفشل في زواجنا. ليست جرائمه في حد ذاتها -لست غالباً في حاجة لقول إن هذه الجريمة تشعب حتى تصل إلى حد التفاهة مقارنة بما تلاها- لكن الدور الذي

كان يقولبني فيه بسرعة شديدة بعدها. الشرطة، المعلمة، مُفسدة البهجة،
الواشية. حاملة الضغينة.

الضحية.

قلت: «من الأفضل لك أن تدعني أقود من الآن فصاعدا. قلل احتمالات
أن تعاود المخالفة». آه يا إلهي، أبدو الآن وكأنني كنت ضابطة الإفراج المشروط
عنه.

قال متجهما: «على الرحب والسعة».

بعد ذلك، عندما عدت إلى خزانة الملفات، وجدت الدرج الذي يحمل
بطاقة «السيارة» ملصقة عليه، خاليا.

برام، ملف وورد

كما أقول، كانت الخيانة الزوجية مساراً مضللاً بعض الشيء. أما الأكثر
تدميراً بكثير على المدى الطويل فكانت مخالفات السرعة، التي كنت أفضل
ألا أشاركها معها - للأمانة، كان ذلك أسهل لتجنب الأسى. هذا هو الجانب
الآخر من المواطنين الصالحات مثل فاي: يجدن من الصعب تقديم تنازلات
من أجل أزواجهن.

اعتقدت أنني أخفيت كل أدلة الإدانة (لم أعهد منها قط أن تنظر في الملف
المعنون بـ «السيارة») ولذلك كنت غير مستعد عندما أتت تُلَوِّح بخطابات
وكالة ترخيص السائقين والمركبات، مطالبة بأن تعرف إن كان الولدان معي
في السيارة (إحقاقاً للحق لم آخذهما معي في أي مرة من المرات التي نلت فيها
مخالفة).

قلت لها: «ما كنت لأخاطر أبدا بإيذاء أطفالنا. بالتأكيد تعرفين هذا؟»

«إذا لماذا تخاطر بإيذاء أطفال شخص آخر؟» قالتها ونظرت إليّ بامتنعاض كان حريّا به أن يحذرني من ثمة انفصال وشيك، مع الخيانات الصغيرة في بيت اللعب التي كانت ما زالت قادمة، أو بدونها.

أضافت: «حسنا، على الأقل أعرف الحقيقة الآن».

لكنها لم تعرف. لم تعرف نصفها حتى. كانت الحقيقة أنه قبل أن تكتشف أمر هاتين المخالفتين للسرعة كانت هناك مخالفتان أخريان بالفعل، مجموعتان أخريان من ست نقاط، ومع المخالفة الأخيرة مثول أمام المحكمة.

كانت الحقيقة أنني غُرمت 1000 جنيه إسترليني ومُنعت من القيادة لمدة عام، يستمر حتى فبراير 2017.

بالطبع اكتشفت فاي الآن جزءا من الأدلة، ولا شيء يمنعها من مراجعة قصتي مرة أخرى عن طريق مهاتفة شركة التأمين لترى إن كان قسط تأميننا زاد، رغم أنني كنت حريصا على التأكد من أن بوليصة التأمين مكتوبة باسمي وكلمة السر محفوظة. حتى مع ذلك، خفتُ أن تفحص كشوف حساب البنك وتلاحظ أن قسط التأمين في الحقيقة انخفض، لم يرتفع، بما أنها صارت الآن السائقة الوحيدة لسيارتنا الأودي.

السائقة الوحيدة المذكور اسمها.

أعرف أن بعض المستمعين قد يعتقدون أنني كنت قاسية أكثر من اللازم عليه بشأن مخالفات السرعة، ومن الصحيح أن واحدا من الآباء الآخرين في المدرسة كان يملك ست مخالفات على رخصته، وكثيرون آخرون لديهم ثلاث مخالفات. حتى ميرل أوقفتها الشرطة بسبب تشغيلها مصباحا أحمر في منطقة هيرن هيل وأطلقوا سراحها بعد إنذارها. كانت هناك ثقافة في دوائرنا ترى مثل هذه الآثام شارة افتخار، كما لو أنها جرائم بلا ضحايا.

صحيح.

لا أقول إنني نموذج للفضيلة عن نفسي، لكنني بأمانة لا أعتقد أنني كسرت قط حد السرعة، على الأقل ليس أكثر من ميل أو اثنين. أقصد أن لدينا مارة وراكبي دراجات يعبرون، ولدينا أطفال في رعايتنا، هناك إشارات مرور وتقاطعات كل دقيقتين وأغلبنا يملك مثبتا للسرعة في سيارتنا: متى يكون الموقف أصلاً محموماً إلى حد أن تستطيع تجاهل كل هذا؟ وهل خمسة أميال في الساعة، عشرة أميال، عشرين حتى، أن تصنع فارقا حقا في موعد وصولك؟ هل يستحق الأمر حقا المجازفة بنتيجة كارثية؟

لكنني أعتقد أن أغلب المرشحين لا يفكرون في النتائج.

يتركون النتائج للآخرين.

لا، لم يكن القرار الخاطئ الكارثي هو إخفاء المنع. كان القرار الخاطئ الكارثي هو تجاهله. هذا صحيح، أعترف بهذا رسمياً: تحديث منعاً من القيادة بقرار من المحكمة واستمرت في القيادة.

لو لم أفعل ذلك، لما كنت في هذا الموقف الآن.

طبعاً، قلت لنفسي في البداية ستكون رحلة واحدة فقط. كانت ظهيرة يوم سبت، بعد بضعة أسابيع من مثولي أمام المحكمة، وكنت في مشكلة مع فاي بعد أن عانيت من دوار خمر شديد السوء في الوقت الذي كان مفترضاً بي أن أكون مفعماً بالنشاط من أجل واجبات الحراسة في عطلة نهاية الأسبوع. كانت تطلب أن آخذ مخلفات الحديقة إلى مركز إعادة التدوير، ولأن المصائب تأتي في أحلك الأوقات، كانت تلك هي المرة الأولى منذ شهور التي توجد بها مساحة لصف السيارة أمام بابنا مباشرة، لذا لم أتمكن فقط من جر الكيس بعيداً عن الأعين وإلقائه في سلة شخص آخر.

بل إن فاي خرجت إلى السيارة معي، وهي تصدر توجيهات إضافية: «مُر فقط في طريق عودتك على محل ستزبريز وأحضر لنا منظفات غسالة الصحون وبعض اللبن. أوه، نسيت! يحتاج ليو إلى واقٍ للفم من أجل درس الألعاب البدنية يوم الإثنين. سيبدوون التدريب على لعب الهوكي. هل يمكنك الذهاب إلى محل الألعاب الرياضية ذاك في الطريق الجنوبي الدائري؟»

تحت أنظارها، دخلتُ السيارة التي يمنعي القانون من تشغيلها، وأدّرت المحرك وانطلقت عبر جادة ترينيتي إلى التقاطع عند شارع باريد. ومن خلال الذاكرة العضلية وليس التفكير الواعي قدت السيارة إلى مركز إعادة التدوير وبعد ذلك قدتها إلى محل سنزبريز وبعد ذلك قدتها إلى محل الألعاب الرياضية. حبستُ أنفاسي بضع مرات لكن السماء لم تنطبق على الأرض ولا مرة.

لذا ظللت أقود فقط. أسارع بإضافة أنني فعلت ذلك في الرحلات الضرورية فقط، في المهام الأسرية التي لا يمكن تجنبها أو زيارات عميل في العمل من المستحيل القيام بها عن طريق المواصلات العامة. لم أقد السيارة بهذا التخوف منذ كنت متعلماً في السابعة عشرة من عمره في سيارة جاري الفيسستا. حدود السرعة: تمام. الإشارات الحمراء: تمام. لم يتجاوز ممتص الصدمات خط صف السيارات، لم يومض مصباح بشكل عشوائي، لم يوجه راكب دراجات سُبّة لي.

مرة، عندما نظرت إلى مرآة الرؤية الخلفية، رأيت سيارة دورية خلفي وكدت أصاب بالعمى من الخوف. فكرت في التنحي جانباً، والوقوف فقط في ممر أحدهم والانتظار حتى تمر العاصفة، لكن عند الإشارة التالية، اتجهت سيارة الشرطة يساراً بينما أكملت طريقي وأنا سعيد بأني حافظت على رباطة جأشي.

عندما اقترح برنامج عش الطائر، عرفت أن لا سبيل أن أتوقف. كانت فاي لتسأل: «كيف سينجح ذلك إذا لم يكن بمقدورنا أن نقود نحن الاثنان؟ أنت تعرف كيف هي عطلات نهاية الأسبوع، مع السباحة ومواعيد اللعب وزيارات الأجداد. ربما ينبغي أن ننسى هذه الفكرة برمتها».

لا، لم يكن لدي اختيار إلا أن أتجاسر على ذلك حتى نهاية المنع.

أرى الآن أن هذه هي الطريقة التي يفكر بها المجرمون. نقول لأنفسنا إن الآخرين حاصرونا في ركن ونحن فقط نقوم برد فعل، نتعاون، نبقي على قيد الحياة.

ونكون مقنعين جدا حتى إننا نصدق ذلك.

الجمعة 13 يناير 2017

لندن، 1.30 مساء

القتل. الاعتداء. الاغتصاب. خطف أطفالنا. تلك جرائم حقيقية.

من قال ذلك؟ أليسون أو كيرستي، ربما. أيا كان، تتذكر فاي أنه كان هناك ضحك.

لوسي تلمس ذراعها بحذر، وكأنها تتوقع من فاي أن تهدر وتقذف مقعدها عبر النافذة. «أنت بحاجة للتوقف عن البكاء. أعرف أن هذا شيء مريب، لكن علينا أن نظل هادئين ونبدأ في الاتصال بالأشخاص الذين قد يكونون قادرين على المساعدة. هل يوجد أي شخص آخر قد يكون زوجك وضع خططا معه؟ أو طلب منه أن يعتني بالولدين؟ أحد الأقارب أو جليسة أطفال؟»

أمها. بالطبع كانت ستجرب الاتصال بها قبل مهابتها للمدرسة! تختطف الهاتف من جديد، تختار الرقم، تتحدث في اللحظة التي تنتهي فيها الرنات وقبل أن تتمكن أمها من قول ألو: «ماما، الحمد لله! إنها أنا».

- فاي؟ هل تبكين؟ ما...
- لقد أخذ برام الولدين من المدرسة وهاتفه ميت. هل هما معك؟
- برام ماذا؟ لا، ليسا معي، بالطبع.

صوت آخر هادئ عاقل، تماماً كصوت لوسي، تماماً كصوت سارة بوتوملي. «أليس من المفترض أن تكوني في رحلة مع رجلك الجديد؟»

- عدتُ مبكراً. لقد اختفى برام وأخذ الولدين.
- لا تكوني حمقاء، لماذا سيفعل هذا؟ هل جربتِ مع تينا؟ لعلها تعرف أين يكونون.

والدة برام. ما زالت تعمل بدوام كامل لكنها تسعد دائماً بتبديل نوبات العمل والمساعدة إذا أبلغت قبلها بوقت كاف. لقد تحدث برام مع المدرسة «منذ بضعة أيام»، وهذا يعني أن آيا ما كان يفعله مع الولدين فهو مخطط والأرجح أن يكون قد ورط أمه بدلاً من أمها.

تقطع المكالمات وتتصل بهاتف تينا المحمول، وتصرخ مرة أخرى في الهاتف ما إن يحدث الاتصال: «تينا؟ هل لديك أي فكرة عن مكان برام؟»

- هل هذه أنتِ يا فاي؟ نعم، هو في المنزل اليوم. اعتقدت أنكما اتفقتما على ذلك؟ هل هناك مشكلة؟

هل هناك مشكلة؟ الرعب الذي يثيره جهلها الواضح رعب وحشي. لا فائدة منكم، تريد فاي أن تصرخ: كلكم لا فائدة منكم! يتطلب الأمر منها جهداً هرقلياً كي تبقي صوته ثابتاً. لا تريد من لوسي أن تتدخل مرة أخرى وتتحدث من أجلها. «هو ليس في المنزل يا تينا. أنا التي في المنزل».

- هل عدتِ من رحلتك بالفعل؟ لماذا؟
- لا يهم السبب، لكنني بحاجة إلى العثور على برام فوراً، لذا إن كانت لديك أي فكرة إلى أين قد يكون ذهب، يجب أن تخبريني.

وإذ تخسر المعركة، تبدأ في النشيج من جديد، وترى تقطيعاً لاهتمام لوسي.
«لقد أخذ الولدين من المدرسة ولا أعرف أين ذهبوا وهناك...»
تقاطعها تينا: «فاي، صبر لحظة، هما هنا. الولدان هنا».

«قولي ذلك مرة أخرى؟» هل ما سمعته صحيح من خلف هدير خوفها،
من خلف ضجيج فريق النقل وراء الباب؟

- هما معي، هنا، يشاهدان التلفزيون. لم يكن من المفترض أن أتصل بك إلا لاحقاً كي أسأل عن إعدادتها إليك في الصباح.
- أوه، الحمد لله. هل سيظلان معك الليلة؟ أهذا ما رتبته برام؟
- نعم، إن كان هذا مناسباً لك؟
- طبعاً، نعم، أشكرك.

تنتهى إلى ارتخاء كتفي لوسي ارتياحاً. لن تكون إذاً تلك القصة، الأسوأ، بل يمكن أن تعود كي تكون هذه القصة، القصة التي تدور حول المنزل. تقف وتمتد يدها نحو الغلاية. أخيراً يمكن البدء في صنع الشاي.

تمسح فاي عينيها بقطعة من لفائف مطبخ لوسي. بالرغم من ارتياحها، تظل متصلة من التوتر. «لماذا هما ليسا في المدرسة يا تينا؟ هل هما بخير؟»

- هما بخير. اعتقد برام فقط أنه سيكون من الأسهل لهما ألا يذهبا. وأشك أنه ذهب بعيداً، لذا لو كنت مكانك لخرجت من المنزل قبل أن يراكِ.

عمّ تتحدث بحق الجحيم؟ «تينا، من فضلك أنصتي إليّ: ثمة أزمة هنا. لقد أُخلي المنزل تماماً وهاتف برام خارج الخدمة وهناك امرأة تقول...» تتوقف فاي، لا يمكنها أن تكرر العبارة، تبدو سخيفة جداً: تقول إنها اشترت منزلي.

«أعرف كل شيء عن هذا». صبر تينا مفراط، علامة نفاد صبر فيها.
«يفترض أن تكون هذه مفاجأة يا فاي».

- أي مفاجأة؟ هلا أخبريني من فضلك ماذا يجري!
- الديكور الجديد. أليس هذا واضحاً؟ برام المسكين، سينزعج من أنك وصلت قبل أن ينتهي هذا. ربما ينبغي أن تذهبي إلى الشقة، وتطلبي من عمال الديكور ألا يكشفوا أنك كنت هناك؟ أو مرحبا بك هنا. هل أخبر الولدين أنك عدت إلى الديار مبكراً؟
- لا، لا، لا تفعلي هذا.

عليها أن توقف هذا التدفق من الأسئلة، المزيد من الأسئلة التي لا يمكنها أن تحييها، وتحاول أن تفكر.

- استمري فقط فيما خططت له أيا كان. أشكرك. سأصل بك لاحقاً. بلغني الولدين حبي.

تغلق الخط. «تقول إنكم هنا لعمل الديكور». توجه حديثها للوسي. «لا يوجد تفسير آخر لإخلاء كل متاعنا. أين وضعت كل شيء؟ لماذا لم تخبريني؟»
ترك لوسي غلايتها، وتأتي لتجلس إلى جوارها. حركاتها وأنفاسها ناعمة، وكأنها تجعل نفسها مقبولة قدر المستطاع. «أنا لا أقوم بتغيير الديكور يا فاي، أعتقد أن بإمكانك رؤية هذا. أنا أنتقل إلى هذا المنزل. وبحسب فهمي أنت وأسرّتك أخليت البيت بالأمس. يبدو أنك كنت خارج المدينة، صحيح؟»

- نعم، لم يكن من المفترض أن أعود الآن، لكنني كنت بحاجة إلى حاسوب المحمول.

يخرج منها صوت مفترض أن يكون ضحكًا لكنه يطلع بشكل خاطئ، مكسور.

- لا جدوى من السؤال أين يكون ذلك الحاسوب.

تكتفي لوسي بالابتسام في رقة وتشجيع. «انظري، طفلاك في أمان، وهذا هو أهم شيء، أليس كذلك؟ دعينا نلتقط أنفاسنا ونفكر أين قد يكون زوجك. ماذا عن محاولة الاتصال بمكتبه؟»

- نعم.

تنظر فاي إلى لوسي، هذه الغريبة في مطبخها ترشد أفكارها وأفعالها الآن، وتقول فاي في عقلها: ما العلاقة يا برام؟ لماذا كذبت على تينا؟ علي؟ أين ذهبت؟

ترتعش يداها وهي تُخرج الهاتف مرة أخرى. ماذا فعلت؟

جنيف، 2.30 مساءً

لا يمكنه البقاء في الغرفة لحظة بعد ذلك، لوبقي، سيرمي بنفسه نحو النافذة الموصدة بالشمع، مرة بعد مرة حتى ينهار على الأرضية. سيخرج، يجد حانة، يتناول بيرة. غدًا، سيتابع التحرك. لن يجازف بالبقاء أكثر من ليلة واحدة هنا. سيذهب إلى محطة القطار ويراجع لوحة مواعيد الرحيل ويختار موعدًا. سيعبر إلى فرنسا، كما فكر أنه يفعل، إلى غرونوبل أو ليون.

يقول في عقله: خطة جيدة. أو على الأقل شيء أفضل من هذا، هذا الفراغ الخائض.

يتحسس محفظته، ويشعر بالخفة، بغياب الثقل الموازن، تلك الأشياء
المفقودة التي حملها بشكل اعتيادي لوقت أطول مما يمكنه أن يتذكر:
مفاتيح المنزل.

«قصة فاي» < 00:42:57

لم أقل الكثير عن الولدين، أعرف. أظن أني كنت آمل أن أبقيهما خارج الموضوع. المسألة أني لم أبلغهما حتى بخبر المنزل بعد. آخر كذبة قلتها لهما إنه غرق بالماء بعد كل هذه الأمطار التي سقطت، لكنني لا أتوقع أن أستطيع خداعهما لوقت أكثر من ذلك، خاصة عندما يُنشر هذا التدوين الصوتي ويبدأ الناس في الكلام. لدى المدارس الابتدائية جلسات نيمتها أيضا، يعقدها الآباء والأمهات بإخلاص عند البوابة، والتي تجنبتهما منذ اختفاء برام. (تقوم أمي بمشاوير المدرسة). لقد تجنبْتُ منطقة أولدر رايز بأكملها.

اسماهما ليو وهاري والفرق بينهما عام ونصف. أكمل ليو التاسعة من عمره توا وسيكمل هاري الثامنة في يوليو. يملك الاثنان شعر برام المجعد الداكن وفمه الرقيق الشاحب ونعتقد جميعا أنه سيكون لهما طولُه أيضا. ولأنهما قريبان في العمر جدا، يتبع هاري خطوات ليو كظله. كانت معلمة هاري في الصف الثالث معلمة ليو في العام الأسبق، وفي دروس السباحة، انتقل ليو من مستوى الدرافيل إلى مستوى أسماك الرقطة في الفصل الدراسي الذي دخل فيه هاري مستوى الدرافيل. على الورق، بدا أنها يسلكان دروبا متطابقة.

لكنهما مختلفان تماما في الشخصية.

هاري جريء. ينظر في عيون الكبار وصوته عال حاد كصافرة الضباب مضبوط على نغمة واحدة. بالنسبة له مسألة مبدأ ألا يبحث عن المواساة أو المساعدة. سيؤذي نفسه، وينزلق على الدرجات المبتلة أو يسقط على الأرض محطما من فوق شجرة الماغنوليا، وسيبحث عن المخرج عبر دموعه، رافضا في عبوس الأيدي الممدودة وعروض المساعدة.

أما ليو فهو الباكي، المعانق، المعين. من الحتمي إذا أن أعتقد أحيانا أن رابطتي به أقوى. عانى من بعض أمراض الحساسية المزعجة وهو صغير أيضا، الأمر الذي أدى إلى بضع زيارات إلى قسم الطوارئ قبل أن يوصف له الدواء الصحيح. وما زلنا نحافظ على وجوده في البيت، في حالة حدوث أي تهيج.

ناقشت ترتيبات العيش الجديدة معه ونحن نفرغ غسالة الأطباق معا. أخذ هاري إعداد المائدة كمهمة منزلية يومية، لكن غسالة الأطباق كانت اختصاص ليو.

سألته: «ما رأيك في خطتنا الجديدة؟»

- لا بأس بها.
- أنت تفهم كيف ستسير؟
- إعمم، أعتقد ذلك.
- لن تكون الأمور مختلفة إلى ذلك الحد. ما زلنا نعيش جميعا هنا، فقط ستولى أنا وبابا الأمر بالدور.

كم من المهم أن ترى والديك معا؟ لو لم نعلن الأمر بطريقة شبه رسمية كما فعلنا، كم كان سيمضي من الوقت قبل أن يلاحظ الولدان من تلقاء نفسيهما

أننا لا نكون أبداً في ذات المكان في ذات الوقت؟ لعل هذا كان سيستغرق بعض الوقت.

«هل لديك أي سؤال لي؟» رأيته يفكر، مطرقاً بناظره نحو آخر الأوعية النظيفة في يديه. لم يكن كثير السؤال، هاري هو المتسائل. ليو هو المتقبل. حشته: «أي شيء؟ هل هناك أي شيء غير مفهوم؟»

كان بمقدوري أن أراه يحاول أن يستدعي شيئاً ما بينما يحدق مطرقاً في يده القابضة على أدوات المائدة. ربما أراد فقط أن يسعدني. لم تكن لديّ فكرة إن كان يعتبرني ضحية يجب دعمها أم محروسة يجب الحنق عليها. ربما ولا واحدة منهما.

أخيراً أشرق وجهه وقال: «لماذا لدينا كل هذه الملاعق؟»

امتلاً سعادة عندما انفجرت في الضحك.

أوه يا ليو. يا ليو الحبيب. أدعو ألا يكون كل هذا قد ملأه بندوب دائمة، رغم أنه من الصعب تخيل كيف لا يحدث هذا.

برام، ملف وورد

بارك الله في قلبه، بكى هاري طويلاً عندما كلمته عن الترتيب الجديد وهو الذي لا يبكي أبداً. هو رواقى الأسرة.

- هل ما زلت أنت وماما متزوجين؟
- نعم، بالتأكيد. حالياً.
- إذاً لماذا لن تكونا في المنزل معاً؟
- إنها عملية سلام يا صاحبي. سنكون في المنزل معاً، فقط لوقت ليس

طويلاً بما يكفي لتجادل. لكن المجادلة ليست شيئاً شديداً اللطف لأي شخص، خاصةً أنت وليو.

- أسنظل نذهب لقضاء الإجازات معاً؟

- ربما لن يحدث هذا لفترة. لن يكون لدينا الكثير من المال الزائد.

- قالت ماما إنه ما زال بمقدورنا الذهاب إلى منزل ثيو في كنت في

إجازة نصف العام. نفعل ذلك دائماً.

- حسناً، هذا ما سيكون.

ثيو هو ابن روج وأليسون. اعتقدت أنه من الحتمي أن فريق فاي يجتمع،

النساء، الأمهات، الصفوف المتراصة حولها.

تساءل هاري: «هل ستكون لك زوجة جديدة؟ هل ستنتقل إلى المنزل

هي أيضاً؟»

قلت: «بالطبع لا. ماما هي زوجتي. لن نقوم بالطلاق».

كان ينبغي أن أقول «حتى الآن» بصوت عال بدلاً من تحريك شفتي بها

عندما أشاح بنظره فعلاً. كان من الخطأ أن أمنحه الأمل، لكنني لم أستطع أن

أتجنب هذا، لأنني كنت أشك بالفعل أن هذا كان أملي أيضاً.

وهو ما يمكن أن يدفعك، إن كان صحيحاً، إلى التساؤل لماذا دمرتُ

زواجي في المقام الأول. أظن لأنني لم أعرف كم أردته إلا بعد أن دمرته. أظن

أنني تصرفت باستهتار.

ولذلك هي رسالة انتحار.

«قصة فاي» < 00:46:21

إذًا، نعود إلى عش الطائر.

بدا أول تسليم في يوم الجمعة اعتياديا إلى حد خيبة الأمل، خاصة وأن الحدث الأساسي بدا من كافة النواحي كأنه عودة برام إلى البيت. كأننا نرتبط من جديد، ولسنا منفصلين. لم يكن منظر ملابسه المعلقة على المقعد الكبير ذي الذراعين المغطى بالقماش القطني في غرفة النوم الإضافية منظرًا مختلفًا للغاية عن المرات التي كان ينام فيها هناك بعد ليلة في الخارج، غير راغب في إزعاجي بشخير.

«هل يمكننا أن نخيم في بيت اللعب الليلة؟» قالها هاري مقترحا تلك الطريقة الجديدة المفضلة لتمييز مناسبة خاصة (أحيانا يشعلون نار تخيم) ورأيت النظرة السريعة التي أرسلها برام في اتجاهي.

قلت: «الجو ممطر قليلا في الخارج». كان هناك مطر لأيام وطفحت المجاري قبل قليل، وأصبح النجيل مشبعا بالماء كالإسفنج. جرت جداول الماء أسفل الزلافة وتجمعت في برك عند قاعدتها، وعندما كان الولدان يخلعان أحذيتهم بعد اللعب في الخارج نضحت جواربهما على أرضية المطبخ.

قال برام: «ربما يمكننا أن ننصب خيمة بالداخل؟» وضاع مشهد رحيلي في انفجار الإثارة التي استدعاها ذلك الاقتراح. ومع ذلك، كان هذا هو الهدف

من ذلك الترتيب، أليس كذلك؟ ألا يلاحظ الولدان تقريبا من الموجود ومن الغائب. الاستمرارية.

سرتُ ببطء عبر المتنزه إلى بيبي ديكو. في الغسق، مع إضاءة نوافذها، كانت جذابة، مزيج من الأبيض والذهبي على خلفية من السماء المخضبة باللون الوردي. لكن عندما دخلت الردهة وجدتها أصغر بكثير وأكثر كآبة مما أتذكرها من المعايينة. كان المصعد خائفاً، والممر ضيقاً، وانتابني شعور غريب بأني متطفلة، موجودة بلا إذن ولا غرض. كانت هناك تلك الرائحة الكيماوية لمستحلب جف للتو، بعيدة تماماً عن نكهة جادة ترينيتي ذات الأحذية الرياضية الموحلة وبقايا البولونيز.

أما بالنسبة للوحدة السكنية ذاتها، فكانت مساحتها صغيرة جداً، أقرب لغرفة فندقية منها لشقة. يمكنك أن ترى كل شيء تحتويه دون أن تدبر رأسك: السرير (مقاس فرد ونصف، وليس سريراً مزدوجاً كاملاً)، طاولة القهوة، وحدة ذات رفوف، مقعدان صغيران مريحان بذراعين. لا توجد مساحة للسفرة، فقط بار إفطار قصير مع زوج من مقاعد رخيصة مستديرة بلا ظهر اشتراهما برام من إيكيا.

مع مرور الساعات صار الدُش بارداً وتحول أزيز الثلاجة إلى محرك طائرة نفثة، لكنني لم أتصل ببرام طلباً للتوجيهات. فيما عدا حالات الطوارئ، اتفقنا على رسالة نصية واحدة كل ليلة بعد وضع الولدين في الفراش. لا مزيد.

على الأقل لم أواجه مشكلة في تشغيل التلفزيون - كان جهازاً قديماً من أجهزتنا، وناسبت الشاشة الصغيرة المساحة المحدودة. مع حلقة قديمة من مسلسل (الأسرة الحديثة) لتسلتي (لم تفتني الملاءمة مع واقع الحال)

وسلطانية من الريفيولي على حجري، قلتُ من انزعاجي الأسبق من الرتبة المؤقتة التي تشعر بها في واحدة من هذه الشقق المشتركة.

كانت روان قد قالت على سبيل التحذير: «سيتطلب الأمر القليل من الاعتياد على الأمر. ستسألين ماذا تفعلين بحق الجحيم وحدك، كيف يمكنك أن تقضي يوما هناك دون الجري وراء الولدين. فقط سيُري مع مشاعرك. لا تقسي على نفسك عندما تجدين الأمر غريبا. ما تشعرين به طبيعي».

أكان هذا ما شعر به برام في تلك الليالي القليلة الماضية، ناهيك عن شهر الإبعاد إلى بيت أمه؟ معزول عن الجماعة، طيار وحيد مجبر على وضعية الانتظار الجوي.

أضفتُ مستلزمات الحَمَّام الخاصة بي إلى القليل الذي جمعه برام في كابينة الدُش، مستخدمة الرف الذي تركه فارغا. بحسب اتفاقنا كان قد وضع ملاء فراشه في الغسالة، وبحسب اتفاقنا علقتها كي تجف على المنشر الصغير في المطبخ.

نعم، تساءلتُ إن كان سيغدو من الصعب أن نتعايش بهذه الطريقة، أن نفصل بدقة كل هذه العناصر المعتادة التي تشاركناها لوقت طويل جدا (كان لكل واحد منا مساحته المحددة من خزانة المطبخ لوضع البقالة، مثل الطلاب!). ستكون هناك أوقات يبدو الأمر فيها تافها، غير جدير بنا بطريقة ما، وأوقات أخرى بدا لي فيها الأمر محزنا بعمق وشدة. لكنني لم أسمح لنفسي بالتفكير في الأمر في الليلة الأولى. بالتأكيد لم أسمح لنفسي بالبكاء. فقط نظفت أسناني وغسلت وجهي، وغيّرت ملابسني وارتديت منامتي، وأضعت

الوقت كأني في غرفة بفندق. عندما دخلت الفراش، سقطت نائمة على الفور، رغم أنني توقعت أن أرقد متيقظة طوال الليل.

في اليوم التالي، اتصلت بالولدين عن طريق تقنية فيستايم في الاستراحة بين درس السباحة وحفل عيد الميلاد الذي كانا سيحضرانه في مزرعة بالمدينة. كانا يتشاحنان حول من كان أول من اختار اللاما حيواناً مفضلاً له، لأنه ضد القانون أن يختارا الأمر نفسه! في تلك الليلة الثانية، ذهبت لزيارة والديّ في كينجستون وقلت لنفسي إن الوقت تأخر كثيراً على العودة إلى أولدر رايز بالقطار، وأني ينبغي أن أوفر أجرة التاكسي وأبقى لديهما.

لو أخبرني أحد وقتها أنني في غضون بضعة شهور سأعود للعيش مع ماما وبابا بشكل شبه دائم، لاعتقدت أنه مجنون.

برام، ملف وورد

أدهشت نفسي عندما أعجبت بالشقة من البداية، وليس فقط لأنها كانت هروباً من بيت أمي. ربما كان السبب معرفة أنني سأعود إلى البيت قريباً من أجل مناوبتي، لكنني لم أشعر بالوحدة. استمتعت بترحيبها الصامت، حقيقة أنها لا تتطلب شيئاً مني. على حد علمي، لم يُوزَّع العنوان على أي أحد إلا شركات الخدمات وكان شعوراً طيباً في عام 2016 أن تكون خارج مجال الاتصال، خارج الشبكة.

لم يؤلمني أن السيارة كانت هناك في جادة ترينيتي وأن باستطاعتي أن أطرده من ذهني ذلك الموضوع المزعج على نحو خاص.

كنت في أفضل أداء لي الآن، مستعداً للالتزام بالخط المرسوم - كيفما وأينما اختارت فاي أن ترسمه. لا بأس، ربما لاحقاً، عندما تحولت الأمور إلى

جسيم حقيقي، انغمستُ في وهم أننا من الممكن أن نعود معا، أنها ستقذني من نفسي، مرة واحدة وإلى الأبد، لكن حالياً نلت متعة لمجرد معرفة أن الشقة شيء نتشارك فيه نحن الاثنان فقط. رغم أنه كان المكان ذاته الذي سهّل انفصالنا، أعجبني أننا كنا الشخصين الوحيدين اللذين يتنفسان هواءه. في البداية، على الأقل، بدا كأنه مكان لا يعرفه أحد غيرنا.

«قصة فاي» < 00:51:18

كانت أطر النوافذ بالمنزل تبلغ قرناً من الزمان، وثمة شوائب مائية جميلة في الزجاج الأصلي. أما الشقة فيها زجاج مزدوج على أحدث طراز يبدو على ما أذكر أنه كان ذاتي التنظيف - ما لم أفكر إطلاقاً في ملاحظته.

كان للمنزل كورنيش وسقف ورديان وبلاط أرضية هندسي بلون الصدأ واللون البيج ولون أزرق كوبالت جميل. أما الشقة فكانت بها حواف رخيصة وتلك الأرضية ذات الصفائح التي تتوهج بلون برتقالي في الضوء الصناعي.

كانت بالمنزل أبواب فرنسية عالية تؤدي إلى شرفة حجرية دائرية بها كراسي باخرة من خشب الساج الذي أبلاه الزمان وشجيرات القيقب الياباني في أصص. أما الشقة ففيها شرفة صغيرة تطل على طريق مزدحم يؤدي إلى متنزه يكرمه أهل المنطقة لأنه مزدحم دائماً.

لكن أياً من هذا لا يهم. لم يكن هذا موقفاً صالحاً للمقارنة المباشرة، بل كان مسألة الخيول الصالحة للسباقات.

أو كما صاغتها أليسون: المنازل الصالحة للأزواج.

في الجمعة الثانية، دعوتُ بولي للمجيء ومنحي الصحبة. كنت قد ذهبت إلى مدينة ميلتون كينيز لحضور اجتماع وقضيت رحلة العودة الطويلة بسبب تعطل الإشارات والتأخير أحلم بكأسي الأول من نبيذ بروسيكو (كان بروسيكو هو إكسير مجتمع الإناث في جادة ترينيتي، بعضنا كن ييكن عندما تحذر الصحف من نقصه).

قالت عندما التقينا عند الأبواب الرئيسية: «لا أفهم كيف يمكنكم بحق الجحيم أن تتحملا نفقات شقة هنا فوق نفقات المنزل؟»

- حسنا، أنت تعرفين كيف يعني كوننا مسنين للغاية أننا لا نملك رهنا عقاريا ضخما؟ على الأقل ليس ضخما بالمقاييس المجنونة الحالية.

هدأ شعور أختي القديم بالظلم من أني اشترت منزلا في زمن كانت الأسعار فيه واقعية عندما ساعدها والدانا في دفع عربون شقتها في جيلدفورد، لكن كان ما زال هناك ذلك الوجع القديم من وقت لآخر.

عندما أخذنا المصعد إلى الطابق الثاني، خطر ببالي أنه لا توجد كاميرا أمن. ماذا يحدث لو علقت؟ من يجيب عندما تضغط على زر الطوارئ؟ لم يكن هناك حارس أو بواب ولم أتواصل حتى بالنظر مع أي من الجيران. من رأيهم كانوا مهنيين شبابا، غير مهتمين بالتفاعل مع حيزبون في منتصف العمر مثلي.

فتحتُ بابنا بنفس إحساس الارتياح الذي شعرت به في عطلة نهاية الأسبوع الماضية وتركتُ بولي تدخل قبلي.

- إنها ظريفة حقاً يا فاي. مهلا، لديك شرفة أيضا؟

- نعم، لكنها لا ترى الشمس والطريق صاحب جدا. يعتقد برام أنه كان هناك نوع ما من الإسكان الميسور التكلفة وهذه واحدة من تلك الوحدات السكنية.

ضحكت باستمتاع محقر. «إذا فقد أجروها إلى زوجين يمكنهما بالفعل تحمل تكاليف بيت ضخم في جادة ترينيتي؟ إمم. إن سياسة الإسكان الاجتماعي في أشد حالاتها ذكاء».

قلت معترفة: «ربما لم يخبرهم برام بذلك». كان هذا عنصرا في أداء الأمور بطريقة مختلفة لم أتوقعها قبل ذاك: لم يكن المرء متأكدا تماما إن كان يبيع الحكاية للآخرين أم يعتذر عنها.

كانت قد استكشفت بقية أجزاء الشقة في الوقت الذي استغرقتُه لصب المشروبات وجلسنا على المقعدين الصغيرين المتيسين وكأننا على وشك تصوير مقابلة شخصية. كان التنجيد الرمادي عديم الشخصية خشن الملمس.

تساءلت بولي: «إذا كيف يتعامل هو مع الأمر كله؟»

- بشكل جيد إلى حد كبير. في الحقيقة، كنت لأقول إنه كان تقريبا، لا أعرف...

- ماذا؟

- حسنا، مدعن تقريبا.

- مدعن؟ برام؟

وأطلقت ضحكة عالية. «لا، لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً. لا بد أن هذا توأمه الطيب الذي لم يخبرك بأمره قط. لقد استبدلا الهويات. سيكون

برام الحقيقي في حفل شاطئ بولاية غوا في الهند. أو على الأقل في إحدى الحانات».

- أعرف أن الأمر يبدو جنونيا، لكنه صحيح. عندما جاء إلى المنزل يوم الأربعاء بدا... لا أعرف، بدا ممتنا. أعتقد أنه ربما مقدر بالفعل لهذا المسار من الحياة.

هتفت بولي: «ينبغي أن أتمنى هذا! بل لا بد أنه أدرك كم كان قريبا من خسارة كل شيء. وكان ليخسر كل شيء مع أي زوجة أخرى».

حتى الآن بعد أن انفصلت عنه، حتى الآن ونسيج الندبة يخشن قلبي، اعتُبرت متساهلة أكثر من اللازم معه. (كم كان من السهل تخيل بولي وهي تقول لصديقاتها: «اسمعن هذا، أخيرا طردته بحقيبة ثيابه - إلى الغرفة المقابلة!»)

- هذا الشيء يا فاي، هذا الترتيب المسمى بعش الطائر يبدو كله عظيماً على الورق، إنه شيء ليبرالي عصري جدا وكل هذا، لكن هل تثقين في أنه سيؤدي ما عليه؟ كل جمعة وسبت، المسؤول الوحيد؟ لم تكن لتواجهك مشكلة في الحصول على الوصاية الكاملة، أليس كذلك؟ كان يمكنك أن تظلي في المنزل سبعة أيام في الأسبوع ويبقى هو هنا. لماذا تلقين إليه بعظمة كهذه؟

- لأنه مركز العالم للولدين - من نواح عديدة، هو والد أفضل مني. يجعلهما يضحكان ويصدفان حوله كأشياء مجنونة.

- أهذا والد جيد؟ أعتقد أنني أفضل النوع الممل الذي يبقيهما هادئين - أوه، ويحميهما من تأثيرات الخيانة الزوجية.

ابتسمت وقلتُ: «حسنًا، لديهما واحد من كل نوع. والنوع الممل يريدُهما أن يتمكنَا من البقاء في بيتِهما والنوم في سريريها كل ليلة، وليس في سريري مخيمات في مكان مثل هذا. يريد أن يكون لديهما ما كان لديهما دائمًا: كرة قدم في الحديقة مع أبيهما، وبينون أوكارا للكلب الذي ربما لن نشتره أبدًا...»

«إمم». كان صالح ابني أختها هو ما يشغل اهتمام بولي حتى الآن فقط. بعد عام من علاقتها الحالية ولم تصبح أمًا بعد، وهي تعتقد بلا شك أنها لن تكون أبدًا من الحمق بحيث تجد نفسها في ورطتي. «كيف سيسير الأمر إن بدأتِ أنتِ أو برام مواعدة شخص جديد؟»

- لا توجد قاعدة ضد هذا بصراحة، لكننا اتفقنا ألا يوجد طرف ثالث في جادة ترينيتي.
- طرف ثالث؟

قالتها وهي ترفع حاجبا واحدا.

- لا يسمونهم هكذا على تطبيق تندر للتعارف.
- حسنًا، أيا كان ما يسمونهم به، أنا أكبر سنا من اكتشاف ذلك، لذا لن يمثل ذلك أزمة.
- أنت في أوائل الأربعينات من عمرك فقط يا فاي.
- أشعر أني في أوائل المائة.
- هذا ما يفعله بك الزواج من برام. لن يصيبه أي وخز ضمير حيال إحضار النساء إلى هنا.
- وأنا لن ينتابني أي وخز ضمير إن لم يأت بأحد.

قلتها بإصرار.

فكرت أختي في حكمها، الذي تبين -بعد إصداره- أنه في صالحه فقط بالصدفة: «يجب أن أقول، إنه فعلا الحل الأكثر نموذجية. تنالين أفضل الليالي هنا: الجمعة والسبت. ليالي الكبار. يمكن أن تكون لك حياة خاصة وتبقيها منفصلة تماما عنه هو والأولاد. عن أي أحد».

ضحكت. «ألم تسمعينني للتو أقول إنه لن تكون هناك حياة خاصة؟»

- ربما ليس في البداية. أمنحك شهرا.

هذه هي طريقة بولي: هي واثقة للغاية أنها تعرف ما سيحدث قبل أن يحدث. تعتقد أنها رأت كل شيء من قبل.

لكنها رغم ذلك تعترف الآن أنها لم تستطع قط أن تتنبأ بهذا.

#VictimFi

@LorraineGB71 سيحدث شيء مرعب فعلا في تلك الشقة.

@KatyEVBrown @LorraineGB71 هناك سبب وراء أن

أحدا لا يبقى بها أكثر من ستة أشهر... «أديروا مقطوعة مرعبة»

برام، ملف وورد

فعلا، خلفية مشهد كافية. أكاذيب، خيانة، أفضل النوايا لعش الطائر، بها تدرك الصورة: كنت بالفعل معنوها لعينا قبل أن نصل حتى إلى الحدث الأساسي. إلى المأساة التي ما كان ينبغي لها أن تحدث قط. القبر الذي حفرته لنفسي.

(عند معاودة التفكير، لا يبدو هذا بالمجاز الأفضل).

كان يوم الجمعة الثالث لترتيبات الوصاية الجديدة وكان لدي يوم سفر تابع للشركة أفضيه في فندق بمنزل ريفي قرب مطار جاتويك. كنت الثاني في قائمة تقديم العروض، مع مدير مبيعات آخر اسمه تيم، الذي كتب العرض وأراحني. وكانت رحلة معقدة تضمنت تغييرا للقطارات عند تقاطع كلا فام وركوب سيارة أجرة في نهاية الخط وعندما فوّت القطار الأول من أولدر رايز، وحتى قبل أن تومض لافتة «تأجيل» إشارة إلى القطار التالي، حسبتُ أنني لن أصل إلى المكان في الميعاد. وبينما كنت واقفا هناك على الرصيف المزدحم، وجدت من المستحيل ألا أفكر في السيارة الأودي المصفوفة على مبعده دقيقة في جادة ترينيتي، خاصة عندما أظهر تطبيق التقويم في الهاتف أنه لا توجد أنشطة قد تتطلبها بعد المدرسة. والأفضل من كل هذا أن فاي لم تكن في البيت، كما هي عاداتها يوم الجمعة؛ لكنها غادرته مبكرا مع أليسون متجهتين إلى سوق أنتيكات ما في ريتشموند، وذهبتا بسيارة أليسون الفولفو، وهو ما يعني

أن بإمكانني الذهاب سريعا إلى المنزل والحصول على مفاتيح السيارة دون الاصطدام بفاي.

لذا انسللت من المحطة واتخذت الطريق الخلفي مارًا بالمدرسة وبمحاذاة حدائق ويندهام إلى المنزل. فكرت في إرسال رسالة نصية إلى فاي بأني سأدخل المكان دون اتفاق مسبق، لكنني لم أستطع الاستغناء عن نصف الدقيقة التي يتطلبها ذلك.

الحمد لله أنني لم أفعل. أي رسالة تذكر نيتي في القيادة ذلك اليوم كان يمكن أن تؤدي بي إلى حتفي.

كنت أسرع فقط عندما أعلم علم اليقين ألا وجود هناك للكاميرات، ونهاية زحام ساعة الذروة تعاكسني، ورغم ذلك وصلت الفندق وما زال أمامي دقائق احتياطية، وشاركت في تقديم الهراء الذي حاكه تيم وبعد ذلك عانيت من الملل السقيم المتمثل في برنامج ليوم كامل من بناء الفريق الاستراتيجي.

(صناعة السلال. تذكرت للتو. بعد الغداء -الذي كبحت فيه نفسي وتناولت كأسين من النبيذ فقط - عقدنا ورشة لصناعة السلال. ليكتمل الهراء اللعين).

والآن نتقل سريعا إلى رحلة العودة بالسيارة. لم أكن مرهقا فقط، بل كنت عصيبا كذلك، جزئيا بسبب الحاجة إلى إعادة السيارة وجزئيا بسبب محاولة مديرة تنفيذية جديدة للموارد البشرية اسمها ساسكيا الاقتراب مني. كانت ترسل لي عبر البريد الإلكتروني طوال الأسابيع القليلة الماضية عن عقود الشركة التي أعيد إصدارها بعد اندماجنا مع أحد المنافسين في وقت أسبق

من العام، العقود التي تطلبت، من ضمن ما تطلبت، كشف أي مخالفات في القيادة. (هل قلتُ إنني لم أكن قد أعلنت أمر منعي من القيادة في العمل؟ حتى في هذه المرحلة، كانت الأخطاء الفادحة تتراكم). ماطلتها لأطول وقت في استطاعتي، وتجنبنا التقاء عيوننا خلال أنشطة اليوم، لكن بالضبط قبل أن أترك المكان، تجسدت إلى جانبي.

قالت: «كل شخص في المبيعات أعاد إليّ عقده إلّاك. أنا فقط في حاجة إلى عقدك. هل يمكنك التأكد من إحضاره يوم الإثنين؟»

كانت شابة وجذابة وواعية بذلك ولم يؤد ذلك بطريقة ما إلّا إلى إضافة المزيد إلى توترتي.

قالت مقترحة: «إذا لم يكن كذلك، سيسعدني أن أعيد إصدار عقد جديد وأجد لك مكاناً هادئاً كي تقرأه خلال ساعات العمل؟»

قلت: «طبعاً، لا توجد مشكلة». وتلكأت حتى لا تراني أسير إلى سيارتي، التي كنت قد صفقتها في ساحة انتظار أخرى للسيارات مختلفة عن الساحة المحددة لنا تحسباً لانكشاف أمر الحظر ثم يأتي شخص مثل ساسكيا ويتذكر، ويأتي أنطلق بالسيارة.

دار بخلدي: لا يمكنني الاستمرار بهذه الطريقة. احتياطات «التحسب» الدائمة. عليّ أن أخبر الناس، عليّ أن أخبر فاي. بلا شك، ستعتبر الكذب مشيناً مثله مثل الحظر ذاته، لذا ربما يمكنني عرض الأمر على أنه تطور جديد تماماً؟ حظر لمدة ستة أشهر بدءاً في أغسطس، عندما كان الاتصال مقطوعاً بيننا؟ ترى ما هو أسوأ ما يمكنها أن تفعله؟

حسناً، لعلها ستقطع اتفاق عش الطائر، وتظل في جادة ترينيتي مع الولدين وتضعني في الشقة دوماً كاملاً. ربما حتى ليس ذلك. بمجرد أن تفقد الحاجة للتوفير جاذبيتها، سأخرج من هناك أيضاً، مجرد أحق حزين آخر يعيش مع زملائه أو والديه. في بينج. وجبات الطفولة. التقوى والورع.

الآن، بالطبع، أرى كم كنت لأغدو محظوظاً لو سوّيتُ هذه العواقب. كان بمقدوري أن أتفاوض مع فاي. حتى عندما ينفد صبرها هي ليست وحشاً. إلى جانب ذلك، يحمي القانون حقوق الآباء في الزيارة وهناك حثالة أسوأ مني بكثير لديهم إمكانية الوصول بانتظام إلى أطفالهم.

هكذا كنت أقود السيارة عائداً، متجنباً الطرق الرئيسية كما تعلمت أن أفعل أثناء القيادة «المتحيلة»، سالكاً الطرق الموازية غير المراقبة بدلاً منها، والامتدادات السكنية الطويلة مثل طريق سيلفر رود في منطقة ثورنتون هيث، حيث كنت عندما علقْتُ خلف سيارة تويوتا بيضاء.

بدأتُ أشير له بومضات من المصباح الأمامي كي يسرع. هل يمكنك التأكد من إحضاره يوم الإثنين؟ كنت أفكر، بوجه ممتعض لتذكّر صوت ساسكيا - المنخفض والمسكر - كما لو أن الموارد البشرية علاج نفسي وليست بيروقراطية؛ عندما نفد صبري وانحرفت عن جانب الطريق لأتخطى ذلك الشخص. لم يكن ينبغي لي أن أنزعج - بصراحة لم يكن ينبغي لي أن أنزعج - لكن لو كنت من تلك النوعية من الأشخاص الذين يمارسون ضبط النفس بانتظام لما كنت في ذلك المزاج في المقام الأول، لما توترت نفسي لدرجة الغليان قلقاً مما سأقوله لساسكيا أو فاي، لما فقدت رخصتي، لما جلست أمام عجلة القيادة بشكل غير قانوني. لم أكن لأغدو غريباً عن زوجتي. لكني كنت هذا النوع من الأشخاص:

مريض برثاء الذات، ممتلئ برغبة شائكة، ملحة، تافهة، قصيرة الأجل لأن تكون لي اليد العليا على أي غريب.

ومن الواضح أنه كان كذلك، لأنني ما إن بدأت أقطع الطريق أمامه حتى زاد من سرعته، مجبراً إياي على الاعتدال في مساري وإجهاض محاولتي لتخطيه. لثانية أو اثنتين انطلقنا جنباً إلى جنب دون أن يتنازل أحدهما للآخر، والسيارتان على بعد بوصات من التلامس. يمكنني أن أقول إنه كان مقطباً وهو يسبني، أما أنا فقد جعلت وجهي يتخذ سمتاً ساخراً قبل أن ألقى نظرة إلى اليسار. كان بالضبط من نوعية الرجال التي كنت أعلم أنه سيكونها: فك صلب، عينان قاسيتان، بنية صلبة مثل السلاح. ولم يكن مقطباً فقط، بل كان يستشيط غضباً. كانت دفقة الأدرينالين التي شعرت بها في مواجهة غضبته قوية لدرجة أنها اجتاحت في طريقها كل منطق أو تعقل، وعندما ضغطت بقدمي على بدال السرعة في محاولة ثانية لتخطيه، شعرت بتحرر كثيف من كل مشاعر الخوف والعجز في الشهور القليلة الماضية.

ثم رأيت السيارة قادمة نحوي وغيثُ رأيي وضغطت الفرامل، مستعداً للاعتراف بهزيمتي الآن، متوقعا أن أدخل من جديد وراء التويوتا وأعاني مرأى إصبع وسطي مرفوع بعلامة النصر عندما نصل إلى التقاطع. لكن لم يسر الأمر على هذا النحو. لحيرتي، ضغط على الفرامل أيضاً، ليسد عليّ محاولاتي للانزلاق ورائه، وظللنا جنباً إلى جنب، متوازيين كأن السيارتين مربوطتان إحداهما بالأخرى. كلما قلت سرعتي ميلاً في الساعة، سايرتها سرعته - كنا نسير بسرعة ثلاثين، خمسة وعشرين، عشرين - ولكن السيارة القادمة ورائنا لم يبدُ

أنها تبطئ، سيارة فيات 500 صغيرة، فطساء الأنف وبريئة المظهر، بها سائق إما إنه قرر أن يثق في أننا سنحل المشكلة في الوقت المناسب أو لم يكن في كامل تركيزه، إلى أن لم يعد هناك فجأة أي وقت باق. كان على أحدها أن يخرج من الحارة وإلا سنصطدم رأساً برأس. تمايلت الفيات بحدة بعد أن لم يعد أمامها إلا جزء من الثانية، وبدا أنها تزيد سرعتها بدلاً من استخدام الفرامل، وصرخت عجلاتها وهي تخرج عن الطريق وتدخل ممراً خارج حدود الشارع به سيارة مصفوفة أمام منزل.

أطاحت قوة الصدمة بالسيارة المصفوفة لتضرب بها واجهة المنزل. كانت الضجة بشعة، ليست ارتطاماً بقدر ما هي انهيار، يصم الأذان حتى عبر النوافذ المغلقة بإحكام، ويعلم الله كيف بدا الصوت في الخارج. انتقلتُ الآن إلى الحارة الصحيحة، دون أن أجروء على النظر من فوق كتفي إلى الحطام قبل أن أتوقف إلى جانب الطريق. أمامي بمسافة صغيرة، تمهلت التويوتا، متكاسلة، واستطعت رؤية الرجل يرفع هاتفه، متصلاً بالنجدة، كما اعتقدت. ثم، دون أن أصدق ما أراه تماماً، شاهدت أضواء فرامله تسطع والسيارة تنطلق هادرة. جلستُ هناك، شاعراً بالغثيان والشلل، وفي أذنيّ نسخة حادة يائسة من صوتي تناشدني:

تمالك نفسك. التفت.

عُد. اخرج من السيارة اللعينة وساعد.

على الأقل اتصل بالهاتف طلباً للنجدة!

افعلها!

تخبطت يداي، وأنا أبحث عن هاتفي في جيوبي، وعلى لوحة القيادة، وفي جيب الباب المليء بأكوام القهوة وقطع من لعبة بلاستيكية. لعله كان على المقعد الخلفي. قدمي اليسرى كانت على بدال الفرامل وبدأت ساقي تتشنج. شغلتُ الفرامل اليدوية، والتفت لأمد يدي من فوق كتفي الأيسر، لكن حزام المقعد منعني.

عندئذ تذكرتُ من أكون. كنت رجلا ممنوعا من القيادة، على الطريق دون تأمين، ضد القانون، وربما متجاوزا للحدّ المسموح به من الكحول. رجل له سوابق جنائية (سنأتي إلى تلك النقطة لاحقا). وما حدث للتوّ كان قيادة خطيرة وفقا لكافة المقاييس، حتى قبل مسألة الضرر البشري أو تدمير الممتلكات. لا سبيل للالتفاف على ذلك، كنت أتطلع إلى حكم بالسجن. العار. الحبس. العنف. ليو وهاري يؤخذان مني. نهاية كل شيء.

تنفّس. فكّر. كان الطريق أمامي خاليا، والأرصفة فارغة. ابتعدت التويوتا كثيرا. برأس دائخ الآن، وغير قادر تقريبا على التفكير الواعي، رفعت الفرامل اليدوية، وضغطت على بدال السرعة وابتعدت.

بطريقة إعجازية، تمكنت من القيادة خمسين مترا إلى التقاطع التالي دون أن يمر أحد في الحارة المقابلة. السيارة المتحركة الوحيدة التي رأيته في مرآة السيارة، من الواضح أن سائقها أتى إلى مكان الحادث وتوقف ليقدم المساعدة، تماما مثل أي مواطن عادي.

نظرت في المرآة قبل أن أنعطف يسارا، متوقعا أن أرى دخانا أو دليلا آخر على المجزرة، لكن لم يكن هناك شيء. فقط نفس أسطح البيوت، نفس السماء.

في الجمعة الثالثة، رتبْتُ أن أقضي الليلة مع أصدقاء في برايتون. رغم عدم اتباعي لأي استراتيجية رسمية، كنت مرة أخرى أتجنب قضاء الوقت وحيدة في الشقة - هذا بالرغم من كوني مرهقة بعد يوم في الخارج مع أليسون، ناهيك عن القلق من نفقات كل هذا التسكع بحثاً عن المتعة.

عندما وصل برام إلى المنزل في الساعة السابعة مساءً للتسليم والتسلم، كان صامتا حزينا ورجحتُ أنه أيضاً ما زال يتأقلم مع النظام الجديد، محاولاً مثلي أن يحاذي الأطراف المسننة حيث تنطبق الممارسة على النظرية.

قلت: «يتطلب الأمر قليلاً من الوقت في الاعتياد عليه، أليس كذلك؟»

- هه؟

- هذا. حالنا الجديد.

قبل أن يتمكن من الرد، نزل الولدان من غرفتيهما، هاري أولاً، ثم ليو، وهما يتدافعان بالأكتاف وتسبقهما ضجة الاندفاع، لكنهما لم يحسنا أداء المناورة لذلك وصلا في تشابك حاد بالكوعين.

- بابا، سنسهر لوقت متأخر، أليس كذلك؟ أليس كذلك؟

قاطعهم ليو: «اخرس يا هاري».

- اخرس أنت.

- قلتها أولاً. لكننا سنسهر، أليس كذلك؟

كان قد ثبت بوضوح أن ليالي برام من أجل المرح والمتعة، بعد صرامة وتقشف ليالي المدرسة، لياليّ. كانت هذه عاقبة لا يمكن تفاديها لتقسيم الأسبوع بالطريقة التي قسمناه بها، كما حذرنا روان، وكان يجب عليّ أن أتذكر أنه ليس سباقاً على الشعبية. كنا أنا وبرام رفيقين، ولسنا خصمين. لم نعد زوجين لكننا ما زلنا شريكين.

قلت للولدين: «ليس متأخراً أكثر من اللازم. لكن بابا سيقدر، هو المسؤول. هل أنت بخير يا برام؟» لاحظتُ ساعتها الشحوب الواشي بأثر السكر القاتل.

- أكيد. تعرفين أيام بناء الفريق تلك، بنهايتها تفقدين الرغبة في الحياة.

أومأت برأسي، وتعاطفي يخبو. لم أكن على علم بأن لديه حدثاً في العمل، لكنه لو كان غيباً لدرجة الانغماس في جلسة شراب قبلها بليلة فماذا ينتظر؟ إلى جانب ذلك، من فوائد انفصالنا أنه لم يعد من واجباتي الإلزامية أن أنصت إلى شكاواه من العمل (ولا عاد هو مضطراً لسماع شكواي، لنواجه الأمر). طالما أن كل واحد منا يوفي بإسهامه المالي ويحترم البنود والشروط، فلدينا تصريح مرور على ذلك. «هل هناك أي شيء يجب أن أعرفه عن الشقة؟»

استجمع تركيزه وقال: «لا. يبدو أن مسألة المياه الساخنة حلت نفسها بنفسها أخيراً. يوجد حليب في الثلاجة، أعتقد أنه سيكون صالحاً للصباح».

- أشكرك، رغم أنني لن أكون هناك إلا في وقت لاحق غداً. سأذهب إلى برايتون الليلة.

بدا برام مروعا قليلاً. «هل ستأخذين السيارة؟»

«لا، افترضت أنك ستحتاجها من أجل السباحة غدا، ولدى ليو حفل في دولويتش، أتذكر؟ سأخذ القطار. سأزور جين وسيمون..» أضفت، رغم أنه لم يسأل. ظننت أنها كانت على تقويم الهاتف لو كان مهتما. قلت: «قبلاً مامي قبلة الوداع..» محاولة أن أشجع هاري وليو كي يقتربا مني، لكنهما تجنبنا عواطفني.

وقال هاري بصلافة مرحة: «الأولاد فقط مسموح لهم..»

#VictimFi

@IngridF2015 لديه بوضوح مشكلة مع الشرب، المسكينة #الضحية_فاي عليها أن تتعامل مع هذا.
@IngridF2015 @NJBurton أو أنه فقط رجل عادي وهي عا*رة تتظاهر بالورع؟

@IngridF2015 @NJBurton ما هذا الهراء؟؟!! إنها الضحية هنا. #الضحية_فاي ، أتفهم ذلك؟

برام، ملف وورد

أثناء جلوسي لمشاهدة الرسوم المتحركة اليابانية مع الولدين ذلك المساء، منعت نفسي من استخدام هاتفي أو حاسوبي المحمول للبحث عن التقارير الإخبارية المتعلقة بالحادث، وهو ما كان يعني انتظاراً معذباً للنشرة المحلية بعد أخبار الساعة العاشرة. لا شيء. هل جرؤت على تفسير ذلك بأن أي إصابات تسبب فيها الحادث لم تكن خطيرة، ناهيك عن أن تكون قاتلة؟ هل جرؤت على تصور شخص يخرج مترنحا من مقعد السائق، مهتزا لكنه لم يتعرض لأذى؟ شخص كان تركيزه أثناء الحادث على العبور غير المسؤول

للطريق من جانب السيارة التويوتا وليس على السيارة الأودي التي حاولت تخطيها باستهتار. في النهاية، جرى الأمر كله في ثوانٍ، أسرع وأكثر رعباً من أن يستوعب أي منا التفاصيل.

لكني مرة أخرى، استوعبتُ التفاصيل.
استوعبت نوع السيارة المحطمة وموديلها، وحتى سنة تسجيلها: 2013.
استوعبت حقيقة أنه في المقعد الأمامي كان هناك شخصان وليس شخصاً واحداً.
شخص بالغ... وطفل.

برام، ملف وورد

بالتأكيد كانت عطلة نهاية الأسبوع تلك الأكثر ترويعا في حياتي البالغة: كنت حبيسا في عقلي، غير قادر على التفكير في أي شيء إلا الحادث. في صباح السبت، أخذت ليو وهاري إلى درس السباحة بالحافلة، مقاوما تذرهما ومطالبتهما بأن أوصلهما بالسيارة بزعمي أنني لم أستطع العثور على مفاتيح السيارة. سأفلت من هذه الورطة هذه المرة لكنني لن أتمكن من التوقف عن توصيلهما بالسيارة إلى أجل غير مسمى دون أن يعلقا على ذلك لفاي. تساءلتُ، بطريقة أقرب للهذيان، إن كان بمقدوري أن أدعي مرضا يمنعني من القيادة: الصرع، ربما، أو حالة رؤية من نوع ما.

كما شاء الحظ (الحظ - ثمة مفهوم نسبي)، كانت المكتبة القائمة في مواجهة حمام السباحة مفتوحة وبعد الدرس تمكنت من إلقاء الولدين في جلسة قصيرة لحكي القصص بينما أستخدم واحدا من الحواسيب العامة. لم يستغرق الأمر وقتا طويلا قبل أن أجد ما كنت أبحث عنه.

أم وابنتها ضحيتان لحادث تصادم في حالة حرجة

ضحيتان لحادث تصادم بالأمس على طريق سيلفر رود في ثورنتون هيث تصارعان الموت في وحدة العناية المركزة بمستشفى كرويدون. تناشد الشرطة من وحدة التحقيقات في حوادث التصادم الخطيرة أي شخص في المنطقة ما بين 5, 45 و 6, 30 مساء أن يدلي بمعلومات.

مالكة السيارة البيجو المصفوفة التي اصطدمت بها سيارة الضحيتين الفيات خرجت من منزلها بعد قليل لترى سيارة غامقة اللون - قد تكون فولكس فاجن أو أودي - تنعطف بعيدا، لكنها كانت أبعد من أن تحدد الموديل أو رقم التسجيل. تحولت سيارتها إلى خردة في الحادث. «هذا لا شيء مقارنة بما تقاسيه هذه الأسرة المسكينة» هذا ما قالته ليزا سينغ ممارسة عامة قدمت في الماضي مناشدات لم يُكتب لها النجاح بوضع كاميرات سرعة على طريق سيلفر رود. وأضافت: «إنه سباق فئران خلال ساعة الذروة الصباحية».

قال متحدث عن شرطة العاصمة: «لم تتوقف السيارة الغامقة اللون عند مسرح الحادث ونحن نعمل حاليا على تعقب هويتها ومكان وجودها».

أول ما دار بخلدي: سيارة غامقة اللون فولكس فاجن أو أودي - لقد شوهدت وسأذهب إلى السجن. حياتي انتهت. تطلب الأمر مني جهدا خارقا كي أداري رغبتني في الصراخ من الرعب بسبب هذا، ولأفكر موضعا لنفسي أنه لا يوجد أي تمييز قاطع، فقط احتمال تقريبي. كم من مئات الآلاف من السيارات الفولكس فاجن والأودي الغامقة تسير على الطرق البريطانية؟ الأسود، كما أعرف، واحد من أكثر الألوان شعبية.

ثم (وأنا متحرج من قول، فقط ثم): تصارعان الموت - ماذا يعني هذا؟ ابتلهتُ كي تكون هذه هي المبالغة المعتادة في تقارير الأخبار المحلية، ويكون الواقع أقرب إلى بعض الكدمات الخطيرة وضلع مكسور أو اثنين.

عودةً إلى: الشعور بالحنق من غياب أي ذكر للتويوتا... لكن مهلاً، ألم يكن ذلك أيضاً خبراً جيداً؟ لو قُبض على ذلك الرجل الآخر، سيتمكن ليس فقط من تحديد موديل سيارتي بل وجهي أيضاً. بقاؤه خارج الصورة أفضل بكثير.

ثم: ماذا عن الكاميرات؟ عظيم، إذا لم يكن هناك أي منها على طريق سيلفر رود، لكن وسائل الإعلام دفعتنا للاعتقاد بأنها فعليا في كل مكان، أننا تحت مراقبة دائمة من السلطات، ناهيك عن مراقبة أحدنا للآخر دون اتفاق. بعد الفرار من مسرح الحادث، اتخذت مساراً متعرجاً عبر شوارع سكنية أكثر قبل التوجه في النهاية عائداً إلى أولدر رايز، وكنت واثقا إلى حد كبير أنني لم أمر بأي محلات أو مباني عامة قد تكون بها كاميرات أمن. هل توجد بمحطات الحافلات؟ وماذا عن المساكن الخاصة؟ هل يمكن للشرطة الوصول إلى الأتار الصناعية؟

لا، هذا حَق. أنا أشعر بالبارانويا.

ثم فكرت في التحاليل الجنائية. قد يكون هناك شيء ما على سيارتي، آثار ضئيلة من الدهان أو الغبار من الفيات المحطمة يمكنها أن تدينني؟ لو أخذت السيارة لغسلها هل ستدينني هذه العلامة؟ هل تملك مغاسل السيارات أنظمة مراقبة؟ محتمل نعم. ولو غسلتها بنفسني، سيتذكر الجيران، بل سيلاحظونها كأمر غير معتاد («حسنا، يخرج بعض الرجال لغسل سياراتهم في عطلة نهاية الأسبوع، لكنه لم يفعلها قط من قبل»). يبحث المحققون عن الأمور الشاذة، أليس كذلك؟ الانقطاعات في الروتين.

كل هذا في غضون دقائق. رأيت أنه سيكون من السهل للغاية أن أفقد عقلي.

أذكر جيداً يوم الأحد في عطلة نهاية الأسبوع تلك، لكن ليس بسبب أي شيء يتعلق ببرام. بعد العودة من برايتون مساء السبت والذهاب مباشرة إلى الفراش مع كتاب، ذهبت إلى فصل البيلاتس⁽¹⁴⁾ في صالة التمارين الرياضية خلف شارع باريد لأول مرة منذ سنين. عندما دخلت بحقيبة أدواتي وزجاجة الماء، شعرت كأنني ممثلة تلعب دور سيدة ليس لديها أطفال وتملك مصيرها في يدها. تخيلت نفسي أتذكر ذلك الفصل أمام زميلاتي الأصغر سناً يوم الإثنين، فتيات مثل كلارا التي تذبل ابتسامتها أحياناً عندما أحكي خطتي لعطلة نهاية الأسبوع مع الولدين.

في طريق خروجي، رأيت شخصاً مألوفاً عبر الحائط الزجاجي الذي يفصل منطقة الاستقبال عن منطقة استديوهات اللياقة: ميرل. ثمة فصل لليوغا يبدأ وهي وصلت متأخرة قليلاً، وها هي تتفحص الغرفة بحثاً عن مساحة تفرد فيها بساطها. كان رأيي فيها أنها أكثر امرأة عرفت ثقة بالذات ومع ذلك بدت في تلك اللحظة... هشة للغاية.

منذ وقت ليس ببعيد، استمتعنا بالسخرية من محبي اليوغا ومجانين اللياقة في أولدر رايز. كنا نقول: ألم يكن لديهم شيء أفضل كي يفعلوه؟ هل أطلقت إيميلين بانكهريست⁽¹⁵⁾ صيحتين عن قوة العضلات؟

14 نظام لياقة بدنية تم تطويره في أوائل القرن 20 من قبل جوزيف بيلاتس في ألمانيا. (المترجم)

15 إيميلين بانكهريست جولدن (1858-1928) ناشطة سياسية بريطانية وقائدة الحركة البريطانية سوفرجت التي ساعدت المرأة في الحصول على حق التصويت. في عام 1999 اختارتها مجلة تايم ضمن أهم 100 شخصية في القرن العشرين. (المترجم)

والآن انظر إلى حالنا. لسنا محصنتين للغاية ضد فيروس اضطراب منتصف العمر كما ظننا.

نعم، ربما كانت تلك رؤيتي الكبيرة لتلك الفترة كلها: نحن نتقدم في العمر - سواء أعجبك هذا أم لا!

بجد، أتحدث عن الانغماس في الذات.

برام، ملف وورد

عندما وصلت فاي يوم الأحد ظهرًا التريمني من الولدين، قلت بالكاد كلمتين قبل أن أتوجه رأسًا إلى المحطة لألحق القطار المتجه إلى كرويدون. وجدت مقهى إنترنت بائسًا ونصف منسي وسط صف من المحلات وسرعان ما عرفت التفاصيل الإضافية التي ظهرت ذلك الصباح فيما يتعلق بحالة الشخصين في السيارة الفيات.

كانت أسوأ بكثير مما أملت: كلتاها تعاني من إصابات في الرأس والصدر والحوض ومن المعتقد أن واحدة منهما عانت أيضاً من توقف القلب. لم يُذكر أن أيًا منهما استعادت وعيها بعد.

لم يُنشر اسماهما، وهو ما شعرت بالامتنان تجاهه. دون أسماء أو وجوه، كانتا بطريقة ما أقل بشرية بالنسبة لي، ليستا ضحيتين من لحم ودم بقدر ما هما رمزان لظلم أكثر عمومية. أما بالنسبة للجاني، لم يخرج أي شيء جديد للضوء وهو -أشير إليه بصيغة المفرد المذكور هكذا دون استثناء- فلم «يُقبض عليه بعد».

بحثت عن عنوان المستشفى -ليس بعيداً عن محطة ويست كورديون- وتوجهت إلى هناك دون أن أعرف السبب بوضوح (كي أرسل أمنيات الشفاء عبر الجدران؟ كي أهمس باعتذارات من شخص مجهول؟). لكن عند اقترابي من المدخل الرئيسي، لمحت كاميرات المراقبة قرب الأبواب وعدت على عقبي.

بدلاً من ذلك، أخذت الحافلة المتجهة شمالاً والتي تخدم طريق سيلفر رود، وانتابني سرور كثيب عندما وجدت مقعداً بجوار النافذة في الجانب الأيمن لمشاهدة موقع الحادث. أزالوا السيارتين البيجو والفيات، لكن الشرطة كانت ما زالت تطوق الممر. انمحي أثر مدخل البوابة، وتساوت الشجيرات بالأرض، وغطيت نافذتان في الواجهة بالألواح الخشبية، لعلهما تهشمتا من قوة الصدمة. نهضت لافتة وضعتها الشرطة في الجوار -مناشدة للشهود. وقع تصادم خطير هنا يوم الجمعة 9/16 في الوقت ما بين السادسة والسادسة والرابع مساءً- وثمة رقم هاتف للاتصال به حال وجود معلومات.

قلت في عقلي: كانت السادسة وخمس دقائق. كنت قد لاحظت الوقت في ساعة لوحة القيادة وأنا أفر من مكان الحادث.

بالقرب من الشجيرات رقدت مجموعة من باقات الزهور، أغلبها ما زال بأغلفة السوبرماركت الذي أتت منه. بإمكانك أن ترى كل باقة منفصلة وقد وُضعت في مكانها بعناية.

الجمعة 13 يناير 2017

لندن، 1.45 مساء

يومان إجازة، يقول نيل رئيس برام في العمل. لم يكن هذا مثاليا، بعد وقت قصير من بدء العام الجديد، لكن بصراحة هو لم يكن على عهده منذ... حسنا، منذ بدأت مشاكله الزوجية. على أية حال هم لم يروه منذ عصر يوم الأربعاء ولا يتوقعون عودته حتى يوم الإثنين.

يقول من هاتفه بصوت عال وواضح: «اعتقدت أنه يساعد أمه في وضع بعض الأشياء في المخزن؟» يمكنها أن تسمع في الخلفية ضحك وقت الغداء يوم الجمعة في مطعم أو حانة.

تقول فاي: «لا، هو بالقطع ليس معها». لا تخبره بأمر حيلة تجديد الديكور التي استخدمها برام مع تينا. ورغم ذلك، لا يمكن أن تكون فكرة التخزين مصادفة: إذا لم تكن أشياء تينا، فهي أشياءهم بالتأكيد؟

«انتظري لحظة..» يقولها نيل ويصدر صفيرا منخفضا. «هو لم يذهب ويسجل اسمه في مصحة لعيادة التأهيل، أليس كذلك؟»

«بالطبع لا!» حتى خلال ضباب الصدمة، فوجئت بفكرته.

- طيب، لأن هذا سيستغرق وقتا أطول من مجرد يومين. سيظهر يا فاي. أنت من بين جميع الناس تعرفين كيف يكون.

لكن ماذا لو كانت لا تعرف؟ هكذا تفكر وهي تغلق الخط. ماذا لو كانت لا تعرف كيف يكون؟ لم تعد تعرف على الإطلاق.

«لم يروه كذلك..» تقولها للوسي فون، التي عادت إلى غلايتها في محاولة متجددة لتهدئة فاي بالشاي. تستطيع فاي أن تستتج من التغير الدقيق في سلوكها منذ مكالمة المدرسة أنها تعتقد أن من تتعامل معها قد تكون شخصا ذا عقل غير سليم. ليست فاقدة الذاكرة، بل مريضة نفسيا. إنها تلاطف فاي، وتتعامل معها بأفضل ما في وسعها حتى يصل المدد على هيئة زوجها، القادم في الطريق مع الشاحنة الصغيرة الأخرى. لا شك أنها نادمة على إخبارها رجال النقل أن بإمكانهم تناول القهوة في شارع باريد بينما تنتظر معها.

في الحقيقة، تتحكم فاي في نفسها على نحو أفضل الآن. لا بد أنها كذلك لأنها بدأت تلاحظ التفاصيل، مثل حقيقة أن لوسي لديها غلاية من الكروم بينما غلايتها سوداء، وأقداح بيضاء بينما أقداحها خضراء غامقة، وطاولة مغطاة بخشب البلوط بدلا من الطاولة المصنوعة من الفولاذ الصناعي التي ساعدتها أليسون في اختيارها. كل الأشياء التي تبخرت، مثل بقية واقعها في جادة ترينيتي.

«متى رأيت برام لآخر مرة فعليا؟» تسألها لوسي، وهي تصب الماء المغلي في الأقداح وتلقي أكياس الشاي المعصورة في صندوق من محلات سنزبري، اتخذته صفيحة قمامة مؤقتة ليوم الانتقال.

تقول فاي: «الأحد. لكنني تحدثت إليه بالأمس ويوم الأربعاء».

تبدو الفجوة بين الترتيبات البريئة للأيام القليلة الماضية والألغاز المجهولة اليوم غير قابلة للاختراق بالفعل. كان برام سيغادر العمل بعد الغداء يوم

الأربعاء ليُقل الولدين من المدرسة ويسمح لفاي بالانطلاق مبكراً إلى عطلتها التي ستدوم ليلتين، والتي كان من المفترض أيضاً أن تشمل عودة على المهل هذا المساء والمبيت في الشقة. لم يكن عليها أن تريح برام من الولدين حتى صباح السبت، في خروج عن روتينهم المعتاد في نظام عش الطائر، لكنها خدمة عادية ستُرد في الأسبوع التالي. لو لم تضطر إلى العودة مسرعة من أجل حاسوبها المحمول، أو لو تركته في الشقة وليس هنا؛ لما عرفت أن الولدين في بيت جدتهما، لما عرفت أن آل فون في منزلها. ليس بعد. كانت لتغدو في حالة من راحة البال.

تفرغ لوسي صندوقاً كارتونياً فيه عبوات من اللبن وتضيف القليل لكل قذح. «تفضلي، أخيراً». تناول فاي قذحها وعليها سياء من يغامر بقفزة بين جبلين ليختبر إيمانه في ستر الرب، متوقعة أن فاي ستلقيه في وجهها. «لا تقلقي، أنا واثقة أنه سيعود متاحاً للاتصال قريباً وسنحل سوء التفاهم ذاك».

نصر على استخدام تلك الكلمة -سوء التفاهم- كما لو أنه نوع من الخلط الهزلي، كما حدث عندما ذهبت طلبية ميرل من بسكويت شركة بيسكيتيرز إلى منزل أليسون وأكله أطفال آل أوزبورن دون مراجعة البطاقة. مسألة سهلة الحل، سريعة النسيان.

تحدق فاي وراء لوسي، إلى الحديقة في الخارج. هذه، على الأقل، كما تركتها بالضبط، كل نبتة متجذرة بإخلاص في مكانها. مرمى كرة القدم. الأرجوحة. الزلافة المتلوية من سطح بيت اللعب إلى بقعة النجيل التي بليت وصارت تراباً.

تقول: «كنت أخطط لتحطيم بيت اللعب ذاك بمطرقة عندما يكبر الولدان عليه».

تحاول لوسي إخفاء نظرة مصدومة، وتلحق شفتين جافتين. وكأنها تستبق أي دوافع عنيفة أخرى، تجرب اقتراحاً مفيداً آخر: «هل ينبغي أن نتصل بالمدرسة وندعهم يعرفون أنه تم التعرف على مكان الولدين؟ ربما تسببت لهم في بعض الذعر».

«أوه نعم، ينبغي أن أفعل ذلك...» بعد أن أفاقت مفزوعة من حلم يقظتها ولم تتمكن من تحديد مكان هاتفها على الفور، تبدأ فاي في إمطار الطاولة بمحتويات حقيبة يدها قبل تذكر أن الهاتف في جيبتها. وبعد أن تعيد الاتصال بالمدرسة، تنتقل إلى البريد الصوتي وتترك لمسز إيميري اعتذاراً مرتبكاً.

تغلق الخط، وترى أن انتباه لوسي مثبت على الأشياء التي اندلقت من حقيبتها، خاصةً على علبة نحيلة من الأقراص استقرت في فتحتها، وقد اتخذ وجهها سمت شخص تأكدت للتو أسوأ شكوكه.

«ليست لي». تقولها لها فاي وتعيد وضع كل شيء في حقيبتها، مبقية الهاتف أمامها.

«تمام». تلوح الشفقة في عيني لوسي، وبعدها حذرٌ مضاعف. لعلها تشك في أن لدى فاي اضطراب شخصية واتخذت بطريقة ما اسم المالكة السابقة، مقدمة نفسها هنا في حالة فصامية ما. «لا أقصد التطفل، لكن هل الدواء جديد؟ هل حذرك الطبيب من الآثار الجانبية؟ ربما فقد الذاكرة لوقت قصير أو شيء ما...»

«أخبرتك للتو، إنه ليس لي!» تشعر فاي أن تعبيرها كان ملتويًا مشوهاً، وتجاهد كي تبسطه. لم يعد بمقدورها التنبؤ بعواطفها أكثر مما يمكنها التحكم في الطريقة التي تعبر بها عنها.

تومئ لوسي برأسها: «إنه خطأي. أوه!» عندما يأتي صوت جرس الباب، يحتاج الارتياح وجهها وتقفز واقفة فيما يشبه البهجة. «لقد وصلوا!»

تهرول إلى الباب وسرعان ما تسمع فاي صوتين جديدين، أحدهما صوت ذكوري، يخص واحداً من فريتن النقل أو ربما زوج لوسي، والصوت الآخر تعرفت عليه فوراً على أنه صوت ميرل.

ميرل! كانت عند النافذة، تراقب. لا بد أنها انتظرت حتى وصلت الشاحنة الثانية وعندئذ قررت أنه لم يعد بمقدورها تأجيل التدخل أكثر من ذلك. ستكون إلى جانب فاي، أليس كذلك؟ ترى الأمر كما تراه فاي، تعرف أن لوسي هي المخدوعة، وليست هي.

تعود لوسي أولاً، وقد تجرأت من جديد: «تمام، الآن ديفيد هنا، أقترح أن نحاول كلتنا التواصل مع محاميها».

قبل أن تتمكن فاي من الاحتجاج بأنها لا تملك محامياً، لأنها لم تبع منزلها، تندفع ميرل داخلة، لتجبر لوسي على الالتصاق بنضد المطبخ كي تحتل هي المساحة.

«هل دعوت هؤلاء الناس للانتقال إلى هنا يا فاي؟» متوقدة بالحنق، وقد انتفخ قميصها القرمزي بالهواء، بدت ميرل أشبه بزعيم طائفة دينية، وبدت طاقتها سحرية، تحويلية.

تقول فاي وقد ارتفعت روحها المعنوية: «لا، بالقطع لا. لا أعرف من هم ولماذا توجد أشياءهم هنا. كل هذا ضد إرادتي تماماً».

عندما تبدأ لوسي في الاعتراض، تسكتها ميرل بكف مرفوع على بعد بوصات من أنفها. «في هذه الحالة، هذا احتلال وإزعاج غير قانوني». عملت ميرل منذ سنوات حارسة عقارية، وهو ما يستحق الذكر دائماً). «وسأبلغ عنهم الشرطة!»

جنيف، 2.54 مساءً

هو جائع، رغم أنه يستغرق دقيقة أو اثنتين كي يميز إحساسه، لأنه إحساس بلا إلحاح ولا توقع. مجرد تنويع على الثابت الجديد: الكرب الأشد. الأسى. الخسارة.

لكن عليك أن تأكل، حتى لو سيدرك هذا بكل المرات التي وزعت فيها النقانق على الولدين النهمين، ولاطفتهما كي يضعوا البروكلي في فميهما بينما تتفق معها سرّاً أنه طعام يليق بالشیطان. أو ربما سيدرك بوجه في الناحية الأخرى من المائدة في (لا موت)؛ أفضل مطعم في أولدر رايز، في سالف الوقت عندما كان ذلك الوجه ما زال يبتسم لك، في سالف الوقت عندما كانت المرأة التي تنتمي إليها تلك الابتسامة ما زالت تصدقك. ما زالت تريد أن تعرف قصتك، وتدافع عن نقاط ضعفك. عندما كنتم تعيشون جميعاً معا في المنزل الذي أحبته تلك المرأة والذي أتى إليه الولدان كلاهما من عبر الولادة رأساً.

يقول في عقله: توقف. لا حق لديك في أن تكون عاطفياً. أو أن ترثي لذاتك.

يترك الحانة، أول ما صادفه عندما خرج من الفندق، ويتبع الإشارات إلى أقرب مطعم. يجد نفسه في مصعد يطلع مبنى ما، وهو ما يذكره بساسكيا ونيل

ورسالة الاستقالة الإلكترونية التي سُرسل إليهم أوتوماتيكيا يوم الإثنين في التاسعة صباحا. الطلب بأن يرسلوا إلى فاي مستحقات مرتبه المتبقية - أيا كانت قيمتها.

للمطعم الكائن في الطابق العلوي نوافذ تواجه المطار ومن طاولته لديه رؤية واضحة للطائرات القادمة، وهي تهبط كأنها لعب يتحرك فيها طفل متقلب الأهواء. كل من حوله لديهم ذلك السمت المتحرر لمن يسافرون ترانزيت: إما أنهم أتوا مبكراً جداً عن القيام بتسجيل إجراءات الوصول، أو أكثر تعباً عند وصولهم من أن يصنعوا أي شيء في يومهم. وربما يتناولون كذلك غداء ما.

يطلب شيئاً بالبطاطس والجبن. طعام جبلي سويسري. لا يساعد كأس النبيذ الأحمر في تخفيف القلق أكثر مما تفعله البيرة، لكن على الأقل فعل شربه مألوف. يعتقد أنه ينبغي أن يكون ممتناً لكل دقيقة أخيرة في وقته المستعار، ممتناً أنه لم ينتهِ في قسم الهجرة والجمارك بالمطار عندما فاضض ضباط الرقابة الحدودية. بطريقة ما، أتى تمثيله لشخصية برام القديمة، قائد إجازات الأسرة والمسافر من وقت لآخر في مهام عمل، مُرضياً للضباط البشريين والكاميرا الحرارية التي قامت بمسح الركاب القادمين بحثاً عن الحمى والفيروس (وليس الذنب، كما خشي)، وتم السماح له بالمرور.

شيء جنوني، لكن حتى بعد أن ترك منطقة استعادة الأمتعة والجمارك وخرج وسط الجمهور العام، كان ما زال يتوقع أن يقترب منه أحدهم ويطلب منه الوقوف جانبا.

كي يُسأل إن كان الاسم الموجود على جواز سفره هو اسمه الحقيقي.

«قصة فاي» < 01:01:36

هل فكرتُ في نظريات بديلة حول اختفاء برام؟ صدقوني، فكرتُ في كل شيء. حتى الشرطة تعترف بأن غيابه المستمر قد يكون بسبب ظروف غير متصلة بخدعة المنزل، أنه قد لا يصل به الحد قط إلى أن يكون هاربا من القانون. لعله قُتل في مشاجرة وأُخفي جسده، أو لعله أفرط في الشراب وسقط في النهر - ولن تبقى خمس دقائق حيا في نهر التيمز مع درجات الحرارة في يناير. ونحن نتحدث هنا عن شخص ذي مزاج متقلب، نتحدث عن سكير ثقيل.

أعرف أن الأمر يبدو فظيعا، لكن عندما تسألني الشرطة كيف يكون برام، كيف هو فعلا، ما هو دافعه الأساسي، أول ما يخطر ببالي الإسراف في الشراب. لا أذكر يوما لم يشرب فيه. لاحظوا أن هذا لا يجعله فريداً في جادة ترينيتي. هناك رجال - ونساء - يعودون إلى البيت من العمل وخلال ساعة يعبئون زجاجة نبيذ. كنت أعتقد أنه من قبيل الحظ الخالص أن مأزق اختيارهم تصادف أن يكون مقبولا اجتماعيا، لكنني بعد ذلك أدركت أنه كان مأزق اختيارهم لأنه مقبول اجتماعيا.

(أقول «اختيارهم» لكنني أقصد «اختيارنا»: فأنا لست ممتنعة عن الكحوليات عن نفسي).

من نزوات برام الصغيرة أنه لم يكن يحب الليمون، وكان يتفكه قائلاً إن لديه حساسية منه وأن ليو أصيب بأعراض حساسيته بسببه، لكن في الحقيقة كان للأمر علاقة بجلسة ملحمية لشرب التيكيلابا عندما كان طالباً. كان يسخر من الجعة الخالية من الكحول، ويسخر من (يناير الجاف)⁽¹⁶⁾، ويسخر من الكوكيتلات غير الكحولية، ويسخر من أي شيء لا يوجد فيه كحول.

أدرك أنني أستخدم صيغة الماضي في الحديث عنه، وهو ما لا ينبغي أن أفعله. لكنكم ترون لماذا أنا واثقة تماماً أنه لو كان ميتاً فلن يكون قد مات واعياً؟

أعرف الآن أن سبتمبر كان وقتاً رائعاً لبرام وأثامه، لكن مخاوفي الخاصة المتصلة بالجريمة خلال هذه الفترة تعلقَت بموجة الحوادث التي اجتاحت جادة ترينيتي فجأة.

أولاً، أحد المستأجرين في الشقق الواقعة على ناصية حدائق ويندهام عاد من الإجازة ليكتشف أن مكانه نهبه أشخاص استأجروه في غيابه من خلال موقع إلكتروني على شاكلة إير بي إن بي⁽¹⁷⁾. ورغم أن التعطش للمكسب في طبعنا، إلا أننا اتفقنا جميعاً أنه ربما لم يكن ينبغي له أن يؤجر من الباطن في المقام الأول.

16 حملة الصحة العامة التي تحث الناس على الامتناع عن الكحول في شهر يناير، وتُمارس بشكل خاص في بريطانيا. (المترجم)

17 شركة مقرها سان فرانسيسكو، كاليفورنيا، تعمل عبر الإنترنت على سوق يركز على الإقامة والتأجير قصير الأجل. تعمل الشركة كسمسار وتتقاضى عمولة من كل حجز. (المترجم)

لكن مشاعر التعاطف الأعمق امتدت إلى مات وكيرستي روبر بعد قليل من تعرضهم للسطو في وضح النهار. كانت كيرستي واحدة منا، ومصبتها مصيبة يمكن أن نشاركها فيها: بوابة جانبية تُركت مغلقة بالمزلاج فقط بينما الأسرة تعاقر الخمر في وسط الحديقة، جهاز الإنذار غير مفعّل (كانوا سيمضون عشرين دقيقة فقط)، ومجموعة من الحواسب المحمولة والأجهزة الأخرى تُركت على طاولة المطبخ بشكل مغرٍ، وثمة كلب سبيلي صغير ينبح تعود الجيران على تجاهله - عاصفة مثالية من العوامل التي يمكن أن تطيح بأي منا.

قالت لنا كيرستي: «تعتقد الشرطة أنه لا بد كان يراقب المنزل. وبشكل من الأشكال، هذا هو الجزء الأكثر إزعاجاً».

افتُتِن الأولاد بهذه الدراما، وشكّل ابنها بن وروبي ابن ميرل وليو ابني جماعة محققين، يجتمعون في بيت لعبنا ليتدارسوا الاحتمالات. كنت أقدم لهم البسكويت والعصير، دون أن أشير في أي وقت إلى أن مكان اجتماعهم نفسه كان ذات مرة مسرحاً لجريمة من نوع ما.

لم ترد أخبار بالقبض على الجناة وسرعان ما أبلغتنا كيرستي أن الشرطة قررت التوقف عن التحقيقات. «لا يملكون ما يكفي من العاملين. عليهم أن يمنحوا الأولوية للجرائم الحقيقية».

قلت: «ألا يُعتبر السطو جريمة حقيقية؟»

قالت أليسون: «أنت تعرفين ما تعنيه: القتل. الاعتداء. الاغتصاب. خطف أطفالنا. تلك النوعية التي تظهر في برامج الجرائم مثل (كرايمووتش) و(الضحية)».

ورغم أني كنت أعرف بالطبع ما تعنيه، كنت شخصياً أعتقد أن الاقتحام والدخول انتهاك مقلق للغاية. فكرة تسلل المجرمين حول منزلي، وملاستهم أشياء أولادي، ومشاهدتهم كيف نتشارك حياتنا (أو لا نتشاركها، في حالة غرفتي نومنا أنا وبرام المنفصلتين): لا يمثل هذا انتهاكا للخصوصية بقدر ما هو انتهاك للأرواح.

برام، ملف وورد

فقط لو أستطيع الاحتفاظ بوظيفتي، هكذا فكرت وأنا أستقل المصعد إلى قسم الموارد البشرية صباح الإثنين وأفكر أن هذا المصعد لا يستطيع الصعود عالياً إلى الدرجة التي تعينني، أي كنت لأبقى سعيدياً في ذلك الصندوق الصغير المكسو بالمرآيا لساعات، لأيام، للأبد بين الأماكن، بين المشاكل. لو يمكنني بطريقة ما أن أبقى كل هذا سرّاً عن فاي. لو تنجوها تان المسكيتان ضحيتا السيارة وتغلق الشرطة تحقيقاتها بسبب نقص الأدلة، فلن أرتكب إثماً آخر أبداً. سأصبح مبشراً، سأمتنع عن ممارسة الجنس، سوف...

«برام؟» قالتها ساسكيا.

جفلتُ. لم ألاحظ أني خرجت من المصعد، وقطعت الممر، ووصلت مكتبها.

«هل كنت تريدني؟» عاجلتنني قائلة بوجه جامد. لعلها كانت تتساءل إن كنت معتوهاً، وظفوه هنا ضمن حصة للأقليات.

قلت: «نعم، آسف. أتيت لك بعقدك».

«إنه عقدك أنت، لكن أشكرك». منحنتني ابتسامة صغيرة وهي تأخذه مني، ابتسامة رسمية لكنها سعيدة.

جلوتُ حلقي، وانتقلت إلى الجُمْل التي أعدتها: «كما سترين، هناك بعض المعلومات الشخصية التي كشفت عنها وأردت أن أتحدث معك عنها وجها لوجه. هل يمكننا...؟»

«طبعاً». باحترافية لم تخفِ الفضول الإنساني تماماً، قادتني من المساحة المفتوحة إلى داخل حجرة اجتماعات قريبة وأغلقت الباب بعناية. جلسنا أحدهما في مواجهة الآخر، وعلى الطاولة بيننا العقد ودفتر ملاحظات ساسكيا. «تفضل».

- حسناً، إنه الجزء الخاص بمخالفات القيادة... الأمر أني يا ساسكيا تلقيت منعاً من القيادة.

تلقيت: لم تبدُ هي الكلمة الصحيحة، المرء يتلقى مكافأة أو مديحاً، شيئاً مرغوباً، بينما كان هذا شيئاً غير مرغوب تماماً لدرجة أن الشخص الذي كنت أقولها له اضطر لتدوين ملاحظات.

- أفهم. إذاً نظراً لدورك في المبيعات، يمكن أن يكون هذا إشكالياً. متى حدث هذا؟

«في فبراير». وتلك هي الحقيقة.

- فبراير؟ هذا منذ سبعة شهور!

«أعرف وأنا آسف فعلاً أني لم أعلن ذلك وقتها على الفور. كي أكون صادقاً تماماً، لم أخبر حتى زوجتي بعد. كنت أتكتم على حقيقة أني لست قادراً

على القيادة». ربما كانت الراحة التي سببها الحديث، أو مجرد الأبعاد الحميمة للحجرة، وراحة حرارة جسدها، لكنني بدأت أغدو أكثر ميلا للاعتراف مما خططت له. «كانت هناك تلك المرأة، وكان الأمر فظيعا. وقفت تطل من نافذة منزلنا، متوقعة مني أن أنطلق إلى مكان ما بالسيارة وفتحتُ الباب، دخلت إلى مقعد القيادة، وجلست هناك أظاھر فقط بالعبث في جهاز التسخين، إلّا أن ابتعدت عن النافذة. عندئذ خرجت وركبت الحافلة».

في الحقيقة، لم يكن هذا بأمر سيء أن يعترف به المرء، إنه نوع القمص الذي قد تتذكره إذا استدعيت للشهادة في محكمة. («هل كان هذا فهمك لاستمرار مستر لاوسون في القيادة؟»، «لا. لكنني أعرف بالفعل أنه كان يتظاهر أمام زوجته»).

ابتلعت ريقی وأكملت: «كان الأمر أشبه بهؤلاء الرجال الذين فصلوا عن العمل لكنهم يستمرون في ارتداء قمصانهم وربطات أعناقهم ومغادرة المنزل كل صباح للذهاب إلى العمل».

هذه الإضافة كانت مؤسفة أكثر: فقد تمنحها أفكارا ما.

«أوه». رمشت ساسكيا بعيونها ورأيت كيف أن أهدابها مثقلة بالكحل. استغرق الأمر لحظة لأن مداركي كانت في اتجاه آخر، لكن العلامات كانت موجودة أمامي لأقرأها: ذلك الماكياج السخي للعين، القميص الضيق المناسب مع القلادة التي تشير إلى نقطة الدخول للشق الخفي، ومن تحت الطاولة بدا الكعبان أطول بوصة من الارتفاع المريح. ليس بالمظهر غير اللائق، لكن بمظهر يحمل رسالة متحدية لهؤلاء المهتمين بتلقيها: أنا مهنية، لكنني أنثى بنفس القدر. وعزباء أيضا.

قلت، وأنا أكثر ثقة بنفسي الآن: «ينبغي أن أقول زوجتي السابقة، ليس لأن هناك أي سبب ينبغي أن تعرفه، لكننا انفصلنا. كان الأمر كله كابوسا بعض الشيء وأظن... أظن أنني لم أكن بحاجة لوجود شيء آخر فعلته بطريقة خاطئة».

كان من قبيل الخيانة أن يوحى كلامي بأن فاي تعاملت دون وجه حق في قضيتي، بينما في الواقع كانت أكثر كرما من أي زوجة سمعت بأنها تعرضت للخيانة، لكن للضرورة أحكام، وما أراحني أن ساسكيا كانت تنظر إليّ ببدايات تعاطف.

- يبدو أنك وُضعت في ورطة نوعا ما. سيكون عليّ أن أراجع الملفات، لكنك لا تقود سيارة من سيارات الشركة، أليس كذلك؟
- لا، أستخدم سيارتي.

كانت تلك نقطة ضوء الشمس في سبائتي العاصفة: عندما انضمت إلى المؤسسة اخترت الخروج من امتياز المبيعات التقليدي لصالح البديل النقدي. كانت السيارة الأودي ملكية خاصة ومسجلة باسمي أنا وفاي في جادة ترينيتي، وإذا جاءت الشرطة، لن تكون بحاجة لتوريط أرباب عملي.

قلت مصححا نفسي: «كنت أستخدمها. من الواضح أنني لم أقدم أي طلبات بتعويض عن استخدام الوقود منذ فبراير». تحملت هذا العبء بنفسني، ودفعت مقابل البنزين نقدا حتى لا تتساءل فاي عن أي عمليات سحب من حسابنا المشترك.

- وكيف كنت تصل إلى مواعيدك؟ يمكنك المطالبة بنفقات السفر بالقطار وسيارات الأجرة، كما تعرف، بافتراض أن نيل سيوقع عليها. أم أنه رتب لك سائقاً؟

لم أقل شيئاً وخنقت ساسكيا تكشيرة كادت ترتسم على وجهها.

- لقد أخبرته يا برام، أليس كذلك؟

«لا. أنت أول شخص أخبره». شعرت بنفسي أفعالها، أمانحها نظرة تقول: أنت الأولى لأنك مميزة. تركت اللحظة تمتد، ونظرت لهنية قصيرة جداً إلى القلادة على مفرق نهديها. إن التحرش الجنسي الجدي بمديرية تنفيذية للموارد البشرية من بين كل الناس هو جنون في نظر أغلب معايير الناس، لكن معايير لم تعد تحمل أي صلة بأغلب معايير الناس.

أخيراً قالت: «سيتوجب عليك أن تخبره. هل تود أن أكون موجودة؟»

- لا، سأكون بخير. ليس موجوداً اليوم، لذا سأفعل ذلك غداً.

بعد أن أنهت ملاحظاتها، وضعت ساسكيا القلم بعناية على دفتر الملاحظات. «سيتبين وفقاً لتقديره إن كان هذا سيؤثر على مستقبلك هنا. أدوار المبيعات تتطلب أن تكون لديك رخصة قيادة سارية».

تنهدت: «أعرف». نظرة أخرى، أكثر تريثاً من الأولى. «لكنني سعيد لأنني اعترفت بكل شيء وسأخرج نظيفاً».

ظلمت أستخدم هذا التعبير، سواء في كلامي أو في عقلي. بدأت الحكاية تثير إحساساً مخادعاً.

لم تمر إلا أيام معدودات بعد حادثة السطو على منزل آل روبر حتى كانت ساكنة أخرى في جادة ترينيتي، امرأة عجوز ترملت حديثا، ضحية لاحتيال مقلق بما يكفي لأن تتجه ميرل مباشرة إلى الهاتف وترتب مجيء ضابطة شرطة من الحي لتحدث معنا - وكاف لي كي أتصل ببرام في العمل. «هل سمعتَ ما حدث لكاريس؟»

قال: «من؟»

- أنت تعرفها، السيدة المقيمة في رقم خمسة وستين؟ معلمة البيانو؟ طلبت بطاقة مصرفية جديدة واعترض محتالون مكالمتها. عاودوا الاتصال بها وجعلوها تفشي رقم تعريفها السري وبعد ذلك أرسلوا ساعيا إلى منزلها ليأخذ بطاقتها القديمة. قبل أن تدرك الأمر، كانوا قد أفرغوا حسابها تقريبا. آلاف على ما يبدو.

مرت برهة صمت قبل أن يتكلم: «لا ترسل البنوك أبدا ساعة ليأخذوا البطاقات القديمة».

- نعرف هذا، نعم. هذا فقط يبين كم لا بد أنهم كانوا مقنعين. أليسون تقول حتى الساعة لا يعرفون أنهم متورطون في عملية احتيال، لقد جرى استئجارهم فقط لأداء وظيفة عادية. كاريس المسكينة مذهولة. لقد اتصلتُ بهاما وبابا بالفعل لأحذرهما وينبغي أن تخبر أمك أيضا.

وقفة أخرى، ثم: «لماذا؟»

لقد بدأ يحبطني. «لأن هؤلاء المحتالين يفترسون العجائز بوضوح! كما تعرف، هم أكثر ثقة بالناس منا، وليسوا على ثقة كبيرة في قدرتهم على مواجهة أي تغيير في الإجراءات».

- صحيح.

قلت عابسة: «لا يبدو أنك مهتم جدا بهذا يا برام. أعتقد أننا بحاجة جميعا إلى أن نكون متيقظين فعلا إذا كان المجرمون سينشطون في أولدر رايز».

أطلق تنهيدة متعبة. «بريك يا فاي، كانت كاريس فقط ساذجة قليلا. يعلم الجميع أنك لا تعطين أبدا أرقام التعريف السرية أو كلمات المرور عبر الهاتف. دعينا لا نبالغ في الأمر».

شعرت بموجة من الحنق. رغم أنه لم يكن يتحلّى أبدا بحماس مجتمعي (إلا بالمعنى الكحولي)، إلا أنني كنت واثقة دائما من احترامه ليهودي، لكن الطريقة التي كان يتجاهل بها محنة كاريس المسكينة طريقة وقحة، ومتغطرة تقريبا. «من الواضح أن هذا النوع من الجرائم في حالة صعود. تلقينا كُتِيبًا من الشرطة».

«هل جاءت الشرطة؟» بدا مفزوعا.

- لا، تركوه عند الباب. فيه كل شيء عن المحتالين الحاليين، وكيف يعملون، وكيف يمكنك أن تحمي نفسك.

- يبدو لي أقرب لكتالوج. إذا لم نعرف كيف نحتال على جيراننا من قبل، سنفعلها الآن.

«برام!» مرزمن منذ كان مزعجا إلى هذا الحد. منذ بدأت ترتيباتنا الجديدة، كان -كما أخبرت بولي- طيعًا ملتزمًا. «كيف يمكنك

أن تأخذ هذا كنكتة؟ الضحايا جيراننا، أناس عاديون يشقون في عملهم مثلنا».

- آسف، أنا مشئت قليلا، أنتظر اجتماعا مع نيل. بالطبع لا بد أن نكون متيقظين. قد نكون في قبضة عصابة ما أوكرانية. أو نيجيرية. لا أعرف من هم أعداؤنا الكامنون تحت الأرض هذه الأيام.

كنت قد اكتفيت من هذا. وكان لدي عمل أؤديه أنا نفسي. «على أي حال، سبب اتصالي أن هناك اجتماعا مع ضابطة من الحي في الساعة الثامنة مساء الغد لذا كنت أتساءل إن كان يمكنك البقاء لوقت أطول قليلا مع الولدين بينما أكون هناك؟»

- طبعاً.

أنهيت المكالمة. كان مشغول البال بوضوح، وافترضت أن هناك شيئا يجري في حياته الخاصة. ربما فكرت حتى في إلقاء نظرة عابرة في أرجاء الشقة مساء الجمعة بحثا عن علامات وجود أنثوي. لم أكن بالتأكيد أنوي سؤاله صراحةً لأنه على هذا النحو تتشكل دوامات التعقيد العاطفي، ربما حتى يتشكل إغواء السباحة مع التيار من جديد.

نعم، بالطبع كنت أتمنى لو سألته. أتمنى لو كنت قد طالبت به بالمعرفة.

#VictimFi

@val_shilling أف! أنا لن أنتهي من إنجاز شيء اليوم، أليس كذلك؟

زعق نيل: «برام! يا إلهي! كيف حدث هذا بحق اللعنة؟»

ضبطت نفسي، ووضعت على وجهي التكشيرة التي كان يتوقعها، وليس الالتواء الشاحب الذي رأيته منعكسا على الحائط الزجاجي لمكتبه قبل لحظات.

- أكان هذا في إحدى مناطق العشرين ميلا في الساعة تلك؟ ظننت أنهم لم يطبقوها بعد؟
- لا، كانت خارج المدينة، في الأغلب.
- في الأغلب؟ هكذا يتحدث مجرم متسلسل.

قاربت ردة فعله الإعجاب، وهو ما ذكرني بشيء قالته الموجهة في دورة الوعي بالسرعة التي تلقيتها: «هل ستخبر زملاءك بنفس السرعة لو أنهم أمسكوا بك تقود مخمورا وليس مسرعا أم لا؟ ومع ذلك الحالتان مهددتان للحياة بنفس القدر». ونظرت إلى عينيّ، عينيّ تحديداً.

قال نيل: «إذا كيف هو الحال وأنت غير قادر على القيادة؟»

- تعتاد على الأمر، لقد مرت فترة بالفعل. أنا آسف حقاً لأنني لم أقل شيئاً بشكل أسرع يا زميل. ما أنا بحاجة لمعرفة، هل سيتسبب هذا في مشكلة؟ مهنياً؟

«تقنياً، نعم، مشكلة كبيرة. لكن بما أنه أنت...» وضحك نيل بطريقة غير لائقة بقدر ما كانت ساسكيا ذات لياقة. «يا عبيط. سنكتفي بتخصيص واحد من المتدربين لتوصيلك بالسيارة. حتى متى؟»

- منتصف فبراير. سيكون هذا عظيماً يا نيل، أشكرك. فقط في الأيام التي تكون فيها المسارات بين الزيارات مرهقة قليلاً. أنا سعيد بركوب القطار من البيت وإليه.

- سعيد؟ أنت تمزح، صحيح؟ لم أكن لأركب واحداً من قطارات الركاب تلك ولو دفعت لي. أفضل أن أسير على زلاجات.

قلت موافقاً: «إنها كابوس، تتأخر دائماً. كدت أتأخر عن اجتماع الأسبوع الماضي».

بذرة أخرى ملقاة، لكنني لم أكن بحاجة للقلق لأنه أكثر انشغالا بغناء كلمات أغنية «مخالفة القانون»⁽¹⁸⁾ من أن يلاحظ. لم أشعر قط بكل هذا الامتنان لكون هذا المهرج هو رئيسي المباشر. لم يبق كثير من المديرين على شاكلة ديفيد برينت⁽¹⁹⁾ في عالم الأعمال.

قال متحدياً إياي: «خمس نقاط لو استطعت تحديد اسم الفرقة الموسيقية».

- إيه سي/ دي سي؟

«جوداس بريست». كان سعيداً بالانتصار. «ماذا قالت (في فاي فوفم) إذا؟ عن المنع؟»

كان قد التقاها عدة مرات: حفلات عائلية، عشاءات مع زوجته ربيكا، مشروبات عيد ميلاد في حانة توبرووارز. ذات مرة، عندما كانت فاي متوترة

18 أغنية Breaking the Law للمطربة الإنجليزية إيميلي ساندي صدرت عام 2012. (المترجم)

19 اسم شخصية في مسلسل شهير أنتجته قناة بي بي سي بعنوان المكتب The Office وهو البطل الأساسي، مدير عام لفرع إحدى الشركات التجارية ورئيس معظم شخصيات العمل ومصدر الكوميديا الرئيسي فيه. (المترجم)

قليلاً، وجدتنا ندخن وفحّت في وجهي كأني صبي آثم. رأيت نظرة الخزي على وجه نيل قبل أن تتحول إلى ضحكة.

قلت: «لم أخبرها بعد».

صفر وقال: «حسناً، حظاً طيباً في تلك المسألة. أظن أن هذا سيؤثر على ترتيبات عشة الفراخ الجديدة لكما، أليس كذلك؟»

- ليست عشة فراخ. عش الطائر.

«آسف، عش الطائر. أظن أنها ستقص جناحيك بعض الشيء». وأصدر صوتاً كقوقاة الدجاج، وبدأ مستمتعاً كما لم يبدُ من قبل. «سينموان من جديد. أتعرف أنها كانت على تواصل مع ريببكا؟ حشد الأخوات. أرسلت إليها رابط تلك المدونة الصوتية وهما الآن تغردان معا عندما تستمعان. ما اسمها مرة أخرى؟»

- ذي فيكتيم؟

- تلك هي.

مدونة (ذي فيكتيم) الصوتية وسيلة ترفيه نوعاً ما رخيصة ومروجة للأخبار ازداد مع الوقت هوس فاي وشلتها بها. كل حلقة، ضحية جديدة - دائماً أنثى - تحكي حكايتها الخشنة عن ظلم فظيع ما، شاعرة بالأمان لمعرفتها بعدم وجود أي رأي معارض، أو أي تقرير استقصائي، لا شيء يمكن أن يناقض نسختها من الأحداث. وبدلاً من ذلك، يُدعى المستمعون لاستقاء استنتاجاتهم الخاصة. «بفضل من الله أمضي، شملهم الله بلطفه». هكذا كانت تقول فاي على سبيل التوضيح (كانت تحب الاستماع إلى هذه المدونة وهي تكوي الزي المدرسي للولدين).

قال نيل: «تستمر لساعات. مجرد امرأة واحدة تنتف فراء رجل ما. لا يحدث أبدا أن تكون امرأة ضد امرأة، أليس كذلك؟ وماذا لو لم يكن هذا صحيحا؟ مجرد واحدة تنفس عما بها؟ ألا يجعلها هذا جريمة افتراء وتشهير؟»

«إمم، نعم». قلتها، وفي الحقيقة لم أعد أنصت إليه. لماذا لم يكن هناك مزيد من الأخبار عن ضحاياي أنا؟ كم المدة التي يمكن للناس أن يبقوا فيها فاقدين للوعي قبل أن تتلاشى فرصهم في التعافي؟ أكان الأمر ليغدو أقل كارثية بالنسبة لي لو ماتت الأم والطفلة، وابتعد عني أي خطر متمثل في تعرفهما عليّ، أم أن تتعافيا وتقللا شدة الاتهامات الجنائية التي ستوجه إليّ لو جرى التعرف عليّ؟ (بافتراض أن سائق التويوتا لم يقدم بلاغا - وإذا لم يقدم بالفعل فمن المؤكد أنه قرر ألا يفعل ذلك إطلاقا).

اشطبي هذا، أعرف كيف يبدو. أردتها أن تعيشا، بالطبع أردتها أن تعيشا. لو كنت أعتقد أن حياتي بشكل ما تستحق أكثر من حياتيهما، لما كنت أكتب هذا الآن، كنت لأغدو في مكان ما بعيد عن الأنظار، مكان لا تسري عليه قوانين تسليم المجرمين.

ضائع في مكان بدائي ما حيث الملعونون فقط ينالون متعهم.

«قصة فاي» < 01:09:04

لدهشتي، عندما عدت من اللقاء المجتمعي في منزل ميرل مساء الأربعاء، وجدت برام واقفا في الحديقة الأمامية تحت شجرة الماغوليا التي يقطر منها الماء. كانت هناك بركة مطر كبيرة على أحجار الرصف وبدا غافلاً عن حقيقة أن إحدى قدميه غاصت فيها.

«لماذا تقف خارجا هنا في الظلام؟ هل تقوم بنوبة حراسة خوفا من اللصوص؟ لا أعتقد أننا معرضون لأي خطر بينما ما زالت ضابطة شرطة موجودة في المنطقة على بعد بيتين». لاحظت أنه كان يدخن، وهو ما أجاب سؤالي.

قال: «هل سار الاجتماع على ما يرام؟»

- نعم، كان جيدا فعلا. أعطونا تلك الأقلام الخاصة ذات السائل الذي يمكن للطب الشرعي التعرف عليه لنؤثر بها على كل أشياءنا الثمينة، حتى إذا سُرق واستُردت، يمكنهم إعادتها لنا. سأجعل الولدين يفعلان هذا، سيستمعان به. وسوف نأتي بلافتات جديدة تقول (أيها المجرمون احترسوا: هذه منطقة مخفورة بالشرطة) أو شيئا من هذا القبيل.

«يبدو هذا مفيدا». كان صوته أليّا.

- لم أعرف أنك عدت للتدخين.

لم يرد، وهو ما كان منطقيا إلى حد كبير؛ لم يعد لي الحكم عليه الآن وهو على أي حال واقف في الخارج. الولدان في فراشيهما بالطابق العلوي، وراثتهما سليمة.

- شكرا لبقائك إلى هذا الوقت المتأخر. هل ستدخل؟

«لا، سأنتهي هذه وأرحل». جفل عندما تعالى صوت ميرل وبعض الجارات الأخريات عندما خرجن من المنزل لتوديع ضابطة الشرطة عند البوابة.

قلت: «تبدو قلقا قليلا. ضميرك يعذبك؟» عندما التقت عيوننا، أبقيت تعبري خالياً من التحدي. «أقصد خبرتك السيئة مع القانون في المراهقة. ماذا غير ذلك؟»

اضطرب وجهه بشعور ما لم أستطع تبيينه. «أوه. صحيح».

كان من الشرير إثارة هذا الأمر، إدانة تلميذ لحيازته الحشيش منذ ثلاثين عاما تقريبا. كان سيء الحظ لأنه أتم لتوه عامه الثامن عشر وصار مؤهلاً لمحاكمة الكبار.

أشاح بنظره بعيدا، رمى السيجارة أرضا وركلها إلى أعماق جزء في البركة وكأنه يمحو كل أثر لها. بالطبع فسرْتُ هذا كرمز لرغبة في محو تجاوزات أكبر بكثير من مجرد تدخين مسترق.

قال: «سأنطلق إذا». بدا تعيسا حقا.

قلت لنفسي: لا تهتزي. تذكرني بيت اللعب. لم يتوقف ليفكر كم سيكون هذا تعيسا بالنسبة لك، أليس كذلك؟

لاحظتُ أنه انعطف يسارًا عند بوابتنا، وليس إلى اليمين الذي كان سيؤدي به إلى السير في أعقاب ضابطة الشرطة والمسار الأكثر مباشرة إلى الباريكاد والمتنزه، لكنني لم أتوقف كثيرا عند هذا.

«قصة فاي» < 01:11:33

هل كانت نسوة جادة ترينيتي مهووسات بالسيطرة؟ هل هذا سؤال جاد؟ لأننا نجمعنا سويا كجماعة لمنع الجريمة؟

لا، لا، أعرف أنكم لم تقصدوا الإهانة. دعوني أجب عن سؤالكم بهذه الطريقة: إذا كانت امرأة مهووسة بالسيطرة تنهض من فراشها كل صباح لترتدي ملابسها وتطعم أطفالها (ونفسها أيضا، إذا كانت في حالة نفسية طبيعية) وتُقلهم إلى المدرسة وتتوجه إلى المحطة لتزاحم كي تستقل قطار ركاب إلى فيكتوريا وبعد ذلك قطار أنفاق إلى ويست إند، وإذا كانت -بعد يوم عمل كامل- تعود إلى البيت وتتابع واجبات الأطفال وروتين الحَمَام والفراش (أحيانا وهي ما زالت ترتدي معطفها أصلاً) منتقلة بسلاسة إلى إعداد العشاء وهي تفرغ وتعيد شحن غسالة الأطباق، وبريدها الإلكتروني مفتوح في جهاز الآي باد على النضد أو -من وقت لآخر- تزورها صديقة قريبة مع كأس نبيذ لأنه من الصعب اللقاء في أي وقت آخر، رغم أنها تشترك بجسارة في مجموعات الكتب وجمعية السكان و، نعم، الاجتماعات مع ضباط شرطة الحي، وإذا كانت تنهي المساء بإعداد وجبات غداء الأطفال المعبأة من أجل اليوم التالي وتصنيف المخلفات من أجل إعادة التدوير وتشغيل الغسالة وطلب البقالة عبر الإنترنت أو هدايا

عيد الميلاد أو أي شيء آخر هناك حاجة لوجوده أو استبداله ذلك اليوم؛ وإذا صعدت إلى الفراش مفكرة أن أعظم إنجازاتها ذلك اليوم أنها لم تصرخ في أطفالها، ولم تتجادل مع زملائها، ولم تطلق زوجها...

إذا كان هذا ما تفعله امرأة مهووسة بالسيطرة، إذا نعم، أنا مهووسة بالسيطرة.

برام، ملف وورد

اعتدنا أنا وروج أوزبورن أن نمزح قائلين إنه على غرار عصابة (بينك ليديز) وعصابة (تي-بيردز)⁽²⁰⁾ في جادة ترينيتي يجري كل شيء وفقا لخطوط جندرية. (ينضم الأطفال إلى السيدات، بالطبع، إلا إذا ناسب العكس عصابة الينك ليديز).

كانت فاي تشبه شخصية ساندي في الفيلم تماما، شقراء جميلة ومجدة في عملها. أخلاقية بطريقة جميلة قديمة الطراز. مسيطرة تماما على واجباتها. فشلت في أن أكون مثل شخصية داني بالنسبة لها قبل وقت طويل من انفصالنا، قبل وقت طويل من لحظة الكشف الخاصة بي التي أصابتني كالبرق وأنا وراء عجلة القيادة وسلّمنا جميعا إلى المطهر.

20 إشارة إلى شلة الفتيات Pink Ladies والفتيان T-Birds في فيلم غريس الشهير الذي أنتجته السينما الأمريكية في عام 1978. (المترجم)

ليس الأمر أني كذبت على بولي، لم أكن أنوي بالفعل التورط مع شخص جديد. لديّ جراح قديمة، وأشياء أفضل أفكر فيها، وكل ما إلى ذلك. لكن النوايا أكثر سيولة بعض الشيء مما تعتقد، كما اكتشفتُ، ورغم أني حقاً لم يكن لدي القلب للخوض في مستمتع المواعدة عبر الإنترنت، إلا أنه ما زال لديّ قلب - وأعضاء أخرى في جسدي.

قابلت توبي بالأسلوب القديم، في حانة، حانة مطعمنا المحلي (لا مويت)، حيث كنت أنا وأليسون نحتمي بتوافري الجديد ليلة الجمعة على حساب توافرها هي. دهشت كلتانا من كون المكان قد غدا أكثر حيوية بكثير منذ زيارتنا الأخيرة حتى إنه احتاج الآن إلى حارس ليحفظ النظام.

لم أفلح أنا أو الشخص الجالس إلى جوارى عند البار في لفت انتباه الساقى. قال لي: «عملت قليلاً في شبابي ساقياً، وأتساءل إن كان ينبغي أن أقدم يد العون».

قلت: «لو كنتَ أنثى وأكبر من الأربعين ستكون معتاداً على الانتظار». عندما انسابت الكلمات، لم يكن مقصوداً بها أن تكون على سبيل الإغواء، لكنه ابتسم ابتسامة عريضة كأنه يتفق معها.

«هذا المكان مجنون». له عينان رماديتان، وحاجبان داكنان، متباسط في طريقته، وأصغر مني تقريباً بنفس عدد السنوات التي يكبرني بها برام (من المستحيل ألا أعقد المقارنات، بقدر ما يقر عزمي على تجنبها) وكان انطباعي عنه أن شخص لا يخشى أن يكون صريحاً مباشراً عندما يتطلب الأمر.

قلت: «ليس في سوء تو برووارز» وبعد ذلك، عندما بدا عليه عدم تمييزه لها: «الخسارة الموجودة في الناحية الأخرى من الباريد؟ أنت لا تعيش هنا إذا؟» - لا، أولدر رايز فاخرة قليلا علي.

«فاخرة؟ تجعلها وكأنها بيفرلي هيلز أو شيء من هذا القبيل». كان حديثي القصير يبدو معدًا من قبل لدرجة أنني تابعتة تقريبا وكأني لم أسمعها يقول إنه لا يعيش في المنطقة: بالطريقة التي ترتفع بها أسعار العقارات قد تصبح المنطقة بيفرلي هيلز أخرى. أليس من الفظيخ كم غدونا جميعا مليونيرات بغتة؟ لا يفهم الناس كم نحس أننا واقعون في الفخ! بالإضافة إلى أنه فجأة ظهرت كل هذه الجرائم. هل سيؤثر هذا على أسعار المساكن في رأيك؟

لكنني أمسكت نفسي، على أي حال، كان يتجاوز حديث العقارات كله ليسأل: «أنت هنا مع زوجك، أليس كذلك؟»

«لا. نحن نسير في إجراءات الطلاق». قلتها بمرح من يجب عليه تعود أن يقولها. «وأنت؟»

- أنهيت المشوار. منذ بضع سنين الآن.

قالها بهذا الاقتضاب. لكن الطريقة التي نظر بها إلي كانت مشحونة وصلبة. (أهكذا كان برام ينظر الآن إلى النساء الأخريات؟ بل ربما كان ينظر بها قبل...؟ توقفي).

سألني: «أين هو الآن إذا؟ زوجك السابق؟»

- ما زال في المنطقة. نتشارك منزلا في الحقيقة. لدينا ولدان.

- إذا انفصلتما لكنكما ما زلتما تعيشان معا؟ كيف يسير هذا الأمر؟

هزرت كتفي. «إنه ترتيب غير معتاد. لن أدخل في التفاصيل».

- لا، أنا مهتم.

«ليس عليك أن تقول هذا. أطفال الآخرين، هل هناك شيء أقل إثارة للاهتمام؟ أوه، كأسان موخيتو من فضلك!» قبل أن أولي ظهري للساق، كان صديقي الجديد قد أخرج هاتفه.

«لم لا أتصل بك في وقت ما». ليس سؤالاً. وبطريقة ما، ذلك ما سبب الشعور المدوخ المبالغ بالرضا، ثقته في نفسه.

أعطيته رقمي وأضفت: «فاي».

- توبي.

لم يكن الأمر محرجاً، كان طبيعياً ولهذا لم أقاومه.

عندما عدت إلى طاولتنا بالكأسين، كانت أليسون تضحك.

قالت: «حسناً، بالتأكيد لديك ذوق خاص».

- كنا نتحدث فقط يا آل.

- لكنه أخذ رقمك!

قلت: «لا أؤكد هذا ولا أنكره. وأنت مخطئة تماماً بشأن ذوقي الخاص. ذلك الرجل بسيط وغير معقد».

قالت: «هكذا الجميع عندما يتحدثون إليهم لدقيقتين فقط، هكذا كان برام ذات مرة، ربها».

قلت: «لم يكن برام قط غير معقد. في الحقيقة كان يتصرف بطريقة غريبة قليلا بالأمس. هل تابعت الكثير من أحواله في أيامه بالمنزل؟»

«لا». وقطبت ملاحظتها. «تعرفين كيف هي أيام نهاية الأسبوع».

تفصلني تعليقات كهذه: لم أعد أقضي عطلات نهاية الأسبوع في البيت، على الأقل ليس حتى بعد ظهر الأحد، لأننا اخترنا أن نفعل الأشياء بطريقة مختلفة عن بقية الناس. نعم، كان أصدقاؤنا داعمين، لكن كان هناك عنصر من المشهدية في آلية الموضوع، كأنهم يتفرجون علينا من المقصورات، أي عرض للإخلاص مؤقت.

«مشاكل تسنين بسبب ترتيبات عش الطائر؟» هكذا أشارت ساخرة في اللحظة المناسبة.

- لا أعتقد أن الأمر كان كذلك. لا أعرف ماذا كان.

تبادلنا النظرات وشعرتُ بما هو آت.

- إذا اسمعي، لم نتحدث فعليا حول كيف سيسير هذا الأمر.

راقبتها وهي تُقلِّب شرابها بالشفاطة، وتمنيت ألا يكون برام غارقا في الشراب أثناء نوبته بالمنزل.

توقفي عن التفكير فيه!

«مثلاً، هل يمكنني أن أدعوكما أنتما الاثنين إلى نفس المناسبة؟ أقصد، لن أكون فظة إلى هذه الدرجة». وأضافت متعجلة: «لكن ماذا عن المناسبات التي دعوتكما إليها أنتما الاثنين بالفعل؟»

قلت: «أليسون، قلت لك من قبل... ليس عليك أن تنتقي جانباً. يمكنك دعوة من تشائين لما تشائين ولن أكون إلا مهذبة مع كل من يعينهم الأمر».

قالت: «آسفة، لكن لا يمكن أن يكون هناك شخص غفور هكذا»

- لست غفورة، أنا فقط أبذل أقصى ما أستطيع كي أتحكم في أثر الأحداث عليّ. إذا كان عليّ أن أقوم بتعديلات في حياتي، فبش ما أكون لو قرر شخص آخر ماهية هذه التعديلات.

تركت عينيّ تنجرفان نحو توبي، الذي كان ما زال واقفاً وحده عند البار وقد نال الآن شراباً. ربما كان لديه موعد مبكر مع إحداهن للعشاء - المكان من اختيارها إذًا، بما أنه وافد جديد على أولدر رايز. موعد عبر الإنترنت، لا شك. وكأنه شعر بتركيز انتباهي عليه، استدار ببطء، ومسحت عيناه المكان دون أن يراني، قبل أن يعود إلى شرابه.

برام، ملف وورد

كنت مع الولدين في سوق الفلاحين صباح الأحد عندما رأيت ويندي لأول مرة. كانت قد مرت تسعة أيام بعد حادثة طريق سيلفر رود ولم تثمر المراجعات المتكررة للمواقع الإلكترونية في مقاهي الإنترنت، وكذلك الجرائد المحلية العديدة المتروكة في القطار، عن أي أخبار أخرى حول الضحيتين. ظللت أتعامل بحالة من القلق الشديد، بينما كنت أنفحص أكشاك الجبن والعسل وشرائح برغر الخنزير البري، وكأنني لم أرَ هذا المنظر من قبل، وكأنني جُردت من مؤهلاتي كابن للطبقة الوسطى. من مواطنتي.

لم أُغرم بها ذلك اليوم. كنت في مزاج مختلف (مزاج أب يحاول أن يتصرف بطريقة طبيعية، ويشعر بطريقة طبيعية، بينما هو يتلفت وراءه متطلعا إلى سيارة الدورية عند الرصيف)، لكنني لاحظتها وهي تلاحظني. اعتادت فاي أن تقول إن جزءاً كبيراً من الانجذاب يحدث ببساطة عندما نعي بأن الشخص الآخر مهتم بنا، بأننا في أعماقنا لم نتطور كثيراً عن ذواتنا في سن المراهقة، تروقنا مغازلة أول رأس تلتفت في طريقنا. بعبارة أخرى، سنقبل أي شخص يقبلنا. صحيح بالطبع. كانت هذه المرأة مهتمة ولو التقت عيوننا منذ أسبوعين ربما كنت سأهتم بها بدوري.

بعد عشر دقائق من الوقوف في طابور من أجل حلوى يدوية مصنوعة من السكاكر المفرقة، عندما نظرت مرة أخرى، كانت قد اختفت. بعد ذلك دار الحديث كله عمن كانت فرقة فمه أقوى وإن كان ينبغي ادخار قطعة من أجل روكي، كلب آل أوزبورن، أم أن هذه ستكون قسوة مع الحيوانات وإذا كانت فعلاً قسوة مع الحيوانات ألا يعني هذا أنها قسوة مع البشر أيضاً، بما أن مسز كارفر في الصف الثالث قالت إن البشر حيوانات أيضاً، وربما ينبغي بهما أن يتصلا بالشرطة ويجعلها تقبض على بابا.

قال هاري: «تسعة تسعة تسعة، عليك أن تتصل».

«لا، تسعة صفر واحد إذا لم تكن حالة طارئة». قالها ليو مصححاً لهاري، بنبرة تفوق أخلاقي كثيراً ما يستخدمها مع أخيه.

«لكنها حالة طارئة. يمكن أن يخنق أحدهم حتى الموت!» والآن بدأ هاري يغني: «بابا سيذهب إلى السجن، بابا سيذهب إلى السجن!» بصوت عالٍ إلى درجة كافية لأن ينظر الناس.

«لا تمزحاً..» قلتها وأنا أحاول جاهداً أن أجعل الأمر كله يبدو مرحاً، على الرغم من رغبتني في أن أنحني على أقرب صفيحة قمامة وأتقيأ الإفطار كله.

«قصة فاي» < 01:18:44

بشكل ما، لم أهتم إن اتصل توبي أم لا. كان الشعور بأني ربما أود النوم معه كافياً، شعور لا تساويه إلا بهجة معرفة أنني حرة في اختيار أي من الخيارين. لم أعد مُحبة ومُعزة ومخلصة لبرام طالما أننا سنعيش سوياً.

بحسب بولي، لقد جرى استغلالي بواسطة زواجي. لقد كدحت وشقيت في ظل شكل من أشغال متلازمة ستوكهولم.

لكنني صرت امرأة حرة الآن - على الأقل هذا ما اعتقدته.

#VictimFi

@Tracey_Harrisuk هاها! متلازمة ستوكهولم!

@crimeaddict @Tracey_Harrisuk هي ليست حرة لو

كانت ما زالت متزوجة قانوناً #justsaying

برام، ملف وورد

أتى يوم الثلاثاء حاملاً مع جلستي نصف المنتظمة مع روج أوزبورن في حانة توبرووارز وتوجهت إلى هناك مباشرة من المحطة، رغم أنه كانت هناك ساعة أخرى قبل أن نلتقي. صار جلياً أني أستطيع التعامل بشكل أفضل مع الثقل الطاحن للشعور بالذنب والشك لو تجنبنا قضاء الوقت وحيداً وقضيت ساعات فراغي من العمل وفي يدي كأس به شراب ما.

استطاع روج بالكاد أن يشرب نصف عدد الأقداح التي شربتها قبل موعد الإغلاق على أساس أنه في منتصف العمر و/ أو تحت سيطرة زوجته، وفي اللحظة التي كان ينهي فيها كأسه الأخير نظرت وراءه ورأيتها مرة أخرى: تلك المرأة التي رأيتها في سوق الفلاحين. كما قلت، كنت قد شربت قليلاً وبدأت أعقد بعض الروابط: الشقة في حوزتي وقد مر، يا إلهي، أحد عشر يوماً منذ الحادث الرهيب وكان ضغطاً كبيراً عليّ أن أكون على عهدي في العمل مع الأولاد وحتى هنا مع روج وأظن أني فكرت في كوني أستحق شيئاً يُغيّب عقلي. (حتى عندئذ لم أستخدم كلمة «مكافأة»).

كانت ترتدي جينزاً ضيقاً وصديريّة وردية ضيقة جداً. كان بمقدورك أن ترى الخطوط العريضة لحالة صدرها، والشكل الذي ينحفر به الشريط المطاطي في جلدها، والبقع الداكنة أسفل ذراعيها - كان الجوارط بالنسبة لآخر سبتمبر، أقرب لآخر الصيف. كان كحلها قد ذاب وربما أحمر شفاهها أيضاً. حتى في سكونها ظلت شفاتها منفرجتين.

«ماذا؟» قلت، بعد أن رأيت روج يراقبني.

غمز وقال: «أنا لا أقول شيئاً يا صاحبي. وأقصد بذلك أني لن أقول شيئاً لآليسون».

- يمكنك أن تقول ما تشاء. أنا وكيل حر.

- حقاً؟

- نعم. مسموح لكلينا بمواعدة أشخاص آخرين، هذا متفق عليه. بشرط ألا يكون هذا في المنزل.

- وهو ما يمنحك، ماذا، خمس ليال كل أسبوع من البحث عن شريكة فراش؟
- أعتقد أن الأمر بهذه السهولة؟

أنقذتني من الإجابة ضحكات تعالت كالرصا ص من جماعة نساء جلسن حول طاولة بالقرب من النافذة. لم تكن المرأة التي وضعت عيني عليها مع هذه الجماعة - هي أصغر سناً، في أوائل إلى منتصف الثلاثينات من عمرها.

تذكر روج: «أوه، قالت أليسون إن جماعة كتاب الأمهات تلتقي هنا. ليس جماعتهن، جماعة منافسة. قد تعتقد أن بإمكانهن حصر هذا النوع من الأمور في المطبخ».

- أعرف. ألم يعد أي شيء مقدساً؟

كان هذا هو المعتاد بيننا نحن الأزواج المخصيين (والذين سيصبحون قريباً أزواجاً سابقين): شوفينية مصطنعة عتيقة الطراز. بنفس الروح، عندما توجه روج نحو الباب وقلت إنني سأبقى لتناول كأس من أجل الطريق، ابتسم لي مكشراً عن أنيابه على طريقة شباب الخمسينيات من القرن العشرين المشاغبين.

اجتزت البار، وبدون سؤال، ابتعت للفتاة كأساً آخر من النبيذ الأبيض الذي كانت تحتسيه. نظرت في عينيها وأبقيت نظرتي ثابتة، نظرة جريئة لكن محترمة. اثنا عشر عاماً من الإخلاص الزوجي (تلكما الزلتان غير محسوبيتين) وبدا كأني أعزب في أوائل الثلاثينات من عمري مرة أخرى. ربما كان الأمر بهذه السهولة، طالما أنني لا أفكر في الحادث المريع، طبعاً.

أخبرتني أن اسمها ويندي وأنها تعيش في بيكنهام، وأنها جاءت إلى أولدر رايز ذلك المساء لتساعد صديقة في دهان مطبخ شقتها الجديدة في إنجلبي كلوز.

- لم تخرج معك الليلة؟
- كانت معي. لكنها عادت إلى البيت. كان يوماً مرهقاً.
- لست مرهقة للغاية إذاً؟

«ليس بعد». لم تُبدِ أية محاولة لإخفاء رغبتها، ومالت مقربة وهي تتكلم. «أكان هذان ولدك في السوق ذلك اليوم؟»



telegram @
yasmeenbook

- نعم. ليو وهاري، عفريتان حقيقيان.
- ظننتهما لطيفين.

لها لهجة جنوب لندن، حيث ثمة «ف» خفيفة في نطقها لصوت «ث» وثمة بحة جذابة في ذلك.

سألتها: «ألديك أطفال؟»

اهتزت إلى الوراء قليلاً. «لا».

لم أبدأ رد فعل تجاه هذا. على أي حال، كانت متلهفة على الاستمرار في الأمر مثلما كنت متلهفاً وبعد نصف ساعة من الثرثرة التافهة، غادرنا المكان. في الشارع، شبكت ذارعها بخفة في ذراعي، في أول اتصال جسدي بيننا. كان من المريح لي أنه حتى في ضيق موقعي استجبتُ كرجل طبيعي.

أذكر أنه لم يكن هناك قمر في السماء تلك الليلة.

عندما وصلنا جادة ترينيتي، جذبت ذراعي وكأنها تدعوني للانعطاف فيه.

قلت: «لماذا تتجهين إلى هذا الاتجاه؟»

- اعتقدت أنك قلت إن هذا هو شارعك.

- لا أنا أقيم في العمارة المطلة على الناحية الأخرى من المنتزه. البناية البيضاء.

«أوه، طيب». اقتربت أكثر وهمست في أذني: «قد الطريق يا سيدي».

- سنسير عبر المنتزه - وإذا لم تكوني خائفة سأتحرش بك.

كانت فاي لتقول إنني ينبغي أن أكون شديد الحذر في إلقاء نكات كهذه في أيامنا هذه، لكن ويندي لم تقل هذا. أتنني فكرة واضحة أنني حر في اختيار نساء مختلفات الآن، وأنهن لا يجب أن يكن من نوعية نساء أولدر رايز؛ بمواضع حساسيتهن المثقفة والاستحقاقية وما بعد النسوية. بوضوح، كانت ما قبل النسوية هي أقصى ما أتمناه. (نكتة). أرسلت الفكرة لفحة من التفاؤل، لفحة عمومية للحظة قبل أن تضيق لتغدو إحساسا غريزيا بأني قد أفلت بذلك الشيء ذلك اليوم. في غضون بضع ساعات سأخفض «الحادث المريع» إلى «موقف» إلى «ذلك الشيء ذلك اليوم»، ولديّ القدح الأخير أو القدحان الأخيران لأشكرهما على ذلك. ولديّ ويندي.

«بناية لطيفة». قالتها عندما وصلنا إلى بيبي ديكو.

قلت لها: «خفزي سقف توقعاتك. إنه مجرد استوديو مستأجر. من نوعية مقر حارس العمارة».

- واو، تجعله يبدو أشبه بجحر.

لم نكد نغلق الباب خلفنا حتى وقعنا على بعضنا البعض، نتبادل القبلات بقوة غير متوقعة، وكانت تجذب ملابسني وتتأوه بما تريدني أن أفعله بها وخطرت ببالي فكرة سريعة خسيصة بأنه كلما قلت جاذبية المرأة كلما مالت على نحو أفضل إلى أن تكون على هذه الشاكلة من الفتيات البذيئات، وهو ما أفلح، أفلح فعلا، وفكرت في الوقت المناسب أن أدفع بعيدا عن مجال رؤيتي تلك الرواية التي تركتها فاي على الطاولة قرب الفراش والتي تصفحتها في الليلة السابقة، متخيلاً نفس الجمل وهي تتدفق في ذهنها وتجعلها تقطب. فكرة أني كان ينبغي أن أفعل ذلك كانت موجعة الآن.

نعم، كان هذا متأخرا كثيرا.

تمتتم ويندي: «أشغلك شيء؟»

- لماذا؟

- تبدو مشتتا قليلا.

- آسف. اسمحي لي أن أوضح كم لدي من تركيز قوي وصلب.

ضحكت. كان بمقدوري أن أرى أنها سعيدة بحضور البديهة (إن كان يمكنك أن تسميها هكذا)، وأنها أرادت أن تجعل من هذا اللقاء شيئا لا يُنسى، وسأيرتها لأنني لم أستطع أن أعلن لها بوضوح أن ما أردته كان شيئا قابلاً للنسيان تماماً.

«قصة فاي» < 01:19:13

أرسلت أليسون إليّ رسالة نصية صباح الأربعاء لم يكن من الممكن إرسالها بسهولة:

- هل أخبرك لو سمعت شيئاً عن برام؟
- أي نوع من الأشياء؟
- شيء غير روتيني.

لم أتوقف للحظة.

- أخبريني.
- أكيد؟
- نعم.
- طيب. اصطحب إحداهن إلى الشقة ليلة أمس، أو هكذا يظن روج.
- امرأة في الحانة.

انتظرت أن أشعر بجرح السكين في الضلوع لكنه لم يأت، أو على الأقل ضرب العظم وارتد عنه مرة أخرى.

- شيء مثير للاهتمام.
- لا تقولي شيئاً وإلا سيعرف المصدر.

تذكرت الرجل الذي كان في مطعم لا مويت.

- لن تخبري روج من أصطحبه إلى الشقة، أليس كذلك؟
 - مستحيل. لست عميلة مزدوجة.
 - من الأفضل لك ألا تكوني، يا ماتا هاري.
 - ماتا هاري كانت عميلة ثلاثية في الحقيقة، أو هكذا زعم الفرنسيون.
- اعتيادي على رؤية أليسون وهي تمسح المخاط من أنف طفل أو تنقط قطرة المضاد الحيوي في أذني كلب جعلني أنسى كم كانت مثقفة. درجة الماجستير التي نالتها من جامعة دَرِم، وعملها كمحاضرة ثلاثة أيام في الأسبوع.
- قولي إن كنت تفضلين ألا تعرفي هذه الأخبار.
 - لا، أريد أن أعرف. أشكرك.
- أليسون صديقة جيدة. الأفضل. عندما أفكر في موقعي الآن، أرى أنني لم يكن بمقدوري النجاة دونها. هي وميرل.

برام، ملف وورد

في الصباح، بعد أن مارسنا الجنس مرة أخرى، ارتدت ويندي ملابسها بسرعة وقبلت قدحا من القهوة. شربته واقفة، وهاتفها في يدها الأخرى - اعتقدت أنها كانت تراجع مواعيد القطارات. شجعني هذا على أن أمل في أنها ستغادر قبلي، وبهذا أنفادي حرج السير معها عبر أولدر رايز أو حتى مصادفة فاي عند المحطة. نستقل أنا وفاي القطارات من رصيفين متقابلين ويمكنني تخيل وجهها عبر المسارات عندما ترى هذه المرأة تعانقني وتقبلني وهي تهمس وتقهقه، مظهرة علاقتنا الحميمة.

ذُكِّرت نفسي بأني رجل حر، مثلما أخبرت روج.

حر طالما أُنِي لا أفكر في الشيء (ما زال «الشيء»، ولم يتحول إلى «المرجع»). وبينما كنت جالسا هناك عند نضد المطبخ إلى جوار ويندي، أذهلني أني لم أعرف بهذه السهولة كيف لم يخطر ذلك على بالي: فقط لا تفكر في الأمر. ليس إنكاراً بقدر ما هو نبذ. فقدان ذاكرة انتقائي.

قالت ويندي متعجبة: «تبدو سعيدا جدا حيال أمر ما على حين غرة». وبينما كانت تضع القدح المستعمل في الحوض، أضافت بطريقة عادية جدا: «لا فكرة لديك، أليس كذلك؟»

قلت: «لا فكرة لديّ عمّ؟»

- أني رأيتك.

«ماذا، في سوق الفلاحين؟ بالطبع أعرف. ناقشنا ذلك ليلة أمس، ألا تذكرين؟ كيف التقت عيوننا من فوق البيض الأسكتلندي المزخرف». تعجبتُ من قدرتي على المزاح.

«ليس هناك...» قالتها وهي تراقبني. «سيلفر رود».

اعترتني برودة تامة، وكأنني دُفَعْتُ من فوق سفينة إلى مياه المحيط الأطلنطي في ديسمبر. «ماذا قلتِ للتو؟»

«قلت سيلفر رود». كانت نظرتها من فوق قدح قهوتها نظرة خبيثة مع ذلك. «رأيت الحادث يا برام».

«أي حادث؟» كان من قبيل المعجزات أني ما زلت مفهوماً، بينما أعضائي الداخلية في حالة احتباس.

«بربك، لا تُبدِ لي ذلك الوجه. هما ما زالتا في العناية المركزة، أنا متأكدة أنك تتابع الأخبار وسمعت بتحقيقات الشرطة». ثم، بنفس النبرة الخفيفة، شديدة الخفة لدرجة الشر. «في الحقيقة، كان هناك محقق عندما نزلت قرب المستشفى، لكنني لا أعتقد أنها كانتا في أي حالة تسمح بأن يقابلهما أحد. كلتاها على أجهزة التنفس الصناعي». أضافت، ولم يكن من الممكن تفويت الرياء الظاهر في عبوسها. بل إنه قارب المرح.

استجمعت قواي ببطء، وبدوت أحرق عندما سألتها: «اعتقدت أنك قلت إنك تعيشين في بيكنهام؟»

«صحيح. كنت أزور ابنة عمي. تعيش في منتصف سيلفر رود. نافذة غرفة معيشتها على الشارع مباشرة، لذا كان لديّ مقعد في الصف الأمامي».

كان هناك شعور بوجود أسماك البيرانا الضارية تتقاتل في أعماق مياه الأطلنطي التي سقطت فيها: وكل ما يمكنني فعله ألا أتنسج. «واعتقدت أنك رأيت حادثة من نوع ما، أليس كذلك؟»

قهقهت وقالت: «صياغة لطيفة للكلام. لا بأس، «اعتقدت» أي سمعت تسارعا عاليا مجنوننا ونظرت من النافذة و«اعتقدت» أي رأيت سيارتين تتسابقان وبعد ذلك اصطدمت سيارة فيات بسيارة مصفوفة وتحطمت عندما ارتطمت بمنزل ما. ثم «اعتقدت» أي رأيتك تنطلق مبتعدا في سيارة أودي. سوداء موديل A3. لم ألتقط لوحة التسجيل كاملة لكنني لمحت الحروف الأولى القليلة». تحركت لتراقبني من زاوية جانبية. «أنت رائع المظهر يا برام. أنا متأكدة تماما أن بإمكانك تمييز جانب وجهك من بين صف من الرجال».

ران الصمت بيننا بينما كنت أجاهد كي أسمع أفكارها من وراء صفق دقات قلبي. «مستحيل أن تتمكني من تمييز شخص من المسافة التي تصفينها». أخيراً قلت، لكنني كنت واقعا في الفخ فعلا وحقا. هل تتبععتني إلى البيت ذلك المساء؟ درست وجهي عندما خرجتُ من السيارة وهرولتُ إلى بابي الأمامي؟ التقطت صورا لي كأي مترصد؟ من الواضح أن لقاءنا في الخمار لم يكن من قبيل المصادفة. صديقتها المقيمة في إنجلترا كلوز والتي كانت معها، هل هي موجودة أصلا؟ «ابنة عمك المقيمة في سيلفر رود، هل رأيت ذلك أيضا؟»

«لا، كانت في غرفة أخرى. لا تقلق، لم أخبرها أنني رأيتك».

لا تقلق؟ «لماذا ذهبتِ إلى المستشفى؟»

- مهمة فقط. أنت تعرف كيف هو الحال، أنت تنجذب فقط إلى هناك.

كما كنت. «هل... هل تحدثتِ إلى المحقق الذي رأيته؟»

لو تحدثت إليه، فلعل تأخيرا ما حدث في اعتقالي لأن السيارة كانت مسجلة على جادة ترينيتي. ربما أنت الشرطة عندما لم يكن هناك أحد في البيت. راودتني صورة شديدة الوضوح لي وأنا أفر، وأنا أغادر الشقة حالا وأشق طريقي إلى مطار هيثرو.

عندما هزت رأسها، استرحت قليلا، واستدعيت بجاجة برام القديم. «حسنا يا ويندي، إذا يبدو أننا مذنبان بالأمر نفسه. كلانا لم يبلغ عن أمر نعلم أننا ربما كان يجب أن نبلغ عنه».

احتدت ملاحظها فجأة. «أوه، لا أعتقد أننا مذبذبان بالأمر نفسه على الإطلاق يا برام. لم تكن قيادتي الخطرة هي ما وضعت شخصين على أجهزة الحفاظ على الحياة».

انهالت كلماتها عليّ بطريقة وحشية كجلمود صخر ومع ذلك كانت ويندي هادئة جداً، بشكل غير طبيعي. إذا كانت تعتقد حقاً أنني قادر على فعل عنيف كهذا، لماذا لم تكن خائفة من أنني قد أمجم عليها هنا؟ قلت في عقلي: لا بد أنها أرسلت رسالة نصية إلى أحدهم بالعنوان.

صرت واعياً بغضب وحشي متسارع يحل محل الخوف، بقفزة خطيرة في درجة حرارة الجسد. «بما أنه يبدو أنك تتذكرين بوضوح شديد ما حدث، لماذا لا تتعقبين السائق الآخر، الوغد الذي تسبب فعلاً في الحادث؟»

قالت: «أوه، كُفّ عن هذا. كنت أنت من يقود في الحارة الخطأ».

- فقط لأنه لم يدعني أعود إلى الحارة الصحيحة! لو لم تنحرف الفيات، لاصطدمنا بجنون وامتنا جميعاً.
- لم يكن ينبغي بك أن تحاول تخطيه. كنت مسرعاً عندما حاولت أن تلتف من ورائه، لا يمكنك أن تنكر هذا.

لم أقل شيئاً.

- إذا أنت من تسببت في التصادم؟ هيا يا برام، أنا كنت هناك.
 - بالطبع فعلت هذا بحق اللعنة. قلت لك لم يكن لدي أي خيار! بسببه!
- كان اعترافاً بالذنب وبادرتُ إلى خنقه بأداء عدواني: «أود أن أعرف لماذا لا تجدينه وتقذفي هذا الخراء عليه بعد عشر دقائق من خروجك من فراشه».

«ربما سأفعل ذلك». قالتها، بطريقة مدعنة، وأنزلت قدح قهوتها.

قالت: سأفعل، ولم تقل فعلت بالفعل. كان من السهل الجدل بأني وصاحب التويوتا متساويان في الخطأ، لكنني كنت من جرى تحديد سيارته تقريبا في التقارير الإخبارية.

كان واضحا أنها تُعدني لنوع ما من الابتزاز.

دارت من حولي ومدت يدها نحو سترتها، قطعة رخيصة من قماش الجينز كانت قد ألقتهأ على مقعد ذي ذراعين ليلة أمس. تذكرتُ امتصاص فمها المؤلم لممي. قالت: «لذا فكرتُ أننا قد نقوم بصفقة».

كما شككتُ. «حسنا، آسف لو خييت أملك يا ويندي، لكنني لا أملك أي مال لأعقد به صفقات. بجد، أنا مفلس. يمكنني أن أقدم لك آخر كشف حساب بنكي لو تحبين؟»

هزت رأسها، وعلى شفيتها ابتسامة كالحة: «بربك، لديك ذلك المنزل الكبير في جادة ترينيتي».

تذكرت الطريقة التي جذبتني بها في اتجاهه في الليلة السابقة. لا بد أنها تتبععتني مساء الحادث. لم أشك في هذه الحركة، كنت أفكر فقط في أخذها إلى السرير، معتقدا أنها تلك الشريكة البسيطة المتحررة من القيود التي كنت أحتاجها تحديدا لقضاء الليلة.

استمرت بجرأة: «يمكنك أن تقدم هذا المكان أيضا. هذا يعني عقارين في تلك المنطقة الفاخرة. لديك سيولة مالية بوضوح».

«لا أملك شيئاً، أقول لك. أنا أسير في إجراءات طلاق». ليس صحيحاً تقنياً - بعد - لكن ماذا يهم ذلك؟

«حتى لو...» في حركة مفاجئة، وضعت أصابع دافنة على رسغي فجفلتُ.

- لا تلمسيني!

«مرحى، لا تتصرف بهذه الطريقة». سحبت يدها، وساوت بها شعرها، ولمست فمها، وكأن لديها كل ما في الدنيا من وقت لتُذكرني بنقاط ضعفي. «بما أننا ستتورط لبعض الوقت، فربما يجدر بنا كذلك أن نحظى ببعض المتعة من وراء ذلك. استمتعتُ فعلاً بليلة الأمس. واعتقدت أنك استمتعت أيضاً».

لم أعرف كيف يجب أن أرد. لو كان هدفها من البداية أن تبتز المال، لا يمكنني أن أفهم السبب في اضطرارها للنوم معي. لم تكن هناك حاجة لمصيدة العسل، كان يمكنها توصيل رسالتها الجبارة في الخمار. «أريدك أن ترحلي يا ويندي. هل هذا اسمك الحقيقي حتى؟»

- واو، أنت مريض بالبارانويا.

- ما اسم الشركة التي تعملين لصالحها؟ قلتُ إنك تعملين في خدمات التنظيف التجارية؟ أي قسم تعملين فيه؟

«لماذا» وضحكت. «هل ستشكو لمديري؟»

كانت تعلم تمام العلم أنني لا أستطيع الشكوى لأحد. لم يكن بمقدوري أن أنفوه بكلمة لإنسان عن هذه الواقعة الصغيرة القادرة.

قالت متهكمة: «هل ستخبره أني لم أبلغ عن جريمة؟ ربما لم أدرك أنها خطيرة حتى قرأت عنها في الصحف؟ ربما فقط عندما رأيتك في الحانة ليلة أمس حركت ذكرى الفعل: اضرب واهرب؟»

قاطعتها: «لم تكن الحادثة بمنطق اضرب واهرب».

- تقريبا. بعض الشيء.
- لا، كانت حادثة، وهذا كل شيء.

هذا كل شيء. أفزعتنا الكلمات معا وساد صمت قصير، لحظة من الصدق المشترك، بل وربما لحظة خزي.

قلت: «أيا من تكونين، وأيا ما تعتقدين أنت مخطئة أنك رأيتك، فقد وقعت على الرجل الخطأ. من فضلك لا تتصلي بي مرة أخرى أبدا».

أي ثقة اكتسبتها أو عبرت عنها بهذا الاستعراض الصغير الحاسم كانت قصيرة العمر، لأن النظرة التي منحتها لي وهي تغادر الشقة كانت مليئة بأسف مبالغ فيه: «آسفة يا برام، لن تخرج من هذه الورطة بهذه السهولة».



«قصة فاي» < 01:20:33

هل جعلني سماع أمر علاقته بامرأة جديدة أشعر بالحنين للطريقة التي كان الحال عليها بيننا في البدايات؟

سيكون عليكم أن تسامحوني، لكنني أفضل ألا أفكر في ذلك الآن، «ما قبل». ما قبل الأولاد، ما قبل المنزل، ما قبل حياتنا في أولدر رايز. الجزء الذي يسمونه السقوط في الحب، رغم أن أحدا لا يسقط بالفعل أبدا، أليس كذلك؟ في الواقع، يسعى نصفنا ويصل ويصعد، أما النصف الآخر فيقف ساكنا مستسلما ببساطة.

أقول هذا، أنا الواقعية كما يجب أن يكون، لكن بعد ذلك تطفو على السطح صورة قبل أن أتمكن من إيقافها، صورة تتحدى المذهب التشاؤمي وتقنعني أننا كنا الاستثناء: نحن الاثنين في حانة مزدحمة بمنطقة ويست إند - موعدا الأول - وعينا كل واحد مفتونتان بالآخر حتى إنهما لا تحيدان لتنظرا إلى مئات الوجوه الأخرى، أو لقطة جوية لسيارة تنطلق بسرعة عبر الريف الإنجليزي الزمردى - أول إجازة لنا معا - أسرع من اللازم ومع ذلك لا تصل أبدا إلى السرعة الكافية.

لستم بحاجة للإشارة إلى المفارقة في ذلك. حقيقة أنها كانت السرعة، اندفاعة التهور، تلك التي جعلتني مدمنة. الإحساس بتصادم الأرواح.

هناك صورة أخرى من البدايات، صورة أكثر إيلاما: امرأة تتشقلب بحركة الساقية الجانبية على شاطئ في كاليفورنيا، وشعرها الطويل يلمس الرمال. زوجة جديدة، تزوجت بعد أقل من عام على معرفتها به، وتعتدل لتجد زوجها يفك أزرار قميصه، محدقا في البحر، وكأنه ينوي أن يسبح ويسبح، تاركا عهوده على الشاطئ مع ملابسه.

شيء جنوني، فعلا، أن يبلغ الخيال أصلا حد أن زوجة وأطفالاً يمكن أن يكونوا شيئا غير قيود وأصفاد لرجل مثل برام.

برام، ملف وورد

هذه الظهيرة اقتربتُ كثيرا. كدت أن أفعلها، رغم أنني بدأت بالكاد قصتي وقد ألزمت نفسي بحكيها كاملة قبل أن أفعل. لكن المرء ينسى كيف وقع في الكمين على يد الموسيقى هنا، لأن محطات الإذاعة تحب شعورها بالحنين وهناك دائما احتمال بأن تثير أغنية قديمة ذكريات لا يريد المرء لها أن تثار. أغاني كانت «لنا» بعد أن لم يعد هناك أي شيء «لنا». وكانوا يذيعون تلك الأغنية: «بيغ سور»⁽²¹⁾ التي حققت نجاحا ساحقا عندما بدأنا أنا وفاي في الخروج معا. ربما عُزفت في حفل زفافنا، لا أذكر، لكننا قضينا شهر العسل في كاليفورنيا وذهبنا بالسيارة إلى منطقة (بيغ سور) لنرى الشريط الساحلي الشهير بعيوننا. بينما أستمع إلى الأغنية، يمكنني أن أتصور نفسي بوضوح شديد على حافة الجرف الصخري، والمحيط الهادي هائج وهادر بالأسفل، مستعد لأن يُغرق ما يزيد مليون مرة عن ألم ماضي. وفكرت، بما أن الأمر كله كان بلا معنى تماما، لماذا أكلف نفسي مشقة ترك شهادتي ورائي؟ لماذا لا أعود

إلى حجرتي الصغيرة البائسة وأنهى حياتي فوراً، وأدع روايتي من الأحداث
تموت معي؟ وأنا جالس هناك، أحسست بأصابع قدمي ترتعش في حذائي،
شعرت بباطن قدمي يهتز إلى الأمام.

اقفز يا برام.

الجمعة، 13 يناير 2017

لندن، 2 مساء

ديفيد زوج لوسي رجل صلب شاحب البشرة في حوالي الأربعين، طاقاته القيادية ظاهرة منذ اللحظة التي دخل فيها المنزل، سمته كرجل صاحب ملكية. ما إن أقنع ميرل بالعدول عن الاتصال بالشرطة حتى أجرى الاتصالات التي اعتقد بوضوح أن لوسي كان ينبغي أن تجربها في اللحظة التي صار فيها جلياً أن ادعاءات بكارثة قانونية -وربما مالية- قد وقعت. وإذا كان قد أغضبه أنه لا محاميه ولا وكيله العقاري كانا متاحين، فهو لم يُظهر ذلك. قال إن زملاء الاثنين اقترحاً نظرية «سوء الفهم الغريب» ووعدوا بردود عاجلة على المكالمات.

قال لفاي: «حسنًا، هذه ظروف عجيبة للقاء». ورغم أن حديثه مطمئن النفس، إلا أنه نظر إليها بحيرة، بل وبحذر.

«هي كذلك». تقولها دون أن تبتسم. من الملاحظ كيف أن وجود ميرل منحها القوة.

«السيدة لاوسون أكثر هدوءًا قليلًا الآن..» تقولها له لوسي، وكأنها تبرر سلوك فاي البائس. «ثمة رعب كان حول مكان وجود ابنيها، لكننا اكتشفنا للتو أنها بخير».

تلك هي الفرضية الناجعة إذا: الخطأ في تأويل فاي للأحداث وليس في الأحداث ذاتها. ليست على اطلاع بالترتيبات، إنها مرتبكة. وكما تبين فيما يتعلق بالولدين، سيتبين الأمر كذلك مع المنزل - وبرام ليس هنا ليدعمها.

لكن ميرل موجودة. تقول: «كان ينبغي أن يقوم برام بإبلاغ فاي أنه سيجعل الولدين يغيان عن المدرسة. أي أم كانت لتصاب بانهيار عصبي لو اكتشفت هذا». ترمق لوسي بصرامة، وكأنها ينبغي أن تحجل من نفسها تماما. «أظن أنه لا أطفال لديك؟»

تقول لوسي: «ليس بعد».

«إذا سيكون عليك أن تضعي كلامي في اعتبارك؛ لا توجد فكرة أكثر رعباً من ضياعهم. والآن، أنا واثقة أن فاي ممتنة جداً للمساعدة التي قدمتها لها في تعقب أثرهما، لكن يبدو أن لدينا لغزاً آخر يواجهنا، أليس كذلك؟» تتوهج بقوة، لم تكن قط أكثر كاريزمية مما هي الآن، ولوسي تحديق إليها مذهولة. «من الواضح أنكما تفهمان أن فاي تشكك في هذا الزعم حول المنزل وتود منكما أن تغادراه. اقترحي أن تفعل ذلك بينما نحدد مكان برام وكل الأوراق التي تثبت أنه وفاي المالكان، وبعد ذلك يمكننا ترتيب لقاء لمناقشة هذا بشكل رسمي، ربما يوم الإثنين في مكتب محاميكما؟ فيما يتعلق ب...»

«مهلاً قليلاً..» يقاطعها ديفيد بحدة، كاسراً سيطرة ميرل: «لن نذهب إلى أي مكان. يبيع هذا المنزل لنا حقاً وصدقاً».

تقول ميرل: «أعتقد أنكما ستكتشفان أن هذا لم يحدث».

«ولكن لدينا كل الإثباتات بأن احتمال البيع حدث هذا الصباح». يلوح بهاتفه ويبدأ في البحث عن الرسائل الإلكترونية ذات الصلة، تماماً كما فعلت لوسي من قبل.

«لا بد أنها مزورة». تقولها ميرل تماماً كما فعلت فاي. «لا تنقر على أي روابط، اتفقنا؟ يمكنها أن تطلق فيروسات طروادية».

«فيروسات طروادية؟ عم تتحدثين بحق السماء؟ انظري...» عندما يناولها ديفيد هاتفه، تتفحص ميرل الهاتف بارتياح قبل أن تمرره لفاي. رغم أن رسالتين منهما كانتا من (بينيت وستافورد وشركاهما) وقد شاركتها لوسي بالفعل، ثمة رسالة ثالثة من محامي نقل ملكية آخر اسمه جراهام جنسون في مكتب (ديكسون بويل وشركاه) في منطقة كريستال بالاس، يؤكد فيها استلام الأموال من حساب العميل الخاص بإيما جيلكرايست. رسالة بتاريخ 13 يناير وأُرسلت قبل الحادية عشرة صباحاً بالضبط.

«ديكسون بويل هم محامو آل لاوسون...» يقولها ديفيد لميرل، ويبدأ شعور حارق في الانتشار داخل صدر فاي.

ومع ذلك تظل ميرل هادئة. تقول له مصححة: «آل لاوسون بين علامتي تنصيص. وأنا لا أرى أي دليل على نقل السندات». أسلوبها احترافي، وكأن اللقاء مرصود لأغراض رسمية وفي أي وقت ستفشل في نفي تأكيد من مزاعم ديفيد، سيدخل ذلك في السجل كحقيقة.

يقول ديفيد: «كل هذا يجري إلكترونياً. ربما قد يكون من المفيد أن تراجع حسابك المصرفي؟» هكذا يقترح على فاي.

«إذا كانت لا تعرف أي شيء عن البيع، فاحتمال أن تتلقى المال احتمال صعب». تشير ميرل بطريقة لا تخلو من ازدراء.

«طبعاً، لكن فقط لعل وعسى. سنعرف إن كانت العملية قد حدثت بالقطع، حتى لو أنها...» ويتلعثم.

يقصد: لو أنها نسيت. تلك النوبة المزمنة من فقدان الذاكرة التي تعاني منها. لكن عندما ترى إيداعاً ضخماً غير معتاد وسط مديونيات تذاكر القطار والبقالة وأحذية المدرسة ستذكر: أوه، نعم، لقد بعث بيت أطفالي.

يخرج جهاز آي باد من مكان ما، ويجري العثور على الموقع الإلكتروني لمصرفها، وكل ما يمكنها أن تفعله هو أن تتذكر اسمها التعريفي كعميلة ورقم تعريفها الشخصي. أخيراً، مع ضغط ديفيد عليها، تتخطى الإجراءات الأمنية.

- هل وجدت شيئاً؟

«لا». حسابها الشخصي وحسابها المشترك مع برام كلاهما لم يُمسّا.

يصر ديفيد: «لديه حساب خاص كذلك، أليس كذلك؟»

- نعم، لكنني لا أعرف كلمة المرور له. وهاتفه خارج الخدمة.

تقوم ميرل بمحاولة جديدة للإمساك بزمام الأمور: «كما أقول منذ وصلت، نحن بحاجة إلى أن نأتي بالشرطة إلى هنا. إذا كان هاتف برام خارج الخدمة، فلا بد أن هناك شيئاً خاطئاً».

يقول ديفيد: «يمكن أن يكون الهاتف مغلقاً لأي سبب من الأسباب».

«نعم». يتنقل انتباه ميرل بين آل فون وفاي. «لكن بما أن السيدة لاوسون لا تعرف أي شيء عن هذا، ألا تعتقد أن هناك احتمالاً بأن السيد لاوسون لا يعرف شيئاً أيضاً؟ ربما سُرقت هويته على أيدي بعض رجال العصابات يا فاي. ربما اكتشف أمرهم بطريقة ما و، لا أعرف، انتقموا».

«رجال عصابات؟» تكررهما فاي، وثمة صدمة جديدة أعمق تصيبها.
«انتقموا؟»

- نعم، ربما اختطفوه أو ما إلى ذلك. ربما عرف أنه في خطر ولذلك رتب لإبقاء الولدين عند أمه بينما كنت بعيداً؟ ربما أشرك الشرطة بالفعل وأنت تحت حمايتها دون أن تعرفي؟

يقول ديفيد: «يبدو هذا ميلودرامياً بعض الشيء. لا يمكنك أن تمضي هكذا متحلة شخصية آخرين لكي تبيعي ممتلكاتهم. ستحتاجين إلى جوازات سفر وشهادات ميلاد وأوراق ملكية سليمة. ويجري فحص الأموال التي تصل إلى هذا الحجم خوفاً من غسيل الأموال - هناك كل أنواع التحديات للمرور منها. أعرف ذلك لأننا فعلنا ذلك للتو».

تقول ميرل: «حتى مع ذلك، لا يمكنني التفكير في أي تفسير أفضل. أيمكنك أنت؟»

يسود صمت في الغرفة، إحساس جماعي بانحباس الأنفاس. يرمق ديفيد زوجته، غير مستعد بعد لقول ما لا يمكن قوله. تشعر فاي بأن وجهها يتقلص بينما تجاهد لمنع نفسها من البكاء.

أخيراً تقول لوسي: «إذا كان ما تقولينه صحيحاً، فهذا شيء مرعب».

توافقها ميرل: «هو مرعب فعلاً». ثم تلتفت إلى فاي وكأنها تشير إلى أنه رغم أن آل فون قد يكون لديهما إسهام مثير للاهتمام يقدمانه، إلا أن فاي هي الوحيدة المهمة. «إذا كنت تريدني رأيي يا فاي، نحن بحاجة إلى الإبلاغ عن سرقة هوية».

تومى فاي برأسها.

- نحن بحاجة للإبلاغ عن اختفاء برام. اختفاؤه وأنه في خطر.

جنيف، 3 مساء

عندما يغادر المطعم، بعد أن لم يصنع النيذ شيئاً لتخفيف ثورة الأعصاب في جوفه، يشعر بالقلق من وجود رجل يقف قريباً من أضرار المصعد، تميل رأسه مستفهمة بينما يراقب اقتراب برام. رجل في أوائل الثلاثينيات من عمره، فارغ الطول، خشن البشرة، يرتدي بدلة رمادية داكنة وحذاء جيد التلميع. مسافر في عمل، أم شرطي لا يرتدي زيهِ الرسمي؟ أم فرد مهتم من الجمهور رأى نداء الإنتربول الذي يضم صورة برام؟

يفكر برام في الانطلاق كالسهم عبر الأبواب إلى الدَرَج، لكنه يقاوم. لا، اهدأ، تصرف بطريقة عادية. نداء الإنتربول؟ يبدأ الأمر بالدفاع عن النفس وبعد ذلك تأتي أوهام العظيمة. لا يختلف الأمر عن مهنة المبيعات التي تركها وراءه، نجاته مسألة تتعلق بخدعة الثقة، وأكثر شخص يحتاج لخداعه هو نفسه.

رغم ذلك، عندما يعمل المصعد بشكل طبيعي، لا تُنطق كلمة واحدة بين راكبيه ويخرج برام بأمان في الطابق الأرضي، ويشعر بارتياح طاغٍ.

رغم ذلك، عندما ينسل إلى داخل صيدلية في طريق عودته إلى الفندق، باحثاً في صفوف المعروضات عن مقص جيد، يلقي نظرة وراءه أكثر من مرة قبل أن يحسم اختياره ويدفع الثمن.

برام، ملف وورد

طوال الأربع والعشرين ساعة التالية، لم أسمع شيئاً من ويندي وتساءلت إن كنت قد تخيلت ما قالته. ما قلته. ربما هي غادرت قبل أن أستيقظ وتبادلتُ ذلك الحوار في المطبخ الصغير مع طيف - يعلم المولى أن بيني وبين ماكبث رجالاً لا حصر لهم أصابهم الخبال نتيجة شعورهم بالذنب لدرجة أن يمنحوا ضميرهم صوتاً ويخلطوا بينه وبين القصاص.

الأفضل من ذلك حتى أي ربما لم أقابلها قط، أنها لم توجد! لكن لا، كان ذلك فعلاً أملاً كاذباً. في الصباح جاءت رسالة نصية من روج، يتساءل: ليلة طيبة؟ وأكملها بنص فرعي لوجه يغمز بعينه كأنه يقول: «يا ابن المحظوظة!» لا شك أنه أخبر أليسون أي اصطدت امرأة. وبالقطع أخبرت امرأته فاي. لكن فاي كانت آخر ما يقلقني في هذه اللحظة.

رددت عليه برسالة نصية تقول: «لم يحدث شيء». وبلا وجوه تعبيرية.

لم أقرب من السيارة - قبل هذه اللحظة لم يعد باستطاعتي حتى أن أنظر إليها - وبينما كنت أستقل القطار ذهاباً وإياباً من العمل، لم أتوقف عن توجيه السباب لنفسي لأنني لم أظل على الرصيف صباح ذلك المؤتمر وتحملت قرف تأخر القطار. ماذا كان ليغني البدء متأخراً أو حتى عدم تقديم العرض أو خسارة الوظيفة مقارنةً بهذا الجحيم من البؤس؟

ثم، في مساء الجمعة، أتت رسالة نصية منها. لم أكن واعياً بأنني أعطيتها رقم هاتفي، لكن من الواضح أنها حصلت عليه. من السهل للغاية معرفته

عن طريق الاتصال بمكتبي، كما افترضتُ، أو حتى التلصص بينما كنت نائماً. احتوت الرسالة رابطاً لقصة على موقع كرويدون الإخباري:

عرض مكافأة في البحث عن سائق حادث سيلفر رود

مكافأة قدرها 10,000 جنيه استرليني عرضها زوج ضحية حادث سيلفر رود، وهي امرأة في الثانية والأربعين من عمرها تتعافى من إصابات حرجة تعرضت لها في حادث التصادم الذي وقع يوم الجمعة 16 سبتمبر. أصيبت أيضاً ابنة الزوجين ذات العشرة أعوام إصابات جسيمة في الحادث.

لم تكشف الشرطة بعد عن هوية الطرف الآخر في حادث التصادم وهي متلهفة لسماع أقوال سائقي السيارات والمارة في المنطقة حوالي الساعة السادسة مساءً؛ وقت الحادث.

قال متحدث باسم العائلة: «تعرض شخصان بريئان لإصابات شديدة نتيجة لتصرف جبان وبارد وسنفعل كل ما وسعنا لمساعدة الشرطة في العثور على المجرم».

مكافأة قدرها 10,000 جنيه استرليني، يا إلهي! مكافأة لمن يأتي برأسي. أو -بعد كأس من البيرة وسيجارة وتفكير- لعل هذا الإعلان عن المكافأة تطور مفيد؟ أليس من الممكن أن يجلب شهوداً غير موثوق بهم ودجالين وسط الحشد، وهو ما سيهدر وقت الشرطة؟

بينما كنت أقرأ الموضوع مرة ثانية، باحثاً في كل كلمة عن معنى جديد، انقبضت معدتي. لم يكن المال -وهو مبلغ توقعت ويندي بوضوح مني أن أزيده في تعويضها- لكن كلمة واحدة مدفونة في الفقرة الأولى: «تتعافى».

بدا وكأن سائقة الفيات قد عادت إلى وعيها الآن وحالتها تتحسن. بدا وكأنها الآن في حالة مناسبة لأن تستجوبها الشرطة.

لم أرد على ويندي. لم أكن لأرد عليها حتى لو لم أفقد قدرتي على استخدام يديّ بعد أن اعترتها رجفة لا سبيل للتحكم فيها.

«قصة فاي» < 01:21:40

إذا كنت سأقول إنه ربما لم تمر إلا بضعة أيام قبل أن يعاود الرجل الذي قابلته في مطعم لا مويث الاتصال، داعياً إيائي إلى تناول شراب معه يوم الجمعة التالي. اقترحتُ حانة في حي بلهام، مسافة ملفتة لكلينا لكنها مسافة آمنة إلى حد كاف عن مجالي الحيوي كي أتجنب أي ثرثرة من الجيران تضيع الحكاية. لم يقلق برام في هذا الشأن، بل انتقط إحداهن بوقاحة في أشهر خمار في أولدررايز، لكنني أملك معايير مختلفة.

كانت العودة إلى اللعبة يسيرة على نحو مدهش. وكان توبي بالفعل رفيقا طيباً لا يستلزم جهداً كبيراً. حكيت له عن عملي في مجال الأدوات المنزلية وتحدث هو عن عمله محللاً للبيانات في بيت خبرة متعاقد مع وزارة النقل.

قلت ضاحكة: «ليست دراسة لمتجاوزي السرعة العتيدين، أليس كذلك؟ لو هذا هو الحال، قد ترغب في مقابلة زوجي السابق. لقد نال ثلاث مخالفات في الشهور الثمانية عشر الماضية».

ابتسم توبي لي ابتسامة عريضة وقال: «نحن مهتمون بالعكس تماماً: لماذا انخفض متوسط السرعة للرحلة عبر وسط لندن بهذا الشكل الفاجع. أتعرفين أنه هبط إلى قرابة الثمانية ميل في الساعة؟ يتفق الجميع على أن رسوم

الازدحام لم تعد مؤثرة على الإطلاق، لذا نعمل مع شركة كبيرة للاستشارات الهندسية كي نصيغ معاً استراتيجية جديدة».

«أظن السبب في كل ذلك سيارات الشحن البيضاء؟» كنت أعرف من عملي أن الناس يتوقعون استلام طلباتهم في نفس اليوم أو في اليوم التالي حتى في أرخص وأصغر الأشياء.

«جزئياً». ووصف لي مراقبة فريقه لمركبات الشحن وسيارات الأجرة الصغيرة، وحارات الدراجات ومشاريع البناء، قبل أن يعتذر عن إضجاري بحديثه: «أعتقد أحياناً أن الحديث عن العمل ينبغي أن يُعتبر عملاً ضد القانون».

رفعت كأسي من النبيذ وقلت: «سأشرب نخب ذلك». الحق أني لم أكن أتطلع إلى تبادل الحديث عن متاعب المهنة. لم أكن أتطلع إلى تشارك ما نفعله في حياتنا. لم يكن الأمر إلا انجذاباً جسدياً، والمحادثة الشيقة مكافأة إضافية مبهجة. «أخبرني فقط بشيء واحد: أنا لست تحت المراقبة، أليس كذلك؟»

قال: «لا. ليس بالشكل الذي تقصدين على أي حال».

نمنا معاً تلك الليلة. كانت شقتي أقرب من شقته ولذلك كانت هي المكان الطبيعي. كما أني لست بالشخص غير المسؤول كلياً، ولم أكن لأذهب إلى منزل شخص غريب عني تماماً.

قال قبل أن يغادر: «أنا فعلاً معجب بك يا فاي. ينبغي أن نفعل ذلك مرة أخرى».

قلت: «طيب». من الواضح أني أبسط الأمر الآن، لكن بأمانة كان الأمر بهذه البساطة. قلت له: «سأهاتفك». لأنني لم أكن لأقبل أن أعيش من جديد

الدور السلبي للعشرينات من عمري. سأقود هذه الحكاية، لو استلزم الأمر أي قيادة، وسأقرر إن كان الأمر يتطلب هذا أم لا. وهو ما ناسبني كثيرا وقتها، كما أشارت بولي عندما تحدثنا هاتفيا في المرة التالية.

«عبارة (من الصعب الحصول عليه) لم تعد موجودة كمفهوم. من السهل الحصول على أي شخص».

سألتها: «ما هو البروتوكول إذا؟»

- البروتوكول أنه لا وجود لأي بروتوكول. عليك أن تضعي في ذهنك حقيقة أن الأمر لا يشبه ما كان عليه الحال عندما كنتِ تواعدين برام. تلك كانت أوقاتا بريئة. كان الناس يتفاعلون بطريقة مختلفة.

قلت: «صحيح. لم تكن ثورة الاتصالات موجودة وقتها، فقط عمود السيمافور وحاملو الرسائل على ظهور الخيل».

- لم تكن موجودة - على الأقل ليس النوع الذي يخبرك بشيء مفيد. بالمناسبة، لم أكن لأخبر برام عن خبرك بالزحام. لو اعتقد أنك مهمة بشخص جديد، سيبدأ في مطاردتك من جديد.

«فات أوان ذلك». قطعُ المحادثة بعد ذلك. لم يكن هناك جدوى من القيام بعملية اغتيال أخرى لشخصية برام. إنه والد أطفالي وسأظل دائما -كما يقول الكليشييه- أحترمه بسبب ذلك.

سأحتاج أيضا إلى رصد لياقته واستعداده للمهمة. في طريق عودتي إلى البيت من المحطة قبل مساء أو اثنين، رأيته واقفا وحده قرب بوابات المتنزّه المغلقة، وخيط من دخان أزرق يتصاعد من سيجارة يمسك بها إلى جانبه، وشعرت بقلق كبير حقا. لم يكن السبب هو التدخين، بل

الوحدة، الطريقة التي كان يقف بها: عاجزا، منكمشا، وكأن مدّا زاحفاً ألقى به إلى الشاطئ.

للقلوب ذاكرة عضلية مثل أي شيء آخر، وأعترف أن ذاكرة قلبي اعتصرت لمرآه.

اتصلتُ بـأليسون: «هل يمكن أن تصنعي لي معروفا؟ زوري منزلنا نهاية هذا الأسبوع، لو كان لديك وقت. اجعلي برام والولدين يخرجون معك أو فقط ادعهم لتناول فنجان من الشاي. تبيني إن كان كل شيء على ما يرام معه - لا أقصد هذه المرأة التي أخبرتني بأمرها، أقصد بشكل عام فقط. يبدو كئيبا بعض الشيء. أحتاج إلى معرفة إن كان في حالة معنوية جيدة من أجل الأولاد، لكنني لست واثقة إن كان بإمكانني الحكم على الأمر بعد الآن».

قالت أليسون: «دعي الأمر لي».

#VictimFi

@natashaBwriter مشكلتها أنها عدوانية بطريقة غير مباشرة إلى حد بالغ مع زوجها السابق - تجعل صديقتها تسأل بدلا منها!
@natashaBwriter @jesswhitehall68 لست متأكدة أيضا من ثقتي في شخصية أليسون هذه.

@richiechambers@jesswhitehall68 #natashaBwriter هل يستطيع الفتى العاشق من فضلكم أن يفعل شيئا حيال نظام المرور الجديد عند مطعم إليفانت آند كاسل #مصيصة موت.

برام، ملف وورد

بعد ظهر يوم السبت ذاك، رن جرس الباب ومن الرواق رأيتُ شخصين طويلين يرتديان ملابس داكنة من وراء الزجاج الملون. دار بخلدي أنه: قُضي الأمر! ومزقني الخوف بقسوة لدرجة أنني فقدت توازني وأنا أمد يدي لأفتح الباب لتحط ثقيلة على إطاره. لم أكن مستعداً للشرح، للفهم، للتوبة. كنت في حالة من الفوضى.

«برام، انظر إلى وجهك! من كنت تتوقع؟ قاتلاً مستأجراً من المافيا؟» ضحكت أليسون وروجر على تعبير وجهي. «تساءلنا إن كنت تريد أنت والأولاد أن تأتوا إلى عرض الكلاب في المتنزه؟»

اختلط شعوري بالراحة مع إحساس بالعجز، فتباطأت استجابتي: «أوه، لا بأس، أهو اليوم؟»

«هو ذاك. روكي في تصنيف أجمل كلب صيد. هيا، لا ينبغي تفويت هذا».

فيما قبل، لم تكن احتمالية مشاهدة كلب آل أوزبورن اللابرادور المصاب بالتهاب المفاصل وهو يتهدى حول الحلقة ويعود، دون أن يصل إلى ترتيب متقدم، إلى أحضان قطيع من الأطفال الصاخبين لتثير أي مشاعر بداخلي، لكنني وافقت ممتناً هذه المرة وطلبت من ليو وهاري أن يرتديا سترتيهما وحذاءيهما الرياضيين. هل تقوم الشرطة حتى

بزيارات في عطلة نهاية الأسبوع؟ حسنا، لو فعلوا، سأكون في الخارج،
أشتري لنفسي يوما آخر، ليلة أخرى، مع ولديّ.

في الشارع، كان عليّ أن أشيح بوجهي وأعيد تقدير الموقف وأنا في
وعيي قبل أن أنخرط مع رفاقي. مقارنةً بحالهم الحالي من الهموم،
حيث يجدون بهجتهم البسيطة في الكلاب، كنت أشبه بمخلوق من
المريخ.

«هل كل شيء بخير من جانبك؟» قالت أليسون ونحن سائرون،
والأولاد يهرولون أمانا. «تبدو متوتراً بعض الشيء».

قلت: «أنا بخير. قلق فقط قليلاً بشأن العمل».

«حسنا، لا تفكر في الأمر. هذه عطلة نهاية الأسبوع - وأجمل كلبات
أولدر رايز تنتظرنا».

كان ينتظرنا أيضا حشد يليق بغلاستونوري.⁽²²⁾ قالت أليسون إن ممثلاً
شهيراً قد انتقل إلى المنطقة، وإنه واحد من المحكّمين. تحدث روج معه في
عيادة الطبيب البيطري ولديها الآن آمال في الاختلاط الاجتماعي معه. لم
أتمكن من رؤيته وسط الجمهور الحاشد، رغم أن كل من قابلتهم في حياتي
من قبل كانوا ظاهرين: جادة ترينيتي بأكملها، وجوه مألوفة من مدرسة
الولدين، الحانة، وحتى رصيف المحطة. كان الجو دافئاً مرة أخرى في غير
موسمه، وامتلاً الهواء بمزيج مثير للغثيان من أنفاس الكلاب والقلاء شديد

22 مهرجان غلاستونبري هو مهرجان موسيقى يمتد لمدة خمسة أيام يقام في غلاستونبري، إنجلترا.
بالإضافة إلى الموسيقى يضم المهرجان عروض رقص، كوميديا، مسرح، سيرك وغيرها من الفنون
ويحظى المهرجان بتغطية تلفزيونية وصحفية واسعة النطاق. يحضر المهرجان 200 ألف شخص
سنوياً. (المترجم)

الدمس لشرائط التشورو⁽²³⁾ المفرقة في كُشك بالساحة. في الحلقة، كان ثمة استعراض يجري للجراء وعندما اندفع الجمهور إلى الأمام تلكأت خلفهم قليلا، ويد هاري في يدي، كأني أصبت مؤخرا برهاب الزحام. شعرت بألم الحاجة إلى تناول شراب كأني مصاب بالتهاب الزائدة الدودية.

قال صوت من خلفي: «أهلا برام».

لم أميزه. توقعت وجها آخر من وجوه الجيران، وأعددت نفسي للمضايقات والتحيات المطلوبة لأب من المنطقة ولكنني عندما التفتُ بجسدي استجبت بشكل مختلف. انكمش كل ما في: الجلد، العضلات، الأعضاء الداخلية، وكأنها تحمي نفسها من هجوم عنيف.

كان هو. الرجل صاحب السيارة التويوتا. وقتها، لم أره إلا في لمحات جانبية، لكن لم يكن هناك شك في ذلك، تعرفت على عظام حجمته البارزة، والأنف الناتئ، والأذنين المسطحتين، والشعر المجزوز حتى فروة الرأس. كان لون عينيه غير محدد ومع ذلك كانت الطاقة في نظرتة حادة، شبه ضارية.

قلت: «كيف لك أن تعرف اسمي؟»

قلب شفته السفلى في لامبالاة وقال: «سمعت أنك تلقيت زيارة من صديق مشترك؟»

- ماذا؟

- لقد سمعني.

23 تشورو هي وجبة خفيفة، عبارة عن شرائط عجينة مقلية بالزيت يضاف عليها عادة السكر والقرفة، تعتبر وجبة تقليدية في إسبانيا والبرتغال. (المترجم)

«بابا؟ لا أستطيع أن أرى!» من وراء زعيق مقدم الحفل، كان هاري يهتف بي كي أقرب أكثر من الحلقة. وكان ليو قد غاب عن عيني.

«انتظر... ممكن؟» رفعت سبابتي إلى صاحب وجه الجمجمة -دقيقة واحدة- ودفعت هاري أقرب إلى آل أوزبورن. تأكدت من وجود ليو في نطاق الحلقة، وطلبت من أليسون أن تُبقي عينيها عليهما لمدة خمس دقائق.

«من هذا الاتجاه». قدت صاحب وجه الجمجمة حول الطرف المتعرج للحشد نحو مبنى الكافيتيريا، ووقفنا قرب الأبواب الخلفية للمراحيض.

دار بحدقتيه في عينيه مشيراً إلى لافتة «الرجال»: «هل لك في اللواط في المراحيض العامة يا برام؟ لم أعتقد أنك من هذا النوع».

كان مقبلاً تماماً كما تخيلته، كما تمنيت ألا أكتشفه أبداً.

قلت: «ماذا تفعل هنا؟ كيف وجدتني؟»

هز كتفيه، وقد ضجر من أسئلتي. «كنت أتحدث عن زائرتك. ليلة الثلاثاء، أليس كذلك؟»

- إذا كنت تقصد ويندي، إذاً نعم، تقاطعت سبلنا.

لا فكرة لديك، أليس كذلك؟

لا تتصرف بهذه الطريقة...

«أأخبرتكم أنها رأت ما حدث؟» كانت هناك نغمة تلذذ في صوته. كان مستمتعاً بالأمر، ذلك الوغد السادي، بسلطة توقيفي في منطقتي، حيث اعتقدت أنني آمن. كيف عرف أنني أعيش في أولدر

رايز؟ لعله عرف من ويندي. هل ظل يراقب شارعي أم أتى فقط إلى المحطة وتبع الحشد؟

بحلقت فيه ساخطاً: «من الواضح، وبما أنها لا يمكن أن تكون قد ضاجعتنا نحن الاثنين تلك الليلة، أنها أشارت إلى مفاوضاتنا. لا تسألني كيف تمكنت من الحصول على تفاصيلنا الشخصية منهم لأنه لا فكرة لديّ».

قال باستهتار: «الأمر سهل للغاية إذا كنت مستعداً لدفع المال. يمكنك أن تدفع مقابل ذلك النوع من المعلومات على الإنترنت».

- فعلاً؟

- نعم. ألم تسمع قط عن الشبكة المظلمة يا برام؟ كنت لأعتقد أنها يمكن أن تكون مفيدة لك كثيراً في هذا الوقت العصيب.

انطلقت صرخة طفل رضيع، ترددت أصداؤها من الجدران الخلفية للمنازل في طريق أولدر رايز، وتعالَت بتلك الطريقة الآمرة الناشزة بصيغتها الهزيلة. كان صراخ هاري على هذه الشاكلة، يمتلئ غضباً إذا فشلت أنا أو فاي في التجسد أمامه بسرعة كافية.

«هي تريد المال بوضوح». قلتهَا خافضاً صوتي بينما مر أحد زبائن الكافيتريا، ورمقنا بنظرة في طريقه. «أكثر من 10,000 جنيه إسترليني، على ما أعتقد». كان مبلغاً عبيثاً، الآن وأنا أنطقه بصوت عال. لا يمكن أن يكون هذا الموقف بأكمله حقيقياً. «قلت لها أين تذهب وأعتقد أنك فعلت مثلي». كنت واعياً أنني أتحدث بطريقة خشنة أكثر وأكثر، وأنا أدغم نطقي للحروف الساكنة كما لو كان ردّاً على أسلوبه الفظ.

سواء أن المحتوى أو طريقة التوصيل لم يؤثر فيه، فقد أنصت إليّ بتهكم صريح. «أوه، لا أعتقد هذا. في الحقيقة، لقد اتخذتُ موقفاً أكثر تعاوناً».

- عم تتحدث بحق الجحيم؟
- لن تحل عن سمائنا يا برام، وكلما واجهت الأمر أسرع كلما كان أفضل. من الأفضل لنا أن نتحد سويًا.

رفّ نبض تحذيري في رقبتى. قلت: «لن أتحد مع أي شخص. يمكنك أن تفعل ما يحلو لك كي تمنعها من الذهاب إلى الشرطة، لكنني لن أتورط في هذا».

«لست متأكداً إن كان هذا دقيقاً». ساد صمت قصير، وعض على النواجز، ونظرات محتقنة. تعالى صوت تصفيق من حلقة الاستعراض البعيدة وخفت، وبعد ذلك قال في لحظة الهدوء المؤقت: «نحن نعرف بأمر المنع».

- ماذا؟
- منعك من القيادة. كنت قد قضيت سبعة شهور فقط من فترة منع مدتها اثنا عشر شهراً ذلك اليوم، أليس كذلك؟ أكنت متلهفاً أكثر من اللازم قليلاً للعودة للقيادة على الطريق، هه؟

«لكن كيف...؟» ابتلعتُ الهواء، غير قادر على إكمال السؤال. كيف أمكنه أن يعرف بوضع رخصة قيادتي؟ هل كان يعمل لدى وكالة ترخيص السائقين والمركبات؟ أم الشرطة؟ أم كان الأمر كما قال: يمكنك أن تكتشف أي شيء على الإنترنت إذا كنت مستعداً للدفع؟ قلت: «انس ذلك. لست مهتماً بمناقشته. يجب أن أعود».

عندئذ دار بحدقته في نفاذ صبر حقيقي. «أتعرف؟ لا وقت لدي لهذا الفعل من أفعال الإنكار. يجب أن تغدو أكثر واقعية قليلا حيال الأزمة التي أنت فيها». عندما شق الهواء إعلانُ الفائز وانفجار الهتاف، دس يده في جيبه وسحب هاتفًا. «عندما تخلو لنفسك، الق نظرة على هذا واتصل بي. لا تستخدم هاتفك العادي، تمام؟»

«لا. لن ألقى نظرة على أي شيء». لكن محاولة رفض عرضه، وهو هاتف سامسونج قديم، كان من الصعب أن تحدث دون شجار وجذب الانتباه إلينا وفي النهاية دسسته في جيبي، محدقا إليه في سخط كما فعلت منذ قليل. قال وكأنه يقرأ أفكارني: «لا تلق به في الزبالة. الموجود عليه... أراهن أنك سترغب في رؤيته».

قلت، محاولاً أن أمر من جانبه: «علي أن أذهب».

تنحى جانبا وقال: «بالطبع. من الأفضل أن تعود إلى طفليك. لا تعرف أبدا أي نوع من الحثالة قد يكونون رابضين في أرجاء المكان».

«قصة فاي» < 01:25:19

عندما اتصلت أليسون، كان لديها القليل مما تقوله في تقييمها لحالة برام النفسية.

«كان هادئا بعض الشيء، لكن ليس غريب الأطوار. أوه، اختفى فترة في البداية، لكن الوضع كان فوضي كاملة، كلاب وأطفال في كافة أرجاء المكان، لذا ربها تاه عنا فقط».

قطبتُ: «اختفى؟» من المستحيل ألا تعود بي الذاكرة إلى المنزل الخالي، وزجاجة النبيذ المفتوحة، ونوافذ بيت اللعب المكسوة بالبخار.

«لم تكن مشكلة كبيرة. كان ليو وهاري معي طوال الوقت».

رفعتُ حاجبيّ وتصورت أليسون تفعل نفس الشيء: لم يكن هناك أب. في أولدر رايز سيرفض عرض امرأة بأن تراقب الأطفال الذين في مسؤوليته بينما هو يراجع بريده الإلكتروني أو يلعب لعبة ما أو يحدق فقط في الفضاء. قالت ميرل مرة: «لماذا يجد الرجال سهولة كبيرة في قبول المساعدة وتراها النساء أمراً صعباً للغاية؟ علينا أن نقلب هذا».

كنا كذلك بالفعل. سألتها: «كم اختفى من الوقت؟»

«لا أعرف. ربما عشرين دقيقة؟ كانت كل الجراء قد أنهت عرضها وفي الحلقة أفضل المتأهلين. كلهم كلاب كولي طبعاً. بدأت أفكر في أنه لا بد قد عاد إلى البيت، لكنه ظهر من جديد عندئذ واشترى لكل الأطفال شرائط التشورو، وهو ما كان لطيفاً منه جداً».

قلت مستهجنة: «لعله جرى إلى الحانة لتناول قدح من الشراب. هل فاحت رائحة الخمر منه؟ أوه، لا تجيبي على هذا، لا شأن لي. أنا آسفة يا آل، لا أقصد أن أستخدمك وكأنك محقق سري».

«استخدميني ما بدا لك. أنا أستمتع بهذا».

«كيف أبلى روكي؟ هل كان في قائمة (أكثر الذبول اهتزازاً) مرة أخرى؟»

«قائمة (أجمل كلب صيد). ولا أصدق أني لم أبلغك بالخبر: جاء في المركز الثالث! كانت القائمة الأخيرة ذلك اليوم وقام جارنا الجديد الشهير بتقديم الشارة!»

«برافو يا روكي. مبروك!»

قالت أليسون: «بجد، هذا أهم شيء حدث في ذلك المنزل طوال العام. سنتناول الشامبانيا الليلة، وربما حتى نؤدي واجبات الزوجية».

نسيّت برام وانطلقت في ضحك صاخب.

آه يا ضحكتي الصديقة القديمة، أفقدك.

برام، ملف وورد

انتظرت حتى دخل الولدان الفراش قبل أن أفتح الهاتف. لست معتادا على هذا الموديل، من الواضح أنه يعود إلى سنوات عديدة مضت، رغم أنه كان مشحوناً تماماً، واستغرقت دهرًا حتى أتخطى سلسلته الترحيبية ويعرض شاشته الأساسية.

كانت به رسالة نصية وحيدة تنتظرنني من رقم لم أعرفه ولا كنت في وضع يمكنني من منحه اسمًا، وضمت رابطًا لمقال في جريدة:

السائقون غير المؤهلين يواجهون أحكامًا بالسجن أكثر صرامة

سائقو السيارات الممنوعون الذين يستمرون في القيادة وبعد ذلك يصيبون أو يقتلون أحدا في حادث تصادم سيواجهون الآن عقوبة

أقصى بكثير من الماضي بعد سنوات من حملات قادتها مجموعات الضحايا لسد ثغرة قانونية.

لو تسبب أي سائق غير مؤهل في إصابة خطيرة، سيواجه أو تواجه الآن حكماً بالسجن أربع سنوات، بينما في السابق كان يمكن فقط أن يُغرَّم، بينما قفزت عقوبة التسبب في الموت من ستين إلى عشر سنوات.

قال وزير العدل بالأمس: «لا ينبغي أن يتواجد السائقون غير المؤهلين على طرقنا لسبب منطقي؛ هؤلاء الذين اختاروا أن يتحدوا قراراً بالمنع أصدرته محكمة ويستمرون في تحديهم إلى أن يزهقوا أرواحاً بريئة لا بد أن يواجهوا عواقب وخيمة من جراء أفعالهم».

ملأت ضربات قلبي الهادرة قفصي الصدري، وأوجعتني رتاي وهما تجاهدان كي تمتلئا بالهواء. ما إن أنهيت القراءة، حتى وصلت الصورة. لقطة لسيارتي الأودي السوداء، ورأسي المشوشة خلف الزجاج الأمامي. لم يكن رقم اللوحة المعدنية مقروءاً مع أقصى تقريب للصورة لكنه قابل لحل شفرته بأيما جهاز استخدمته ويندي. بمساعدة البرمجيات المحسنة، لن يواجه قسم التحليلات الجنائية في الشرطة أي مشكلة في تحديده، أو تحديد المكان الذي التقطت فيه. ما لم يكن محلاً للخلاف هو متى: كان التاريخ والوقت مدموغين على الصورة.

لم يكن الأمر مدهشاً في الحقيقة، بعد أن مثل أمامي الآن. كبقية العالم، كانت ويندي ممسكة بهاتفها في يدها، مستعدة للتقاط صورة لأي شيء ممتع. وما التقطته تشاركته مع وجه الجمجمة.

رغم أن المنطق الطبيعي أمرني بعدم التورط، تماماً كما فعلت عندما أرسلت رسالتها النصية، إلا أن شيئاً ما من آليات البقاء -أم كان دافعاً انتحارياً؟- دفع أصابعي إلى كتابة رد:

- هل عرضت هذه الصورة على أي شخص آخر؟
- ولماذا أفعل هذا؟ نحن زميلان يا برام.
- لسنا زميلين. لا أعرف حتى اسمك.
- ظننتك لن تسأل أبداً. مايك.
- مايك ماذا؟

لم يرد.

- حسناً يا مايك، ينبغي أن تفترض أنها تملك صورة لسيارتك التويوتا أيضاً. تسجيل عام 2009، أليس كذلك؟

ظننت أن هذا سيزعزع، إلى أن أتتني رسالته التالية:

- بما أنك ذكرتها، لم تعد التويوتا في حوزتي. سرقها أحد هواة سرقة السيارات.

بدأ الغثيان يفور في حلقي.

- متى حدث ذلك؟
- فكر في حلها يا برام.

فكرت: أربع سنوات. وكانت تلك فقط هي البداية - لم يعرف هذا الوغد نصفها.

لكن الشرطة ستعرف بالتأكيد.

هل ستجلب فاي الولدين في الزيارة؟ هل ستسمح لهما أصلا برؤيتي مرة أخرى؟

أربع سنوات! لم يكن بمقدوري أن أبقى على قيد الحياة أربعة أيام.

«قصة فاي» < 01:27:12

قبل أن أخبركم بقصة السيارة، عليكم أن تفهموا أمرا ما. عليكم أن تفهموا أنه لا شيء من هذه الأمور بدأ على صلة بالآخر. الأشياء التعيسة تحدث طوال الوقت، ولا يعني هذا أنك ينبغي أن تتوقع شرا أكبر - سيجعلك هذا واحدا من هؤلاء المجانين بنظرية المؤامرة أو مجرد شخص أناني عادي. لذا عندما أخبرني برام أن السيارة قد سُرقَت، اعتقدت فقط أن السيارة سُرقَت.

كنت من لاحظ أنها اختفت. كان هذا يوم الثلاثاء بعد عطلة نهاية الأسبوع التي شهدت عرض الكلاب وكنت قد عدت لتوي إلى البيت من العمل. احتجت إلى أن أقل هاري من موعد لعب في الناحية الأخرى من أولدر رايز، لكنني لم أستطع أن أجد السيارة في أي مكان بجادة ترينيتي. اتصلت برام، الذي كان في طريق عودته من العمل، وقطاره على وشك الدخول إلى محطة أولدر رايز.

- هل استخدمت السيارة بعد عطلة نهاية الأسبوع؟ أين صففتها؟

- لم أقدها منذ زمن. متى استخدمتها آخر مرة؟

عدت بذاكرتي إلى الوزراء. «ذهبت لأملأها بالبزين في سنزبري بعد ظهر الأحد، ثم صففتها قرب الشارع الرئيسي».

- إذا لا بد أنها ما زالت هناك.

- ليست هناك. قطعته جيئة وذهابا مرتين ولم أرها.
- سآتي وأساعدك في البحث.

«لا، لا تقلق». كنت أتجنب عروض اللقاء خارج الأوقات المتفق عليها. «سأستعير سيارة ماما، هي هنا مع هاري. سألقي نظرة فاحصة لاحقا عندما يكون لدي مزيد من الوقت».

لكنه سبقني إلى ذلك واتصل بعد ساعة ليقول: «أنتِ على حق، السيارة غير موجودة في جادة ترينيتي أو أي من الشوارع المعتادة».

- حسنا، أنا صفتها بالقطع قرب الناصية، وراء محل الزهور تماما.
- قال: «إذا أعتقد أنها سُرقَت».

- بجد؟ وكيف يمكن لأحد أن يفعل هذا بدون المفتاح؟

في الاجتماع الذي عُقد في منزل ميرل، حذرت ضابطة الحي من السهولة التي يمكن للمصوص بها أن يسرقوا السيارات بلا مفاتيح، لكن سيارتنا كانت قديمة إلى حد استخدام المفاتيح التقليدية لبدء التشغيل.

- قال برام: «لا أعرف. سأسأل الشرطة. هل لديك سلسلتا المفاتيح؟»
- ذهبت لأبحث. «توجد سلسلة واحدة في الطبق».

- وماذا عن السلسلة الأخرى؟ هل يمكن أن تبحتني في حقائبك؟

نبشت حقيبة يدي وحقيبة الحاسوب المحمول وأي جيوب محتملة في معاطفي، لكن لا وجود لأي مفاتيح سيارة.

قال برام: «طيب، سأقول إنها ضاعت».

- أيجب أن تكون سيارتنا من بين كل السيارات في الشارع؟! لماذا لم يأخذوا سيارة آل يونج الجديدة الرينج روفر؟ هل تحتاجني للمساعدة مع الشرطة؟

قال: «لا، سأتولى هذا الأمر. وسأتعامل مع طلب التأمين أيضاً، وأعلمك متى ستأتي السيارة البديلة».

«أشكرك». بالطبع لم أكن سأصر على الاضطلاع بهذا العمل الأشق على النفس. بالرغم من الطبيعة التعاونية لعش الطائر، كنت ما زلت أحتفظ بتصنيفات عقلية حول من يفعل ماذا وبما أن السيارة واحدة من مساحات برام القليلة ذات المسؤولية الفردية، لم أكن لأعفيه منها.

حماقة كبيرة من جانبي.

وصلت السيارة البديلة التي قدمتها شركة التأمين صباح الخميس. تنفست الصعداء قليلاً عندما تبين أن الأوراق لا بد أن يوقعها برام لأن البوليصه باسمه، لكننا في النهاية تمكنا من اللحاق به في طريقه إلى المحطة ولم يأخذ الأمر وقتاً طويلاً.

برام، ملف وورد

مرت الأيام دون أي اتصال آخر من معذبي، أو معذبي - بعد أن دخلت في السباق مع مايك، ربما منحته ويندي قيادة حملتها الابتزازية. لكنني بالفعل كنت أعرف ما هو أفضل من الانتظار وحبس الأنفاس.

أما بالنسبة للهاتف الذي أعطاني إياه، تعاملت معه كأنه قبلة يدوية. في جادة ترينيتي كنت أحتفظ به في علبة مغلقة بالمفتاح، وفي الشقة كنت أدسه

خلف كومة من المعلبات في خزانة المطبخ، وكأنني أتوقع في أي لحظة هجوما مسلحا. وكان آلية الغلق البسيطة أو حاجزاً من العدس المقلب يمكن أن ينقذني.

عندما أتت الرسالة التالية، في وقت مبكر من صباح الخميس، توقعت تماماً أن تعلن رقماً جديداً: إما أقل لأنها فهمها أي لا أملك فعلاً أي مال أو أعلى لأن هذا ما يحدث في الأفلام عندما تُعامل مزيدة أولية بقلّة احترام.

بدلاً من ذلك، احتوت الرسالة رابطاً آخر، يؤدي هذه المرة إلى موقع صحيفة شعبية محلية:

- الق نظرة على هذا...

لم تكن للمقال علاقة بجرائم القيادة أو بحادثة طريق سيلفر رود، لكنه عن زوجين في غرب لندن بيع منزلهما دون معرفتهما على يد محتالين، من المافيا الروسية أو شيء من هذا القبيل، في عملية احتيال مُحكمة تضمنت سرقة الهوية وحامي نقل ملكية متهاون بشكل إجرامي. ثمة صورة لرجل وامرأة في الستينات من عمرهما خارج منزل على الطراز الفيكتوري، وتحتها عبارة وصفية تقول: «آل موريس تشبهاً ببيتها المحبوب فقط لأن هيئة تسجيل الأراضي تشككت في الأمر».

لا بد أن مايك ضبط الهاتف كي يتلقى إشعارات عندما أفتح رسائله، لأن رسالته التالية جاءت بعد خمس عشرة دقيقة غارقة في التفكير من قراءتي للأولى:

- موضوع مثير، أليس كذلك؟

- ليس كثيراً. ما علاقته بأي شيء؟

- قابلني الساعة السادسة والنصف في حانة سوان وسوف أنورك.

«أنورك» - ذلك العاهر المتغطرس. كانت سوان الحانة الأقرب إلى مكتبي. لم يكن ينبغي أن أندesh إلى هذا القدر لأنه عرف أين أعمل، بما أنه بدا يعلم كل شيء آخر عني.

طوال اليوم كنت أكرر القسم أي لن أذهب. بل إنني أرسلت إلى نك رسالة أسأله إن كان سيركب قطار السادسة وخمس وثلاثين دقيقة الذي ركبناه معا بضع مرات مؤخرا. وقال إنه سيفعل. (كنت قد بدأت القيام بهذا، تأسيس شبكة من المخبرين فيما يتعلق باستخدامي للمواصلات العامة. أعرف أنها محاولة صغيرة بعد فوات الأوان). ثم، في السادسة وعشرين دقيقة، بحتمية كحتمية الغروب، أرسلت له معذراً وتوجهت نحو الحانة.

طلبت من الساقى زجاجة كوكا. كنت أفضل قدحاً من البيرة لكن تحقق عليّ اللعنة لو قمت بأي تنازل يشي بإقامة علاقة مقربة بين رجلين. اليوم الذي أشارك فيه مايك شراباً هو اليوم الذي أخرج فيه من المستشفى بعد إجراء جراحة في فصوص المخ. مقلق مقدار عمق الكراهية التي أكنها له، مقدار ثرائها وتعقيدها، كأن هناك عمراً كاملاً من العداوات بيننا، وليس بضع أسابيع.

كانت الكوكا، المقدمة في درجة حرارة الغرفة، حلوة حتى أنها جعلتني أجفل.

«هل قرأت المقال؟» كان مايك إلى جانبي. بلا تحيات هذه المرة، كأني لا أستحق الثواني الإضافية التي سيتكلفها لذلك. حول عينيه كانت هالات

سوداء من أثر الشراب (كلنا في الهم سواء) وطفح جلدي بشع من أثر الحلاقة. من المستحيل الحكم من خلال ثيابه -بنطلون جينز وقميص رمادي لا وصف له- إن كان قضى يومه بأكمله في المكتب أم في البيت فاقد الوعي مددا على البلاط.

تمتّت: «طالعتة سريعا».

- برام، يا صديقي، أنا آسف جداً لأن أسمع بأنك لم تأخذه على محمل الجد أكثر من ذلك.

بالفعل كنت قد بدأت أعتاد على شخصيته، التي اشتملت بوضوح على التعبير عن ذعره من أوجه قصوري، وكأني متدرب قبلوه على الرغم من أنفه ومن حكمه الأصوب على الأمور، وانظروا بأنفسكم! هذا دليل على أنه لا يرقى إلى المواصفات المطلوبة.

«لا أحد يمكنه أن يأخذه على محمل الجد». قلتها والرعب والاشمئزاز يمنعني من عقد الصلات التي ظننت أنه متوقّع مني أن أعقدها. «إنها مجرد صحيفة صفراء. تتغذى على مخاوف أصحاب البيوت. هل تملك بيتك يا مايك؟ أين تعيش؟ لا أعتقد أنك أخبرتني».

بالطبع تجاهل الأسئلة، وأخذ لحظة ليطلب لنفسه قدحا من الشراب. كان مهذبا إلى حدّ التذلل مع الساقى. قال وهو يلتفت نحوي: «يحدث هذا أكثر مما تعتقد. ماذا عن كل هذه الخدمات الرخيصة عبر الإنترنت، لا يكاد يوجد أي تعامل وجهاً لوجه في عملية شراء المنزل. تفلت الأشياء من ثقب الشبكة».

قلت: «أوه، بربك! تحدث مرة كل دهر، وإلا لن تكون خبراً. هؤلاء الناس مجرمون محترفون».

مرة أخرى تجاهل التعليق كلفة. «كم يساوي منزلك يا برام؟»

«ماذا؟ لا فكرة لديّ». احتفظت بنظرتي ونبرتي حياديتين تماما، دون أن تنمأ له عن شيء.

- قل مليونين؟ مليونان ونصف؟
- قلت لك لا أعرف. إنه ليس ملكي حتى.
- دعك من هذا، أعرف أنه ملكك. أنت تملكه بنسبة النصف بالنصف مع زوجتك، فيونا كلير لاوسون. تاريخ ميلادها 18 يناير 1974.
- لعله تحقق من هذا بنفس الطريقة التي تحقق بها من كافة معلوماته الأخرى.
- قلت له مصححا: «زوجتي السابقة قريبا. نحن نسير في إجراءات الطلاق وستنال المنزل ضمن إجراءات التسوية. لقد اتفق على هذا بالفعل».

ساد سكوت طويل. هل صدقني؟

قال بمرح: «من الأفضل أن نتعامل مع هذا الأمر إذا».

رغم أنني توقعت كلماته، إلا أنها سرقت أنفاسي مني، وكان الاحتقار في رد فعلي تهديدا خالصا: «تتعامل مع ماذا أيها الحقير؟»

لم يبدُ للسباب أي تأثير. «بيع البيت بالتأكيد. ما هو الجدول الزمني للطلاق؟»

«ليس من شأنك. لا شيء من هذا يعنك. وإذا اعتقدت أنني سأبيع منزلي، فأنت مجنون». كنت قد رفعت صوتي، وجذبت إلينا النظرات، أما هو فسمح لسحابة الغضب بالتبدد قبل أن يتكلم مرة أخرى.

- كم تبقى لديك لتدفعه في رهنك العقاري يا برام؟

حملت فيه ساخطا: «ماذا؟ ألم تكتشف ذلك بنفسك؟»

- بإمكانني أن أفعل هذا، لكن سيكون الأمر أكثر كفاءة بكثير لو أخبرتني فقط. لنقل نصف مليون. أكثر؟ لا. أقل؟ أقرب لأربعمائة ألف؟ جيد. إذاً لو كان المنزل يساوي مليونين، سيكون هناك ما يزيد على مليون ونصف من الأرباح بعد الرسوم. هناك منزل في شارعك معروض للبيع حالياً، هل كنت تعرف؟

لم أكن أعرف بذلك، أما فاي فتعرف بالتأكيد.

- مليونان وأربعمائة ألف، معروض على موقع (بانشي). بعد منزلك بيتين فقط في الحقيقة، ليس لديهم شجرتكم الصغيرة الجميلة في الواجهة، لكنه ما زال بيتاً عائلياً مرغوباً فيه بشدة. مستنبت زجاجي كبير. تركيبات من الكروم في الحمام الرئيسي. قبو صغير لطيف يمكن تحويله إلى وكر. يستخدمونه كحجرة غسيل حالياً.

انفغر فاهي: «أتقصد أنك ذهبت إلى هناك؟»

- يمكن لأي شخص أن يرتب معاينة منزل معروض للبيع يا برام. الوكلاء العقاريون هم آخر المدافعين عن مبدأ المساواة، هه؟

لم أستطع تحمّل غطرسته، ونظرت له المتفاخرة عندما يستخدم كلمة مكونة من أكثر من ثلاثة مقاطع. أما بالنسبة لفكرة تخيله يتهاذى أمام بوابتنا - «شجرتنا الصغيرة الجميلة» - ويدلف من بوابة أحد جيراننا إلى منزل مثل منزلنا، وربما به أطفال مثل أطفالنا، فقد ألقى حمماً من غضب مصهور في أعماق أعماقي. هل رتب المعاينة

يوم السبت الماضي، ثم تتبعني عبر جادة ترينيتي إلى المتنزه؟ ملت إلى
الأمام بأنفاس محمومة: «ابتعد عن أسرتي، أفهم؟»

«اهدأ..» قالها مايك باسطاً كفه بيننا. «لم يقل أحد شيئاً عن أسرتك».

لكن، كان هناك تلميح.

حملت فيه قائلاً: «اسمع، لا يبدو أنك مدرك للأمر، أسعار هذه المنازل،
لا معنى لها. إنها أموال بنك الحظ. إنها بيوت الناس، هذا كل ما في الأمر».

- بيوت ثمينة. من السهل للغاية بيعها والانتقال إلى مكان أرخص.
يمكنكما البدء من الصفر في سنكما، مرتبان محترمان مثل مرتبيكما.

«لسنا معاً، ألا تسمع كلمة واحدة مما أقول؟» وأفلتُ كوب الكوكا قبل
أن يتهشم في قبضتي. «أي وهم مثير لديك هنا؟ أنك ستفعل ما فعله هؤلاء
المجرمون وتسرق منزلي أمام عيني مباشرة؟»

- والآن بدأ يفهم.

كان شيئاً يدعو للضحك؛ لم يتوقع مني أن أخذه على محمل الجد. رجل
واهمل، مريض عقلياً. «أنت بنفسك قلت إنه ملكية مشتركة. كيف ستحايل
على هذا، هه؟ إلا إذا كان لديك أيضاً صور تدين زوجتي؟ حسناً، أنا مهتم
برؤية هذه الصور لأنها امرأة نظيفة تماماً مائة بالمائة».

- عظيم، إذًا لن تشك في أي شيء يجري؟

قلت ساخراً: «إلا عندما تطلب منها التوقيع على كومة من العقود
القانونية».

أخذ شهيقاً عميقاً، وصمت لحظة ليتخير كلماته، وعندئذ رأيت حقيقة الأمر. لو كان السياق مختلفاً، لسعدت بسرعة استتاجي، لكنني بدلاً من ذلك لم أشعر إلا بالغثيان.

قلت: «ويندي..»

قال بابتسامة متكلفة: «مما رأيته من زوجتك على وسائل التواصل الاجتماعي، ليس هناك بون شاسع بين هيتيهما. لديك تفضيل لنمط بعينه بعض الشيء، أليس كذلك يا زميلي؟ كليشيه بعض الشيء، الشقراوات لو سألتني».

تقلصت عضلات حلقي ومعدتي مع مشاعر الغثيان. «ليست مسألة المظهر الصحيح. أنت تتحدث عن احتيال حقيقي. سرقة. تتحدث عن السجن مدى الحياة. بجد، أنتما أحقمان لعينان لو ظننتما أن هذا سيفلح». أحقمان لعينان عقدا صداقة سريعة ووثيقة على نحو إعجازي...

شيء ما في تعبيره -تكتّم، عجرفة- أوحى لي باستنتاج آخر مفاجئ: لقد تحدثت ويندي عن تحديد وجهي من منظور جانبي ولكن الصورة التي أرسلت إليّ لم تؤخذ من الجانب. لقد التقطت من الأمام ومن مسافة بعيدة إلى حد كبير. هو من التقطها، وليست هي.

بدأ نبضي يدق بجنون. «هي لم تر شيئاً ذلك اليوم، أليس كذلك؟ أنت من التقطت الصورة. رأيتهم وقتها ترفع هاتفي، أتذكر الآن. ظننتك تتصل بالنجدة. لماذا التقطتها؟ لا أفهم. أنت لم تكن تعرفني قبل ذلك».

هز كتفيه: «فقط أغطي ظهري في حالة إذا ما قررت أن تختلق قصة عني».

لكنني لم أفعل. وبدلاً من ذلك، فررت، لم أتوقع قط أن أقابله مرة أخرى، لم أتوقع منه أن يتحرى عني ويقرر أن يجني المال من ورائي.

- لم تكن ويندي موجودة هناك حتى، أليس كذلك؟ اختلقت تلك القصة عن الوقوف عند النافذة. أنت أخبرتها بما يجب أن تقوله لي بالضبط.

- أحسنت يا شيرلوك هولمز.

احتقن وجهي غضباً، شعرت بالحرارة تدب تحت جلدي. «أنتم معا في هذا، أنتم الاثنان. كنت أنت منذ البداية».

«لا، لا، ثلاثتنا يا برام». قالها وكأنه يشملني بكرمه في دعوة لوليمة.

- من هي؟ زوجتك؟ خليلتك؟ لقد نامت معي، هل عرفت هذا؟

تحول تعبير وجهه إلى تعبير داعر مزعج. «ما يفعله اثنان بالغان متوافقان في خصوصية بيتها لا علاقة لي به. ربما فقط أحست كأنها عاهرة، وتخيلت حظوظها في الأماكن المترفة بأولدر رايز، هه».

لا بد أنها تبعثني من المحطة إلى الحانة. ماذا يحدث بحق الجحيم؟

سألته: «لماذا كلفت نفسها هذه المشقة؟ لماذا لم تأتِ أنت إلي فقط مباشرة؟ لماذا ترسلها وكأنها وكيل استطلاعك الخاص؟»

قهقهه: «وكيل استطلاع، يعجبني هذا التعبير. لإجابة سؤالك، اعتقدنا أنها قد تكون أفضل مني في مدهانتك. كما أقول، نحن نرى هذا مشروعاً ثلاثي الحارات، وسأخني على التلميح».

مرة أخرى، ثمة خبث في سحته كان تلميحاً واضحاً وضوح الكلمات التي قالها: مدهنتك...

لا بد أن ويندي سجلت محادثتنا عن الحادث.

تذكرت اعترافاتي - «لولا تنحرف الفيات، لاصطدنا بجنون ومتنا جميعاً!» «إذا أنت من تسببت في التصادم؟» «بالطبع فعلت هذا بحق اللعنة!» - وشعرت بآخر خيط من ضبط الذات ينفلت من قبضتي. أكان يسجل حوارنا هذا؟ قلت مزجراً: «أنتما الاثنان مختلان، لا تقتربا مني مرة أخرى، هل تفهم؟ اعثر على منزل شخص آخر لتسرقاه. وسأستمع بمتابعة محاكمتكما في الدايلى ميل».

بعد ذلك، ألقى الهاتف الذي كان قد أعطاني إياه على الأرض ودست عليه. وبينما عبس السكارى الآخرون، غاضبين من ذلك الجدال المرتفع في هذا الوقت المبكر من المساء، كانت لدى مايك الوقاحة كي يبدو متسلها.

«احترس يا برام. لا تريد أن تُرى متورطاً في أفعال عنف لا معنى لها، أليس كذلك؟ لو بدأت الشرطة تشمشم من حولك، سيجدون أشياء من هذا القبيل باقية في الذاكرة، أتعرف ما أعنيه؟» والتفت إلى الساقى وقال: «تلقى برام هنا بعض الأخبار السيئة. سأنظف هذه الفوضى يا زميلي، لا تقلق».

لمت الشظايا بنفسي، ولم يمر عليّ أنه أستخدم اسمي، ونطقه بصوت عال جداً. قلت له بصوت كالفحيح: «اغرب عن وجهي يا مايك».

قال وهو يرفع شرابه نحوي بينما أنا في طريقي إلى الخروج: «لن أذهب إلى أي مكان».

وكنت أعرف أنه يعني ذلك. حتى عندما ألقى الشظايا البلاستيكية في صفيحة قمامة في الشارع، حتى عندما رشقت شريحة الجوّال عبر شبكة بالوعة قريبة، وأنا ما زلت أزجر غضباً كما كنت أفعل، كنت أعرف أن هذا لن يشكل فارقاً.

كنت أعرف أنه سيعود.

«قصة فاي» <01:31:00

حتى عندما أتى محقق إلى المنزل ليسأل عن السيارة، ظلت لا أشعر بالارتياح. تعرفون كيف هو الحال، تركزون على الإزعاج قصير المدى الذي تسببه هذه الأشياء. تفترضون أن الجميع ينالون نفس الخدمة الفورية: كان يوم الجمعة في نفس الأسبوع الذي سُرق فيه.

قلت عند الباب: «أنت بحاجة لزوجي. هو من قدم البلاغ الأصلي».

أوما الرجل، غير مبالي لكنه مؤدب. «رغم ذلك، أود فقط أن أستوضح بضعة أشياء منك، لو سمحت».

- طبعاً. هذا أداء سريع بشكل يثير الإعجاب. هل تعمل مع إيفون إدواردز، بأي شكل من الأشكال؟ إنها ضابطة الدعم في الحي التي جاءت لتحدثنا عن الجرائم في المنطقة. كانت مفيدة جداً.
- لا، أنا أعمل مع وحدة التحقيق في حوادث الاصطدام الخطيرة ومقرها في كاتفورد.

نظرت إليه في حيرة. لم يكن يرتدي زياً رسمياً ولم تكن هذه الوحدة من الشرطة معروفة لي من قبل؛ وبينما كنت أقوده إلى الداخل، لُت نفسي لأنني لم أنظر نظرة أقرب لبطاقة هويته. كنت قد قرأت في الجرائد عن سكان أبرياء في قرية بمقاطعة ليسترشاير تعرضوا للخداع والسطو من جانب محتال في

زي شرطي. عندما استقر بنا المجلس في غرفة المعيشة، تطلعت من حولي إلى طريق هروبي.

- إذا أبلغ عن اختفاء السيارة يوم الثلاثاء، لكن زوجك لم يتمكن من تحديد متى رأيته آخر مرة. هل يمكن أن يكون هذا حدث قبلها بعدة أيام؟ أو حتى أسابيع؟

«أسابيع؟» رددتها وراءه، مندهشة. «لا، استخدمتها يوم الأحد. صفقتها قرب التقاطع مع باريد حوالي الساعة الرابعة ولم يرها أي منا بعدها».

- إذا كان هذا يوم الأحد الماضي، الثاني من أكتوبر.

- نعم.

- وهل تذكرين من كان يقودها يوم الجمعة السادس عشر من سبتمبر؟

نظرت إليه مشدوهة: «لا، ليس من الذاكرة. لماذا؟»

- هل تحتفظين بدفتر يوميات أو تقويم قد يساعدك في التذكر؟

لقد أتى إلى المكان الصحيح إذا: كنت قد دمجت جدولتي في العمل بتقويم المطبخ وتطبيق عش الطائر. «الجمعة السادس عشر، ها نحن ذا. لا أحد منا استخدمها، لذا كانت مصفوفة في الشارع طوال اليوم. كان لدى برام مؤتمر مبيعات خارج المدينة وكنت في معرض أنتيكات في ريتشموند أغلب اليوم مع صديقة».

- لا أحد منكما ذهب بالسيارة إلى هذين الموعدين؟

- لا. حسنا، ذهبت مع صديقة في سيارتها. واستقل برام القطار إلى مؤتمره.

ساد صمت قصير، وتصلب خافت للانتباه. «أرأيتـه ذاهبا إلى المحطة؟»

«لا، ليس شخصا. نحن لم نعد معا. نحن منفصلان. كان في الشقة». أعطيته تفاصيل العنوان وقربه من المنزل ومحطة القطار. - لكنني أعرف أنه يغادر قبل الثامنة بوقت لا بأس به وعندما عدت من مشوار المدرسة كانت السيارة موجودة بالقطع. أذكر ذلك لأني وصديقتي أعدنا التفكير حول أي سيارة نستقلها. أريتها مساحة الصندوق الخلفي لسيارتنا الأودي وقررنا أن نستقل سيارتها الفولفو كما هو مخطط.

- متى تحركتما لبدء هذه الرحلة؟

«حوالي الثامنة والربع. وضعنا أطفالنا في نادي إفطار المدرسة لننطلق مبكرا». أضفت، غير واثقة من الذي كنت متلهفة لمساعدته إلى هذا الحد: هو أم برام: «إذا كنت بحاجة للتأكد مجددا إن كان برام قد استقل القطار، يمكنك دائما أن تراجع كاميرا أمن المحطة. بالتأكيد لديهم كاميرات هناك».

تدلت أطراف فمه، لتصنع نقرة في اللحم على جانبه الأيسر. محقق لديه غمازة. قال: «أرى أنك تعرفين إجراءاتك البوليسية يا سيدة لاوسون».

ابتسمت: «آسفة. أحب دراما الجريمة».

- إذا غادرت في الثامنة والربع وبعد ذلك متى عدت؟

- قرب وقت خروج الأولاد من المدرسة. الثالثة والنصف.

أطلعته على تحركاتي المحتملة ما بين استلام الولدين وتسليمهما إلى برام في السابعة مساء، رغم أن النقاط الأدق في الأعمال المنزلية رواغتنني. قلت ساخرة: «معجنات أم نقانق، أخشى أني لا أستطيع أن أخبرك».

- هل توقف أي شخص قرب المنزل؟

كان قصده أن يتأكد من وجودي هناك. انتبهت كي أتذكر: «أعتقد أن صديقتي كيرستي مرت عليّ. هذا صحيح، أخذ أولادنا إلى البيت عدة التريية الرياضية الخاصة بالآخرين، لذا أعدناهما إلى مكانهما. أذكر أي اضطرت لترك الشواية حتى أفتح الباب. كانت نقائق».

ظهور ثانٍ للغمزة. «وماذا بعد ذلك، بعد أن وصل زوجك؟ هل يمكن أن تكوني قد استخدمتِ سيارتك بعدها؟»

- لا، ذهبت إلى برايتون لقضاء الليلة وركبت القطار. ومع ذلك أعرف أنني استخدمت السيارة ذلك الأحد، لأنني أخذت الولدين للغداء في بيت والديّ في كينجستون.

- يا لها من عطلة نهاية أسبوع مليئة!

«نعم كانت كذلك». تطلعت إليه، وحاولت أن أقرأ تعبير وجهه. «لماذا تسأل كل هذا؟ ماذا حدث تلك الجمعة؟»

- كان هناك حادث تصادم في ثورنتون هيث نتحرى حوله. لعلك قرأت عنه في الصحف المحلية.

قلت معترفة: «لا أعتقد هذا. لكنني استخدمت السيارة بضع مرات بعدها لذا لا يمكن أن تكون قد دخلت في أي تصادم. أوه، مهلا، هل هذا بسبب المفتاح المفقود؟»

«مفتاح مفقود؟» لاح بارق من نشاط جديد. «مفتاح المنزل؟»

«لا، مفتاح السيارة. استطعنا العثور على سلسلة واحدة - اعتقدت أن

برام ذكر ذلك في بلاغه؟ من الممكن أن تكون الأمور فوضوية قليلا هنا. تبادل الأدوار كي نبقي هنا مع الولدين، كما ترى. لا نكون هنا أبدا في نفس الوقت». جاوبتُ نظرة دهشته بجزء مختصر من التبشير بوصاية عش الطائر.

- تمام، إذا بالنسبة لمفاتيح السيارة، هل يمكن أن تكون هذه السلسلة الثانية مفقودة منذ بعض الوقت؟

«ربما. أظن». خطرت لي فكرة. «أنت لا تعتقد أن أحدهم اقتحم البيت وسرقها؟ حدثت سرقة في الشارع مؤخرا». تذكرت أن ضابطة الحي ذكرت هذه الظاهرة في الاجتماع. أثارت أليسون فكرة أنك ينبغي دائما أن تترك مفاتيح السيارة في مكان مكشوف، على غير المتوقع، لتجنب قيام اللصوص بنهب المكان بحثا عن المفاتيح المخبأة، لكن الضابطة حذرت من تركها ظاهرة من وراء نافذة.

سألني المحقق: «هل لاحظتِ أي علامات للدخول عنوة؟»

قلت معترفة: «لا، لكنني أعرف أن اللصوص يمكنهم استخدام الأسلاك والخطافات عبر صندوق البريد، أليس كذلك؟»

«هذا صحيح». وصمت هنيهة ثم قال: «لعلكما بدلا من ذلك أضعتما المفتاح».

وافقته أن هذا احتمال أكبر وسألني إن كنت قد لاحظت أي خدوش أو أضرار أخرى على السيارة طوال الأسابيع القليلة الماضية.

- لا، بدت على حالها كما كانت على الدوام. ثمة آثار على الإطارات من أثر الصف، كما تعرف، حروز من الرصيف، لكنها موجودة منذ عصور.

ما إن رحل، حتى بحثت في جوجل عن «حادثة سيارة ثورنتون هيث»، مضيعة مُرشحًا للأخبار. ها هي: حادثة على طريق سيلفر رود يوم الجمعة السادس عشر من سبتمبر حوالي الساعة السادسة مساءً. شوهدت سيارة فولكس فاجن أو أودي داكنة اللون قرب مسرح الحادث.

تذكرت اسم الضابط وبحثت عنه، وجدت أنه بالفعل رقيب مباحث في وحدة التحقيق في حوادث التصادم الخطيرة، التي تعاملت مع القضايا في كافة أنحاء جنوب شرق لندن وضواحيها. لا بد أنهم يزورون أصحاب كل السيارات الفولكس فاجن أو الأودي داكنة اللون التي أُبلغ عن سرقتها في جنوب لندن، حتى تلك التي سُرقَت بعد الحادث؛ مثل سيارتنا. أدهشني ذلك باعتباره طريقة غير كفؤة في التحقيق، لكن ما أدراني؟

لا تجيبوا على هذا.

#VictimFi

@crime_addict أين السيارة إذا؟ ربما تورط الزوج في هذا الحادث؟
@rachelb72 @crime_addict لا بد، لهذا تصرف مثل لورد

لوكان.⁽²⁴⁾

@crime_addict @rachelb72 لماذا لا توجد تلفيات إذا؟ هل

أصلحها؟

@crime_addict @rachelb72 ربما عندما يجدونها في النهاية، سيكتشفون جثته المتعفنة في صندوقها...

24 كان ريتشارد جون بينجهام (1934-2016) إيرل لوكان السابع، المعروف باسم اللورد لوكان، نبيلًا بريطانيًا اختفى بعد الاشتباه في ارتكابه جريمة قتل عام 1974 وأعلنت وفاته عام 2016. (المترجم)

في أثناء التسليم والتسلم ذلك الجمعة، قالت فاي: «هل عرفت أن الشرطة تعتقد أن أحدها قد يكون متورطا في حادثة سيارة وقعت في ثورنتون هيث منذ بضعة أسابيع؟»

أخفيت شللاً أصابني لجزء من الثانية: «حقاً؟ متى قالوا هذا؟»

- جاء محقق هذا الصباح. بالطبع راجعتُ اليوميات وأخبرته أن أحداً منا لم يستخدم السيارة ذلك اليوم، لكنني أظن أن هناك عملية حذف للاحتمالات عليهم أن يتبعوها، أليس كذلك؟

بلعت ريقِي وقلت: «نعم».

«تساءلت إن كان من الممكن أن أحدهم سرق المفاتيح قبل أن يأخذ السيارة..» تابعت متأملة: «لكن الشرطة قالت إن هذا غير محتمل بما أنه لا توجد علامات على السطو. لكن ينبغي أن نكون أكثر حرصاً يا برام».

رغم أني أخذت بهذا على حين غرة، إلا أني رأيت كم كان من حسن الحظ أنها هي، الغارقة أصلاً في ظلام الجهل، من ردت على استفسارات الشرطة. هل كانت ردودي لتبدو بنفس الطبيعية، بنفس البراءة؟ كم كانت لتجزع لو أخبرتها بالحقيقة حول الأودي. أني فكرت جدياً في البحث عن فرع مهجور لإحدى القنوات، أو حتى نهر التيمز نفسه، وأن أرفع فرامل اليد لأترك السيارة تندرج إلى الماء، لكنني بعد ذلك قررت أنه من الأفضل أن أخبئها على مرأى من الجميع.

على خلاف بلاغاتي لمندوب التأمين والشرطة وفاي على التوالي، رأيت سيارتنا آخر مرة ليلة الأحد، وكانت آخر مرة قدتها أيضاً. تركتها في شارع

بمنطقة ستريتام لا توجد به قيود على صف السيارات، وألقيت المفتاح في أقرب بالوعة. مع قليل من الحظ، ستنفذ البطارية وتظل هناك لشهور.

تنهدتُ وقلت: «أشك في أننا سنعرف أصلاً ما حدث. لكنني في الواقع لا أعتقد أنه ينبغي علينا أن نجلد أنفسنا بشأن هذا. نحن ما زلنا نعتاد على طريقة جديدة تماماً في العيش. كيف يُفترض بنا أن نعرف أين توجد مفاتيح السيارة في أي لحظة معينة؟»

«أنت على حق». الطريقة التي كانت تنظر بها إليّ، بفضل التضامن والاهتمام المشترك بهذا الظرف الأخير، لم ترض غروري فقط، بل هدأتني أيضاً.

قلت: «نحن بشكل عام واعيان بالضرورات الأمنية إلى حد كبير، خاصةً بعد ما حدث لآل روبر. وكاريس العجوز المسكينة».

بدت سعيدة لأنني تذكرت كاريس.

فكرت في موضوع منعي من القيادة: لو كان الضابط الذي تحدثتُ معها يعرف بأمره فمن الواضح أنه لم ير من المناسب أن يفشي سره. لا بد أنها أوضحت له مبكراً أننا منفصلان وأنه التزم بالخطأ جانب الدبلوماسية. قلت: «قولي للشرطة أن تهاقني إذا كان لديهم أي أسئلة أخرى».

كنت أصيغ بالفعل ردودي لمثل هذه المتابعة «السادس عشر؟ أوه، كان هذا يوم العمل خارج المدينة. كنت في فندق بالقرب من جاتويك، سيكون عليّ أن أبحث عن الاسم». «هل قدت السيارة إلى هناك؟» «لا، ركبنا القطار. حدث تأخير، أتذكر هذا الآن. لحقت الجلسة الأولى

بالكاد». بالتأكيد لن يذهبوا إلى حد مراجعة لقطات كاميرات المراقبة في المحطة؟ لو حدث ذلك، فقد تكدست الحشود بسرعة ذلك الصباح ومن الممكن ألا يكون من السهل تحديدي على المنصة، لسوء حظهم. من ناحية أخرى، عندما غادرت كنت جزءاً من حشد أيضاً - وبقليل من الحظ سأتوارى بينهم.

لكن ماذا لو راجعوا الكاميرات في الناحية الأخرى؟ لن تكون هناك أي صور لي وأنا أسرع خارجاً من أي محطة على خط جاتويك. سيسألون: «أين نزلت سيد لاوسون؟» فكرت أنني بحاجة للبحث في جوجل عن المحطة، لمراجعة المخارج. أم أنه من الأكثر طبيعية أن أكون مبهما - من يتذكر هذه الأشياء؟ ماذا عن كاميرات المراقبة في الفندق؟ هل رصدت الكاميرات سيارتي بالقرب من موقع التصادم؟ ولدى الشرطة تكنولوجيا التعرف على رقم اللوحة، أليس كذلك؟ - آه يا ربي! أيمكن تطبيقها بأثر رجعي؟

انتبهت إلى أنني أرمش مراراً وتكراراً، في حركة لا إرادية من الصعب السيطرة عليها.

سألني فاي: «هل عيناك بخير يا برام؟»

«بخير، فقط بعض التراب». استعدت هدوئي. «تعرفين... لا، قد لا يكون الآن الوقت المناسب...»

- لم؟ قل لي.

- مجرد اقتراح، لكنني كنت أقرأ مقالا في الجارديان عن الأسر التي تمضي متحررة من السيارات وتساءلت إن كان يمكن لنا أن نقوم بهذا الشيء. نجعل الولدين يشاركان، نتوجه إلى محاربهما البيئي الداخلي؟

بدت مندهشة كما يجدر بأي إنسان عاقل أن يبدو عندما يسمع برام لاوسون، المتعلق ببرنامج السيارات (توب جير) والذي نادرا ما يراجع ضميره فيما يتعلق ببصمته الكربونية وتلويثه للبيئة، يتكلم بهذه الطريقة. قالت: «هل أنت جاد؟ لقد قدت السيارات دائما. لا يمكنني تخيلك بدون سيارة».

قلت: «علينا جميعاً أن نجرب أشياء جديدة بين وقت وآخر».

«قصة فاي» < 01:36:31

أرسل توبي رسالة نصية صباح السبت:

- دعيني أضمن، هل بحثت عني في جوجل واكتشفت أنني غير موجود؟
هل تعتقدن أنني قاتل متسلسل لديه هوية وهمية؟
ابتسمت.

- ليس تماما.
- أنا فقط رافض لوسائل التواصل الاجتماعي. أنت محظوظة باستلامك
هذه الرسالة.
- وأنت محظوظ لأنني أرد.

ساد صمت وديّ، خلاله صرت أكثر وعيا على نحو مطرد بإيقاع نبضي.
ليس من قبيل المصادفة أنه انتظر حتى عطلة نهاية الأسبوع ليتصل. كنت قد
أوضحت ترتيباتي المعيشية غير العادية، وأن هذا هو وقتي في الشقة.

سألته قبل أن يسألني: لديك وقت فراغ لاحقا؟

أجابني: تحت أمرك.

رغم أني كنت عاقد العزم تماما على محو مايك من وعيي، وجدته يتفوق عليّ دهاء مرة أخرى عندما سُلم -يوم الإثنين بعد لقائنا في حانة سوان- هاتف بديل -ماركة سوني هذه المرة- باليد إلى مكتبي. كان مرفقا به شاحن، لكن بلا علبة ولا ظرف ولا رسالة قصيرة.

قالت لي نيرينا موظفة الاستقبال: «قال الشخص الذي أتى به أنه رآك تتركه ليُشحن في الحانة منذ قليل. لا بد أنه تبعك في طريق العودة. أليس هذا لطفًا منه؟ يعجبني فعل الخير، وأنت كذلك؟»

قلت لها موافقا: «وأنا كذلك». ما لا يعجبني هو ذلك المترصد المهووس، قلتها في عقلي. (ثمة غصة أقل: كان طيبا منه أن يعطي الانطباع بأنني كنت في الحانة ظهيرة يوم إثنين بدلا من وجودي في لقاء بعيادة إصابات طفيفة محلية مسجل في دفتر يومياتي ويجب حضوره). تناولت الهاتف مترددا، وكأنه في استجابة للمستني، أضاءت الشاشة بإشعار وصول رسالة:

- مرحى مرحى، يبدو أن أحدهم يستعيد ذاكرته...

قرأت التحديث الإخباري هناك مباشرة، في مكتب الاستقبال، وحقية العينات عند قدمي:

غضب الطريق⁽²⁵⁾ هو السبب في حادث سيلفر رود، كما تقول الضحية

25 غضب الطريق أو غضب سائق المركبة هو سلوك عدواني حاد يظهر فيه سائق المركبة غضبه تجاه أحد الأشخاص في الطريق سواء كان سائقا آخر أو شخصا يمشي في الطريق ويكون الغضب عن طريق اللفظ أو الإشارات الصامتة أو التهديدات. (المترجم)

ضحية لحادث التصادم في طريق سيلفر رود يوم 16 سبتمبر أخبرت الشرطة أن سبب الحادث مناورة تحطٍ متهورة ربما كانت نتيجة لغضب الطريق.

قالت رقية المباحث جوان ماكجوان: «ما تذكره الضحية، أن سيارة هاتشباك سوداء كانت تزيد من سرعتها بجنون إلى جانب سيارة ثالثة منطلقة في حدود السرعة المقررة، وأخطأت التوقيت في المناورة، لتجبر سيارتها الفيات على الخروج عن الطريق وتتسبب في إصابة خطيرة لها ولابتها».

حتى الآن، ما زالت الضحية في حالة سيئة لا تسمح لها بإعطاء الشرطة أقوالها عن الوقائع. وما زالت ابنتها تعالج في الرعاية المركزة بمستشفى كرويدون من إصابات خطيرة قاتلة ويُعتقد أنها خضعت لعمليات جراحية عديدة.

تابعت الرقية ماكجوان: «نحن مهتمون جداً بالحديث مع سائق السيارة الثالثة، ونعتقد أنها سيارة صالون بيضاء، والعمل معاً لتحديد هوية السائق المسرع».

تتطابق رواية الضحية مع رواية صاحبة المنزل حيث وقع التصادم، والتي رأت سيارة فولكس فاجن أو أودي سوداء تنحرف مغادرة طريق سيلفر رود بعدها بقليل.

عرض زوج الضحية مكافأة قدرها 10,000 جنيه استرليني مقابل أي معلومات تؤدي إلى تقدم في التحقيق.

انطلقت في السباب بصوت مكتوم، متجاهلاً نظرات نيرينا الفضولية. أمر لا يُصدق: كأن الشرطة تنفوه بسطور مايك نفسه، وتخدم قضيته بطريقة جيدة

للغاية. لم يسمح لي الوغد بتخطيه، هذا هو ما تسبب في التصادم، لكن لا، في الرواية الرسمية كنت متهورا وهو لا لوم عليه. وما هي احتمالات استعصاء ماركة سيارته على التمييز، بينما لم تفعل ذلك سيارتي؟ صالون بيضاء: أكان هذا كل ما لاحظته الضحية؟

مرة أخرى واسيت نفسي بأنه من مصلحتي أن يفلت هو من اهتمام الشرطة، بفضل الأدلة التي جمعها ضدي، سيكون حتى أكثر خطورة في غرفة تحقيقاتهم مما هو عليه في تحرشه بي الآن. الأسوأ من هذا أن السيارة لم تعد داكنة اللون، بل سوداء بالتحديد - وهاتشباك.

استحثني رسالة أخرى: أي أفكار؟

لم أرد على الفور. كان هناك وقت كافٍ قبل أن أغادر لزيارة عميل في وقت مبكر بعد الظهر بمقاطعة سري لأجد متجراً محلياً مجهول الاسم وأشتري هاتفاً غير مسجل بنظام الدفع الفوري. صارت لدي الآن معرفة أفضل من أن أثق في أن أي هاتف يقدمه مايك يأتي خالياً من أسلحة خفية تُستخدم ضدي. سأخلص منه في الشقة لاحقاً.

أرسلت إليه رسالة نصية وأنا في السيارة في طريقي إلى العميل. في أسبوع مثقل باللقاءات الخارجية، كُلف متدرب جديد بقيادة السيارة لي، كان الأمر ليغدو أكثر راحة لولا أنه رافقني أيضاً كظلي إلى اللقاءات ذاتها، مجبراً إياي على الوصول إلى مستوى من الاحترافية كنت متأكداً تماماً أنني لن أستطيع تحقيقه مرة أخرى أبداً في حياتي. (ماذا يهم لو كررت مستشفى أو عيادة طلبيتها من أطواق العنق؟ ضاعفتها أو ألغتها؟ كنت في ورطة هنا).

- قد أتمكن من الحصول على بعض المال من أجلك.

- أهذا أنت يا برام؟

- نعم.

- أفضل أن تستخدم الهاتف الذي تركته لك.

- حسناً، وأنا أفضل استخدام هذا الهاتف.

أحسست بمتعة كبيرة في تحديه، واستمتعت بالصمت الذي تبع لفترة قصيرة.

«ألا تملك جهاز آيفون؟» قالها ريتش، المدرب، من مقعد السائق، ملاحظاً هاتفه الرخيص بنظام الدفع الفوري ذي الماركة المريبة. كان شاباً يافعاً، لم يلمح انهيار العصبى، لكنه رأى فقط هاتفه العتيق.

قلت: «نعم، أملك واحداً، من أجل العمل. هذا الهاتف من أجل عملي الثاني في المكتب الخامس⁽²⁶⁾». من رابع المستحيلات أنى أمتلك الآن ثلاثة هواتف محمولة، كأني مهرّب مخدرات أو متعدد الزوجات.

ضحك ريتش: «نعم، صحيح». وقاومت الرغبة في محاضرته حول تثمين حياته وكل من فيها، وتحذيره من اقتراف نفس الأخطاء التي فعلتها لأنه إن فعلها لن ينتظره شيء أقل من جحيم حي.

عاد مايك من جديد:

- أي مال؟ لست مهتماً بالفتات.

- ليس فتاتا. 15 ألف، أفضل من المكافأة المالية.

26 المكتب الخامس أو جهاز الأمن، المعروف عالمياً باسم القسم الخامس في هيئة المخابرات العسكرية ووكالة الاستخبارات والأمن المحلية في بريطانيا. (المترجم)

أفضل بنسبة خمسين في المائة: يرضيه هذا بالتأكيد؟

- فلتتكلم. سآتي إلى جادة ترينيتي الليلة.

- لا! قلت لك مرارًا، أنا في شقة مؤجرة.

أضفت عنوان الشقة، وهي حركة مهذبة غير ضرورية بما أنه بدا عارفاً بالفعل كل تفصيلا أخيرة في أحوالي.

- سأكون هناك في الثامنة. من الأفضل لك ألا تحاول الاحتيال عليّ.

كانت تلك جملة الأخيرة. بلا أثر للسخرية.

كان لقاء العميل تعذيباً خالصاً. طوال عرضي للمنتجات الجديدة، كنت أقلّب في ذهني نفس العبارات: إصابات خطيرة قاتلة... عمليات جراحية عديدة... هوية السائق المسرع... أبدى العميل، ذو الذكاء العاطفي الأكبر قليلاً من المدرب، ملاحظته للوني المخطوف:

- هل أنت بخير يا برام؟ تبدو شاردًا اليوم.

بعد أن أدركت أنني أقضم أظافري بطريقة عصبية كالقردة، أنزلت يدي إلى جانبي: «آسف، لا، أنا بخير. فقط ثمة أشياء تدور في ذهني».

قال: «آه، نعم، سمعت عن مشكلاتك العائلية. تحدث لأفضلنا يا صاحبي».

كان قد أخبرني من قبل أن زوجته تركته لتعاشر زميلاً لها، وجعلت منه كائناً أعزب يعيش على تنفليكس والوجبات الجاهزة والأفلام الإباحية.

سألني بطيبة: «من تركتك من أجله؟»

قلت: «لا أحد. لم يكن هناك شخص آخر في الحكاية».

منحني بتعاطف فائدة الشك في ذلك. وأنا رويح تجمع بينهما صلة قرابة، هجرتها الآلهة - هجرتها الزوجتان.

لم تكن لديه فكرة.

برام، ملف وورد

لا مشكلة لديّ في قول أني تخيلت كسر رأسه عندما دخل من الباب. أو غرس سكين بين ضلوعه ومراقبته يتداعى على البلاط، مثل دمية مفككة. لكن ماذا بعد ذلك؟ عندما تفكر في الأمر، عندما تحاول مع سبق الإصرار بنفسك، تدرك سريعا أنه لا توجد فعلاً أي طريقة مضمونة للقتل، مع وجود كاميرات الأمن في كل مكان والهواتف التي تشي بكل خطوة نخطوها، ناهيك عن تحاليل الحمض النووي والتحليل الجنائية.

لا، بالطبع لم أكن لأقتل ذلك الوغد. لم يكن بمقدوري إلا أن آمل في أن أدفع له -ولتلك العاهرة اللاهثة ويندي، أينما كانت- كي يبتعدا عني.

انتظرته في الشرفة. واحدة بعد أخرى، كانت سيارات أولدر رايز تزحف نحو إشارة المرور على الجانب الشرقي من المتنزه -أمهات شقراوات بشعر فضي يصطحبن أطفالهن من النوادي الرياضية المسائية ودروس الموسيقى، خدمات توصيل شركة أوكادو المسائية من ثمار الآفوكادو ونيذ (سوفينيون بلانك) الأبيض- وأحسست بجسدي ينقبض من الأسى. افقدت فاي والولدين بالطريقة التي تفتقد بها حاسة مثل البصر أو اللمس. افقدت القيادة. رأيت الآن أن كوني خلف عجلة القيادة كان شغفا أصيلا. كنت أعرض القيام بالتوصيل، كنت أتطوع لأداء المهام المنزلية، كنت أنطلق هنا وهناك مع الولدين. أضبط مقاعد الأطفال التي كانت تربك فاي، أوّمن الأحزمة، أداغب

شعر الولدين قبل أن أغلق بقوة بابيهما وأنزلق في مقعد السائق. كنت أشعر بارتياح كبير، بسيطرة كبيرة على زمام الأمور - بعيداً عن شعوري بالغضب عندما يستفزني السائقون الآخرون أو راكبو الدراجات أو المارة، لكن هذه كانت طبيعة الحال في لندن، أليس كذلك؟ كل السائقين لهم هفواتهم.

إلا هفواتي التي كان لها عواقب وخيمة.

عواقب على وشك أن تسوء أكثر.

تمهلت سيارة تويوتا بيضاء قدرة وعادت بظهرها لتدخل في المساحة الوحيدة المتاحة في نطاق الشارع. انفتح بابا السائق والراكب الأمامي في نفس اللحظة وشاهدت مايك وويندي يخرجان منها. وقف يحدق إلى بيبي ديكو، إليّ - قاومتُ الرغبة في التواري بعيداً عن الأنظار، لكنني لم أبين بذلك - بينما راجعت هي هاتفها، وبعد ذلك اقتربا معاً من الأبواب الرئيسية.

انتظرتهم في الرواق، وأنا أشتعل غضباً بالفعل.

«ما الذي تتحايلان من أجله بحق اللعنة؟» قلتها بصوت كالفحيح بمجرد أن خرجا من المصعد، وجذبت نبرة العداء الفظة نظرة فزعة من جارتي وهي تغادر شقتها (قانون سود⁽²⁷⁾)، المرة الوحيدة التي أرى فيها إنساناً آخر في طابقي تكون مع هذين الشخصين).

27 ينص قانون سود، وهو بديهية ثقافية بريطانية، على أنه «إذا كان لخطأ أن يحدث، فسوف يحدث». يوجد في القانون أحياناً نتيجة لذلك: أن سوء الحظ سيحدث في «أسوأ وقت ممكن» (المترجم)

كانت لدى مايك الجرأة أن يبدو مُهانًا: «ماذا؟ كنتَ تعرفُ أنني قادم، ما المشكلة؟ أنت لا تمنع في أنني أتيت بويندي معي؟ اعتقدت أنك ربما تود أن تعيد التعارف».

دفعتهما إلى الدخول سريعاً، وأغلقت الباب خلفهما. «أقصد السيارة! التويوتا. ظننتك قلت إنك قد تخلصت منها؟»

عبس مايك. «ولماذا أفعل هذا؟»

«قلتَ إن أحد هواة سرقة السيارات أخذها!» بعد ثلاثين ثانية فقط من دخولهما كنت بالفعل في وضع مترجع، أتكلم بهذا الصراخ المجنون ذاته الذي عقدت العزم على تجنبه.

ويندي، التي لم تنطق بكلمة حتى ذلك الوقت، قالت ببساطة: «لو كنت مكان الشرطة وقال أحدهم إنه رأى سيارة تويوتا في مسرح الجريمة، سيكون أول من أبحث عنه الشخص الذي أبلغ للتو عن سرقته. سأقول في عقلي: يا لها من مصادفة إذا». ورنّت إليّ بعينين مفتوحتين على اتساعهما.

قال مايك بقلق متكلف: «أنت لم تذهب وتخلص من الأودي، أليس كذلك يا صاحبي؟ سيكون ذلك خطأ».

الآن بعد أن قالها، اتضح الأمر. لقد جرى التلاعب بي. جاء رد فعلي لرسالته النصية عن هواة سرقة السيارات كما تمنى بالضبط، حيث ورطت سيارتي في الجريمة بغفلي ومنحته موضع قوة أكبر مما لديه بالفعل. كانت سيارتي لتغدو إبرة في كوم من الفولكس فاجن/ الأودي لو لم أترك أمر العثور عليها رهناً للشرطة، لو لم أبلغ عن اختفائها. كم سيارة أخرى سُرقَت في الشهر الماضي؟ حتى في منطقة جنوب شرق لندن بأكملها لا يمكن أن يزيد العدد

عن... ماذا؟ عشرة، عشرين؟ عدد قليل جدا بما يكفي لمنح اهتمام معقول بكل مالك، حتى قبل أن تضيف التفاصيل الجديدة الخاصة بكونها هاتشباك. حتى قبل أن تقارن المالكين المذكورين بقاعدة بيانات مخالفات القيادة...

كنت أحمق. بهذا المعدل، سأذهب إلى السجن وألقي بالمفتاح من شباك الزنزانة.

قال مايك في سرور: «ضع في اعتبارك أن السائقة الأخرى لم تذكر شيئاً عن أي سيارة تويوتا، لذا فهذه نقطة خلافية». توقف قليلاً ليتلذذ بالعبارة، قبل أن يلقي نظرة في أرجاء الشقة بطريقة متوددة. «هذا ليس مكاناً صغيراً شيئاً يا صاحبي، أليس كذلك؟ ملموم. لا يساوي شبرا من المنزل الكبير، طبعاً، لكن للضرورة أحكام. هذا ما يحدث عندما تكتشف زوجتك أنك ولد شقي، هه؟»

ماذا؟ كيف عرف ذلك بحق الجحيم؟ أظنه فعلها بالتخمين، بناء على ظروف الحالية، بناء على استعدادي للسقوط والنوم مع ويندي.

قلت بحق: «أنت لا تعرف شيئاً عن زوجتي. لم تدخل منزلي قط ولن تدخله أبداً».

قال وهو يبتسم ابتسامة متكلفة: «أحدهم نام على الجانب الخطأ من الفراش الليلة، أليس كذلك؟ لن أسأل فراش من».

«ليس فراشي للأسف». قالتها ويندي بابتسامة مروعة أكثر تكلفاً.

دون أن أدعوها، جلسا على المقعدين الكبيرين، والتفتت رأسهما إلى بزائيتين متماثلتين، كأن عقلاً واحداً يُشغلها. كانت الستائر مسدلة، وضوء المصباح يخلق حميمية بشعة بين ثلاثتنا.

قال مايك: «إذا أنت لن تعرض علينا شراباً؟»

قلت وأنا أجلس متثاقلاً على مقعد بار مستدير، وأنا أكثر عصبية من أن أستقر في جلستي: «لا شيء لدي هنا».

قال مايك لويندي: «ليس مستأنساً إلى حد كبير، أليس كذلك؟»

قالت وكأنها مندهشة من التباين: «كان لديه كثير من المرطبات في المرة الأخيرة».

- أنا متأكد من هذا.

كرهتهما. أردت أن أحبسهما في سيارتهما التويوتا وأضع قبلة تحتها. سألتهما: «إذا ما الصفقة المطلوبة معكما أنتما الاثنان؟ من الواضح أنكما تعرفان أحدهما الآخر قبل كل هذا».

«خلفية غير ذات صلة». قالها مايك، ونبرته الهادئة على النقيض من نبرتي العدائية: «إذا أخبرنا بأمر المال. وجدت حساباً مصرفياً قديماً نسيت أمره، أليس كذلك؟»

قلت: «إنها أموال تأمين السيارة. لكن ربما يمر أسبوع أو اثنان قبل أن يدفعوها - يجب أن يقتنعوا بأنها سُرقَت بشكل نهائي».

أدهشني أن الادعاءات التي ربما أحالها المحقق إلى وحدة حوادث التصادم، والتي ربما عملت بدورها على تذكير المحققين الأصغر بسيارة أهملوها جميعاً بعد المحادثة الأولى مع فاي. بالتأكيد ليست إلا مسألة وقت، قبل أن يعودوا ليستجوبوني هذه المرة. كنت صاحب البلاغ في النهاية، حتى لو ذكرت فاي أنها آخر من قادت ذلك الشيء. ربما غداً؟ لا بد أنهم يعرفون بأمر السكن

الثاني الآن، قد يجيئون قبل أن أغادر الشقة إلى العمل، ويصطحبونني إلى سيارة دورية بينما الأمهات يقدن سياراتهن في طريقهن لتوصيل أطفالهن إلى المدرسة... بمن سأتصل؟ فاي؟ أمي؟ لماذا لم أفكر في توكيل محام؟

قال مايك عابسًا: «جاءني انطباع بأن المال جاهز لديك فعلا. بالمناسبة، خمسة عشر ألفًا لن تكون كافية. عشرون ألفًا ستكون أفضل، وأقترح أن تسعى وراء الأمر على وجه السرعة لأننا بحاجة إليه من أجل الوثائق الجديدة».

انتبهتُ فجأة: «أي وثائق؟»

اتخذت اسم الاستعداد المبالغ فيه للمساعدة والذي صرت أعرف الآن أنه سمته المميز، كأنه مضطر لإجابة سائح عجوز عن سؤاله حول الاتجاهات. «حسنًا، بدايةً سنحتاج جوازات سفر جديدة ونحن نبحث عن شخص سيأخذ على الأقل خمسة آلاف دولار كي يساعدك على عبور الحدود. زائد أننا سنحتاج إلى مساعدة بشأن الحساب المصرفي، ربما في الشرق الأوسط، مكان مثل دبي، بعيداً عن مخالب رجال الضرائب البريطانيين».

قفزت من مقعدي: «ما هذا الهراء...؟ من يحتاج إلى جواز سفر جديد؟ من يحتاج إلى عبور الحدود؟»

- حسنًا، أنت مثلاً. عندما يتم البيع، لن تقف زوجتك السابقة ساكنة، أليس كذلك؟ سيُجن جنونها. سترغب في إشراك الشرطة في الأمر، كي تعرف ماذا حدث لنصيبتها، وثمة احتمالات بأنهم سيحذرون حرس الحدود، وربما حتى الإنتربول. لن تستطيع السفر بجواز سفرك وجوازات السفر الجديدة لا يمكن الحصول عليها بطريقة سحرية بين عشية وضحاها. إنها أعمال فنية يا برام.

فغرتُ فاهي. عندما يتم البيع؟ الإنتربول؟ اخترقني فهم أن المال الذي عرضته عليه لم يشبع شهيته النهمة ودخلني من فمي المفتوح، كأنه صر صار عملاق يسد قنواقي الهوائية. أخيراً، تمكنت من التحدث بصوت خشن: «بربك يا مايك، انسَ هذا الوهم حول المنزل. سأحاول وآتٍ بعشرين ألفاً من أجلك. خذها وامض إلى حال سبيلك. هذا مبلغ كاف».

ظل تعبير وجهه بارداً. «إنه ليس وهماً، إنها خطة، وحن الوقت لتنفيذها. أول شيء نحتاجه منك نظرة على صورة جواز سفر السيدة لاوسون، حتى تتمكن ويندي هنا من القيام بقليل من إعادة ضبط شكلها».

عند هذه النقطة، تصنعت ويندي وجهاً خجولاً بطريقة مسرحية، كأنها تتلقى نبأ ترقية.

«فقط التقط صورة للصفحة ذات الصورة، من فضلك، في المرة القادمة التي تكون فيها في البيت، وارسلها عبر الهاتف الجديد. ولقطة لتوقيعها كذلك من فضلك».

قلت: «انتظر لحظة، ما الذي تتحدث عنه بحق الجحيم، "إعادة ضبط شكلها"؟»

قال مايك: «ستكون فيونا لاوسون بالطبع. أخبرتك بهذا في المرة السابقة. اصحَّ!».

ضحكتُ ضحكة تناقضت نبرتها المخبولة مع يقيني بأنه لا بد من إيقاف هذا الآن. قفزت واقفاً: «اسمع، لقد بلغ هذا الأمر أبعد مما

يُحتمل. أنت لم تترك لي خياراً غير الذهاب إلى الشرطة. كان ينبغي أن أذهب إليها من البداية».

«ولماذا لم تفعل؟» نهض مايك أيضاً، واتخذ خطوة في اتجاهي. في ضوء المصباح، بدت عظام وجهه شاحبة كالجيفة. «أكمل، قل لنا، نحن مهتمان. لم يكن الأمر بسبب المنع فقط، أليس كذلك؟ رجل ساحر مثلك يمكنه ربما أن يقنع أي قاضٍ بالحكم عليه بأخف عقوبة».

قلت مرعوباً بشكل جديد تماماً: «لا فكرة لديّ عما تشير إليه».

اصطنع تعبيراً عن دهشة زائفة: «إدانتك بالاعتداء، طبعاً. لا يمكنك أن تنسى ذلك».

شعرت بصدمة باردة، كأن حافة جليدية انهارت على النصف العلوي من جسدي.

- حكم مع وقف التنفيذ، ألم يكن كذلك؟ ماذا؟ منذ أربع سنوات الآن؟ أظن أن ذلك كان في مقابل الإقرار بالذنب. لديك رقم قياسي فعلاً أيها الفتى. لو سألتني عن رأيي، سيكون الذهاب إلى الشرطة آخر شيء ينبغي لك أن تفعله. بالمناسبة، هل يعرف رئيسك في العمل؟ وماذا عن زوجتك؟

لم أقل شيئاً.

صَفَّرَ بفمه وقال: «أنت تحتفظ بكم كبير من الأسرار بحق الجحيم يا برام. لكن لا يمكنك أن تكتمها عن الشرطة، أليس كذلك؟ كلها تُعد بمثابة دليل على شخصية شريرة، عندما يحين الوقت».

عندما يحين الوقت؟

هدرت الدماء في دماغي. قلت: «اخرجوا! الصفقة مرفوضة. لا مال، لا شيء».

لم يرد مايك، نظر فقط إلى ويندي التي أخرجت هاتفها وبدأت الاتصال. ترددتُ عاجزاً، بينما هي تختار وضع مكبر الصوت وتضع الهاتف على طاولة القهوة بينهما.

خرج صوت: «مستشفى كرويدون؟»

قالت ويندي بنبرة وقور: «عبر العناية المركزة من فضلك».

«ماذا تفعلين؟» همست بصوت كالفحيح، وأنا أندفع إلى الأمام. «لماذا تتصلين بالمستشفى؟»

بعينين خاويتين مثبتتين عليّ، استمرت في التحدث بصوت عالٍ في الهاتف: «أوه، آلو. إني أسأل عن الصغيرة إيلي روزرفورد، ضحية حادث سيلفر رود. كيف حالها؟»

«توقفي!» قلت لاهثاً، ونبضي يدق كالطرقة بشراسة.

«لكنك قلتَ للتوّ إنك تريد أن تقلل خسائرك». همهم مايك، بصوت قريب من أذني، كأنه مندهش فعلاً من احتجاجي.

«ماذا؟» علا صوت ويندي عليه. «لا، لا، لست من أفراد العائلة، مجرد فرد مهتم من الجمهور. أعتقد أنني شاهدت الحادث، لعلمك، ولست واثقة من يجب أن أتحدث إليه».

قالت عاملة المستشفى: «هل يمكن أن آخذ اسمك؟ ورقما للاتصال من فضلك».

«آسفة، هل يمكنك أن تكرري ما قلت؟» التقطت ويندي الهاتف، وغطت السماعة، وتضرعت إلى بنبرة مأزومة زائفة: «تريدني أن أترك اسمي ورقما لتعطيها للشرطة. هل أفعل ذلك؟ الأمر لك».

«لا!» وجثوت على ركبتي. «أغلقني الخط من فضلك!»

لم تبتعد عيونها عني إلى أن نظرت ويندي، أخيرا، إلى مايك بحثا عن إشارة.

رفعت يدها عن السماعة. «لا توجد أسماء. من فضلك انقلي أطيب تمنياتي بسرعة شفائها».

وأنهت المكالمة.

قلت وأنا ألتقط أنفاسي المتسارعة: «كان هذا حقيراً؛ أن تقولي إن لديك معلومات وبعد ذلك...» تصدّع صوتي.

قالت ويندي لمايك: «بارك الله فيه! أنا واثقة أن كارين رودرفورد كانت لتتأثر كثيراً».

«كيف تعرفان اسميهما؟ لم يُصرح بهما للجمهور». بعيداً عن توتر ذلك المقلب الأخير، كان الكشف عن اسمي الضحيتين غير مرحب به بالنسبة لي: كارين وإيلي، يمكن أن تكونا أمًا وابنة عند بوابة مدرسة الأولاد. تمنيت لو لم أعرفهما.

قال مايك: «قنوات غير رسمية يا صاحبي».

نفس القنوات التي استخدمها ليكتشف أصولي المالية، وإدانتني بالاعتداء، ولا يعلم إلا الله ماذا غير ذلك.

«برام، أعتقد أنك بحاجة إلى فهم كم هو خطير الأمر». تابع حديثه وقد استحال أسلوبه فجأة رقيقاً، أبوياً. «كما أقول: نحن مستعدون لبدء العملية وأماننا الكثير مما نفعله أثناء انتظارنا لمال التأمين».

- نعم، قلت. ذلك الإجراء المجنون وغير المنطقي بسرقة منزل عن طريق تجسيد شخصيتي أنا وزوجتي.

قال مايك مقهقهها: «أوه، لا حاجة لأن يقوم أي شخص بتجسيد شخصيتك. حتى لو كانت لديّ مهارات التمثيل، لم أكن لآمل في أن أباري هيتك كمعبود للنساء. معبود نساء باهت. لا، يمكنك أن تلعب دورك بنفسك يا صاحبي».

قاطعته بحدة: «قل خطتك بوضوح. قلت للتو إنني سأحتاج إلى جواز سفر جديد. لماذا إذًا؟»

- حسناً، ستكون نفسك أثناء إجراء العملية، لكن عندما تنتهي، كما قلت، سيكون عليك أن تفسر ما تفعله بطريقة ما وربما سترغب في إكمال حياتك بهوية جديدة لطيفة.

- على جثتي.

- اختيار شيق للكلمات. فقط طالما أنها جثتك وليست جثة إيلي الصغيرة. سمعت أن حياتها معلقة على شعرة، المسكينة، تصيبها عدوى أمراض جديدة طوال الوقت.

حدقت فيه منفجر الفم: «أنت شيطان».

كانت هزة كتفه بسيطة، كتف واحد، ونظرته باردة: «لست شيطانا، أنا عملي فقط. يجب عليك أن تفهم أنك لن تضع يديك على الصورة أو التسجيل حتى ننهي موضوع المنزل. في هذه الأثناء، يوجد دائما احتمال أن تتحسن ذاكرة الضحية، خاصة لو قامت ويندي هنا بالاتصال بها».

بينما كنت أستجمع نفسي أمام هذا التأكيد على أن ويندي قد سجلت بالفعل حديثنا صباح ليلة السُّكر، تابع حديثه المثير للأعصاب: «كما ترى، للوقت هنا أهميته فعلا. كلما عملنا أسرع، كلما أمكنك أن تهرب أسرع. كما أفهم الأمر، لو عرضنا المنزل في السوق الآن، ستمكن من بيعه خلال أقل من ثلاثة أشهر».

«ثلاثة أشهر؟» ضحكت عابسا. «سألقى القبض علىّ قبل ذلك بوقت طويل، بمعلومة من ذراعك اليمنى هذه أو بدونها».

قال مايك: «كنت في سبيلي إلى الوصول إلى هذه النقطة. إذا أتت إليك الشرطة، وطالما أنك تتعاون بطريقة لطيفة سأساعدك في الخروج من هذا المأزق بحجة غياب ليلة الحادث. كنا نتحدث في حانة (هاف مون) في تقاطع كلابام، ما رأيك؟ أظن أنها يجب أن تكون محطة قطار، صحيح؟ بما أنك لا يجب أن تكون على الطريق».

شعرت بقبضتي اليمنى تحكني كي أصفعه، وجاهدتُ لإبقائها إلى جانبي. «اللعنة على حجة غيابك واخرج. لن أطلبها منك مرة أخرى».

لأول مرة قارب أسلوبه حافة الانزعاج: «أتعرف؟ بدأت أجد تلك الانفجارات العصبية منك مملة بعض الشيء. لا تحطم هاتفا آخر، حسنا؟ لو فعلت ذلك، سنضطر إلى الاتصال بك على هاتف عملك. والأفضل

أن نترك رسالة مع رئيسك في العمل. اسمه نيل ويكسن، أليس كذلك؟ أتصور أنه سيكون متشوقاً جداً لسماع ما ورطت نفسك فيه. ولن أندھش لو كان مذعوراً قليلاً بالفعل من أدائك مؤخراً. أرقام المبيعات انخفضت هذا الموسم، أليس كذلك؟» سقطت يده على كتفي، أصابع عظمية قبضت عليه بقوة. «لذا ما أقترحه أن تقوم بالتفكير السليم. وأعرف أنك ستصل إلى القرار الصحيح».

كانت ويندي أبطأ في النهوض، وأخذت لحظة لتفحص الغرفة. استقرت نظرتها على الفراش، وعندما لاحظ مايك ذلك، قال: «هل أمضي أنا أولاً، وأعطيكما وقتاً على انفراد؟»

ومضت في ذاكرتي صور الجلد العاري والتأوهات، والكلمات البذيئة التي طلبت مني أن أتفوه بها في أذنها. الفخذان وهما ينفرجان ثم ينقبضان. قلت: «لا شكراً».

«يا للعار!» كانت إلى جواربي مباشرة، وقد تركت أناملها تلمس ذراعي، قبل أن تتبع مايك خارجة من الشقة.

هتف مايك: «لا تنس أمر العشرين ألفاً يا برام».

راقبتهم ينصرفان بنفس الطريقة التي راقبتهم بها وهما يصلان. بالنظر إلى الألفة بينهما، تولد لدي شعور أكيد أنها يعرفان أحدهما الآخر لسنوات. هل أنا واحد في طابور من الضحايا أم هما محتالان للمرة الأولى؟ بالتأكيد، يمكن أن تكون هذه فقط (الجريمة الفرصة): أولاً، في مسرح الحادث، التقط مايك الصورة ليحمي نفسه، وبعد ذلك، ما إن تبين كلاً من أصول ممتلكاتي ومسؤولياتي، حتى أرسل ويندي إلى حانة (توبرووارز) لتجمع أي اعترافات

بالذنب كنت من الحماقة بمكان بحيث أتفوه بها. إذا كانت قد رغبت في النوم معي أثناء ذلك، فذلك كان قرارها. بالنسبة لهما، كان الجنس رخيصة، سهلا في الإعطاء وسهلا في الأخذ. ما كان يمثل قيمة لهما هو العقار. منزل في جادة ترينيتي. عملية احتيال مرة واحدة في العمر.

لكنها كانت خطة متهورة بأي مقياس من المقاييس. ماذا يعرفان عن جوازات السفر المزورة والحسابات المصرفية في دبي؟ كيف نويا مجابهة نفقاتهما قبل أن أرتكب ذلك الخطأ الفاحش مرة أخرى بأن أعرض عليهما المال؟ كانا هاويين، مهرجين.

حقيقة أنه بدا عليهما القدرة أن يضيقا الخناق من حولي كانت تعني فقط أنني حتى أقل ذكاء منهما.

بجد، كان ينبغي أن ألقي بنفسي من الشرفة في التو واللحظة.

الجمعة، 13 يناير 2017

لندن، 2.30 مساء

«الشرطة في الطريق». تعلنها ميرل، ويحل الصمت على فاي التي تستجمع طاقتها كي لا ترتعد. المطبخ الذي طبخت فيه وأكلت آلاف الوجبات مع أسرته وأصدقائها لم يعد تحت إمرتها، لكنها تفضل أن تكون ميرل حاكمته الجديدة عن آل فون.

لكن احتمال وصول السلطات لم يوقف ديفيد فون عن الاستمرار في تحرياته الخاصة وهو الآن ينهي مكالمته مع محامي آل لاوسون ويهرز رأسه غير مصدق: «الشخص الذي نحتاج إلى الحديث معه أغلق هاتفه أثناء وجوده في موعد بإحدى المستشفيات. سيعود بعد الظهر».

ترفع ميرل حاجبًا: «فلنأمل أن يصلحوا بصره. لا، مخه كله».

لا يغدو المحامون الغائبون حلقات مفقودة فقط، بل كباش فداء المجموعة أيضا.

تتابع ميرل: «حسنًا، يبدو بالتأكيد أن لدينا هنا قضية تزوير. سيقتل هذا برام. إنه ليس قويا مثلك يا فاي».

يقول ديفيد: «مهلا لحظة». هو لا يملك هذا الميل لدى ميرل للحديث كما لو أن وضع فاي هو الوضع الأصلي الشرعي. يخاطب فاي مباشرة: «إذا كنتِ

واثقة إلى هذا الحد من أن زوجك لا يعرف شيئا عن هذا، فمن كان الشخص الذي قابلناه؟ الشخص الذي كان هنا مع الوكيل؟ أنا واثق أنه قُدم إلينا على أنه المالك. إذا كان محتملا بطريقة ما، إذا أين كان السيد لاوسون الحقيقي؟ مربوط في بيت اللعب؟»

«ماذا؟» تقولها فاي مفزوعة.

«كيف يبدو زوجك؟ أنا جاد، هل لديك صورة على هاتفك؟»

«مهلا لحظة!» تستبق ميرل أي تعاون متهور من جانب فاي: «قل لنا أنت كيف بدا الرجل الذي قابلته». هناك قليل من الثقة في هذه الغرفة، وكل المشترك بينهم هو موضوع دعواهم.

تقول لوسي: «كان وسيما، في منتصف إلى أواخر الأربعينات من مره، طوله حوالي 188 سنتيمتر، شعره مجعد داكن بادئ في الشيب. اعتقدت أنه كان مضطربا إلى حد كبير - تعرفين، يروح ويجيء بلا هوادة بعض الشيء. خرج ليدخن سيجارة، أليس كذلك يا ديفيد؟ كانت له طريقة حادة في النظر إليك».

تحقق فاي إليها، وقد تجمدت تماما. انطباعها فطن (تميل النساء إلى ملاحظة تفاصيل برام)، لكن كيف تمكنت من تكوينه بحق السماء؟ تعترف ميرل: «يبدو هذا شبيها به».

من وخز رعبها الحي تفتش فاي هاتفها لتجد صورة؛ ما زال لديها بضع صور لبرام مع الولدين.

يتفق آل فون: «هو بالقطع».

تقول لوسي لزوجها محاولة أن تخفض صوتها: «لا أفهم، هل تعتقد أن زوجها خدعها؟»

تقول ميرل بيقين عميق: «لن يفعل برام شيئاً شريراً هكذا، أليس كذلك يا فاي؟»

لكن الصدمة كانت قد اجتاحتها بموجة جديدة، لتجعل من المستحيل عليها أن تتابع الحوار بذهن واعٍ.

توجه ميرل سؤالاً إلى آل ثون: «متى قابلتها بالضبط؟»

يقول ديفيد: «في إحدى المعاينات. رغم أنه لم يكن موجوداً هنا إلا تلك المرة فقط. في المرتين التاليتين كان الوكيل وحده. إذاً نعم، فقط عندما كان المنزل معروضا للمعاينة».

«كان المنزل معروضا للمعاينة؟» تسبب هذه العبارة في إحساس فاي بالقشعريرة وتتصبب الشعرات على ذراعيها. ذكرى، علاقة من جانبها، في خبرتها، بين ماضي طاهر الذيل وحاضر خائن.

تلتفت لوسي نحوها، وقد تنبعت ذاكرتها: «صحيح! قال إنك خارج المدينة. أتذكر ذلك الآن. من الطريقة التي قالها بها، ظننت أنكما ما زلتما متزوجين».

تقول فاي في عقلها: ونحن كذلك. بقدر العمق الذي غرقت فيه سفينة برام، قانونيا وماليا، تغوص هي أيضا معها.

لكن ميرل ما زالت متشبثة بمقدمة السفينة: «أنا آسفة، لكن لا سبيل لأن يكون المنزل معروضا للمعاينة هنا دون أن ألاحظ. أنا أقطن بعد بيتين من هنا».

يقول ديفيد منفعلًا: «حسنًا، هناك سبيل. كان ذلك يوم سبت في أكتوبر».

تضيف لوسي: «السبت التاسع والعشرون من أكتوبر». يمكن لفاي أن يتحدث بأن لهذا اليوم قيمة عاطفية بالنسبة لها. اليوم الذي رأت فيه لأول مرة منزل أحلامها، منزلها إلى الأبد.

عندما تلتقي عيناها بعيني ميرل، تلمح بدايات شك في استجابة صديقتها. تقول: «كنت. نصف الفصل الدراسي». تلتفت إلى ديفيد، وملاحه تغيم وسط تجمع دموع جديدة. «إذا أنت تقول إن برام كان طرفا في هذا؟ إنه حاول فعليًا بيع بيتي؟»

يقول ديفيد: «أنا أقول إنه باعه بالفعل. وفي هذه الحالة، من غير المحتمل أن يكون قد اختطف، أليس كذلك؟ ربما رحل برضاه».

بينما تغطي فاي وجهها المنتحب بيديها وتمسد ميرل كتفيها المتهدلتين، يرن جرس الباب.

تقول ميرل: «فلنر ما رأي الشرطة».

جنيف، 3.30 مساء

في حمام الفندق، يُشغل أغاني للمطرب نيك كيف على هاتفه ويشعر في قص شعره. تهوي حلقات الشعر في كتل، الداكنة منها فقط هي الظاهرة على البورسلين الأبيض، أما التي تسلل إليها المشيب فعصية على الرؤية. الإضاءة، الموسيقى، قلقه: كلها معا تخلق مزاجا مصطنعا، يكاد يكون طقسيا، وكأنه ممثل يلعب دور خارج على القانون وهذا هو المشهد الذي لا بد له فيه أن يبدل

هيئته، ويصبح شخصا آخر. ربما لص قطارات كبير أو جيسي جيمس.⁽²⁸⁾

لا، بل شمشون، هكذا يفكر. شمشون مرجع أكثر بلاغة. رجل أنعم عليه بقوة تفوق البشر. كان الولدان يعشقان قصص التوراة للأطفال التي أهدتها لهما الجدة تينا. استمتع هاري، على نحو خاص، بعنف قصة شمشون: تمزيق الأسد، اقتلاع البوابات من مفصلاتها بيديه العاريتين، مجزرة لجيش كامل (يتذكر برايم كيف شرح ما تعنيه «مجزرة»، بعد أن خلط في البداية بينها وبين «زلاجة» بابا نويل).

بعد أن فكر في الأمر قليلا وبطريقة يائسة، لم يُلَمَح إلى أمه بأنه سيرحل. ربما لم يكن لديه إيمان خاص به، لكنه مؤمن بأن إيمانها سيدعمها. ولن تقطع فاي الاتصال بها، فهي حريصة على الوفاء بحقوق الجدود. لو حدث أي شيء، سيضمان الصفوف، ما إن تكشف الشرطة مدى جرائمه، سيعدان العدة للهجوم على عدو مشترك.

كل ما يمكنه أن يصلي من أجله أن تخففا من إدانتها في وجود ليو وهاري، أن تتركاهما يتذكرانه في أفضل أحواله - أيا كانت.

يكنس الشعر المقصوص بأصابعه وينقله إلى المرحاض ليدفق الماء عليه. عندما يعتدل في وقفته وينظر في المرأة، يصيبه الذعر. رغم أنه تغير، إلا أن هذا حدث بطريقة غير محببة: يبدو أصغر سنًا، أكثر لفتًا للأنظار، الخوف في عينيه أكثر صراحة وبقاء في الذاكرة. يتذكر مرة أخرى ذلك الرجل قرب المصعد

28 جيسي جيمس (1847-1882) كان زعيم عصابة أمريكي وسارق بنوك وقاتل وأحد الأعضاء المشهورين في عصابة جيمس-يونغر. (المترجم)

في المطعم ويعرف الآن أنه لا بد أن يثق في غريزته، أنها الشيء الوحيد الباقي
كي يثق فيه. ثمة شخص ما - إن لم يكن ذلك الرجل فهو رجل آخر - موجود
في جنيف، يراقبه، ينتظر الوقت المناسب قبل ... ماذا؟ إجباره على العودة إلى
مايك؟ القبض عليه؟ قتله؟

على الفور، يتغلب عليه دافع الاستمرار في الهروب فيعيد تعبئة الأشياء
التي أخرجها من حقيبة ظهره ويترك الغرفة.

لا سبيل لموظفة الاستقبال، في بداية نوبة عملها، لمعرفة أن هيئته قد تغيرت
ولا تبدي تعليقاً حول رحيله السابق على أوانه، فحجرتة مدفوع ثمنها نقداً
عند وصوله.

في طريقه للخروج، يحاول ألا يفكر في نهاية شمشون، كيف هدم المعبد، لا
ليقتل نفسه فقط بل ليقتل كل من كان فيه.

برام، ملف وورد

هل بدأت ترين كم يبدو الأمر مريعاً على الورق؟ كم شعرتُ أني واقع في الفخ؟ كم كنت مرعوباً؟ الذنب المعترف به -والمسجل- في حادث سيلفر رود، المنع من القيادة، الحكم مع وقف التنفيذ بتهمة الاعتداء، ناهيك عن حكم بحيازة... هذا الأخير تاريخ قديم، لكن ماذا يهم؟ كما قال مايك، كل شيء محسوب عندما يحين الوقت.

محسوب ضدي.

لا يمكنني الدفاع عن نفسي إلا بقول إن هذه كانت جرائم الوحيدة طوال ثمان وأربعين عاماً وأعتقد أنه يوجد عدد قليل جداً من الناس لم يرتكبوا تنويعاً ما من واحدة من هذه الجرائم على الأقل، حتى ضباط الشرطة أنفسهم. بجد، ألم تتجاوزني قط حد السرعة؟ ألم تجربي قط المخدرات أو غدوت عدوانية قليلاً خارج حانة؟ لم أقل هل قبض عليك وأنت تفعلين شيئاً من هذا، سألتك فقط: هل فعلتها؟

حسناً، قبض عليّ فيها جميعاً. ما يعني أنه لا يمكن أن يكون هناك حمام في الأرض لديه ما يكفي من القدرة على الإقناع كي يجادل بأن حادثة سيلفر رود كانت خطأ يحدث لأول مرة. ليس عندما يبين السجل أني شخص يوجد دائماً في المكان الخطأ في الوقت الخطأ فاعلاً الشيء الخطأ.

حسناً، إذا كانت المعركة في الحانة خطيرة إلى حد كبير. لم أبدأها، لكنني أنهيتها بالتأكيد: حُمل الرجل إلى المستشفى، وغاب عن العمل أسابيع. كنت محظوظاً لأن الحكم جاء مع وقف التنفيذ وأني تمكنت، بمعجزة، من إخفاء عملية التقاضي عن فاي. لن أدخل في المتاهة الإجرائية لذلك (ساعدني أن عمليات تجديد كانت تجري في المنزل، وبما أن الولدين لم يكونا قد بدأ المدرسة بعد، فقد أقامت فاي معها في بيت والديها، لتتركني مع حيلي والأعبي). ولن أشرح ما تخيلت أنه كان ليحدث إن لم يقنع ندمي المحكمة وأرسلتني إلى السجن («فاي؟ أنا أتصل من هاتف عمومي في السجن. يجب أن أخبرك بشيء...»)

«في مقابل الإقرار بالذنب، أليس كذلك؟» قالها مايك تلك الليلة في الشقة، بنظرته المتلصصة، وكأنه قادر على اختراق روحي بنظره وقياس ألمي. وأعترف بأن غريزته كانت ثاقبة. كنت لأقر بالذنب إلى مدى أسوأ لو كان هذا يعني تجنب فترة السجن. لن أقول إن السجن يشكل رهاباً لي، لأن هذا سيجعل الأمر غير منطقي، وجدانياً تماماً.

بينما في الحقيقة هو منطقي، حقيقي. حقيقي لدرجة أنني كنت لأفعل أي شيء، أضحى بأي شخص، لأتجنبه.

«قصة فاي» < 01:37:11

أمل حقاً ألا أعطي الانطباع بأنني سمحت لعلاقة جديدة أن تلهيني عما كان يجري - وسأعرف ذلك لاحقاً - تحت ناظري تماماً، لكنني واثقة أنكم ستفهمون أنه كان وقتاً مثيراً. كلنا نعرف أن البدايات هي أفضل جزء - من يضمن على امرأة بهذا؟ خاصة امرأة تركها انبهار زواجها بلا استعداد لأي شيء أكثر من البدايات.

حتى البدايات جاءت بمستوى من الغرابة. ربما كان ذلك في ثالث عطلة نهاية أسبوع يرى فيها أحدها الآخر، المرة الأولى التي يبيت فيها توبي في الشقة، عندما انتابني رد فعل الكر أو الفر.⁽²⁹⁾ عندما صحوت لأجده في الفراش بجانبني، لبثت برهة لا أستطيع التعرف عليه، لا أستطيع التعرف على الفراش ذاته، على الجدران الأربعة حولنا. دار بخليدي: لماذا لست في بيتي مع أسرتي؟ ما هذا المكان البائس؟ حتى عندما بدأ عقلي يستوعب الأمر، كنت مقتنعة أنني لا يمكن أن أنام مع توبي مرة أخرى. ليس هنا، وثياب برام في الخزانة، وكريم حلاقته في الحَمَّام، والهواء ما زال يحمل أنفاساً طازجة خارجة من رئتيه. كان وكأنه موجود في الغرفة معنا، يراقبنا.

عندئذ تحرك توبي، وانزلت من الفراش لأعد القهوة.

بالطبع قبل أن نفيق وأسير معه عائدين عبر المتنزه إلى المحطة، كنت قد عدت إلى ذاتي من جديد وكان هو غافلاً عن القصة كلها.

قال: «إذا ألم يعد الأطفال يلعبون بالكونكرز؟»⁽³⁰⁾ أم أنهم جميعاً أكثر انشغالا داخل البيت بالتنمر على أحدهم الآخر على وسائل التواصل الاجتماعي والإيذاء الذاتي؟»

29 نظرية الكر والفر وصفت لأول مرة من قبل والتر كانون في 1915. نظريته تقول إن الحيوانات تتفاعل للخطر بطريقة استنفاذ عام للجهاز العصبي الودي sympathetic nervous system، مما يجعل الحيوان مستعداً للقتال أو الهروب. (المترجم)

30 لعبة تقليدية للأطفال في الجزر البريطانية يتم لعبها باستخدام بذور أشجار القندلي - يتم تطبيق اسم «كونكر» أيضاً على البذرة وعلى الشجرة نفسها. تُلعب بواسطة لاعبين، كل منهما معه كونكر مربوطة بقطعة من الخيط: يضربون بعضهم البعض حتى تنكسر واحدة. (المترجم)

قلت ضاحكة: «ليس جميعهم. ما زال البعض يخاطرون بالدخول إلى العالم الحقيقي من وقت لآخر». لكن بينما كانت الشمار السائكة تتدحرج في طريقنا، لم يركض أي طفل إلى الأمام ليجمعها. لعله كان أجمل يوم في الشهر أيضاً، حيث لم تكن نار الخريف قد خبت واستحالت رمادا بعد. قلت في عقلي: كان ينبغي أن يكون ليو وهاري هنا. «ربما هناك حدث جماعي لتدريس الرياضيات لم أسمع به. سأتي بطفليّ إلى هنا بعد الظهر. متعة إجبارية خارج البيت».

«عندك حق تماماً». كان لدى توبي طفلان بالغان تقريباً، تشارلي وجيس، يراهما كل بضعة أسابيع، علاقته بزوجته السابقة مشحونة وقد انتقلت إلى ميدلاندر لتكون قريبة من والديها.

قلت له: «لا بد أنك أنت نفسك لم تكن أكبر كثيراً من مراهق عندما أنجبت ولديك». كان في أواخر الثلاثينات من عمره، أصغر من برام بعقد تقريباً. «لا يمكنني تخيل عدم الحديث عن ليو وهاري بالطريقة التي لا تتحدث بها عن ولديك». عندما سمعت كلامي، ضحكت معتذرة: «يبدو هذا سيئاً. ما أعنيه أني مندهشة من الطريقة التي تخلّيت بها».

تفحص توبي الطريق أمامنا، وقال بلطف: «مجرد أني لا أتحدث عنها لا يعني أني لا أفكر فيهما».

«أعرف بالطبع. لم أقصد أنك لست والدأ رائعاً».

قال مبتسماً: «لست واثقاً من هذا. يبذل المرء فقط أفضل ما لديه، أليس كذلك؟»

- أنت على حق.

أتذكر أني قلت في عقلي: كان برام ليقاتل أشد من هذا كي يكون في حياة طفليه. ثم: توقفي عن المقارنة!

(المقارنة هي سارقة الفرح: تلك واحدة من أقوال ميرل المفضلة. وهي صحيحة جداً).

على أي حال، كان هذا عندما رأيتهم، برام والولدين. تحت شجرة قسطل كبيرة عجوز قرب البوابات المؤدية إلى طريق أولدر رايز. كان شعر الولدين رطباً من أثر السباحة - من عادة برام نسيان القبعات - وخدودهما متوردة. هبت الريح وانهمرت فجأة زخة من الصواريخ الخضراء، جاعلة هاري يصرخ من الإثارة ويرفع يديه محاولاً الإمساك بواحدة. أما ليو، الحريص دائماً، فقد خطا مبتعداً، لكن برام جذبته ليعيده إلى خط إطلاق النار ورغم أنه صرخ محتجاً إلا أن وجهه أضواء بالإثارة.

لم يروني ولم ألفت انتباه توبي إليهم - الذي كان على أي حال يسير أمامي الهوينى، ناظراً في هاتفه - لكنني احتفظت بالمنظر لنفسي.

ما زلت أفكر في هذا المنظر الآن أحياناً، ثلاثتهم معا والشعور الذي انتابني عندما شاهدتهم من الناحية الأخرى من الحديقة. ترك لي شعوراً غريباً من الكآبة لم أعرف كيف أفسره حينها، رغم أني الآن أعتقد أنه كان مرتبطاً مباشرةً بذلك الشعور الذي انتابني في الفراش قبل قليل. كان ذلك هو اليوم الذي ودعت فيه إحساساً سرياً ما في اللاوعي بأني وبرام يمكن أن نعود سوياً من جديد.

@SarahTMellor هذه المرأة ما زالت عاشقة لزوجها السابق
#واضح وأنا مغمضة العينين
@ash_buckley @SarahTMellor لا تنسي أنها قالت في
البداية إنها تريد أن تقتله.

برام، ملف وورد

ثمة صباح يوم سبت في أكتوبر أخذت فيه الولدين إلى المتنزّه أتذكره كثيراً الآن. ربما كانت تلك آخر مرة، قبل العملية، امتلكت فيها القدرة على تصفية ذهني مؤقتاً وعيش اللحظة. كنت أكره هذه العبارة: عيش اللحظة، عبارة واعية أكثر من اللازم بالنسبة لي، لكنها تصف الأمر بشكل جيد جداً. وكأني بلا ماض ولا مستقبل بل نُقلت إلى هذا الركن من أولدر رايز مع ولدين صغيرين مرحين فقط لنمسك الكونكرز عندما تساقطت طائرة. أخبرتهما بأمر اللافتة التي وضعها أحدهم على شجرة منذ بضع سنين وكتب عليها: «كونكرز متساقطة» وقال ليو: «ألن يكون من الممتع لو أن الشخص الذي وضع اللافتة كانت إحدى الثمار ضربته على رأسه؟» وأضاف هاري: «نعم، ومات».

أوه، قضينا الوقت كله في مرح وألعاب إلى أن عدنا إلى البيت ووضعنا ثمارهما المفضلة في خيطين وخلال ثوان كان هاري قد أصاب ليو في عينه واضطر ليو إلى الجلوس وعلى وجهه كيس بازلاء مجمدة وجعلتهما هما الاثنين يقسمان على الاحتفاظ بالأمر سرّاً لأن فاي كانت بالضبط من هؤلاء الأشخاص الذين يعتقدون أن لافتة تحذيرية عن الكونكرز فكرة جيدة.

ظللت أعتذر لهما، أذكر ذلك، وظلا يقولان: «ليست غلطتك يا بابا». من ناحية لأنهما دائماً يلومان أحدهما الآخر، كان ذلك وضعهما الأساسي، ومن ناحية لأنهما لم يعرفا ما كنت أعتذر عنه في الحقيقة.

وربما لم أكن أعرف أنا أيضاً، ليس حقاً. ليس حتى الصباح التالي.

يمكنني أن أسجل بالضبط اللحظة التي انزلت فيها إصبعي الأخير القابض على الجرف، وتسبب ذلك في حدوث اضطراب بالغ بسبب الارتفاع قارب حد الإغماء: 30, 10 صباحاً يوم الأحد 16 أكتوبر، بينما كنت جالساً إلى طاولة المطبخ ألعب بنك الحظ مع الولدين وفي نفس الوقت أطلع الأخبار المحلية على الهاتف المدفوع مقدماً.

الشرطة تطارد القاتل في حادث الأم والابنة المريع

توفيت في المستشفى من جراء إصاباتها الضحية الصغيرة لحادث في ثورنتون هيث نتج ربما عن غضب الطريق. إيلي رودرفورد ذات العشرة أعوام، والتي كانت في المقعد الأمامي لسيارة أمها الفيات 500 وقت الحادث في مساء 16 سبتمبر، خسرت معركتها بالأمس بعد عمليات جراحية عديدة.

تظل كارين رودرفورد في مستشفى كرويدون تتعافى من إصاباتها. لم تكن هي ولا زوجها متاحين للتعليق.

قال المتحدث عن الشرطة: «هذا خبر حزين للغاية ونود أن نظمئن أسرة إيلي بأننا ملتزمون بتقديم الجاني إلى العدالة. نحن مهتمون على نحو خاص بالتواصل مع امرأة اتصلت بمستشفى كرويدون لتقول إنها شهدت الحادث. نود أن نؤكد على أن أي معلومات تشاركها معنا ستعامل بأقصى سرية».

وُضعت الزهور كتحية ومواساة عند بيت الأسرة وعند موقع التصادم في سيلفر رود.

ستظل الكلمات محفورة في روعي طالما استمرت في التنفس. ثمة طفلة لم تعد تعاني من إصابات حرجة، بل ماتت. طفلة ماتت...

قال ليو مقلدا صوت فاي: «ضع الهاتف جانبا يا بابا. عليك أن تركز في اللعبة».

طفلة ماتت!

تساءل هاري: «بابا؟ هل سنشتري (نيدوكوين)؟»

قلت له بصوت بدا شبحيا حتى بالنسبة لي: «قرر أنت. هل لدينا ما يكفي من السيولة؟»

قال ليو وهو يلكزه: «إنه باهظ الثمن فعلا، 350 بوكي دولار. هل يمكنك حتى أن تعد إلى هذا الرقم الكبير؟»

«طبعا أستطيع!» وبينما بدأ هاري يعد المال بطريقته المتسرعة، شعرت بهلعي يزداد وخفت أن ينفلت غضبي من عقاله: تصورت نفسي أقلب الطاولة، وأجأر مثل وحش، وألقي بنفسي عبر لوح الزجاج. راعني أن العنف الذي شعرت به تجاه مايك وويندي ونفسي قد يكشف عن وجهه أمام أكثر شخصين أتمنى بحب أن أحييهما.

طفلة ماتت. ستُصعدُّ التهمة من التسبب في إصابة خطيرة إلى القتل غير العمد أو التسبب في الموت بالقيادة الخطيرة - لا أعرف ماذا تُسمى بحق الجحيم، فقط سيجدونني مذنبا.

ليس أربع سنوات في السجن، بل عشر. وربما أكثر.

- دقيقة واحدة يا أولاد، لو سمحتما، بينما أذهب إلى الحمام؟ ساعد هاري في عدّ أمواله لو سمحت يا ليو، ممكن؟

قال ليو شاكيا: «لكنه ليس في فريقى!»

صرخت فيه: «افعل ذلك فقط!»

رغم المعارضة المتحدية التي كان عليها الاثنان، إلا أن الصدمة على وجهيهما كانت متطابقة عندما جريت من الغرفة وتقيأت في مرحاض الطابق الأرضي.

«قصة فاي» < 01:41:20

عند عودتي إلى جادة ترينيتي ذلك الأحد، كان هاري أول من رأيت عندما دخلت. ورغم أنه كان قد اعتاد قبل ذاك على مجيء ورحيل والديه المنفصلين، إلا أنه كان دائما يأتي إلى الرواق ليعلن عناوين الأخبار الرئيسية.

- أصاب ليو عينه!

- حقا؟ كيف؟

- بالصدفة تماما، لم تكن غلطتي. وقد انتهينا من وضع العلامات على كل شيء بقلم الشرطة الخاص!

- أحسستما! هل انتهيتما من كل الهواتف وأجهزة الآي باد وغيرها؟

«نعم، كل شيء. أوه، وبابا تقيأ مرة أخرى». تذكرها عندما ظهر برام من الحمام.

قلت: «حقا؟» مرة أخرى؟ «هل أنت بخير يا برام؟»

قال: «أنا بخير. مجرد تسمم طعام بسيط. كيف كانت إجازتك يا فاي؟»

«كانت جيدة. أنا... قضيتها مع صديق». تبادلنا النظرات واندھشت من نفسي إذ احمر وجهي. أما رد فعل برام فأقل ما يمكن وصفه به أن كان غريباً: بدأ جانب من وجهه يتشنج، كأنه يتلقى ضربات من خصم غير مرئي. بدا في الواقع كما كان يمكن لزوجته سابقة أكثر توقاً للانتقام أن تتمنى رؤيته: محطماً، تحت رحمتها.

افتراضياً -لأنني لم أكن تلك المرأة- لم يبد الأمر مرضياً تقريباً كما كان يمكن لي أن أتوقع.

قلت: «فلأذهب وألقي نظرة على عين ليو».

برام، ملف وورد

كنت مستعدا بحركتي التالية حتى قبل أن تأتي الرسالة الاستفزازية المحتومة صباح الإثنين:

- أعتقد أنك رأيت آخر الأخبار؟ لعبة كرة جديدة تماما.

لو كنت مصابا حقيقيا بالبارانويا، لظننت أن مايك رتب موت الطفلة المسكينة من أجل مصلحته الشخصية. لم أستطع تحمل رؤيته مرة أخرى ولذا اتصلت به.

قال: «من اللطيف أن يأتيني اتصال منك يا برام. أخيرا رأيت خطأ أساليبك، أليس كذلك؟»

قلت ببرود: «تلقيت رسالتك. تعاطفك طاغ».

قهقهه ساخرا: «لست في مجال التعاطف، لا بد أنك تعرف هذا قبل الآن».

- إذا أنت معتل اجتماعياً.

تنهد: «أيجب أن نمر بنفس الروتين كل مرة؟ أهذا فعلا كل ما اتصلت لتقوله؟»

تمالكت نفسي: «اتصلت لأن لديّ عرضا من أجلك».

- صحيح؟ إذا ينبغي أن...

- لا، ليس لديّ اهتمام بمقابلتك مرة أخرى. سأخبرك الآن، في الهاتف. اقبله أو ارفضه.

جعلتني ضحكته المزدرية راغباً في تعقبه وتحطيم هاتفني على وجهه.

- أكمل إذا، فلنسمعه.

أخذت شهيقاً ملء رئتيّ من الهواء، ما يكفي لإلقاء كلمتي دون توقف: «أنت تفعل ما يجب عليك أن تفعله. إذا كان لديك ما يكفي من الجنون لأن تسرق جوازات السفر مني أو أي شيء آخر تحتاجه، فلن أمنعك. لكن لا علاقة لي بالأمر. أنت ترتكب الجريمة وإذا حدث ونجحتَ بمعجزة ما، افعل ما يحلو لك بالمال، اذهب حيثما يحلو لك. في كل الأحوال سألعب دور الغبي. لم ألتق بك قط، لم أسمع باسمك قط».

تسرق جوازات السفر مني... لن أمنعك: كان ذلك هو العرض، متوارياً في الكلام، وكنت أعرف أنه سيكتشفه على الفور. خذ ما تحتاجه مني، فقط لا تطلب مني أن أكون متآمراً فاعلاً.

خلال الأربع والعشرين ساعة التي مرت بعد أن قرأت عن وفاة الصغيرة إيلي رودرفورد، رسّخ هذا السيناريو -رغم سخافته وحمقه وشرّه- نفسه كخيار مقبول نسبياً. سأكون الضحية مثلي مثل فاي. سنخسر المنزل لكننا سنخسره سوياً، سيكون لدى كل واحد منا الآخر. قد يكون هذا خلقاً لنا -إعادة خلق لنا. تخيلت نفسي أواسيها، أخبرها أننا ستتجاوز هذا سوياً، أن الممتلكات المادية لا تساوي شيئاً إلى جوار الصحة والأسرة والحب. سيستغرق الأمر سنوات، لكنني سأبدأ في نسيان تلك الفتاة المسكينة والأسرة التي تركتها وراءها. بل ربما أجد سبيلاً للتوبة والتطهر.

قال مايك: «أهذا كل شيء؟»

أخذتُ نفسًا آخر طويلًا وتابعتُ بسرعة: «في المقابل، سأحتاج الصورة التي التقطتها لي في الحادث وذلك التسجيل الذي قامت به ويندي أيا كان. سأحتاج وعدك بأنه لم يبق شيء يمكن أن يربطنا أو يدينني». حتى وأنا أتحدث، فهمت كم سيكون أي وعد كهذا واهيًا: هو وويندي مبتزان، بالطبع سيحتفظان بنسخ، بمعرفة أحدهما الآخر أو بدون معرفته. تبع ذلك قلق جديد: كانت هناك أيضًا رسالة نصية تجاهلتها. الرسالة التي تلقيتها من ويندي بعد ليلتنا معًا، وبها ذلك الرابط للخبر الخاص بالمكافأة المالية، قبل أن يدخل مايك في الصورة، وكانت قد أرسلت إلى هاتفي المسجل «الرسمي»، الهاتف الذي وفرته لي جهة عملي. بالطبع كنت قد حذفتها، لكن ألا يمكن للشرطة استعادة الرسائل والملفات حتى بعد حذفها؟ حتى لو رضى هذان الأحقان بإنجاز جانبهما من الصفقة، حتى لو منحني مايك حجة غياب مقنعة في حالة القبض عليّ، هل ستشي بي التكنولوجيا؟

بعد أن شعرت بما يشبه النشوة عندما توصلت إلى هذا الحل، كنت الآن أسقط سقوطًا حرًا من ثقبه، وروحي تصرخ.

تسلل صوت مايك إلى أذني لزجا وسامًا: «إمم. لا أعتقد حقًا أنك في موضع يسمح بتقديمك طلبات يا برام، حتى لو خدعت نفسك بالاعتقاد أن ما تقدمه فعليًا يُعتبر عرضًا».

قلت بلهجة متتجة، تقلصت بالفعل لتشبه طفلًا يتوسل: «لكني لا أفهم لماذا تحتاج إليّ، يمكنك أن تفعلها بدوني».

قال مايك: «أوه، لكننا لا نستطيع. اعتقدت أننا أوضحنا هذا في المرة الأخيرة: أنت لا تضاهي». وسكت لحظة ليستمتع بصياغته للعبارة: «لذا لماذا لا أقدم لك عرضاً: توقف عن الحماقات وسُنْبُقي هذا بين الكبار».

بلعت ريقِي. كان حلقي جافاً بسبب نوبات التقيؤ التي كانت تتابني عدة مرات يومياً - وبشكل أساسي في كل مرة حاولت فيها أن أأكل. «ماذا يعني ذلك؟»

- يعني أننا لن نكون بحاجة لتوريط الصغار. ما رأيك في هذا؟
«ماذا؟» انقبضت معدتي.

- ليو وهاري، أليس كذلك؟ عاشقا الكلاب كما أظن.

بالطبع، لقد رآهما في عرض الكلاب، حتى ولو بشكل عابر. فكرة أنه كان قريباً إلى حد لمسهما دفعت بعصارة مُرة إلى فمي.

- أنا واثق أنك تود أن تبقيهما في أمان، أليس كذلك يا برام؟ وكذلك أنا، وكما أقول، هذا عرضي.

- إنه ليس عرضاً، إنه تهديد، وأنت تعرف هذا.

- فسرهُ كما يحلو لك، أنا أحاول أن أكون لطيفاً هنا. والآن، دعني أذكرك بما ستفعله أولاً.

- لا، أنا بحاجة إلى أن أعرف...

- اخرس الآن يا برام، حسناً؟ أريد هذه اللقطات لصورة وتوقيع زوجتك في جواز السفر قبل نهاية اليوم، هل تفهم؟ إذا لم تصل، ستصل الأدلة الخاصة بسيلفر رود إلى الشرطة غداً في التاسعة صباحاً. أظن أنه سيُقبض عليك قبل الظهر، ما رأيك؟

وبوجودك في زنانة الشرطة، لن يكون لهذين الولدين إلا أمهما
لتعتني بهما. لنأمل أن تكون أهلا لهذه المهمة، هه؟

أغلق الخط، تاركا إياي ألغن وأسب في خط ميت متوعدا إياه لو ذكر فاي
والولدين مرة أخرى أني سأقتله.

«قصة فاي» <01:42:33

عندما طلب برام القدوم إلى المنزل مساء الإثنين من أجل بعض الوثائق
التي احتاجها من أجل المطالبة بتأمين السيارة، ذكّرت أنه المملف فارغ. «أنت
أخذت كل الأوراق منذ شهر».

«صحيح، لكني لا أستطيع العثور على الشهادة الأصلية بعدم وجود
مطالبات سابقة منذ أن قمت بتحويل البوليصة في العام الماضي. لا بد أني
وضعتها مع أوراق تأمين البيت. لن يستغرق الأمر مني دقيقة كي أجدها».

«متى تعتقد أنهم سيدفعون؟» سألته عندما خرج من حجرة المكتب.
كان قد مر أسبوعان منذ أبلغنا عن سرقة الأودي ولم نستعدها بعد. لم أسمع
مرة أخرى شيئا من ضابط الشرطة الذي جاء إلى المنزل. «هل يشبه الأمر
الأشخاص المفقودين، لا بد من مرور فترة معينة قبل أن يمكنك إعلان
موتهم؟»

بدا حزينا بشكل مفاجئ جدا ولسبب غير مفهوم تماما، حتى أني مددت
يدي لأضعها على ذراعه. في العادة كنت حريصة على تجنب الاتصال
الجسدي به، لكن هذه الحركة كانت غريزية، وتكاد تكون أمومية. «أعرف
أنك كنت تحب هذه السيارة. ليو منزعج أيضا. لكننا سنحصل على سيارة
جديدة، أو كما اقترحت، نحاول التعامل دون سيارة قليلا. يمكننا أن نفق

أموال التأمين على شيء آخر؟ أنت تعرف أنني أريد إعادة دهان المنزل. مرت سنين منذ قمنا بدهان الطابق العلوي. أيا كان ما سيحدث، سأحتاج بالقطع أن أستبقي السيارة المؤجرة من أجل رحلة نصف الفصل الدراسي إلى كنت». كانت تلك عطلة نهاية أسبوع طويلة في بيت أليسون الصيفي على الساحل، وهي عادة للأمهات والأطفال في نهاية أكتوبر تشهد عامها الخائس الآن.

قال برام: «لم أعتقد أنك ستذهبن إليها هذا العام».

- ولم لا؟

جاهد بوضوح كي يجد ردًا قبل أن يقول في النهاية: «لا أعرف يا فاي. الأمر لك تمامًا».

قلت في عقلي: حسنا، ليس تمامًا. كانت وصاية عش الطائر ترتبًا يتعلق بالأخذ والعطاء وكنت بحاجة إلى تعاونه بقدر ما كان بحاجة إلى تعاوني. قلت له: «عندما نكون هناك، عليك فقط أن تقرر بنفسك أين تبقى. لا أعرف إن كنت تفضل أن تقيم في المنزل أم في الشقة؟ لم نناقش هذا مع روان، أليس كذلك؟»

كان من الواضح أنه لم يتذكر من كانت روان. «مستشارتنا في موضوع عش الطائر؟ هل ستذهب لمباريات الرجبي مع روج والبقية يوم السبت؟»

في العادة، كان الأزواج يميزون نفس عطلة نهاية الأسبوع بالذهاب إلى تويكينهام أو إلى كريستال بالاس، إذا لم تتوافق المواعيد، لمباريات كرة القدم. في السنوات السابقة، كان برام في خضم المسألة، يقود الزحف إلى الحانات، ويمارس الرقابة على قصص المعارك (كنت أحصل عادةً على المزيد من التفاصيل الملونة بفضل ميرل أو أليسون).

«ربما سأبقى في المنزل». قالها مستمرا في عاداته الجديدة بالرد بعد تأخير لمدة نصف دقيقة. «قد أدعو بعض الأصدقاء من العمل. بعض الرجال وزوجاتهم».

«فكرة جيدة، كان يبدو عليك بعض التوتر والإجهاد مؤخرا». تذكرت المرة السابقة التي رأيته فيها، عندما بدأ وجهه يتشنج على غير إرادته. «وأدرك أنك ستفتقد ليلتين مع الولدين، لذا يمكننا تبديل بعض الليالي خلال الأسبوع إذا شئت؟ متى سيكون ذلك مناسباً لك؟»

الطريقة التي نظر بها إليّ كانت متجهمة للغاية، كأنه رجل جرى تشخيصه للتو بمرض عضال.

قال: «عاجلاً أفضل من آجل».

برام، ملف وورد

كان جواز سفرها موجوداً بالضبط حيث يُفترض به أن يكون، مع بقية جوازات سفر الأسرة في درج خزانة الملفات بجادة ترينيتي، حيث بقيت كما أظن منذ عودتنا من آخر إجازة عائلية لنا. أسبوع في عيد الفصح على الشواطئ البركانية الحارة بجزيرة لانزاروت الإسبانية: بدت الآن في روعتها وكأنها رحلة بالغواصة إلى قاع خندق ماريانا.⁽³¹⁾

حمل الدرج بطاقة «وثائق خاصة» ولو كان ما زال لدي حس الدعابة، لأوضحت لفائي فائدة هذا الموجة المجرمين التي اجتاحت أولدر رايز. لكنني

31 أعمق نقطة في سطح الكرة الأرضية وتقع في غرب المحيط الهادي إلى الشرق من جزر ماريانا الشمالية. (المترجم)

لم أفعل، محتفظاً فقط بتلك المعرفة السقيمة عديمة الفكاهة بأني أكثر هؤلاء المجرمين شرّاً.

العدو في الداخل.

أرسلت الصور إلى مايك قبل الموعد النهائي للتسليم وتلقيت تأكيداً فورياً:

- هذا أفضل يا برام. مهمتك التالية أن تتصل بهذا الوكيل العقاري وتطلب موعداً لثمين المنزل.

أضاف التفاصيل الخاصة بقسم المبيعات الخاصة لفرع شركة عقارات تشالونر في حي باترسي بوسط لندن.

- هل هم مشتركون في مخططك؟
- لا. أنت وأنا وويندي. لا أحد آخر. أتفهم؟
- نعم.

فكرة أن شخصاً عادياً، طرفاً ثالثاً، يتورط في هذا الجنون جعلتني أشعر بالغثيان. ماذا لو أحس هذا الوكيل بالشك فيّ وعاد إلى المنزل عندما تكون فاني به للتأكد مرة أخرى؟

كنت على وشك أن أغلق الهاتف عندما ومضت رسالة أخيرة أمامي:

- لا تفسد الأمر وإلا ستعرف من سيدفع الثمن.

برام، ملف وورد

تصرف بطريقة طبيعية. عادية. فقط كن أنت نفسك.

فتحتُ الباب، مبتسمًا كما كنت لأفعل مع عميل جديد. «أهلا، أنا برام. لا بد أنك راف؟»

- عقارات تشالونر. هذا منزل جميل يا برام.
- نعم، نعم، هو كذلك. ادخل وشاهده جيدًا.

كان مايك قد أجرى أبحاثه ووجد أن فرع تشالونر في حي باترسي واحد من المحطات الأساسية للمشتريين الذين لا يستطيعون تحمّل أسعار السكن في المناطق الأقرب لوسط البلد ومستعدون للانتقال إلى المناطق المجاورة، إلى الأحياء التي تضم من بين ما تضم أولدر رايز.

رتبتُ أن تجري عملية التثمين صباح الأربعاء، عندما أظهر تطبيق اليوميات المشترك أن فاي ستغادر المنزل مبكرا لحضور معرض تجاري في برمنجهام ويمكنني أن أزعم بسهولة أنني أعمل من البيت. لم أكن قلقًا من أن يذكر الجيران وجودي لفاي - فأغلب من يعرفوننا جيدًا بما يكفي لأن تكون لديهم فكرة مختصرة عن ترتيبات الوصاية كانوا في العمل، وحتى لو شذت واحدة منهن عن السرب، فهي (ولن تكون غير «هي») من غير المحتمل أن تعرف أنني لم أحظُ بموافقة فاي على وجودي هناك أو أن ضيفي وكيل عقاري.

ومع ذلك شعرت أن دخولي المنزل بدا بالضبط أشبه بما هو عليه في الحقيقة من انتهاك، حتى قبل أن أقوم بمسح سريع للمكان، ملتقطا الثياب من فوق الأرضيات ومزيلاً كل صور فاي حسب تعليمات مايك. على الأقل هو لم يصر على أن أقحم صور ويندي مكانها، أو الأنكى من ذلك؛ أن تكون إلى جانبي في هذا اللقاء. «ستكون بخير وحدك» قالها، بشهامة، أما فحوى الكلام فهو: سأكون أول من يعرف إن لم تكن بخير.

لو لاحظ راف مزاجي الكئيب خلال الجولة، سيفسره بأنه تردد من النوع التقليدي. «إلى أي حد تثق أنت وزوجتك برغبتكما في البيع؟»

- أوه، واثقان مائة في المائة. في أسرع وقت ممكن، لذلك نريد أن نسعّره بشكل واقعي. ونريد أن نتكتم الأمر إلى درجة السرية، لذلك نفعلها من خلال قسم مبيعاتكم الخاص. لا نريد للجيران أن يعرفوا بأننا سنبيع، لذلك لا يجب أن تكون هناك تفاصيل في واجهة العرض أو على الإنترنت. ولا يمكننا أن نستقبل الناس هنا في أوقات المساء خلال أيام الأسبوع كذلك. ينام الطفلان مبكراً في ليالي المدرسة.

«مفهوم». من الواضح أن راف، وهو يدون هذا الطلب الأخير بأسلوبه الخدوم المجامل، قد قابل بائعين أكثر إزعاجاً في خلال فترة عمله. «كنت لأقترح يوم معاينة محددا للمنزل. أن يأتي ويخرج الجميع مرة واحدة. وأي شخص يحتاج إلى معاينة للمتابعة يمكنه أن يأتي في وقت مناسب لك أو ربما عندما تكون في العمل؟»

أخبرته أن أفضل يوم يناسبنا بعد أسبوع من يوم السبت - 29 أكتوبر.

قال: «تلك آخر عطلة نهاية أسبوع في نصف العام الدراسي. ليست مثالية، بعض زبائني المحتملين سيكونون عائدين من إجازاتهم التي سافروا إليها ولن يتمكنوا من المجيء».

لقد كانت صدمة بالنسبة لي عندما بدأت فاي تتكلم عن الترتيبات لإجازة نصف العام، وكأن العالم يحمل مستقبلا يمكن انتظاره بمتعة، بينما كنت أحياء -أتنفس- يومًا بيوم، وشعوري الوحيد نحو الغد هو الرهبة الشديدة. لكن من وجهة نظر المحتال كان التوقيت مفيداً: سيكون نصف سكان الشارع غائبين يقضون إجازات بعيدة أو يزورون أقاربهم، ومن ضمنهم هؤلاء الذين سيكونون مع فاي في بيت أليسون في كنت.

بالطبع سيبقى الأزواج، لكن من واقع خبرتي فإن ملاحظة الرجال ضعيفة.

قلت لراف: «لا يوجد يوم آخر صالح بالنسبة لنا».

- إذاً هذا هو اليوم الذي سنحدده. سيكون هناك اهتمام كبير رغم ذلك. كثير من الناس لديهم أطفال أصغر سناً، لا يذهبون إلى المدرسة بعد، لذلك فإن إجازة نصف العام لا تمثل مشكلة لهم. وبالطبع يسعون للالتحاق بمدرسة أولدر رايز الابتدائية.

وافقته قائلاً: «بالطبع».

لم أفكر في ولدي وإن كانا سيستمران في المدرسة الحكومية الممتازة ذات الحنازير الغينية الأليفة والمعلمة المساعدة التي تدمع عيناها عندما يغني تلاميذ فصلها لأبائهم وأمهاتهم في حفل نهاية العام. لم أفكر فيهما وأنا أناقش نسب العمولة، ولا عندما وصلت إلى اتفاق على الفور، ووقعت باسمي. قلت

لنفسى إن المنظومة القانونية، القانون والنظام، الأخلاق، شيء ما سيتدخل ليضع نهاية لهذا الجنون الذي غُصت فيه. ليوقف مايك عن الإمساك برأسي تحت الماء حتى تنفجر رثائي.

قال راف: «بمجرد أن أعود إلى المكتب، سأبدأ الاتصال بزبائني المرشحين».

ظل يقول: المرشحين. المرشحون لأخذ حياتنا.

بعد أن رحل، أعدت الثياب إلى أرضيات حجرة النوم والصور إلى أماكنها الصحيحة.

كان مايك يتسكع خارج مبنى مكنتي عندما وصلت قبل ميعاد الغداء مباشرة.

سألني: «كم الثمن؟»

«اتفقنا على مليونين ومائتي ألف».

«عرض سعر أقل من الجار، ممتاز. اقبل أي عرض يزيد على مليونين».

«أمرك سيدي».

لم يتحرك. مرت إحدى زميلاتي، وفي يدها كيس غداء من محل الشطائر والمشروبات المجاور. نادتنى: «أهلا برام».

عظيم. تعرف اسمي رغم أني نسيت اسمها. وقد رأتنى مع مايك. ورغم أنه كان يرتدي طاقية صوفية سوداء مسدلة حتى عينيه، إلا أن ملامح وجهه

العظمي وبنية جسده الأقرب لجدار حجري أشياء مميزة. («نعم، ذلك بالتأكيد هو الرجل الذي رأيت برام معه. بدا الاثنان معا وكأنهما يتآمران قليلا، بأمانة»).

- اسمع يا مايك، يجب أن ترحل. لا يمكن أن نشاهد معًا هكذا. هل يمكنك أن تتصل بي بالطريقة المعتادة في المرة القادمة؟

منحني نظرة طويلة تقول: أنت لا تعطيني أوامر، أنا من يفعل. وأخيرا قال: «تأكد فقط أن تظل مسيطراً على هذا الوكيل. ونحن بحاجة لمال التأمين على السيارة قبل نهاية الأسبوع القادم، عندي لقاء مع شخص ما».

- أي شخص؟

- ثق بي، من الأفضل لك ألا تعرف.
أثق به؟ صحيح.

وأضاف: «إذا لم يأت الشيك قبلها، سيكون عليك أن تجد طريقة أخرى للحصول على المال». كان واقفاً ويداه في جيبيه، ولغة جسده مسترخية على نحو يبعث الجنون. «ألم تسمع شيئاً بعد من الشرطة؟»

- لا. لا شيء منذ تحدثوا إلى زوجتي.

- يمكنك أن تستخدم اسمها يا برام. فيونا. تدعوها فاي، أليس كذلك؟

- يمكنني أنا أن أستخدم اسمها، لكنني أفضل ألا تستخدمه أنت.

قال ساخراً: «أوه، طيب، في تلك الحالة..»

تجاهلت طريقته وقلت: «اسمع، ذريعة الغياب التي ذكرتها؟»

- نعم. هاف مون، تقاطع كلابام.

- أحتاج إلى اسمك الكامل ورقم.. تحسبا للظروف.

- فقط قل مايك. أنا هناك طوال الوقت، وطاقم الحانة سيرشدونهم إلى طريقي. نحن لسنا صديقين، لم نتبادل الأرقام أو أي شيء شاذ، تكلمنا فقط، جلسنا لبعض الوقت.

رغم أن حدسه كان صحيحا، إلا أن استمراره في رفض البوح باسمه الكامل أثار حنقي. كل بحثي على الإنترنت عن هويته هو وويندي لم يوصلني إلا إلى نتائج مضحكة: جرب بنفسك البحث في جوجل عن «مايك جنوب لندن». ومن كل شركات التنظيف التجارية التي وجدت في بكنهام وحولها، لا توجد أي شركة بها موظفة دائمة تحمل اسم ويندي. «ليست جلسة، كان عليّ أن أعود إلى أولدر رايز قبل السابعة من أجل الولدين».

- طيب. شربنا قدين بين الخامسة والنصف والسادسة والنصف، ما رأيك؟ تكلمنا عن كرة القدم. لم يكن حديثا عن شيء بالغ العمق. شيء لا يمكن توقع أن نتذكر تفاصيله. أعرف واحدا من النُدل هناك، سيشهد من أجلنا مقابل بضعة جنيهات.

قلت: «على ذكر المال، لو فعلنا هذا، عندما ينتهي الأمر، ما هو نصيبي؟»

ضحك، مطلقاً خطوطاً من أنفاس مدخنة في الهواء البارد: «كنت أتساءل متى ستسأل عن ذلك».

- حسنا، قل لي الإجابة إذا.

اقترب بوجهه من وجهي، وقال بعينين مهددتين: «نصيبك هو حريتك يا صاحبي. أظن أنك كنت ستنال عشر سنوات، على أقل

تقدير. ونحن نعرف جميعاً أن قتل طفلة هو أسفل السافلين في الداخل. تخيل عشر سنوات من الضرب واللواط والله أعلم ماذا غير ذلك، قاتل طفلة في منتصف عمره داخل زنزانة مع مريض نفسي في العشرين من عمره. أم أنهم صاروا ثلاثة في الزنزانة هذه الأيام؟ حمد الله أني لست في مكانك».

أخذت شهيقاً عميقاً، وقلبي يدق كمطرقة.

قال متهمك: «ضغطتُ على وتر حساس، أليس كذلك؟ فكر فقط في كل الأوتار الحساسة التي سيضغطون عليها في الداخل، هه؟ سيقفون طابورا خارج زنزانتك».

بدأت أراجع مبتعداً، كأني أبتعد عن دراكولا نفسه.

هتف: «لا تقلق بشأن المال. سنرسل شيئاً صغيراً إليك عند اكتمال الأمر. سمّه أتعاب الكشف».

«قصة فاي» < 01:46:26

لا، لم أقدم توبي إلى برام. لم أقدمه إلى أي شخص. لم أرغب في عرضه داخل دائرة حفل عشاء جادة ترينيتي، وهو بدوره لم يكن مهتماً بالدوائر الاجتماعية لأولدر رايز.

تساءلت بولي: «لماذا لا يدعوك قط إلى بيته؟»

قلت: «من قراءة ما بين السطور، هو ليس مكاناً يعتقد أني سأعجب به. نقشف في حياته بعد طلاقه، لذا أظن أنه بيت متواضع جداً».

- وهو ما زال غير متزوج، أليس كذلك؟

- لا، لكنه لو كان متزوجا، لا أستطيع الاعتراض تقريبا، بما أني ما زلت متزوجة أيضا.

قالت مصححة لي: «أنت منفصلة. هل قابلته أليسون؟»

- لم يقابله أحد. إنه شيء بسيط يا بولي.

قالت متشددة بالكلمات: «ولو، ألا تعرفين أين يعيش؟ ربما ينبغي أن تسألي زوجته!»

لن تكون تلك هي المرة الأخيرة التي تطرح فيها نظرية الرجل المتزوج وللحق، منحتها خيانات برام سبباً جيداً للتشكك في حكمي على الأمور - لكنني اخترت أن أصم أذني عن قرع أجراس الإنذار. لم أرغب في أن أنفق وقتي في البحث عن الأخطاء أو الاستعداد للأسوأ. قد يكون هذا الموقف غير صالح في عالمنا المتشكك لكنني لن أعذر عن المحاولة.

إلى جانب ذلك، كنت مشغولة في العمل وقتها وكان الاستعداد يجري على قدم وساق من أجل نصف العام وإجازتنا في كنت، التي استلزمت قدرا كبيرا من التخطيط. بعد أن فاتته إجازة صيفية، كان هاري متشوقا للغاية للسفر حتى أنه لم يستطع النوم أغلب الأسبوع السابق على الرحلة. ولم يساعده في شيء أن حوامة تابعة للشرطة ظلت تحلق فوق أولدر رايز ذات ليلة لساعات متتالية. تلك منطقة جنوب لندن، وهذا يحدث أحيانا.

قلت له عندما صعد إلى فراشي: «لا شيء كي تقلق بشأنه. إنها الشرطة في الخارج تمسك بالمجرمين».

تساءل: «كيف يمكنهم أن يمسكوا بهم في الظلام؟»

حكيت له عن مقال قرأته حول كاميرات التصوير الحراري الموجودة في حوَّامات الشرطة. تظن أنك آمن في مخبئك تحت الأجام، لكنك تتوهج بلون أبيض ساطع على الشاشات بالأعلى.

- الأمر يشبه تماما قلمك الفسفوري. يستخدمون ضوءاً خاصاً ليروا ما لا يمكننا رؤيته.

قال هاري: «هم أمهر من الأشرار».

قلت موافقة: «أمهر بكثير».

رغم أن الأمر قد يبدو مثيراً للسخرة، إلا أنني بينما كنت راقدة في الفراش أستمع إلى الطقطقات المستمرة لتلك النصال الدوَّارة فكرت حقيقةً كم لا بد أنه من الرهيب أن تكون مطارداً من القانون مع كل هذه التكنولوجيا الجديدة في القرن الواحد والعشرين لتتصارع معها. لا يوجد أي مكان لا يمكن للشرطة ألا تجدك فيه بمجرد أن تنطلق في أثرك. بل إنني قلت في عقلي، للحظة، ياله من شخص مسكين!

حسناً، افترضت أنه رجل.

برام، ملف وورد

هناك تقرير إخباري واحد - وواحد فقط - لم أحتج إلى تذكره كلمة كلمة، لأنني احتفظت بنسخة مطبوعة منه. ستجدينه بين أمتعتي الأخيرة القليلة في غرفة الفندق.

الوالدان ينعيان «شعاع شمسهما المميز»

أقيمت اليوم جنازة الضحية المأساوية لحادث تصادم سيلفر رود، إيلي روزرفورد، في كنيسة سان لوك، نوروود، بعد أن خرجت أم الفتاة ذات الأعوام العشرة من المستشفى لتودع ابنتها الحبيبة.

ارتدى العديد من المشيعين ثياباً صفراء، اللون المفضل لإيلي، وُضع على نعشها إكليل زهور بيضاء وصفراء. تيم روزرفورد، الذي تحدث في القداس، وصف ابنته بأنها «شعاع شمسنا المميز»، طفلة كانت تحب كتابة القصص والغناء وشعرت بالفخر عندما انتُخبت رائدة للفصل في عامها الأخير بالمدرسة الابتدائية. قال: «عشر سنوات من العمر كافية ليتمكنك أن ترى الشابة الرائعة التي كان يمكن لها أن تكون».

توفيت إيلي منذ أسبوع بعد حادث في سبتمبر عندما خرجت سيارة أمها عن الطريق بسبب سيارة مسرعة. وفي الوقت الذي نادى فيه أقاربها ومجموعات ضحايا الطرق بزيادة عدد العاملين في تحريات الشرطة، قال جاستين روزرفورد عم الفتاة: «يظن المرء أنهم كان يجب أن يكون لديهم في الحبس مشتبه به قبل الآن. العائلة كلها حزينة لمعرفة أن هذا المجرم ما زال طليقاً على طرفنا، معرضاً حيوات أطفال آخرين للخطر».

وقال مفتش المباحث جافين رينولدز: «عمل الشرطة غالباً ما يكون عملية دقيقة من حذف الاحتمالات، لكننا واثقون من أننا سنجد السائق الجاني ونكتشف بالضبط ما تسبب في هذا التصادم القاتل». وأضاف: «قلوبنا مع أسرة إيلي اليوم».

وأنا أكتب هذا، لا يمكنني إلا الاعتقاد بأن آل روزفورد يعرفون
اسمي الآن. وسيعرفون بالتأكيد قبل أن تقرأي هذا. ولا يمكنني إلا
افتراض أنهم لا بد يأملون أن أعفن في الجحيم.



telegram @
yasmeenbook

«قصة فاي» < 01:49:06

ذهبنا نحن الأربعة من بين الأمهات لقضاء إجازة نصف الفصل الدراسي - أليسون، ميرل، كيرستي، وأنا - ومع كل واحدة طفلان، فصرنا دسنة كاملة. عندما وصلتُ يوم الخميس، والضوء على صفحة القناة يتخذ بالفعل لون الغروب الفضي - لم يكلف ليو وهاري نفسيهما حتى عناء خلع معطفيهما، بل انغمسا مهللين في فيض الأطفال والكلاب داخل الحديقة الواسعة التي لامست الرمال. كانوا يقضوا أغلب وقتهم في الهواء الطلق، رغم أننا وضعنا حدًا للتخييم: فالرياح الساحلية يمكن أن تكون قارصة في الليل.

وجدت النساء في غرفة الجلوس، وزجاجة النبيذ مفتوحة أمام النار. رغم أنه كان عامنا الخامس، إلا أنها كانت أول مرة منذ انهيار زواجي وكدت أسمع في الغرفة صدى عهد أقسمت عليه بتجنب الموضوع. لا بأس بهذا معي، هكذا قررتُ. أي قصص رعب هذه العطلة ستكون قائمة على الهالوين فقط.

«مرحي جميعاً!» وعرضتُ هديتي: زجاجة (جين) يدوية الصنع من سوق الفلاحين.

نهضت أليسون قافزة لتحضنني مرحة: «آه يا إلهي، هذا الصنف مُهرَّب، سيصيبنا بالعمى. الأكواب يا بنات!»

«سأتولى الأمر..» قالتها ميرل وهي تتناول الزجاجاة مني وتتوجه إلى المطبخ.

قالت أليسون: «أنتِ ترتعشين. تعالي إلى الأريكة الأقرب إلى النار. كلّفنا دايزي بمهمة مراقبة الأطفال. سن الحادية عشرة كافٍ للإبلاغ عن جريمة قتل، أليس كذلك؟»

ضحكتُ. كان الانفصال عن العالم أسهل ما يكون في تلك الغرفة المضاءة بمصباح جانبي واحد، والجدران الحجرية القديمة تعزلنا عن عوامل الطقس، وأكواب الجين والتونيك التي وزعتها ميرل تُخمد أي توترات تتصل بالعالم الحقيقي.

«من فضلكن هل يمكننا ألا نتحدث عن التطبيقات المدرسية في هذه العطلة؟» قالتها كيرستي، في صيغة بيان أكثر منها طلب. «لو حدث ذلك، سأحترق في لحظتها».

قالت أليسون: «موافقة عن نفسي. لو كان الأمر بيدي، لظل الأطفال في المدرسة الابتدائية إلى الأبد ولن يخطر على بالهم أبداً أن هناك أي خلل في أي شيء على الإطلاق».

قلت: «تلك هي بهجة أن يكون لديك صبيان. كما أفهم، هم يؤمنون بذلك إلى الأبد».

قالت ميرل: «أوه، وأسعار المنازل أيضاً. هل يمكننا ألا نتحدث عن ذلك؟ لقد وصلتُ إلى نقطة التشبع».

اتسعت عينا أليسون بشدة. «سيكون ذلك صعباً، لكن يمكننا المحاولة بالتأكيد. لكن أولاً هل يمكنني فقط أن أسأل إن كانت أي

واحدة أخرى قد سمعت بذلك المنزل في أولدر رايزر الذي كسر للتو
سقف الثلاثة ملايين؟»

- ثلاثة ملايين؟ بجد؟

سرت بيننا رعدة رضا مألوفة: الشيء الوحيد الأفضل من أن
تكون مليونيراً هو أن تكون مليونيراً دون أن تحرك ساكناً.

(إن كان هذا يبدو من قبيل الخيلاء والته بالذات، فتذكروا فقط لماذا أنا
هنا أتحدث إليكم الآن. لا توجد ملايين في حسابي المصرفي، يمكنني أنؤكد
لكم).

سألني كيرستي: «أكان ذلك وكيلاً عقارياً من رأته عند بيتك منذ بضعة
أيام؟»

قلت: «لا، لا بد أنك تقصدين آل ريس. أعتقد أنهم غيروا وكيلهم».

قالت أليسون: «منزلهم معروض للبيع منذ فترة، أليس كذلك؟ ترى ما
المشكلة؟»

قالت ميرل: «أخبرتني صوفي ريس أنهم رفضوا ثلاثة عروض
منخفضة. هم متمسكون بمليونين وثلاثمائة ألف».

- وأين سيذهبان، صوفي ومارتن؟

قلت: «إلى الناحية الأخرى من المتنزه. شقة في الطابق الأرضي من عمارة
ولها حديقة صغيرة خاصة. يريدان الاقتصاد».

كان لا بد «للاقتصاد» أن تكون واحدة من أكثر الكلمات المخيفة في معجم

أولدر رايز، لترتبط كما هو حريّ بها بالطلاق، والبيت الفارغ على الوالدين، والصعوبات المالية - وربما الثلاثة جميعها في نفس الوقت.

قالت ميرل: «سيحدث هذا لنا جميعاً عاجلاً أو آجلاً، ومما رأيته، عندما يحين الوقت، لا تحاربينه».

لعلها كانت تتحدث عن الموت.

قالت أليسون: «حسناً، لا يمكنني قبول ذلك».

«جميل، لكنني أستطيع. لا بد أن هذا يجعلني امرأة أقرب إلى منتصف العمر منك».

بالطبع كانت ميرل تبدو حسنة المظهر بما يكفي لأن تتمكن من إيداء هذه الملاحظات دون لمحة من الشك في الذات. ذات مرة، ربما كانت لديّ شكوك كافية حيالنا نحن الاثنتين، لكن هذه الأيام، مع قيامي بتمارين البيلاتس وحالة الترميم العامة التي تحدث عند النوم مع شخص جديد، كان الأمر مختلفاً.

قالت كيرستي: «أتفق مع ميرل. أحلم بالاقترصاد في الحجم. أو على الأقل أن يكون منزلي به أشياء أقل».

قالت أليسون ضاحكة: «ربما لهذا كنتِ أنت من تعرضت للسرقة. أحسوا بنوازك المقتصدة الداخلية».

قالت ميرل: «لن يجرؤوا على أن يفعلوها مرة أخرى، لن يحدث هذا مع وجود تلك اللافتات الصفراء اللطيفة التي رفعتها شرطة الحي في كل مكان. إنها ناجحة بالقطع لأنه لم يحدث أي شيء بعدها».

ذُكرتها أليسون: «سيارة فاي. كم مضى عليها الآن؟»

قلت متشكية: «شهر تقريباً. ما زلنا في انتظار تحرك الدعوى».

قالت كيرستي: «تقفز في ذهني كلمتا (لا جدوى). قلت لكنّ أننا لم نحصل على أي شيء، أليس كذلك؟»

قالت أليسون: «وكاريس قالت إن ابنها ما زال في نزاع مع البنك حول عملية تعرضها للاحتيال. قالت الشرطة إن الأموال لا يمكن تعقبها، لذا يتوقف الأمر على ما إذا كان البنك سيوافق على تعويضها أم لا».

«لكنهم لن يفعلوا!»

قالت أليسون: «كاد الأمر يصل إلى حد أنه من الأرجح أن يدفعوا للمجرمين بدلاً من الضحايا. ربما لديهم حق منيع من حقوق الإنسان يجعلهم غير قابلين للشعور بالذنب».

واستمر الحديث هكذا. بالنسبة لأي أذن عارضة كان هو ذاته الحديث القديم المعاد، ذلك المزاح الهادئ لصديقات يزددن ثمالة باطراد، لكني لم أستطع تجنب الشعور بحساسية ما تجاه شرح جديد بُسمك شعرة بين الأخريات وبينني. صرْتُ مختلفة الآن، عزباء -أو نصف عزباء- امرأة تعرضت للإذلال والخيانة. عندما سألتني عن توبي، وهو ما فعلته بعد ذلك بوقت قصير، سألتني بذلك الحماس البديل الذي يخفي خوفاً حقيقياً -الخوف من انهيار ممالكهن ذاتها، عافاهن الله مما ابتلى به غيرهن!

لا تفهموني بشكل خاطئ، لا أقصد هذا على نحو انتقادي. ثلاثتهن كن صديقات عظيمات لي. كل ما في الأمر أنني الخارجة عن السرب وأرى الآن أنها عملية لم تبدأ عندما سُرق منزلي لكن عندما سُرقَت ثقتي في زوجي.

قالت أليسون: «إذًا، لنقلها صراحة: لن نتحدث عن المدارس، لن نتحدث عن المنازل، لن نتحدث عن التقدم في العمر...»

قهقهت كيرستي: «وماذا يبقى؟ الرجال؟»

قلت في عقلي: ها نحن ذا.

«مزيد من الجين؟» مسحت عينا أليسون أسطح المناضد والمقاعد في الغرفة، كأنها ضوآ كشاف يفضح الأكواب الفارغة.

أجهزنا على بقية الجين. ولم يمضِ وقت طويل حتى بدأت الزجاجات في التكدر، ومزحنا حول كيف قد يبدو الحال لضابط حماية أطفال يعثر علينا بالصدفة. ربما عندما عاد الأطفال إلى الداخل في انتظار عشائهم، شاغلين أنفسهم برص الزجاجات الفارغة والنفخ في أفواهها، صانعين الموسيقى من أطلال أمهاتهم.

«إذًا يا فاي، احك لنا آخر أخبار خيرك في المرور...»

#VictimFi

@alanaP يبدو أنها سكيرة كبيرة مثل زوجها السابق.

@alanaP @NJBurton ترى ماذا يفعل هناك في البيت؟

@alanaP @NJBurton وقت الحفل في عش الطائر! هل

لاحظت أنهم مزحون حول قتل الأطفال؟

@alanaP @NJBurton كفى! موضوع المنزل كاف للتعامل

معه دون أن يموت أحدهم.

النجاة، مهما كانت مؤقتة، تدين بالكثير إلى التجزئة، وأنا صرت بارعاً في سرقة كل حافة وركن من هذه الأجزاء. كان البديل هو أن أفقد عقلي، أن أذهب إلى مستشفى المجانين، أو إلى جسر واترلو، أيهما أقرب. حتى عندما وصل راث مع زميلة له من شركة تشالونر للتجهيز من أجل يوم المعاينة، كنت أتصور جسدي يسقط، مراقبا مساره الذي لا يمكن إيقافه نحو النهر، والماء يبتلعه في نهم. وبالنسبة لمشاهدي هذا الانتحار: هل ما زال الناس يتصلون بالنجدة أم يكتفون بتصوير الموت على هواتفهم وبثه في تغريداتهم؟ قال راث: «تلقيت اهتماماً كبيراً...» وتظاهرتُ بالحماس وهو يبلغني بالعديد من المواعيد المحجوزة والمزيد مما زال قيد التأكيد.

«كلهم يعرفون أن عليهم ألا يتحدثوا إلى وكلاء آخرين، صحيح؟» آخر مخاوفي: أحد المعانين ممن شاهدوا منزل آل ريس يناقش هذا السعر الأقل المعروض، ويستخدمه للتفاوض معهم. ستأتي صوفي ريس لتناقش الموقف مع فاي. ستقول فاي: «أعتقد أنك أسأت فهم الموضوع». وجبينها يتغضن بتلك الطريقة المندهشة التي اعتدت أن أجدها ظريفة جداً. كانت تكره الخلافات بين الجيران، وتبذل أقصى جهدها ليبقى الحال على ما هو عليه. ستقول: «ثقي بي، أعتقد أي كنت لأعلم». وستوافقها صوفي، لا بد أن هناك سوء فهم.

الأكثر نفعا أن آل ريس لديهم بيت ثان في فرنسا ويذهبون حتماً إلى هناك في كل إجازة مدرسية. إلا إذا كنت تعيس الحظ جداً، سيكونون بعيداً عن الشارع عندما أحْتَاجهم أن يتعدوا بالضبط.

قال راف: «لن تكون زوجتك موجودة هنا اليوم؟»

«لا، لقد سافرت مع الأولاد لقضاء إجازة طويلة. النساء والأطفال فقط». كانت فكرة قضاء تلك المجموعة من النساء ثلاثة أيام يشربن ويتحدثن حول كيف يمكن إصلاح العالم فكرة مقلقة - لكنها مرة أخرى، لم تكن أكثر فكرة مقلقة في ذهني. لو كان لديهن أي تصور عما كنت أفعله الآن، فظاعة زوجية شنيعة حتى أنها تجعل الزنا يبدو إلى جوارها عملاً خيراً...

قالت مساعدة راف: «أنت من وقع عليه سهم المهمة البغيضة إذا؟» كانت مشغولة بترتيب رائع للزنابق على منضدة الصالة، تفرغت سيقانها الخضراء كقرون الوعل، وتأهبت أفواهها الوردية لإغواء كل من يدخل.

كما وعد راف، كان هناك العديد من الأطراف المهمة، أكثر من أن أتذكرهم فرداً فرداً لكنهم غير كافين للتسبب في ازدحام. تواريت في الظلال، مُركّزاً كي لا أدخن، ملقياً ابتسامات باهتة لأي شخص يقترب.

قالوا، واحداً بعد آخر: «لديك منزل رائع، هل أنتم فعلاً في نطاق مدرسة أولدر رايز الابتدائية؟»

قلت: «نعم، والتو برووارز..» لكن النكبة مضت دون أثر، ربما لأنني بدت واقعياً مثل رجل في حاجة إلى إعادة تأهيل.

أخيراً، بينما كان آخر مرشحي اليوم يتجولون، سمحت لنفسي بسجارة في طرف الحديقة، جالساً على حافة ظهر بيت اللعب. كانت الأرض متصلبة بأول أوراق شجر باردة متجعدة تنتظر أن يركلها ويسحقها الأولاد. أما تلك الليلة في يوليو عندما انتهى حظي أخيراً

فكانت طريقة أسفل القدمين. لم تقدم الطبيعة أي تحذير نافع عندما تسللت فاي عبر ممر الحديقة نحونا.

آه يا فاي! لا تستحقين هذا أبداً!

«مضى الأمر على نحو جيد جداً». قالها راف، عندما أغلقت الأبواب. «أنا واثق أننا سنتلقى طلبات لمعاينات ثانية بعد عطلة نهاية الأسبوع، إن لم تكن عروضاً أولى».

أحضرتُ لنا زجاجات بيرة من الثلاثجة، كانت ممارسة اللعبة أسهل مع الكحول - حتى هذه اللعبة. تساءلتُ: «كيف يمكنهم أن يطبقوا سعراً كهذا؟ لا يمكن أن تكون لديهم جميعاً وظائف مصرفية كبيرة».

- سيبيعون شقة أو كوخاً في باترسي أو كلابام أو بريكستون. وربما اثنين. لكنك تبحث عن مشترٍ لن يبيع كذلك، على حد علمي.
- نعم، لا نفضل أن نعلق في سلسلة. نحتاج أن يتم هذا بسرعة.
- ستكون هذه أولويتنا. غالباً يوجد إرث ما في الطريق، فلننظر إن كان بمقدورنا العثور على واحد منهم.

وهو ما جعلني أتذكر فاي - مرة أخرى - وتصميمها على توريث المنزل لليو وهاري، وللحظة صدمتني حقيقة أنني واقف هنا بهدف بيع منزلها من ورائهما كأنها شيء مستحيل علمياً، ومنفصل تماماً عن الواقع. لا بد إن إحدى علاقات (الكارما) ستمنع هذا من الاكتمال، وعندئذ سأكون قد أتممت طلب مايك دون أن أتسبب في أي ضرر حقيقي. سيخرج هو وويندي من حياتي ويدخلان حياة مغفل آخر.

نعم صحيح.

في النهاية، كان أكثر ما أزعجني هو تلك الألفة المخيفة لدى المعانين؛ تلك الزوجة التي تشع بالطموح الاجتماعي، وذلك الزوج الأكثر حيطة أو على الأقل الأمهر في إخفاء طموحاته. كان يتباهى بنفسه ويعكس ذلك على ملامح وجهه الجامدة كوجه لاعب البوكر، ربما، تماما كما كنت أفعل منذ كل تلك الأعوام التي مضت. «سأهزمهما» هكذا قلت لفاي قاصدا معلمينا اللذين كانا ينويان الطلاق، وسرعان ما كنا نحتفل بالشامبانيا، معتقدين أننا البطلان القاهران فعلا.

لا، كنت لأفضل أن تكون ابنة مليونير من بكين أو فائز باليانصيب من مدينة بيرنلي، وليس أنا وفاي في حياة سابقة.

«قصة فاي» <01:55:30

كان حفل الهالوين ليلة السبت كما هي العادة ذرّة تاج الرحلة. وجرت العادة أيضاً أن تكون هناك سلطانية كبيرة من فاكهة الليتشي المعلبة وسلطانية أخرى من الإسباجيتي بصلصة الطماطم، ويقترب الأطفال المعصوبو الأعين بالدور ليغمسوا أيديهم في «مآقي العيون» و«الأخاخ» على التوالي. ثم تُستعاد الرؤية وتُلون الوجوه، يرقصون ويصرخون تحت شباك العناكب المصنوعة من عناقيد المصاييح الصغيرة، ويأكلون الكعك المغطى بزينة خضراء لامعة (بديلاً للعباب اللزج) ويشربون عصير الكرز (بديلاً للدماء التي يشربها مصاص الدماء) عبر شفاطات لولبية.

كان الأطفال هم الذين يرتدون ثياب التنكر، لكنني عندما نظرت في المرأة عند نهاية المساء رأيت تحولاً في نفسي أيضاً. في مخالفة لقوانين الهالوين، بدت أقل شبهة بالغول، وأقرب شبهة للبشر. قلت في عقلي: لقد نجوت من هذا. أحس بشعور طيب.

هل هذا لأن الزنا ليس أسوأ جريمة في الدنيا، ليس على الإطلاق؟ يقتل الناس بعضهم البعض هناك، يعتدون على الضعيف ويسرقون من العجائز، هناك مدن مقصوفة ولاجتون غرقى. لم لا أسامح برام، ثم - أسامحه مرة ثانية؟

لأنه ستكون هناك مرة ثالثة ورابعة وخامسة، ذلك هو السبب وراء لا. أطفأت مصباح الحَمَام، ومعه أطفأت الفكرة.

عندما عدت إلى الطابق الأرضي، كانت ميرل تقول: «أوه يا أليسون، المكان جميل جداً هنا». وكانت كيرستي تشرف على وقت الذهاب إلى النوم، والأطفال في صفوف من الحشيات المنفوخة أسفل الأفاريز. وكان بينجو، كلب كيرستي السبائيل، ولاب روكي كلب أليسون غارقين في سبات عميق على البساط الصغير في غرفة الجلوس، ولا أحد واثق تماماً مما التهماء خلال الاحتفالات.

قالت أليسون: «ساعدنا جميعاً في جعله لطيفاً». وهي تمسح بعينيهما الحطام من فوق كأسها المترع بنبيذ بروسيكو الأبيض.

«ليس ما يتعلق بالحفل، بل المنزل كله. أتمنى لو كانت لي عيناك».

لم تكن ميرل قط من نوعية الأشخاص المختالين بمنازلهم، ليست على غرار أليسون بتشطبياتها للطلاء وفق أحدث صيحة وغاراتها الصباحية المبكرة على سوق نيو كوفينت جاردن لشراء زهورها. أذكر أنني رأيت ميرل ذات مرة تقلم أظافرها بمقص المطبخ، وتكنس القلامات بالفرشاة على الأرضية. كانت تخرج من المطبخ بيدين مليئتين بكؤوس الجين والتونيك وتطفئ زر المصباح بأنفها. كانت تلقائية، مريحة، تستمتع بالحياة على نحو حسدتها عليه.

وما زلتُ.

عندما تناولت جرعة كبيرة من النبيذ، كأنها تطفئ ظمأها بمشروب خفيف، لاحظتُ أن السائل في كأس نبيذها أكثر فورانا من شرابنا، والفقاعات تتقاذف على سطحه. «أنتِ لا تشربين يا ميرل؟»

عبست ملامحها: انكشفت اللعبة. شعرت أنها ربما كانت ستنكر الأمر لو كانت من سألتها واحدة من الأخريات. قالت معترفة: «شراب ورد فوّار».

- هذا الكأس فقط أم طوال الوقت؟

هزت كتفيها.

شهقت أليسون: «أيتها الحية! لا يمكنني أن أصدق أنك تسلبت إلى عشنا. ماذا يجري؟»

قالت ميرل: «لا شيء يستدعي الإثارة. أنا فقط أمتنع عن الشراب في أكتوبر».

- لماذا؟ مسألة الأعمال الخيرية؟

- ليس بالضبط. ربما، أعجبتني القافية فقط؟

نخرت أليسون. كان هذا سخيفا جدا بالنسبة لميرل وكانت تعرف أنها تعرف ذلك.

قلت: «أنا لن أمتنع أبدا عن الشراب». كانت لديّ غريزة قديمة تدفعني لحمايتها من أي استجابات أخرى. «ولا يهمني إن كان شكسبير قالها على وزن التفاعيل الخماسية...»

قالت أليسون: «أوه، لكنك في علاقة جديدة. وهذا هو وقت الثمالة دائما - بكل معاني الكلمة».

قهقهت: «في حدود خبرتي، العلاقات القديمة هي التي تدفعنا إلى الشراب».

عادت عينا أليسون إلى ميرل، التي حدثت بنظرها متجاوزة إياها إلى العالم المظلم بكتل من السواد وراء النافذة.

قالت أليسون متنهدة: «حسنا، على الأقل هذا آخر يوم في الشهر».

برام، ملف وورد

بعد أن رحل راف ومساعدته، صبيت لنفسي كأس فودكا كبيراً بما يكفي لأن يصرع حيوان مزرعة وأخذت دُشاً لأزيل عني سموم اليوم. الممالأة والجشع. خيوط العرق البارد. الشد العصبي. كنت قد ربتُ ما عرفت أنه سيكون إلهاء في أفضل الأحوال، وفي أسوأها مقدمة لاستعراض الغريب بإدخال متغير آخر، تعقيد آخر، فرصة أخرى للندم.

رنَّ جرس الباب. في مرآة الصالة بدوتُ إنسانا مقبولا، إذا لم تتطلع إليّ عن قرب أكثر من اللازم.

هتفت ضيفتي: «يال له من منزل جميل يا برام!» كانت ترتدي الأسود -للجنس ليس للحداد- لكن ربما كان الأخير هو ما يليق بي أكثر.

قلت: «من المضحك أنك لست أول من يقول هذا اليوم». يمكنني أن أقول إن شيئا غريبا كان يعتري وجهي، ليس سيئا كما كان كان من قبل، أمام فاني، عندما ظننت أني أعاني من سكتة دماغية، لكنه سيء بما يكفي لأن تلاحظ ضيفتي.

- ما الأمر؟ تبدو متزعجا. هل حدث شيء؟

«لا، لا شيء». بابتسامة، هي أعرض ما استطعت أن أقدمه، دفعت الشقوق إلى الأطراف: «مجرد يوم مرهق. تعالي ودعينا نتناول شراباً كبيراً جداً».

قالت ساسكيا: «يعجبني الرجل ذو الخطة».

قالت لاحقاً، في الفراش: «الساعات تعود بظهرها الليلة». وكان من المحتم أن أتمنى لو كان بمقدورها العودة بظهرها أكثر بكثير من مجرد ساعة. أن تعيدنا إلى سبتمبر، وتنقض كل ما حدث. ربما قبل ذلك. إلى أي مدى قبل ذاك؟ عندما نمْتُ مع تلك الفتاة في العمل منذ سنين، ربما. أكان هذا عندما بدأ الحشيش يحكم قبضته؟

جودي.. كان ذاك اسمها. كانت شابة، في الثالثة والعشرين فقط أو شيء مجنون من هذا القبيل. أذكر الإحساس الذي انتابني وأنا أقود السيارة عائداً إلى البيت من الفندق في اليوم التالي، ليس إحساساً بالذنب - على الأقل ليس إحساساً حقيقياً بالذنب، كما أعرفه الآن - لكنه أقرب إلى احتياج للاعتراف بعاري الشخصي. لتمييز الانتقال من مرحلة ما إلى التالية.

سألتُ ساسكيا: «لو أمكنك أن تختاري، إلى أي مدى تعيدنين الساعة؟ لا أقصد بالساعات، أقصد بالشهور أو حتى بالسنوات. أين كنت لتتوقفي؟»

قالت: «لم أكن لأفعل ذلك. ليس لديّ ما أندم عليه. بجد، إنها إحدى فلسفات حياتي. لا تنظر إليّ بهذه الطريقة».

- أي طريقة؟

- كأنك أدركت فجأة أنني كائن فضائي.

قلت: «لست بالكائن الفضائي، بل أنا».

قَبَلْتُها مرة أخرى، ليس فقط لأن هذا هو السبب من وجودها هنا، لكن أيضا لأنهي المحادثة، التي صارت مثيرة للعواطف وتحمل خطر أن تكشف ما بي. لا بد أنها أحست بعنصر جديد من الحنين، رغم ذلك، لأنها توقفت فجأة وقالت: «ما هذا يا برام؟»

- ماذا تقصدين؟

- هذا. الليلة.

آه يا إلهي. بالفعل. قلت: «ماذا تريدونها أن تكون؟»

تنهدت، وقد بدا عليها بوضوح فهم أنني استخدمت هذه العبارة من قبل، أنها كانت الإجابة الوحيدة التي من المحتمل أن أقدمها. على الأقل كانت تعرف ما هي مقبلة على التعامل معه بقدمها هنا الليلة: زير نساء على وشك الطلاق ولديه سجل إجرامي. تلك النسخة الذائعة مني والتي أشعر بها يشبه الحنين إليها الآن.

فعلا من المدهش أنني ظللت موجودا طوال هذا الوقت.

الجمعة، 13 يناير 2017

لندن، الثالثة مساء

وصل الشرطيان إيلين بيرد وآدم مياه وانشغلت كل المقاعد المتاحة حول طاولة مطبخ آل ثون، وكل قدح من أقداح الشاي الخاصة بيوم انتقاهم صار مستخدماً الآن. طلبت لوسي نصيحة فاي بشأن نظام التدفئة المركزي، لأن الجو بدأ يغدو مليئاً بالتيارات الهوائية (ومن الواضح حتى أن هناك احتمالاً بسقوط الثلج الليلة) وبدأ من الفظاظاة ألا تريها كيف يعمل.

رحل عمال النقل منذ فترة، وغادرت شاحنتهم في قافلة. لم يبلغ الاضطراب بديفيد حداً ينسى منحهم بقشيشاً وتحيلتهم فاي الآن في الحانة ينفقونه وأحدهم يقول للآخر: «كان هذا أمراً عجيبيًا، أليس كذلك؟ من كانت تلك المرأة الأخرى؟ المرأة التي لم يستطيعوا التخلص منها؟»

الوضع الحالي رسمياً كما يلي: برام ليس مفقوداً، أو بالأحرى أي شخص بالغ عاقل لديه حق قانوني في الاختفاء ولا يوجد حتى الآن أي سبب منطقي يدعو إلى الاعتقاد بأن هذا الشخص بعينه ليس آمناً وفي حالة طيبة وموجود حيث يريد أن يكون بالضبط. في النهاية، لم يقوموا حتى بمراجعة مسكنه الثاني (لن يكون هناك مسترخياً أمام

حلقة من مسلسل (لعبة العروش)، يمكن لفاي ببساطة أن تخبرهم بذلك) أو قد يكون مع فرد آخر من أفراد العائلة.

تقول فاي: «لا يوجد غير أمه. لقد جربتُ، وهو ليس معها».

«صديق أو زميل في العمل؟ وربما تتصلين بالمستشفيات المحلية».

يقول ديفيد ثون إنه يتطوع شخصيا بوضع برام في المستشفى، إن لم يكن موجودا بها فعلا، لكنه أساء الحكم على جمهوره واستقبلت مزحته ببرود.

تقول الشرطة إيلين بيرد لفاي: «إذا بقيتِ غير قادرة على تحديد موقعه بحلول يوم الإثنين، ولديك سبب منطقي للاعتقاد أنه تعرض لأذى، اتصلي بنا مرة أخرى».

ينطبق نفس التحذير على أزمة بيع المنزل بالنسبة للجماعة. مثلها مثل برام، عوائد البيع ليست مفقودة تقنياً، أو حتى محل خلاف، ليس إلا بعد فحص الإيداعات في حساب برام. لم يحدث أي احتيال، على الأقل ليس حتى يُسجل في مركز (أعمال الاحتيال) ويحال إلى التحقيق من جانب فالكون؛ وحدة الاحتيال والجرائم الإلكترونية في شرطة العاصمة. في الوقت نفسه، إذا كان هناك أي شك في أن محامي أي من الطرفين كان متهاونا، يمكن للطرف المتضرر التفكير في الاتصال بهيئة تنظيم المحامين. (وتلك هي حال فاي الآن: الطرف المتضرر).

يقول الشرطي آدم: «هناك ارتفاع في حالات التزوير في نقل الملكية. ربما رأيتم هذا في الأخبار مؤخراً، أليس كذلك؟ لقد أصدرنا للتو بياناً بحث الوكلاء العقاريين والمحامين على أن يكونوا أكثر يقظة، خاصةً عند إرسال البيانات البنكية عن طريق البريد الإلكتروني، وهو الوقت الذي يميل فيه

المحتالون للتدخل. في العادة يحدث ذلك عندما يكون هناك مستأجر في العقار ولم يقابل المالك قط، فيكون هناك احتمال أقل بأن يتشكك في الزيارات التي يقوم بها الوكلاء وموظفو المساحة.

يشير ديفيد: «لكن الأمر مختلف هنا؛ لقد جرى هذا بالتعاون مع أحد المالكين».

تعترض فاي: «لا نعرف هذا على نحو مؤكد. كما قالت ميرل: ربما يتصرف برام تحت الإكراه».

«لهذا اتصلنا بكم..» توجه ميرل حديثها إلى الشرطيين. «هذا الاحتيال في مسألة المنزل واختفاء برام مرتبطان بوضوح. نحن قلقون من احتمال كونه ضحية لمجرمين محترفين».

يقول ديفيد: «لقد تجاوزنا هذا. قابلنا الرجل في يوم المعاينة. لم يكن هناك أحد يوجه مسدسًا إلى رأسه. كل الوثائق والاستمارات موقعة بيده. سيكون من اليسير التأكد من صحة توقعاته، أليس كذلك؟» موجهًا سؤاله إلى الشرطي آدم.

«نعم، إذا وعندما نقرر أن نقوم بالتحقيق».

تقول لوسي: «لا بد أنه سمح للقائم بعملية المسح من جانبنا بالدخول كذلك. لقد أتى في ديسمبر، يمكنني مراجعة التاريخ».

«أنا واثقة أنه عندما تتواصلون مع محاميكم، سيكونون قادرين على إلقاء الضوء على الموقف..» تخبرهم بذلك الشرطة إيلين، ويبدو لفاي كما لو أنها هي وزميلها يتوسطان في خلاف حول صف سيارة أو موسيقى صاحبة أكثر من كونها يستجيبان لبلاغ عن جريمة خطيرة.

يقول ديفيد مُصرّاً: «لكن إن لم يردوا، لا يمكنكما أن تتوقعا منا الانتظار شهوراً حتى يحال البلاغ إلى جهة تحقيق، هل يمكنكما ذلك؟ نحن بحاجة إلى معرفة من لديه الحق في العيش في هذا المنزل الآن. اليوم وغداً وفي المستقبل المنظور».

تقول ميرل: «فاي كما هو واضح».

يقاطعها ديفيد: «إذا ردي إلينا المليونين اللتين تخصنا». ترمقه لوسي بنظرة وكأنها تقول: لا تكن بذيئاً. عندما يُحل كل هذا ستكون جارتنا الجديدة. سنرغب في دعوتها إلى حفلات شوائنا وتناول المشروبات في الكريسماس. وقد يجالس أطفالها أطفالنا.

تنظر فاي حول الطاولة وتتأبها رغبة شاذة في الضحك. ليست مجرد قهقهة بل صراخاً. الموقف سريالي، عبثي. الحقيقة أنهم لا يملكون أي حقائق. برام مفقود، والمحامون غير متاحين. كأنهم اختلقوا الأمر بأكمله. لا عجب أن الشرطيين متلهفان هكذا على الرحيل، وهما ينصحان بلطف أن يقوموا باتصال متابعة يوم الإثنين «عندما نعرف أكثر».

تقودهما لوسي وميرل إلى الخارج معاً، كمضيفتين مشتركيتين متوترتين، وما إن ينغلق الباب الأمامي حتى يرن هاتف ديفيد. يهتف وهو يغادر الغرفة: «أخيراً، راف!»

توضح لوسي لفاي وميرل: «راف هو الوكيل العقاري».

تقول ميرل: «ما زلت لا أفهم كيف تمكن وكيل عقاري من البيع. لم أر قط هذا المنزل مُدرجاً على أي موقع من مواقع العقارات. أنا أطلعها بانتظام».

تقول لوسي: «جری هذا من خلال قسم المبيعات الخاصة. كنا مسجلين مع وكيل آخر هناك واتصل بنا راف دونما سابق إنذار، وقال إن عقاراً جديداً في جادة ترينيتي مطروح للبيع».

تفكر فاي: كانت لديّ فرصة كي أوقف هذا. تستخدم حَمَّ الطابق الأرضي، وأصابعها تلمس الحافة الناعمة للحوض، والمنحنيات اللامعة للصنابير. لفافة ورق المرحاض عليها نقش جرو، من اختيار هاري، لكن الصابونة ومنشفة اليد تخصان آل ثون. بعد ذلك، تتلصق في الصالة، التي تكومت فيها الصناديق والمقاعد المطوية، وتمرر يديها على الجدران المدهونة بالجير، ودرازين الدرج المصقول. الأضواء مطفأة في كل الغرف باستثناء المطبخ، لو مررت إلى جوار المنزل الآن، لن تعرف أن مالكيه تغيروا. لن تعرف أن أسرة استُبدلت بأخرى. عندئذ تخطر على بالها فكرة غريبة: هل ما زال المنزل يعني لها ما كان يعنيه من قبل؟ ألم تبدأ بالفعل في اعتباره أرضاً محل نزاع؟ ألم تعرف، بعقلها الباطن، أن عش الطائر سيسقط في النهاية وأن أحدهم، إن لم يكن جميعهم، خاطر بأن يُجرح؟ ربما أتت السقطة أسرع مما تخيلت.

في المطبخ، غرفة حريمهم، هناك هدنة مؤقتة بين ميرل ولوسي، استجماع للطاقات وهن ينتظرن الأخبار من مكالمات ديفيد الهاتفية. أخرجت لوسي البسكويت وهي تأكل واحدة بسرعة عصبية. تراها فاي وهي ترمق ثياب ميرل، وتفكر في إبداء تعليق، وتقرر العدول عن ذلك. تتناول بسكويتة أيضاً، تمضغها، لا تشعر بأي مذاق لها.

في تلك الهدأة المؤقتة، يثرهااتف ميرل على نحو مستمر بالتحديثات (أنت أليسون من أجلها بروبي ودايزي من المدرسة وأخذتهما إلى البيت

لتناول الشاي. أدريان ذهب في إجازة تزلج مع أصدقائه القدامى في الجامعة). على النقيض، لم يرن هاتف فاي مرة واحدة منذ وصلت. الاتصالات الوحيدة القادمة رسائل نصية من أمها تسأل عن الولدين ورسالة من كلارا في العمل، تطمئنها أنه تم العثور على ملف العرض في النهاية ولا حاجة لأن تغير خططها وترسلها. («آسفة على مقاطعة استراحتك الرومانسية!») أيا كان العرض، فقد محاه مخ فاي، وكلمات كلارا غير مفهومة وكأنها مكتوبة بلغة ما ضائعة.

عندما يعود ديفيد، يبدو لأول مرة مضطربا إلى حد ما. «الامر يخرج عن السيطرة».

«ماذا؟ ألم يكن كذلك من قبل؟» تقولها ميرل، وقد اعتدلت واقفة من جديد، مستعدة للنزال.

تسأله لوسي: «ماذا تقصد؟ ماذا حدث؟»

- يقول راف إن السيدة لاوسون كانت تحادثه على الهاتف في نوبة هلع. تقول إن الأموال لم تصل إلى حسابها، رغم أننا جميعا تلقينا تأكيدا من كلا المحامين بأن استكمال البيع حدث، ولذلك أعطانا المفاتيح هذا الصباح.

تتوقف فاي عن التنفس.

- لقد تحدثت إلى جراهام جنسون، لذا على الأقل نعرف أنه عاد متاحاً للاتصال، لكنه يصر على أن كل شيء سار بشكل سليم وأنها تحتاج فقط إلى الاستمرار في مراجعة حسابها البنكي. من الواضح أنها لم تتمكن من الوصول إلى أثر لزوجها...

تصحح له ميرل: «برام ليس زوجها. هل يمكننا جميعا الاتفاق على هذا من فضلكم؟ أيا كانت هذه المرأة، فهي بالقطع لا حق لها في هذا المنزل».

تقول لوسي: «لا أفهم. ماذا يعني هذا فيما يتعلق بالمال؟»

يقلب ديفيد راحتيه ويقول: «حسنا، يعني إما أنه حدث خلل تقني ما في عملية التحويل، وكما يقول جنسون، سيحل نفسه في أي لحظة...»

تستحثة ميرل: «أو؟»

«أو - وهذا يبدو الأقرب احتمالا بما أننا تلقينا التأكيد باكتمال الإجراءات منذ ساعات - أن المال حُوِّل إلى الحساب الخطأ. وهذا يعني مع ذلك المزيد من التعقيدات».

يند عن فاي صوت مختنق.

تقول ميرل: «فاي؟ هل أنت بخير؟»

ما زال يبدو أنها غير قادرة على التنفس. قال ديفيد: السيدة لاوسون. هي اتصلت بالوكيل. هي لا تستطيع العثور على زوجها. هي بحاجة إلى مراجعة حسابها.

أيا كان ما فعله برام، فقد فعله مع شخص آخر. امرأة.

أخيرا، تشهق.

بالطبع امرأة.

رغم أن محطة القطار الخاصة بالقطارات المتجهة إلى فرنسا على بعد سبعة كيلومترات من الفندق، إلا أنه قرر أن يسير. بهذه الطريقة يمكنه أن يزوغ ويروغ ويتشقلب، ويتخلص من أي طرف مهتم. ومع قليل من الحظ، يستنفد طاقته.

تدفعه الغريزة إلى تناول هاتفه لبحث عن إرشادات الطريق قبل أن يتذكر أنه لا يملك أي شبكة اتصال، بعد أن أعاق كل وسيلة رقمية يمكن أن تجذب السلطات إليه. ما يملكه، مع ذلك، مجرد خريطة عتيقة مطوية، فهو لم يصل إلى هنا سائحاً حراً ومستريحاً، راضياً بالسير مع التيار. هو يعرف من بحثه - في الحقيقة، هذا أحد أسباب اختياره جنيف نقطة بداية له - إن جوازات السفر لا تتعرض للفحص في محطات السكة الحديد هنا لأن كل البلدان المتاخمة لسويسرا تجمعها إتفاقية شينجن.

بلدان مثل فرنسا. مدن مثل ليون، حيث لم يذهب من قبل لكنه ميزها بكونها تمتلك حجماً يتسع بما يكفي لاستيعابه، ومن السهل التسوق فيها وشراء الطعام وتناول الشراب في الحانات دون أن يبرز من الحشد. إنها ليس ما يمكنك أن تسميه بقيادة الشرطة إلى رقصة الدوامة، لكنها محاولة متواضعة للتضليل: إذا تعرف أحد المراقبين في جاتويك على رسم وجهه، إذا جرى تعقب أثره حتى جنيف، سبيتوقف الأثر هنا بينما ينفلت هو إلى هناك. قد يشتري له بضعة أساييع.

«المخبأ»، «رسم الوجه»، «تعقب الشرطة»: تلك كلمات من النوعية التي اعتاد على استخدامها مع ابنه في مخططاتهم المحبوكَة في الحديقة - عسكر

وحرامية، جواسيس وعملاء مزدوجون- لكن لا متعة يجنيها الآن من وراء هذه الكلمات.

هو واثق إلى حد كبير من أنه تخلص من مطارده - إذا كان هناك أحدهم أصلا.

بعد قليل، تواجه لسعة البرد القادمة من بحيرة جنيف رأسه الحليق حديثا وتبدو حقيقة شعوره بألم السير وقت الأصيل في شتاء درجة الحرارة تصل فيه إلى أقل من الصفر كأنها على نحو شاذ خطوة إلى الأمام.

«قصة فاي» < 01:59:07

هل ارتاب أي شخص آخر في ارتكاب برام لأي شيء إجرامي وقتها، حتى لو لم أشك أنا؟ صحيح أن أمي ساعدتنا في رعاية الطفلين وربما كانت تدخل وتخرج من جادة ترينيتي أكثر من أي شخص آخر، لكن بالتأكيد لم تكن هي، لا. سأتمادى إلى حد قول إنها لم تكن غافلة فقط عن أي مخالفات قانونية بل إنها كانت تتمنى سراً أن يجتمع شملنا مرة أخرى. لا يعني هذا أنها كانت ترغب بأي شكل في رؤية ابنتها مهانة، بالطبع، فقط كانت تعتبر خيانتها الثانية كما كنت أعتبر الأولى: لا يمكن غفرانها، لكن ربما -واحد احتمال فقط- يمكن التسامح معها.

قالت: «يبدو لي أنه يبذل قصارى جهده لجعل الأمور لطيفة من أجلك. كانت الزنابق التي تركها لك جميلة».

هذا ما لا يمكن إنكاره. بعد عطلة نهاية الأسبوع في كنت، كان قد ترك باقة ضخمة ورائحة من أجلي، بل واستخدم مزهرتي المفضلة. آخر مرة جلب لي فيها زهورا.. حسنا، لا يمكنني أن أتذكر، كانت قبل الخيانة.. بالتأكيد. كان مفضوحا للغاية بعدها، وعرضة لاتهامه بالرمزية الفارغة.

(ربما تفكرون: يا الله! الرجل المسكين لا يستطيع أن يحقق انتصارا، لكنني أعتقد أننا نعرف بالفعل أنه وجد طريقا).

أضافت أمي: «أنتِ في باله بوضوح». وكان مغزى كلامها: هو ما زال يحبك.

لا أقول أيا من هذا كي أنتقدها. لا يمكن أن يكون هناك شخص أكثر امتنانا لأحد والديه من امتناني لها. بالأحرى هي محاولة لأوضح لكم أننا جميعا كنا عرضة لتأثيرات برام الساحرة بطريقة أو أخرى. (كانت أليسون تقول إن هذا يشمل بولي، التي ارتابت في أنها لم تحبه لأنها خافت من انجذابها نحوه).

لا تفهموني بشكل خاطئ، أنا لا أقول إنه كان ذا شخصية مؤثرة بشكل سيكوباتي أو أي شيء من هذا القبيل. هو لم يخطط منذ البداية لاستخدام قواه من أجل الشر.

الأرجح أن قواه لم تكن كفؤا للشر الذي صادفه.

أهيء نفسي الآن، لأنني أعرف أن المشهد التالي -أكثر من أي مشهد آخر وصفته- سيجعلكم تشككون في ذكائي. ستقولون في عقولكم: بربك! كيف يمكن لك ألا ترتابي؟

كان ذلك بعد بضعة أيام من رجوعنا من كنت، الأسبوع الأول من نوفمبر، عندما رن جرس الباب في المساء، قبل موعد حمام هاري بالضبط.

وقف على العتبة زوجان في الأربعينات من عمرهما، مهذين ويحبوهما الأمل. بدأت المرأة الحديث: «أسفان على مقاطعة أمسيتك. هذه صفاقة بعض الشيء، لكن...» وفكرتُ على الفور أنه قد يكون احتيالا، زوجان محترمان ظاهريًا تعطلت سيارتهما ويحتاجان 20 جنيهًا من أجل سيارة أجرة.

«... فاتنا يوم المعاينة وتصادف أن كنا مارين وتساءلنا إن كان يمكننا إلقاء نظرة سريعة الآن؟ كنا نبحث عن منزل في هذه المنطقة منذ شهور».

قلت: «يوم المعاينة؟»

«نعم». وتبادلا النظرات. «هذا هو البيت المعروض للبيع، أليس كذلك؟ في السوق مع شركة تشالونر؟»

آه، ليس احتيالياً، بل خطأ صادق. أناس مثلنا، في النهاية. قلت لهما: «لا، لا بد أنكما تقصدان المنزل رقم خمسة وتسعين. لا أعرف أي وكيل عقاري يعملون معه».

عندما تراجع الاثنان معتذرين، شعرت بالخجل لأنني قفزت قفزا إلى استنتاج مبكر. قبل طوفان الجرائم الأخيرة في الشارع، كنت أزهو بمنح الغرباء أفضلية الشك في كونهم أخيارا قبل أن يكونوا أشرارا.

بعد دقائق، كان هاري في حوض الاستحمام وليو يؤدي واجب القراءة بينما يتوازن على الدرايزين وتعالق الفوضى والصخب المعتادان، لذا عندما رن الجرس مرة أخرى لم أكلف نفسي عناء النزول مرة أخرى.

بعد ذلك، عندما ذكرت القصة لميرل، قالت لي: «لا تكوني حمقاء، هناك ألف نتيجة محتملة لكل فعل من أفعالنا. افترضي أنك تركت هاري في حوض الاستحمام وانخرطت في محادثة على عتبة الباب، ماذا لو خبط رأسه وانزلق تحت الماء؟ ربما لم يكن ليو ليلاحظ، ربما تبعك إلى الطابق الأرضي أو عاد إلى غرفة نومه. كان هذا ليغدو أسوأ بكثير جدا».

قلت: «أنت على حق».

وكي أكون منصفة، طالعتُ موقع شركة تشالونر بعد يوم أو اثنين ولم يكن هناك ذكر لجادة ترينيتي. على موقع رايتموث، كان منزل آل ريس ما زال موجودا، والآن ثمة لافتة تحمل عبارة «قيد مناقشة عرض» فوق الصورة.

الذكر الآخر الوحيد لجادة ترينيتي كان لإحدى الشقق في العمارة القائمة على ناصية حدائق ويندهام. أتذكر أنني تساءلت إن كانت هي نفس الشقة التي نُهبَت قبل بضعة أسابيع وماذا سيكون عليه حال المستأجرين لو جرى إخطارهم. سرقة وبعد ذلك طرد إلى الخلاء في غضون بضعة شهور.

ذُكرت نفسي أنني واحدة من المحظوظين.

#VictimFi

@LuluReading أنا أسفة، لكن #الضحية_فاي هذه معتوهة. ذكرت الصديقة في رحلة العطلة شيئا عن وكيل عقاري.

@LuluReading @val_shilling هذا ظلم كبير، كان الجيران يبيعون! #خطأ شائع

@LuluReading @val_shilling IsabelRickey101 موافقة. هي شجاعة فعلا لاعترافها بكل هذا الآن.

برام، ملف وورد

لم يعد بإمكانني تأجيل إعلان فاي بالخبر المتعلق بالسيارة.

قلت لها في وقت التسليم يوم الجمعة التالي: «لقد رُفض طلبنا بالحصول على التأمين».

«ماذا؟» واحمر وجهها من الصدمة. «لماذا؟»

- لم يكونوا واضحين مائة في المائة بشأن ذلك، تعرفين كيف هم، لكن يبدو أن للأمر علاقة بالمفاتيح. لأننا لم نستطع أن نقول بالتحديد أين كانت، هناك احتمال بكوننا مهملين.

- هذا لا يُصدّق! كنا نظن أننا سنحصل على... ماذا؟ عشرون ألفاً؟ حتى عشرة آلاف كانت تُعتبر شيئاً مقبولا. ماذا الآن؟ أم المفترض بنا أن نجلب نحن المال بطريقة سحرية بعد سنوات من دفع أقساط التأمين؟

«أوستغني عنه». لم يكن من الممكن أن أشعر بتعاسة أكبر من هذه. كانت فاي على حق عندما أشارت إلى وجود فترة مطلوبة -ثمانية وعشرون يوماً في حالتنا- قبل أن يصرف محقق التأمينات المبلغ. كانت البوليصه باسمي وصدر الشيك لي.

«تلك المفاتيح اللعينة! لو كنا نعرف، لأمكننا أن نرتب قصتين عنها». وصاحت متشكية: «أراهن أنهم تحدثوا إلى ذلك المحقق الذي استجوبني. جعلتُ القصة تبدو وكأننا لم يكن لدينا دليل عمن كانت لديه ومتى، كأننا ناولناها فقط لأول مجرم عابر». في عينيها، تصلّب الإحباط وتحول إلى عزم. «فلنذهب بالحكاية إلى مسؤول الشكاوى، هيا؟»

- بصراحة يا فاي، لا أعتقد أن بإمكانهم أن يفعلوا أكثر من ذلك.

- ألا تريد على الأقل أن تقوم بمحاولة؟

- لا أريد، لا. الأمر كله موجود في الجزء المطبوع بحروف صغيرة في العقد والمتعلق بالتحفظات والقيود، ليس لدينا قدم ثابتة تقف عليها. ولا تنسي أن هناك دائماً احتمالاً بأن تظهر السيارة، وفي تلك الحالة يمكننا أن نصلحها على حسابنا. أفضل من لا شيء.

أومات فاي برأسها، وهي ما زالت ثائرة جدا. «متى يجب علينا أن نعيد السيارة المؤقتة».

- غداً. أنا آسف. سآتي وأعتني بالأمر.
- بهذه السرعة؟ هذا توقيت سيء مع اقتراب الكريسماس -
والمال يشح. وسيزيد الأمر ألماً وإرهاقاً في الظلام والبرد،
وأنت تجر جر الأولاد في الحافلات المكدسة.

قلت: «لن يمانعا. يتقبل الأطفال كل ما يقول الكبار إنه عادي.
المهم أن لديهما والدين يحبانها وموجودان من أجلهما. لا يتعلق الأمر
بالمال أو الهدايا أو السيارات الجديدة». رغم أن هذا الكلام لم يبدُ
خليقاً بي على الإطلاق، إلا أنه استفاد من كونه بالضبط من نوعية
الكلام الذي يمكن أن تقوله فاي نفسها.

«هذا صحيح» قالتها وهي تبحث عن إحساس لديها بالتواضع.
«لدينا بيتنا. لدينا صحتنا».

حاولت أن أوافقها، لكنني كافحت كي أصدر أي صوت
مفهوم.

منحتني نظرة قلقة. «لكم من الوقت أخفيت هذا يا برام؟ هل
كنت قلقاً من إخباري؟»

- قليلاً.
- ألهذا اشتريتَ الزهور؟ لا حاجة على الإطلاق لحمايتي من
مثل هذه الأمور. حين يخص الأمر الأطفال أو المنزل، ما
زلنا فريقاً، هل تذكر ذلك؟

كان الإخلاص القوي في تعبيرها أكبر تقريبا من مناقشته، وتقلبت في ذهني صورة مروعة وامضة لمايك، لويندي، لراف، للأزواج الذين عاينوا منزلها الحبيب.

قلت مرة أخرى: «أنا آسف. أنا آسف فعلا».

- أعتقد أنه لم تأت أي عروض بعد؟
- لا. ثلاث معاینات لمرة ثانية جرى حجزها ليوم السبت.
- ولماذا لا تحدث في وقت أقرب؟
- ليست أيامي في المنزل، لذا تحمل مجازفة بالغة. لا سيطرة لديّ على جدول فاي.
- تأكد فقط أن البيت يبدو في أفضل أحواله، هه؟
- لا، ظننت أنه من الأفضل أن آتي بكل كلاب المنطقة لتتبول على الجدران.
- أنت رجل مرح يا برام. أراهن أنك تُضحك ليو وهاري، صحيح؟
- أغلقْتُ الهاتف. كانت تلك سياستي الآن، كلما ذكر الولدين.

برام، ملف وورد

بدأت أكره وقتي في الشقة، لارتباطه بالوحدة المنقوعة في الخمر، المليئة بالخوف، وبلقاءات دميمة لا مفر منها - ليس جميعها مع مايك وويندي. كان هناك أيضا لقاء آخر، بعد بضعة أيام من يوم المعاينة، كنت لأفضل أن أتجنبه. عندما انطلق أزيز الطنّان حوالي الساعة الثامنة مساء، كان تفكيرى الطبيعى أنها الشرطة.

هذه هي النهاية يا برام، كنتَ تعرف أنها آتية.

جاءت لحظة صادمة من الارتداد إلى الطفولة، طوفان من ذلك الشعور نصف الحائق، نصف الممتن الذي يتتابك عندما يمسك أحد والديك بخناقك جزاء لقيامك بكذبة ما. تقول في عقلك: على الأقل ليس عليّ أن أكذب بعد ذلك. على الأقل ليس عليّ أن أختبئ.

قبل أن أذهب لأرد، خفضتُ صوت الموسيقى، وأنا أكثر أسفا على مقاطعة مهمتي من أن أطفئها تماما. أعرف أن هذا يبدو جنونا، لكني كنت أراكم قوائم تشغيل الأغاني التي سأخذها عندما يتوجب عليّ الاختفاء. نعم، أعرف أنه كان ينبغي عليّ أن أكرس وقتي لتخطيط تحويل ما في الحكاية للتغلب على مايك وويندي، لكني وجدت أن المهام الصغيرة الميكانيكية، خاصة تلك التي تسمح لي بالفرق في

الذكريات، هي السبيل الوحيد الممكن لإنقاذ سلامتي العقلية من اليوم التالي.

قلت في جهاز الاتصال الداخلي: «أهلا، أي خدمة؟»

«برام؟» كان الصوت أنثوياً، منخفضاً وساخطاً.

فكرت أن أي ضابط قادم لاعتقالي لن يناديني برام. لا بد أنها ويندي، أتت هي ومايك ليزعجاني بشأن المعاینات الثانية للمنزل يوم السبت. شيء أفضل قليلاً، إلى حد ما، من الشرطة.

«برام؟ ما الأمر؟ اسمح لي بالدخول!»

أدركت أنها ليست ويندي. ساسكيا؟ إن غياب أي رسالة نصية للمتابعة أو زيارة لمكتبي منذ علاقتنا الغرامية في نهاية الأسبوع شجعني على افتراض أنها فعلت الشيء المنطقي وتخلت عن الأمر وهي ما زالت تملك زمام الأمر.

لكنني عندئذ ميزت من كانت بالفعل. «آه. اصعدي».

انتظرتُ عند الباب، مرهقاً ومرتبكاً. كونستانس امرأة بيت اللعب. ذكّرني وصولها بأني لم أرد على رسالة بالبريد الصوتي منها جاءت قبل بعض الوقت - متى؟ الأسبوع الماضي، ربما. أعترف أنني رأيتها أشبه بسمكة صغيرة في سياق أسماك القرش المحيطة، ولقاؤنا الأصلي - الذي كان كارثياً للغاية وقتها - بدا الآن أقرب إلى فعل آثم ظريف في ضوء الأحداث التي تلتها.

«آسف على التأخير». قلتها من مكاني عند الباب، عندما ظهرت خارجة من المصعد. «ظننتك شخصاً آخر».

«كم يوجد منا؟ لا نُجِب على هذا، لستُ مهتمة». بالطبع لم تكن هناك أي قبلة أو لمسة، لم أكن لأتوقع هذا، لكنني لم أتوقع ذلك التيار من العداء المتدفق منها. وكان مخي يعاني من كدمات أكثر من قدرته على تمييز أي رد فعل على أي حال. إذا كانت ليلتي مع ساسكيا قد أثبتت أي شيء، فهو أن المواسة واللامبالاة صارتا نفس الشيء بالنسبة لي الآن.

«نحن بحاجة للكلام». وعندما قرأت التردد في تقطيعتي، بادرت سريعاً: «لو أمكنك أن توفر لي بعض الوقت؟»

«بالطبع يمكنني». أوقفتُ الموسيقى، وعلى الفور تمنيت لو لم أفعل ذلك. الصمت، الذي لم أعد أتحمّله في أفضل الأوقات هذه الأيام، بدا فاضحاً على نحو خطير. سيكون التركيز على هذا جالباً للتوتر.

سألني: «ماذا كانت تلك الأغنية التي كنت تشغلها للتو؟»

«فرقة بورتيس هيد. أتذكرين؟ (أوقات مريّة)؟»

«يا لها من أغنية مناسبة». كان شعرها مشدوداً بإحكام إلى الوركاء، وبشرتها تتوهج بطريقة شاحبة سقيمة، كأن الحمى تتنابها أمامي مباشرة. «هل توجد مشكلة في جلوسي؟»

«آسف. تفضلي هنا». نظفت أحد المقاعد من فوضى التنظيف الجاف عليه. «هل يمكنني أن آتي لك بشراب؟»

- ماء من فضلك.

أتيت لنفسي بزجاجة بيرة، وناولتها كوباً من الماء، وانتظرتُ. لاحظتُ أنها ترتدي نفس الفستان الذي كانت ترتديه ذلك المساء في بيت اللعب، لكن

هذه المرة معه جوارب سوداء غير شفافة وحذاء عالي الكعب يغطي كاحلها. لم أعرفها جيداً بما يكفي لأعرف إن كان هذا تلميحاً مقصوداً، كل ما عرفته أنني إذا لم تكن لديّ قط أي تعاملات مع النساء مرة أخرى فسيكون هذا أمراً طيباً. لي ولهن.

قالت: «حسناً، سأدخل في الموضوع مباشرةً. أنا حامل يا برام».

حدقتُ فيها مذعوراً.

«ليس لك». رفعت ذقنها، وأطلقت قهقهة قاسية: «لا علاقة لهذا بالأمر، لا تقلق».

«آه. لا بأس». آلمتني رأسي بشدة، حاولت أن أتذكر إن كان هناك أي مُسكّن (نوروفين) في الشقة. «وما هو هذا الأمر إذًا؟»

أخذت رشفة من كوبها، ويدها ترتعد. «الأمر يتعلق بحقيقة أن الحمل سيبدأ في الظهور قريباً ولست بحاجة إلى أن تأتي أنت وتفسد الأمر. أو أي شخص آخر».

كانت تقصد زوجها.

قلت: «أما زال لا يعرف بأمرنا؟»

«لا. كانت غلطة، فعل جنوني لمرة واحدة. لا جدوى من إخباره الآن». تطلعت إلى الجدران الأربعة، وعلى وجهها تعبير كئيب. «لست بحاجة إلى أن أخبرك بهذا».

كانت هناك حدة لعينة في ذلك التعليق الأخير تذكرني إلى حد كبير بفاي، وشعرت بضيق يتصاعد داخلي. أردت أن أفحّ في وجهها: هل

هذه بالفعل هي أكبر مشاكلك؟ جربي أن تتعرضي للابتزاز. جربي أن تواجهي الموت بتهمة القيادة الخطرة. جربي أن تفقدي شريكك وأطفالك وكل شيء تحبيه...

لكن ربما ظنت أنها كذلك - إذا قرع عزمي على أن أطالب بحقي في أبوة الوليد الجديد. بالنسبة لها، كنت خطرا. كنت مايك بالنسبة لها.

قالت متسائلة: «إذا هل يمكنني أن أعتمد على بقائك صامتا؟»

- لقد بقيت صامتا كل هذه الفترة. ولا سبب هناك كي يتغير هذا.

- وأن تتعامل مع أي أسئلة؟

لمحتُ شيئا عندئذ ونظرت إليها متفحصا أكثر. إذا لم تكن الأسئلة من زوجها، فلا يمكن أن تقصد إلا من فاي. أكانت تقصد أن تقول...؟ ران الصمت، لحظة معلقة قذفت بكل طاقتها، وجعلت عينيها تلتقي بعيني في التماس جديد.

سألتها بهدوء: «متى يحين الوقت؟»

«مايو. لا تُهنئي بعدَ الشهور».

بالطبع عددها، في عذاب صامت. بقي شهر واحد فقط. لكني لم أسمح لنفسي بالتفكير في رجل آخر يربي طفلي، غير واع بأبيه الحقيقي أو بوجود أخين نصف شقيقين. لم أستطع أن أسمح لهذا بأن يكون حقيقياً. وبقدر ما بدا الأمر مريعا، فقد بهت إلى درجة التفاهة الآن. لقد ماتت طفلة على يدي ولا توجد مساحة في رأسي للتفكير في طفل لم يولد بعد.

«حسنا، مبروك إذًا». قتلها أخيرا، وراقبت التوتر وهو يزول عن صدرها. قاومت الرغبة في لمس وجهها، في احتضان يديها المضطربتين بيدي. «هذا خبر عظيم».

«أشكرك». نهضت، وألقت نظرة أخرى في أرجاء المكان الماسخ الخائض. «أنت بحاجة إلى إصلاح شأنك يا برام. من الواضح أنك في حال سيء». حقا؟ واو، لم تكن لدي فكرة.

مثل فاي، كانت تتعامل بعنف مع المزاج، وألقت عليّ محاضرة حتى وهي تتأهب للخروج: «بجد، أنت لا تريد أن تكون واحدا من تلك الفهود المُسنة الحزينة التي لا تستطيع أن تغير مواقعها أبدا، أليس كذلك؟ حصيلة الناس من الغفران تنفذ، كما تعرف، وبعدها تكون مجرد رجل آخر لا يمكن أن يُغفر له».

بدت تلك الكلمات الأخيرة كأنها مكتوبة، لكن هذا لا يعني أن وقعها لم يكن صحيحا. هذا لا يعني أنها لم تلذعني. أغلقتُ عيني، بعد أن لم أعد قادرا على التعامل معها، وعندما فتحتها كانت قد رحلت، والباب ينغلق وراءها. قلت: «شكرا على النصيحة».

«قصة فاي» < 02:05:03

مع كل ما كان يجري في جادة ترينيتي -لِيس فقط السرقة التي تعرض لها آل روبر وسرقة سيارتنا، ولافتات الشرطة الصفراء في كل مكان، لكن أيضا التعاملات مع برام التي كادت تصل إلى مرحلة حرجة- كانت الشقة تتحول إلى ملاذ بعض الشيء.

كان هناك وقت للتنفس فيها، للاسترخاء. اكتسبتُ عادة إشعال شمعة معطرة في اللحظة التي أدخل فيها من الباب، وأشغل موجة إذاعية تبث موسيقى كلاسيكية أو فيلماً وثائقياً عن الفنون لم يكن بمقدوري أن أتمنى متابعته مع عدو الطفلين داخلين خارجين صائحين بشأن لعبة بوكيمون ونادي تشيلسي لكرة القدم وأي مشكلة أخيرة بينهما. وإذا لم يكن هناك ضيف، لم أكن أتناول أي كحوليات، أغلي بعض الأعشاب المهدئة وأتناول قالبا من الشيكولاتة مع انحرافة فنية بارعة، مثل حب الهال أو الملح البحري أو اللافندر. ربما (الملاذ) ليست هي الكلمة الصحيحة. ربما كانت الشقة أقرب إلى مُعتزل.

مرة أو مرتين، وجدت نفسي حتى أفكر أني ينبغي أن أحضر الولدين هنا لقضاء الليل، لكن بالطبع لم أكن هنا إلا ليمكننا من أن يكونا هناك.

أما بالنسبة لبرام، فأيا آثار له كان يتركها، لم تشر إحداها إلى أي ضيفة أنثى - أو صداقة من أي نوع، في الحقيقة.

برام، ملف وورد

وعندئذ، أخيراً، أتت الشرطة. ليس إلى الشقة، بل إلى مكثبي في كرويدون. وصل محقق صباح الثلاثاء التالي - وحمدًا لله أنه كان يرتدي ملابس عادية وليس زيه الرسمي. تعاملت مع الموقف بشكل جيد. لا بد أنني فعلت ذلك، لأن فترة مرت قبل أن تأتي متابعة أخرى.

تدبرْتُ غرفة اجتماعات صغيرة بلا نوافذ قرب مكتب الاستقبال كي نتحدث فيها. على الطاولة كانت هناك مجموعة من ياقاتنا الجديدة نصف المنشأة مع رباط فيلكرو قابل للتعديل، دفعتها جانبا دون تعليق.

ممنوع الملاحظات المتذاكية. لا تستعديه.

«إِذَا يا سيد لاوسون، أنت المالك المشترك مع السيدة لاوسون لسيارة أودي سوداء موديل A3؟» سألني وهو يقتبس كلامه من سجل. كان في الأربعينات من عمره، له شعر شاحب ورقبة غليظة، وتبدت خبرته بقابلية البشر للخطأ على نحو مقلق وهو يتفحص وجهي بحثا عن تشنجات الكاذبين.

لا تفكر بهذا الشكل، أجب فقط على أسئلته!

- نعم، على الأقل كنت. لقد سُرقَت في أول أكتوبر. هل يتعلق الأمر بطلبنا الحصول على أموال التأمين؟

اجعله يعتقد أن هذا هو همك الوحيد.

قال: «لا، لا شيء يتعلق بهذا».

- أوه، مهلا، هل أنت الضابط الذي تحدث إلى فاي منذ بضعة أسابيع؟
- هذا صحيح.
- هل قالت شيئا عن سرقة المفاتيح؟ عليّ أن أقول إنني أعتقد أن الاحتمال الأكبر أن تكون هناك بالأسفل إلى جانب الأريكة.

«إذا وجدتتها هناك، دعني أعلم». كان أسلوبه لطيفا، كأنه هنا ليقضي الوقت في الدردشة.

قلت: «الحكاية أن طلب التأمين سُوي الآن تماما. لم أكن واثقا إن كانوا قد اتصلوا بكم».

ليس سؤالا، لا يزعجك على أي حال طالما أنهم دفعوا الشيك بالفعل.

سألني: «هل تذكر أين كنت يوم الجمعة السادس عشر من سبتمبر يا سيد لاوسون؟»

تسارع نبضي. «نعم، كان ذلك يوم مؤتمر المبيعات الخاص بعلمي». من الحماقة أن أظهار بأني لا أذكر في الوقت الذي أشرت فيه بالفعل إلى أنني ناقشت تفاصيل مقابلة فاي معه.

- هل كان المؤتمر هنا؟
- لا، دائما يُعقد خارج المقر. وكان هذا العام في فندق بالقرب من جاتويك.
- متى انتهى؟

- حوالي الخامسة، وربما قبلها بقليل.

- هل غادرت المكان وقتها؟

لا تستبقيه. أجب فقط كل سؤال في وقته.

- نعم. بقي بعض الأشخاص لتناول المشروبات، لكن كان عليّ أن

أعود إلى البيت.

- قدت الأودي بنفسك، أليس كذلك؟

«في الحقيقة لا». رسمت على وجهي تعبيراً خجولاً، متردداً كأنني مخرج من

الاعتراف بالحقيقة. «لم أكن أقود على الإطلاق قرب ذلك الوقت».

- ولم ذاك؟

تنهدت: «لو قمت بالتحري حول سيارتنا، فستعرف بالفعل، أليس

كذلك؟»

- أعرف ماذا يا سيد لاوسون؟

- «أني نلتُ منعاً من القيادة. حدث ذلك في فبراير. أمسكوا بي مسرعا

بضع مرات. لذا كانت زوجتي هي السائقة الوحيدة منذ ذلك الوقت.

لم يبد أي رد فعل، وهو ما شجعني على الاستمرار.

«لم تذكر ذلك عندما تحدثت إليها، أليس كذلك؟ هذا لأنها لم تعرف.

وما زالت لا تعرف، كما أمل». توقفت قليلا، وكأني آخذ لحظة لتعامل مع

شعوري بالخزي. «لقد انفصلنا، كما ترى، ووجدت أنه ليس من المفيد دائما

أن أخبرها بكل خطأ ارتكبه. وإذا تحدثت معها مرة أخرى، سأكون ممتناً إذا

لم تكشف لها ذلك».

كانت مبالغة أن أتوقع من ضابط تطبيق قانون أن يتواطأ معي في مؤامرة زوجية، لكنني اعتقدت أنني لمحت رفة تعاطف واهية.

«لا أتوقع أن أضطر إلى الحديث معها مرة أخرى». قالها، وشعرت بالرغبة في لكم الهواء فرحاً. إذاً ليس هذا إلا إجراء روتيني، جزء من عملية حذف المشتبه فيهم المجهدة للشرطة.

أخرج من هذا اللقاء سالماً وسُحِّدَ من القائمة.

- إذاً كيف عدت إلى البيت تلك الجمعة يا سيد لاوسون؟

- ركبت القطار. كانت المحطة بجوار المكان مباشرة.

صحيح.

- أي محطة؟

- لا أستطيع أن أتذكر الاسم، قبل المطار بمحطة أو اثنتين، على الخط

البطيء. لكن اسم الفندق كان بلاكثورن كذا. يمكنني البحث عنه

لو شئت؟

لم يطلب مني أن أفعل ذلك، وهو ما اعتبرت أنه يعني عدم نيته إهدار طاقة فريق العمل في هذا الخط بعينه من البحث.

- إذاً أنت غادرت قبل الخامسة ووصلت إلى البيت تقريباً قبل السادسة؟

- لا، كان عليّ أن أغير القطارات عند تقاطع كلابام، لذا توقفت

لأشرب قدحين من البيرة. كنت متلهفاً على الشراب، بصراحة، فقد

كان يوماً مرهقاً. كان من الواجب أن أكون بالبيت في السابعة، لذا

ركبت قطار التوصيلة في حوالي السادسة وأربعين دقيقة. يتوقف

مرتين أو ثلاث قبل أن يصل إلى أولدر رايز.

- أي حانة شربت فيها؟

بدا هذا السؤال أقل خيراً. لو أنه تقبل أني ركبت القطار، فلماذا يتقصى حول الشراب؟ ربما لأنها كانت تفصيلة غريبة ما كان لي أن أدخلها. لماذا أشعر بالحاجة لقول إنني كنت متلهفا على الشراب؟ كُفّ عن التساؤل بلماذا وأجب فقط على الأسئلة اللعينة! «الحانة المجاورة للمحطة مباشرة. هل اسمها (هاف مون)، ربما؟»

- رأيت أحداً تعرفه هناك؟ تحدثت إلى أي أحد؟

ضيقْتُ عينيّ كأني أعتمر ذهني لأتذكر. «كنت وحدي، كما قلت، ولم يكن ذلك في الحقيقة وقت تردد الناس العادي. ربما طالعت سريعا جريدة (ستاندارد). أوه، صحيح، ثرثرت قليلا مع شخص عند البار. بدا معروفا جيدا هناك، وكان شخصية مميزة بعض الشيء». لا تعطِ مزيدا من التفاصيل - واضح جدا! «ثم كان عليّ أن أعود إلى البيت. أتولى مسؤولية الأطفال في السابعة».

لقد قلتَ هذا بالفعل. اهدأ.

- عندما عدت إلى البيت، هل تتذكر رؤية سيارتك مصفوفة في الشارع؟

- لا. أقصد، لا يعني هذا أني لم أرها، أنا فقط سرتُ من المحطة إلى البيت ألف مرة، لا يمكنني أن أتذكر كل مناسبة بعينها. أتذكر أني كنت متعجلا، لذا ربما لم ألاحظ الكثير، كنت مندفعاً فقط كي أصل إلى البيت. آسف، أعرف أن هذا ليس بالمفيد للغاية.

أوما برأسه. «لا بأس، حسنا، ربما سيكون لدينا شيء أكثر فائدة لك عندما يُعثر على سيارتك».

أكثر فائدة لي؟ أم له؟ سمعت هاتفي -غير المسجل- يتر في جيبي، وشعرت بالاستجابة الشرطية لمسامي عندما بدأتُ أعرق. انطلقت أفكارني في جنون: لا يمكن أن أدعهم يعثرون على السيارة! ربما ينبغي أن أعود إليها، أخرجها من لندن. أين المفتاح الثاني؟ أما زال لدى فاي؟

ثم: لا، لا، لا، لو فعلتَ هذا، قد يوقفوك. تذكر أن الشرطة تستخدم آلية التعرف الأوتوماتيكي على رقم اللوحة، أنت ترى لافتات هذه الآلية في كل مكان. ربما...

قال المحقق وهو ينهض: «هاتفك يرن. سأتركك تتلقى مكالمتك».

أفقت لنفسي. «لا، لا بأس، سأوصلك».

وهذا ما كان. فيما عدا إشارتي غير الضرورية إلى الحانة وذلك الانفلات للأعصاب في اللحظة الأخيرة، مضى الأمر طيبا كما كان لي أن أتمنى.

انتظرتُ حتى مضت نصف ساعة آمنة قبل مراجعة الهاتف لأجد خبراً من راف: هناك عرضان لشراء المنزل.

«قصة فاي» < 02:07:21

تساءلت متى بدأت أقلق فعليا بشأن برام. حسنا، كان هذا في أوائل نوفمبر متزامنا تقريبا مع حادثة مزعجة مع توبي، سأحكيها لكم الآن. أذكر اعتقادي بأنني لا أملك مطلقا أي فكرة عما كان سيفعله بعد ذلك، أي فقدت الغريزة الطبيعية التي كانت لدي دائما تجاه أفعاله، تجاه ردود أفعاله. تجاهه شخصيا.

كان العمل قد استهلك توبي الذي رأى أطفاله في عطلة نهاية الأسبوع السابقة، لذا عندما أخبرني أنه حر فقط في بداية الأسبوع قررت أن أخفف

-حسنا، أن أخرج- قاعدة عش الطائر المتعلقة بوجود أطراف ثالثة في جادة ترينيتي ودعوته إلى العشاء هناك يوم الثلاثاء. طلبت منه أن يصل في الثامنة والنصف مساء، حتى يكون الولدان نائمين بالفعل. لم أكن مستعدة للقيام بطقوس التعارف.

«مكان لطيف». قالها وهو يتبعني إلى داخل المطبخ، وعندما تناولت معطفه وناولته كأسا من النبيذ، كنت متوترة من وجوده بشكل أكبر من المعتاد، وكأني كنت الضيف المحظور وليس هو.

- أشكرك. من المخجل أنك لا تستطيع أن ترى الحديقة جيدا.

تحرك نحو نافذة المطبخ ممسكا بكأس النبيذ في يده، وأطل خارجاً. في نهاية الحديقة، أحاطت عناقيد المصابيح الصغيرة بخط السقف وإطار الباب لبيت اللعب كأنها خطوط تجمدت على كعكة زنجبيل على شكل بيت.

قال: «هذا هو بيت اللعب الشهير؟ يبدو بريئا إلى حد كبير».

«فعلا». أحيانا كنت أندesh من مقدار ما أخبره به عن انفصالي أنا وبرام. أظن أن صدمات الزواج، مثلها مثل صدمات الطفولة؛ بمثابة نقطة عودة دائمة. نُحترن بداخلك، تنصهر في نسيج جسدك.

قال: «أتريد أن نذهب إليه؟»

- ماذا تقصد؟

- أنت وأنا في آخر الحديقة...؟

«بجد؟» أثارت هذه الفكرة غياني حقا، ليس بسبب المشاق المتضمنة في إقامة العلاقات الحميمة في الهواء الطلق خلال شهر نوفمبر، بل بسبب فكرة

وجود ليو وهاري في الطابق العلوي، واثقين في حماية أمهما لهما بينما هي تتسلل خارجا إلى عرينهما كامرأة بدائية هائجة... ما فعله برام تلك الليلة في يوليو كان وما زال فعلاً بلا ضمير ولا منطق، مهما كان الدافع لدي مناقضا تلك الليلة في كنت، مهما أملت أمني أنني قد ألتمس له فيه العذر.

«الجو رطب بعض الشيء هناك في الخارج. أعتقد أنني أفضل البقاء في الدفء وتناول كأس آخر». قلتها وأنا أرفع كأس، وتقبل توبي اعتراضى بضحكة هادئة. لكن من المثير للاهتمام معرفة أنه يملك هذا الجانب الجريء في شخصيته، في الوقت الذي اعتقدت أنه من نوعية محافظة تنفر من المجازفة مثلي.

على أي حال، لم يمر وقت طويل، وفي الوقت الذي كنت أقدم فيه العشاء رن جرن الباب.

برام، ملف وورد

رغم أنني دعوت ساسكيا إلى المنزل، إلا أنني فكرت أن يكون هذا في غياب الولدين ولا يخرق بصرامة قواعد عش الطائر. لكن ما كان يمثل خرقاً لها هو قراري بزيارة جادة ترينيتي في واحدة من ليالي فاي.

كان الدافع هو استجماع نفسي بعد مقابلة الشرطة ذلك الصباح وحالة شرودي التي أصبحت ملحوظة بشكل جعل نيل يصرفني من العمل كي أذهب إلى البيت مبكراً، قال: «رتب حالك». بطريقة لم تخل من عاطفة.

وبعد ذلك كانت تلك الرسالة من راف. بالرغم من رسائل مايك المتكررة والضاغطة على طلبا لآخر الأنباء، قررت ألا أخبره بأمر العروض المقدمة لشراء المنزل، ليس بعد. بدلا من ذلك، تنامي التوتر ليغدو هوساً

بالقفز من المركب -أو على الأقل أن أتدلى فوق الحافة- وتفكيري أني لو استطعت أن أبقي وجهه المقيت بعيداً عن ذهني، وتمتاته الأفعوانية بعيداً عن أذني، وأركز بدلاً من ذلك على فاي؛ قد أتمكن من فعلها. قد أتمكن من الاعتراف، من القيام بالأمر الصحيح قبل أن يستحوذ عليّ الفعل الخطأ بالكامل.

«قصة فاي» < 02:09:56

كان الجرس يدق مرة أخرى عندما وصلت إلى الباب. توقعت أن يستقبلني عرض مبيعات متأخر أو عضو مجلس محلي في حملته الانتخابية. كنت لأقول إن الوقت متأخر قليلاً، بطريقة موبخة قليلاً لكن متعاطفة أيضاً لأن على الجميع أن يسعوا وراء الرزق (كان اعتراضني الأساسي أن يوقظ جرس الباب الطفلين).

لكن ما وجدته كان الرجل الوحيد الذي لديه مفتاح خاص به: «برام!»

- آسف، أعرف أنه ليس من المفترض بي أن آتي يوم الثلاثاء، أنا...

قاطعته: «هذا صحيح، ليس مفترضاً بك هذا. الوقت متأخر جداً على أن ترى الولدين، على أي حال، فهما نائمان بالفعل. إنها حوالي التاسعة والنصف».

- أعرف، لكنني احتجت إلى رؤيتك.

كان مشحوناً بطاقة لم أستطع تشخيصها، رغم أن ظني ذهب إلى أنه كان يشرب. «هل هناك مشكلة؟» قلتها دون أن أخفي نفاد صبري.

- فقط أنا بحاجة إلى الحديث معك يا فاي. هل يمكنني الدخول؟

شعرت بالسخط يسري داخلي بطريقة اعتدت عليها عندما كنا معًا. (وربما كان هناك أيضا تيار تحتني من الارتياح لأنه لم يدخل بنفسه ويجدني في بيت اللعب في عملية إعادة تمثيل مريضة لخطيئته هو ذاته). «في الحقيقة هذا ليس أفضل الأوقات. لديّ صحبة هنا. كنا سنأكل للتو».

«أوه. هل هناك طريقة يمكنك التخلص بها منها؟ الأمر مهم».

قبل أن أتمكن من رصد ارتياحي لافتراضه الجندري أنها واحدة - لم أرغب في الاعتراف بأني أخرق شرطًا في ترتيباتنا الخاصة بعش الطائر - خرجت الأمور من يدي. كان توبي قد تبعني إلى الباب، مستعدًا بوضوح لتقديم حمايته:

- هل كل شيء بخير هنا يا فاي؟

قبل أن أكمل التقاط نفسي، وقبل أن أقوم بالتعريف الذي كنت أفضل تأجيله، إن لم يكن تجنبه، لم أستطع إلا أن أشاهد - مذهولة - برام وهو يندفع كالرصاصة من جانبي، ليخل بتوازي، وانطلق ليمسك بخناق توبي. اصطدم الاثنان في عنف بأسفل السلم الداخلي، وارتطمت مؤخرة رأس توبي بأعمدة الدرج.

«اخرج من منزلي يا ابن القحبة!» زعق برام، وهو يبذل محاولة غير ناجحة في جذب توبي نحو الباب الأمامي. رغم طول قامته، كان ضئيلاً مقارنة بجسد توبي المتين.

توجع توبي: «هيا يا صاحبي، ابتعد عني ودعنا نتحدث حول ذلك».

«برام!» اندفعت إلى الأمام وأنشبت أظفاري بغضب في سترته. «ماذا تفعل؟»

أرعبتني عيناه: كانتا جاحظتين، لا ترمشان، مثبتتين على توبي المسكين
بحدة وحشية. «ابتعد عنها وإلا سأقتلك!»

لم أستطع أن أصدق ما سمعته. «توقف عن هذا يا برام! توقف عن ذلك
الآن!»

طبعاً سرعان ما كان الولدان، اللذان استيقظا على الضجة، عند أعلى
السلم. صاح هاري: «بابا!»

هتفت: «بابا سيغادر حالا، أليس كذلك يا برام؟» حاولت مرة أخرى أن
أجذبه بعيداً عن توبي، ولم أنجح إلا في ثني أحد أظافري إلى الخلف، الأمر
الذي جعلني أصرخ من الألم.

«ماما؟ هل أنت بخير؟» كان ليو في طريقه هابطاً السلم وترك الرجلين
لأقابله في منتصف الطريق.

- عد إلى الفراش يا حبيبي. سأصعد خلال لحظة.

«هل هناك لص؟» سأل هاري أخاه وعندما تحدث ليو إليه ميزت الذعر
في صوته.

هتفت: «لا شيء من ذلك!» لكن صوتي كان حاداً، مهتاجاً، فاضحاً
لذعري أنا نفسي.

أخيراً أطلق برام سراح توبي، الذي تراجع إلى المطبخ، وهو يدعك رأسه
ويسب.

«انتظر في الخارج» وجهت حديثي إلى برام وأسهرت صاعدة السلم
لأهدئ الولدين. سطعت الأضواء في غرفة ليو، حيث اتخذوا ملاذاً لهم،

ووجهاهما شاحبان من الرعب. تساءلا: «من هذا الذي كان بابا يتعارك معه؟ هل الشرطة قادمة؟»

ضممتها نحوي: «لا، كان مجرد خلاف مع صديق. حاولا أن تنسيا الأمر وتحصلا على بعض النوم».

«تذكري أن توصدي الباب يا ماما». قالها ليو عندما غادرت، وكدت أبكي من ثقته البريئة في باب موصد، فيّ.

آسفة، أشعر بالانزعاج. لا يمكنني أن أبين بما يكفي كيف كان هذا كل شيء سعت لتجنبه: مشهد بين رجل مُبعد وزوجة، والطفلان ممزقان ومرعوبان، غير متأكدين من كان في البيت وأين تكمن الولاءات الحرجة.

نَفَس عميق. على أي حال، عندما انضمت إلى برام في الحديقة الأمامية، كنت أغلي غضبًا. وكان يذرع الممر المرصوف بالحجارة، ودخان سيجارته يتصاعد عبر أغصان الماغنوليا العارية. التاسعة والنصف يوم ثلاثاء من شهر نوفمبر كانت عمليا قلب الليل في جادة ترينيتي وفي كل نافذة ظاهرة كانت الستائر مسدلة، بدا كأن نصيب الحي كله من الدراما والضعيفة قد تجمّع في منزلي. تحدثت عبر أسناني المطبقة بإحكام: «ماذا تظن أنك فاعل بحق اللعنة؟ هل أنت سكران؟»

رمقني بنظرة ساخطة، كان من الواضح أنه ناثر مثلي. «بالطبع لا. اتفقنا أنه ممنوع المواعيد الغرامية، ليس هنا».

- وكيف تعرف أنه كذلك؟ أنه ليس مجرد صديق؟

- أهو كذلك؟

سكتُ قليلاً، ممزقة. «نعم، أنا أواعده، لكن هذا لا يعني أن ما فعلته للتو لم يكن خارج المنطق تماماً».

أخذ نفساً قوياً من سيجارته، التي اشتعل طرفها. «الولدان هنا».

«كانا نائمين. على الأقل كانا كذلك إلى أن اقتحمت البيت. لقد اعتديت عليه يا برام. أنت محظوظ لأنه لم يتعارك معك بدوره كما يجب!» ساويت شعري بعيداً عن وجهي وحلقي. كان الهواء البارد قارصاً على بشرتي. تنهدتُ تنهيدة ثقيلة. «لكنك على حق، اتفقنا على شروط وخالفنا واحداً منها. أنا آسفة. كان مقصوداً بها فقط أن تكون زيارة لمرة واحدة لأننا لم نتمكن من ترتيب الأمر في أي وقت آخر. وهو مجرد عشاء في نهاية الأمر. لن يبقى لقضاء الليل».

«لن يبقى أبداً لقضاء الليل في هذا المنزل». قالها برام بشراسة لم أرها في كل سنواتنا معاً. «سأحرقه حتى يتساوى بالأرض قبل أن يحدث ذلك».

«برام، كف عن هذا، أنت تخيفني». وقفنا وجهاً لوجه، وكلانا يتنفس بصعوبة. كانت عيناه كأنهما عينا حيوان متوحش. حاولتُ مرة أخرى: «إذا كنا سنستمر في ترتيبنا، فأنا بحاجة إلى معرفة أن بإمكانك أن تكون شريكاً عاقلاً متحضراً في هذه العائلة». لكن كان ينبغي لي أن أعرف أن هذه الملاحظة ستثير النقيض تماماً.

- أنا لست (شريكا)، أنا أبوهما اللعين!

همست بصوت كالفحيح: «لا تصرخ. سيسمعك الجيران».

ألقي بعقب السيجارة في الحديقة. «أنا لا أبالي قيد شعرة بمن يسمعي، لا أريد أن يقترب هذا الرجل بأي شكل من أولادي».

«أولادنا. وأنا حتى لم أعرفه عليهما بعد! لو لم تتسبب في هذا المشهد ما كانا قد عرفا أنه هنا. هذه ليست غلطة توبي». ندمت على أنني ذكرت اسمه، لأن برام التقطه على الفور.

- توبي، أهذا ما يدعى به؟ وما اسمه الثاني؟

لم أرد. رغم اضطرابي، كان لدي ما يكفي من حضور الذهن كي أضع في حساباتي أن برام قد يضع على عاتقه مطاردة توبي في وقت لاحق وتهديده. تخيلت توبي يتصل بي هاتفيا ويقول: «أنا آسف، الأمر لن يفلح. أنا معجب بك، لكنني فقط لست مستعدا لهذا النوع من الإزعاج».

كان الأمر كما حذرت بولي بالضبط: لم يرغب برام فيّ بما يكفي لأن يكون مخلصا لي ولكنه لم يتحمل فكرة أن يحل شخص آخر محله. كنت أعرف أن هذه الطبائع الغريزية اللصيقة بالشخص الذي لا يأخذ شيئا ولا يدع أحدا آخر يأخذه مسألة عادية مع انهيار الزواج. غلطتي كانت في الاعتقاد أننا لسنا عاديين.

«أنت تواعد أخريات كذلك، كما أظن؟» احتضنت نفسي عندما بدأت أرتعد. كان البرد يخدر الألم في إصبعي، على الأقل.

تمتم: «لا أحد على وجه الخصوص». ورأيت، لذعري، أنه كان على وشك البكاء.

هل شعرت بالإطراء لرؤيته يصل إلى هذا الحد بسبب مشاعره تجاهي؟ ربما. لكن الحادثة أهم، في رأيي، لأنها تبين كم صار متقلبا، وغير قابل للتنبؤ بأفعاله. وأنا آسفة لقول: وكم يتحول سريعا إلى العدوانية.

- اسمع، أعدك أني لن أقابله إلا في الشقة من الآن فصاعدا.

ردد: «الشقة..»

«نعم، التي ستذهب إليها الآن، اتفقنا؟» شعرت بالارتياح عندما بدأ يتراجع نحو البوابة، وهو يومئ برأسه لنفسه. حذرتة: «لا تفعل أي شيء غبي». وهو ما جعله يتوقف في منتصف طريقه ويحرق في.

قال: «لقد فعلته بالفعل». وبالطبع ظننت أنه يقصد هجومه على توبي. بدا مفطور القلب تماما لدرجة أني تحركت نحوه، وقد خف غضبي قليلا.

- إذا لا تفعل شيئا آخر غبيا. سأحدث إلى الولدين في الصباح وسنراك بعد العمل كالعادة، اتفقنا؟

لا، لم أعرف ما أتى لي تحدث بشأنه. إذا كان هذا المشهد المختل قد أوضح أي شيء، فهو أني لم أعد الشخص المناسب ليسمعه.

في المطبخ، كان توبي واقفا يشرب، وشرائح التونة قد بردت في أطباقنا. رأيت على وجنته اليسرى علامة حمراء سيغمق لونها إلى درجة الكدمة.

«هل أنت بخير؟» كان رابط الجأش، متحضراً، نوعاً مختلفاً عن الرجل المتوحش الذي ودعته للتو.

- بل هل أنت؟ لقد خبطت رأسك بشكل سيء. وانظر إلى وجهك. هل تحتاج إلى ثلج؟ أنا آسفة جدا، جدا يا توبي. لا يمكنني تصديق أن هذا حدث.

جذبني نحوه. «لست بحاجة للاعتذار يا فاي».

كان جسده مشتعلًا، لم تعتدل حرارته بعد أن رفعها العراك.

- لكنني أعتذر. أشعر بخجل شديد.

اتخذ خطوة إلى الوراء وتفحصني بطريقة غير معتادة. «هل أنت متأكدة... هل أنت متأكدة أنك تجاوزت هذا الشخص تمامًا؟ من الواضح أنه لا يريدك أن تفعل هذا، أليس كذلك؟ أعرف أنه ترتيب معقد. ما زلتها تعيشان معا لكنكما لا تعيشان معا، أنتم متزوجان لكنكما لستم متزوجين...»

لأول مرة، شعرت أنني غير كفؤ لهذا، غمرتني الخبرات التي مررت بها في هذه الشهور الستة الأخيرة، كأنها تكدست وألقت فوقي بثقلها المميت. هل سيجعل برام الحياة مستحيلة بالنسبة لي في النهاية؟ هل ارتكبت خطأ فادحاً لأننا ما زلنا نعيش معا لكننا لا نعيش معا؟

شعرت بغصة في حلقي عندما تذكرت الشعور الذي انتابني عندما استيقظت في الشقة مع رجل لم يكن زوجي في فراش كان ينبغي أن يكون له إحساس جديد، بعيداً عن زواجي، لكنني في الحقيقة أشاركه مع برام.

قلت: «أنا متأكدة، وهو متأكد أيضاً، هو فقط لا يدرك هذا. لكن عندما يقابل أحدها، لن يبالي بمن أكون معه».

- اعتقدت أنك قلت إنه بدأ بالفعل يضاجع هنا وهناك.

جفلتُ من الكلمة. «أقصد واحدة يهتم بها فعلاً، واحدة يعتبرها مميزة».

«سأشك في قدرته على تمييز ذلك». قالها توبي بنبرة ذات مغزى ما وتساءلت ماذا سيقول بعدها. لكنني قطعت الصمت بنفسني:

«حسنا، ينبغي أن يكون قادرا على تمييز كم يعد أولاده مميزين. سأحدث إليه في الصباح وأوضح أن هذا لا يمكن أن يحدث مرة أخرى أبدا».

قال توبي: «لو أردت نصيحتي، لا تعيري الأمر أهمية كبيرة. كانت بالأساس زوبعة، وأنا لم يصبني أذى. سيصل في النهاية إلى أنه خرج عن أعصابه».

«هذا تفهم كبير منك». تشككت في أنه سيشعر بهذا الشعور المتلطف عندما يكون لديه الوقت والوحدة ليفكر في الأمر.

قال وهو يهز كتفيه: «لدى كل واحد فينا حمولته من الأمتعة».

قلت: «كنت أفكر للتو في نفس الشيء. المشكلة أن بعضنا تجاوز الحد المسموح به من الوزن».

ابتسم، وهو يدعك في شروذ وجنته المحتقنة. «الأهم هو تفرغ الحمولة».

- ماذا؟ حتى عندما تدرك أن هناك جيوبا سرية وأقسام مخفية؟

ضحك: «عندئذ بالذات».

- طيب، لأننا لا يمكننا أن نمُط هذا المجاز أكثر من ذلك.

كان لطفًا كبيراً منه أنه تصرف وكأن الأمسية لم تتحطم على نحو كارثي. ثمة ولدان في غرفتين فوق رأسينا يعتقدان أنه مقتحم دخيل، وزوج سابق غيور ينبح عند الباب: هناك كثير من الرجال كانوا ليؤثرون الرحيل.

#Tilly-McGovern ابقى مع توبي يا بنت!

@IsabelRickey101 برام يشبه واحدا من هؤلاء المتهجمين الذين يقتلون عائلاتهم كلها ويسموهم بعد ذلك بالأبطال المُعذِّبين. @macjenziejane @IsabelRickey101 أعرف. «سأحرق المنزل حتى يتساوى بالأرض». إنه يثير حفيظتي.

برام، ملف وورد

في الصباح، ورأسي أشبه بساقية تعذيب تدور من الألم، دخلت الحمام مترنحاً ورششت الماء البارد على وجهي. بعد مغادرة جادة ترينيتي، اتجهت مباشرةً إلى حانة تو برووارز، حيث شربت إلى أن انمحت كل صورة من صور المساء. لم ألحق روجر ولا بقية الشباب، لكن هذا ناسبني. لم أكن في مزاج يسمح لي بالمزاح مع رجال تمثل حياتهم كل شيء كانت عليه حياتي، كل شيء أضاعته.

عندما لمحت نفسي في المرأة، تراجع متوارياً عن المخلوق الذي حدق بدوره إليّ. لقد شخْتُ على نحو مزرٍ منذ نظرت لنفسي آخر مرة: انتفخت بشقي وامتلات بخطوط من العروق القرمزية التي تملأ وجوه مدمني الشراب، جفوني متورمة وتطرف بجنون، ونتج عن الإهمال العام بدايات لحية وشعر أطول من المعتاد. بدوت أشبه بذلك العجوز الذي كان يعيش تقريباً في المتنزه قبل أن تطرده ما تُسمى بجمعية أصدقاء أولدر رايز.

(لعله ميت الآن).

إحقاقاً للحق، أنا لست فخوراً بمهاجمته. بعيداً عن أي شيء آخر، كانت حادثة عنف أخرى عليها شهود يمكن أن تعود لتطاردني. لكن ماذا بوسعي أن أقول؟ إما أنك مررت بفورة الغضب الخالص أو لم تمر بها، ذلك الشعور القصير بالصدمة التي تتبعها طاقة فوق بشرية لا يمكن استدعاؤها من أي شعور آخر، ولا حتى الشهوة. يسمونها الضباب الأحمر، لكنه ليس بأحمر، إنه أبيض. يغشي عقلك، يعميك عن العواقب، يحبسك في غلافه الجوي - وبعد ذلك يرمي بك مرة أخرى إلى الأرض.

ساعتها تكتشف أن كل من كان يمكن أن يدعموك قد تفرقوا في رعب. تفحصت نفسي بحثاً عن جروح تتجاوز الكدمات الصغيرة التي تخلفت عن شجارنا في الرواق، وعندما لم أجد شيئاً، استنتجت أنه لم يحدث فقدان مخمور للوعي جعلني أعود إلى المنزل وأقتله.

لأنني أردت أن أقتله: أقول هذا بوضوح. احتقرته من أعماق قلبي الأسود. عندما عدت من تأملاتي أقسمت أن أحدد موعداً مع الممارس العام، وأحصل على بعض الأدوية. مضاد للقلق، مضاد للاضطرابات النفسية، مضاد للانبهار.

على نضد المطبخ، إلى جوار قذح القهوة الذي استخدمته كمطفأة سجائر ليلة الأمس، أزهافتي غير المسجل. تعلم اللعين أن يستخدم هذا الرقم الآن، العنصر الوحيد الذي تمكنت من إملائه عليه، لما كان يستحقه. فتحت الرسالة بشعور جديد من الاستسلام:

- كنت تمر فقط، أليس كذلك؟ كلمة واحدة لها عنا وسأجعلها تتعذب. هل تفهمني؟

فهمته. لم تكن لديّ فكرة إن كنت أملك الشجاعة لأقدم اعترافي لفاي ليلة أمس، لكنه كان محظوظاً جداً، جداً، بوجوده هناك عندما أتيت. لقد شق الوغد طريقه كالثعبان إلى داخل عواطفها، وحجبه عنها أنه قابلني من قبل كان فعل تعذيب مقصود. لقد أمسك خصيتي بين يديه. لم يخطط فقط لسرقة بيتي، بل للوصول إلى زوجتي. لقد اختطف زوجتي.

مايك. توبي. ابن القحبة.

الجمعة، 13 يناير 2017

لندن، 4.15 مساءً

«هذه فوضى تامة». يقولها ديفيد ثون في سخط. بدأ يتوتر الآن: وأي شخص كان ليشعر بهذا الشعور لو تعرض لهذا النوع من الضغط لوقت طويل إلى هذا الحد. إنها أشبه بلعبة الروليت الروسية، والمحامون يمسون بالمسدس. «هذه المرأة الأخرى تقول إنها فيونا لاوسون ولم تستلم عائدات البيع التي هي حق لها. وأنت تقولين إنك فيونا لاوسون ولم تبقي قط المنزل أصلاً».

تستشيط فاي غضباً: «لا (أقول) إني فيونا لاوسون، أنا فيونا لاوسون. انظر، ها هي رخصة قيادي. هل هذا كاف لإقناعك؟» قد يكون هذا الرجل مطالباً بمنزلها، لكنه لن يأخذ هويتها. يتفحص الزوجان ثون الرخصة، لكن سلوكهما نحوها لا يشهد إلا تغييراً صغيراً ملموساً.

تقول ميرل: «هل هناك أي فرصة في الحصول على رقم هاتف لهذه السيدة لاوسون الزائفة من الوكيل العقاري؟»

- سألتُ بالفعل، لكن راف يقول إنه لا يملك أصلاً إلا رقم هاتف السيد لاوسون، والذي أظن أنه نفس الرقم الذي لديك.

تقول فاي: «لقد كان هاتف برام خارج الخدمة طوال فترة ما بعد الظهيرة».

لكن عندما يراجعون الرقم، يكتشفون أنه ليس رقم برام الرسمي؛ الرقم الذي دفعت ثمنه جهة عمله وتستخدمه فاي للاتصال به يومًا بيوم. ينبض الدم بقوة في رأسها عند هذا الاكتشاف، لكنها عندما تحاول الاتصال بهذا الرقم غير المألوف، يستمر الخط في الرنين.

يقول ديفيد: «هل اعتقدت أنه سيرد فعلا؟ هي تحاول ذلك طوال اليوم».

هي. من هذه المنافسة، هذه المغتصبة التي قرر برام أن يشاركها ثروة آل لاوسون؟ هل تزوج عليها؟ هل تزوج امرأة ثانية وتأمرا سويًا لسرقة المنزل الذي يخص الزوجة الأولى؟ (ربما لديه أطفال منها أيضا، أشقاء من جهة الأب لليو وهاري). أم ترى الأمر على النقيض تماما وهي مجرد ممثلة استأجرها برام من أجل الصفقة؟ «السيدة لاوسون» التي اتصلت بالمحامي يمكن أن تكون أي واحدة؛ لم يقابلها آل ثون، فالعملية القانونية لا تتطلب وجود البائع والمشتري في نفس الغرفة في نفس الوقت. ربما قام برام فقط بتصوير جواز سفر فاي وسلم الصورة عبر الإنترنت؟ لقد اعترف ضباط الشرطة صراحةً كم أصبحت عملية نقل الملكية مجهولة الهوية، كيف ينسل المحتالون كالثعابين عبر الشغرات دون أن يجدوا من يصددهم.

وإذا لم يكن الأمر لتمويل علاقة جديدة -حب جديد- فلماذا؟ لماذا يحتاج برام إلى هذا المبلغ من المال؟ ماذا يمكن أن يساوي التضحية بأمان طفليه وعلاقته بهما في نفس الوقت؟ دين كبير نتيجة إدمان القمار؟ مخدرات؟

تدلك صدغيها، لكنها تفشل في تقليل الوجع. كم كان من الأسر تخيله في صورة الضحية، مثلها تماما. تعرض للخداع أو التهديد أو غسيل المخ.

تقول ميرل: «إذا ليس أماننا إلا الجلوس والانتظار، أليس كذلك؟ ما زلنا لم نعرف من له الحق في البقاء ومن عليه أن يرحل؟»

يقول ديفيد: «بحسب راف، هناك طريقة بسيطة لحسم أمر من يملك المنزل قانونًا وبالتالي يملك حق شغله: هيئة تسجيل الأراضي. ليست هناك أي وثائق قانونية بعد، لكن لو سُجل المنزل لنا، فنحن المالكان. وإذا لم يكن تحويله قد جرى لأي سبب من الأسباب، فستكون أسماء آل لاوسون ما زالت مسجلة ويظلون هم المالكون. ستكون إيما قادرة على إخبارنا».

إيما جيلكرايست، محامية آل فون، خرجت أخيرًا من اجتماعها مع أطراف خارجية وزميل لها ينبهها الآن فورًا بالأزمة في أولدر رايز.

«لا تقلقي..» يقولها ديفيد مطمئنًا لوسي. «لا سبيل لأن تكون إيما قد دفعت مليوني جنيه دون تسجيل عملية البيع».

تقول ميرل: «حقًا؟ لن يكون هذا بالخطأ الكارثي الوحيد في هذا الموقف، أليس كذلك؟ اسمعوا، لقد سئمت من انتظار المحامين. ألا يمكننا مراجعة الموقع الإلكتروني لهيئة تسجيل الأراضي؟»

يقول ديفيد: «من الواضح أن الموضوع يستغرق بضعة أيام قبل أن يظهر على الإنترنت. نحن بحاجة إلى قيام إيما أو هذا الشخص المسمى جراهام جنسون بتأكيد الموقف المضبوط. ولعل هذه هي إيما الآن...»

عندما يرن هاتفه، يسحبه من جيبيه كأنه سلاح ناري. بشكل جماعي يتصلب الآخرون في مقاعدهم مكهربين.

يهتف ديفيد: «إيما، أخيرًا! لدينا موقف مقلق جدًا هنا ونحتاجك كي تحليه بأسرع ما يمكن...» حين يلمح عيني فاي، يبدو محرجًا على غير المتوقع ويفتح

باب المطبخ ليتلقى بقية المكالمات الهاتفية في الحديقة. يتدفق هواء مثلج إلى الغرفة كتهديد عندما يخطو خارجاً فوق الممر نحو بيت اللعب.

تفكر فاي: هكذا، مستقبلي، ومستقبل ليو وهاري أيضاً: يتداعى كل شيء إلى هذا الحال.

جنيف، 5:15 مساءً

يتوجع عندما يصل جار كورنيفان؛ محطة القطار الرئيسية في جنيف. فخذاه وركبته، وحتى كتفاه، ملتهبة مثل قدميه. ومع ذلك فإن عقله مخدَّر: لقد منحته شوارع المدينة بلسم التخفي، وعندما يقترب كي يتوقف ليمسح صخب الحشد في المحطة، فكأنه تقريباً قد نسي لماذا هو هنا.

تمر به مجموعة من المسافرين الشابات، وجوههن متحولة نحو واحدة معينة في مركزهن، وبينما يراقبهن تطعنه معرفة أن فاي ستأقلم مع الوضع على نحو طيب. ستكون لديها نساؤها من حولها.

معرفة واضحة، مطلقة، بلا ألم.

اعتاد دائماً أن يجد طريقة نساء جادة ترينيتي في الحديث إلى بعضهن البعض طريقة مرهقة. حتى عندما لا يمكنك سماع ما كن يقلنه، يمكنك أن تحس من لغة أجسادهن، من تعبيرات وجوههن، أن الأمر كله انفعالي للغاية. كن يتصرفن وكأنهن يناقشن مسألة إبادة جماعية أو نهاية العالم الاقتصادية ويتبين أن الأمر فقط يتعلق بأن إيميلي الصغيرة انخفض ترتيبها في مجموعة رياضيات أو فيليكس لم يلتحق بفريق كرة القدم الأول، حبكة مسلسل تليفزيوني أو حالة غضب في حلقات المدونة الصوتية المسماة: (الضحية).

بعد ذلك، عندما تحدث أشياء رهيبة فعلا، مثل موت مفاجئ في العائلة أو تدمير مستقبل مهني، وتتوقع حالة من الهستيريا الجماعية، تجدهن أشبه بفريق تدخل سريع، منظمات بشكل مثالي، ومركزات على الوصول إلى حل.

قال روج مرة عند البار في حانة توبرووارز: «هن الدودات اللاتي تحولت. هل تتذكرون ذلك الاسكتش الكوميدي القديم الذي كان يحمل هذا الاسم؟ عن استيلاء النساء على العالم؟ الثنائي روني والممثلة ديانا دورس، أليس كذلك؟ كان من المفترض أن يكون هذا العمل ديستوبيا».

قال برام: «في هذا شبهة عدم صوابية سياسية إلى حد ما».

قال روج موافقا مع تظاهره بالندم: «أوه، تماما. لم يكن ليُسمح بهذا الآن». من المضحك أن يفكر في ذلك الآن، تحت لوحة مواعيد الرحيل في محطة قطار في جنيف، لكنه سعيد لأنه تذكر ذلك، لأن هذا يجعله يعتقد أن الأمور قد لا تكون بشعة في لندن، حتى اليوم؛ يوم الاكتشاف. لأن فاي هي التي تتولى زمام الأمور الآن وليس هو. وعندما يهدأ الغبار، سيكون الولدان أفضل حالا بدونه.

لأول مرة منذ غادر جادة ترينيتي يشعر بشيء أقرب إلى السلام منه إلى الاضطراب.

وهناك قطار إلى ليون يغادر في الساعة 29, 5 مساء.

«قصة فاي» < 02:22:12

قد تبدو هذه مفاجأة لكم، لكن كانت هناك أوقات شعرت فيها بالأسف من أجله، حدث ذلك فعلا.

لا تفهموني خطأ، أنا لا أبرر ما فعله -من الواضح أنني أحتقر هذا: لقد سرقني، سرق مستقبل أولاده- الأمر فقط أن هذا الجزء مني يفهم كم كان من الممكن للموقف أن يصبح فادحا كما كان بالفعل. تعرفون؟ تصاعد الأحداث، زخم لم يمكن إيقافه. شعور بكارثة كونية لا تقاوم. كلنا نعرف أن تشارك مشكلة يجعلها مشكلة مقسومة لنصفين، لكن أليس صحيحا أيضا أن مشكلة تُسرّها في نفسك هي مشكلة مضاعفة مرات عديدة؟

أنا مقتنعة أن هذا هو ما فعله - في لحظاتي الأكثر هدوءاً على أي حال. أسرّها برام في نفسه. لو باح بها لأحد، أي أحد، لثناه عن أفعاله. بدلا من ذلك، هو مطلوب الآن بتهمة الاحتيال وربما حتى ما هو أسوأ، ربما حتى...

لا، لن أقولها. لن أقولها حتى -إلا إذا- ثبت ذلك في محكمة قانونية.

لا، بأمانة، لا يمكن أن أصدر حكما حول ذلك. سأدخل في مشكلة مع الشرطة أنا نفسي.

ما سأقوله إن برام لم يكن صاحب الروح المرحّة الذي اعتقد الناس أنه عليها. كانت لديه أحواله الكثيرة، أكثر من أغلبنا، والتي نشأت من موت أبيه

شبابًا. لا أقصد انتقاد والدته -فهي امرأة رائعة- لكن تربية طفل يتيم الأب ليست سهلة عندما تكونين في حالة حداد أنت نفسك.

أعتقد أن النقطة التي أحاول توضيحها هي أنه من الصعب أحيانًا معرفة الفارق بين الضعف والقوة. بين البطل والشرير.

ألا تعتقدون ذلك؟

لم يكن التوقيت في صالح برام، أعترف بهذا. في الحقيقة، لم يكن من الممكن أن يكون الأمر أقسى من ذلك.

رغم أنه كان في نيتي أن أتبع نصيحة توبي وأكبح سورة غضبي بشأن الهجوم، إلا أنه قبيل عودة برام في مساء اليوم التالي من أجل زيارته المعتادة كل أربعاء لليو وهاري، كان هناك تطور لم يتمكن من توقعه. انتظرت نزوله من الطابق العلوي بعد أن أرقد الاثنين في الفراش، وقدته إلى غرفة المعيشة وأغلقت الباب - لم أرغب في أن يسمع الولدان كلمة من هذا الحديث. عندما استقررنا على الأريكة، وموقد الخشب يتوهج عبر الغرفة، فكرت كم من الأزواج في طول الشارع وعرضه يفعلون نفس الشيء، إلا أن قلة قليلة منهم عالقة في نزاع كنزاعنا.

بدأ هو الحديث: «بالنسبة لما حدث ليلة أمس..» وكما توقع توبي، كان شاعرًا بالخجل، ممتلئًا بالندم. «أنا فعلاً...»

قاطعتُ اعتذاراته: «أعرف. لا يريد توبي تصعيد الأمر. أنت محظوظ جداً، كان يمكنه أن يذهب إلى الشرطة. لكنه متفهم للسبب الذي جعلك تفقد أعصابك بهذه الطريقة.»

فغر برام فاه، وبدا عليه الذهول من هذه المكاشفة. «ماذا قال؟»

«فقط أنه يُقدَّر قيمة ما اخترت أن تضيعه». زوجة جيدة، امرأة جذابة. سكتُ، مستمتعة بارتبাকে. «إلى جانب هذا، ما نفعله أنا وهو أو نقوله ليس من شأنك، اتفقنا على ذلك».

«لاااأس». مط حروف المد، ليوفر لنفسه ثانية أو ثانيتين بينما يحاول تخمين ما هو آت، إن لم يكن عاقبة الجريمة الأمسية السابقة.

أخرجتُ مطروفا مفتوحا من جيب سترقي الصوفية. «جاء هذا في البريد اليوم يا برام».

تناوله مني. «إنه موجه لي».

«أعرف، لكنني اعتقدت أنه قد تكون له صلة بطلب التأمين، أي فرصة كي يعودا عن قرارهم، لذا فتحت بالنيابة عنك». في الحقيقة، كانت الوثيقة عبارة عن استمارة من وكالة ترخيص السائقين والمركبات تدعو برام لإعادة التقديم للحصول على رخصة قيادته بعد منعه من القيادة في فبراير. «منع من القيادة يا برام؟ منذ شهور، عندما كنا ما زلنا معًا. ذهبت إلى المحكمة، وقفت أمام قاضي، ولم تقل كلمة عن ذلك!»

قال: «إن فتح بريد شخص آخر عمل إجرامي».

- إن القيادة أثناء المنع عمل إجرامي!

«ماذا؟» ونظر إلى الوثيقة عابسًا. «هذا ليس ما تقوله هذه الوثيقة». وهز كتفيه هزة واهية، هي كل ما استطاع أن يتدبره من خيلاء واختيال برام الشهيرين.

- لا، لكنه ما أقوله أنا. لا تنكر ذلك، لقد قدت السيارة بشكل عادي بعدها، لقد رأيته بعيني هاتين. لخاطر المسيح يا برام، المنع سيء بما يكفي - خاصة في سياق عملك، أنت محظوظ لأنك لم تفقد وظيفتك - لكنك لو كنت قد تورطت في حادث خلال الأشهر القليلة الماضية لوقعت في مشكلة خطيرة. ماذا كنت تعتقد؟ كيف تُدخل نفسك في هذه المواقف؟ لماذا لا يمكنك فقط أن تتبع القواعد مثل بقيتنا؟

كان صوتي قد ازداد حدة، ولم تعجبني نبرتي في هذا المزاج الورع. لم أشعر قط أنني أقرب إلى أم مما كنت في تلك اللحظة: أمه. «حسناً؟» أردت أن أسمعها من فمه، أردت أن أشاهده يعترف.

بعد أن لاحقنا نظرات بعضنا البعض في أرجاء الغرفة، تلاقت نظراتنا الآن بشكل سليم وضيّق عينيه ناظراً نحوي كأنه لم يعد يثق بي (هو لم يعد يثق بي أنا!). «طيب، إذاً قمت برحلات سريعة قليلة عندما لم يكن ينبغي لي أن أفعل ذلك، لكنها ليست كثيرة كما تعتقدن. وبعد ذلك سُرقَت السيارة...» «ووفرتَ عناءً إغواء آخر بفضل شخص تصرف بطريقة أكثر إجراماً حتى منك..» أكملت له جملته. «إذاً، في هذه (الرحلات السريعة القليلة)، هل كان معك الولدان في السيارة؟»

- ربما مرة أو مرتين، مجرد رحلة قصيرة إلى تمرين السباحة أو شيء آخر، لكنهما لم يكونا قط عرضة للخطر، أقسم على ذلك.

أردتُ أن أصفع ذلك الغبي. «لقد ورطتهما في فعل غير قانوني يا برام، بالطبع كانا عرضة للخطر! بأمانة لا أعرف إلى أين سنصل بعد ذلك. كان شيئاً كبيراً بالنسبة لي أن أتجاوز ما حدث عندما انفصلنا

وعندما فعلت ذلك كنت مؤمنة تماما أنك لن تضعني في مزيد من الإحباط. لكنك لم تكتفِ بالاعتداء على صديق لي، بل كنت أيضا تكذب عليّ طوال هذا الوقت!

بدأت رجفة تسري حول فمه. والبعثة في حلقه لم تكن بشرية تماما عندما التمس، مرة أخرى، أعذاره: «أعرف، أنتِ على حق، لكنني لم أرغب في المخاطرة بفرصتي في البقاء مع الولدين. من فضلك يا فاي، أنا آسف، أنا آسف فعلا. أعرف أنني أفسدت الأمر وأنتِ ربما تعتقدين أن ترنيبات عش الطائر لا تسير بشكل ناجح...»

- كيف يمكنني أن أعتقد في شيء آخر عندما يكون واحد منا كاذبا!
- لكنه جيد بالنسبة لهاري وليو، أليس كذلك؟ عليك أن تعترفي بهذا. هما أسعد بكثير مما كانا ليصبحا عليه لو كنا قد انفصلنا.

تجمدنا نحن الاثنان، وكل واحد منا مفزوع كالأخر.

أخيرا قلت: «لقد انفصلنا..»

هز رأسه: «أعرف، زلة لسان».

سألته: «ألهذا لم تدفع شركة التأمين؟ لأنك لم تخبرهم بأمر المنع؟»

- أخبرتهم، بالطبع أخبرتهم.
- إذا، كالعادة، أنا فقط من خدعته.

لدهشتي ورعبي، بدأ وجهه ينهار بتلك الطريقة المتشنجة الفظيعة التي أصيب بها مرة من قبل وهذه المرة بدأ ينتحب، مكررا مرة بعد مرة كم هو آسف.

- من فضلك يا فاي، أعطني فرصة أخرى واحدة. على الأقل حتى نهاية فترة الاختبار التي اتفقنا عليها في الصيف؟ من فضلك.

انتظرت حتى هدأت دموعه، مانعة نفسي من رؤية ليو فيه، لكن كان هذا بعد فوات الأوان. كان أبا الولدين، وكانا موجودين في وجهه وصوته ومظاهر هشاشته. لم يكن بمقدوري أن أنفيه دون أن أنفيهما.

«فرصة واحدة أخيرة يا برام. أنا فقط... أنا لا أستطيع أن أتركك تجعل مني امرأة حمقاء». مرة أخرى. مرة أخرى ومرة أخرى.
قال: «أعدك».

وهو ما نعرف الآن أنه لم يكن يساوي الموجات الصوتية التي انتقلت الكلمات عبرها.

برام، ملف وورد

بصراحة أعتقد أن فاي لو ضغطت أكثر قليلا لانهرت. لو طلبت أن تعرف لماذا تعاملت مع رجلها الجديد بالطريقة التي جرت، ربما انفجرتُ وتركت الأسرار تنزُّ مني، بكل ما هي عليه من قذارة ومرارة.

لكن مثلما توقفت ذات مرة عند مسألة الخيانة وفاتها مسألة القيادة، فقد توقفت الآن عند القيادة وفاتها الاحتيال. لقد أتى خطاب من هيئة ترخيص السائقين والمركبات يعري تفاصيل منعي وأتت معه المواجهة المتوقعة. يمكنني تخيل وجهها الآن، ورعبه الأشبه برعب القديسين وهي تقول لي: لو كنت قد تورطت في حادث خلال الأشهر القليلة الماضية لوقعت في مشكلة خطيرة...

أعتقد أنني أعرف ذلك!

«لماذا؟» سألت مايك، عندما هدأت بما يكفي لمهاافته: «لماذا تواعدها؟
أهذا فقط لتريني أنك تستطيع؟»

«برام». قالها وهو ينطق اسمي بتنهيده. «يبدو أنك تعتقد أنني أملك وقتاً غير
محدود لكي أسلي نفسي فيه. هناك موعد نهائي هنا، أتذكر؟ قد تكون الشرطة
بطيئة قليلاً، لكنهم ليسوا مجموعة من الحمقى بشكل كامل. سيقربون منك
في النهاية».

قلت له معترفاً: «لقد اقتربوا بالفعل. أتى شخص لسؤالي يوم الثلاثاء».

- حقاً؟ هل سألك عن الحادث؟
- لا، ليس بشكل مباشر. فقط من آخر من رأى السيارة، نفس الأرضية
التي غطوها مع فاي منذ أسابيع، لذا أعتقد أنه لا بد بحوزتهم شيء
جديد كي يحتاجوا للبحث عني.
- هل سألك أين كنت يوم السادس عشر من سبتمبر؟
- نعم. واضطرت لاستخدام حجة الغياب. قلت إنني كنت في الحانة
عند مفترق كلابام، كما اتفقنا.
- جيد. سينفع هذا بشكل طيب، لا تقلق بشأنه. حتى لو راجعوا
الكاميرات، يكون الوضع جنونياً هناك يوم الجمعة، ومن السهل أن
تضيع في الزحام. أنت بحاجة للإمساك بأعصابك يا برام. وبالنسبة
لزوجتك، اطمئن لأنني لا أملك أي نية للركوع على ركبتني أمامها
وطلب يدها. لكن على أحدهم أن يبعدها عن الطريق عندما يحين
الوقت، أليس كذلك؟ ولن تكون أنت من سيأخذها في رحلة
رومانسية.

إذا بالقطع كانا ينأمان معاً (وكان الأمر أصلاً محل شك. لقد كانت ممارسة الجنس مهمة لفاي).

- أعرف أنها ضربة لغرورك الذكوري، لكن لا يوجد شيء شخصي في الأمر، لذا لا تغرق في الاكتئاب بسببها، اتفقنا؟ أنت بحاجة للتوقف عن جذب الانتباه نحوك بهذه الثورات المشاكسة.

مشاكسة؟ كأني طفل تحبته كلمة «لا».

قلت: «ابتعد فقط عن أطفالي. عدني بذلك».

قال ساخراً: «وعد، فلنشبك خنصرينا! هل يمكننا أن نتقل إلى العمل الآن، من فضلك؟ لا بد أنه كانت هناك بعض العروض بعد هذه المعاينات الثانية؟ اعتقدت أنهم يجرون وراءك متلهفين بسبب هذا السعر حتى يعضوا ذراعك».

زفرت في صوت ذليل أقرب إلى الأنين.

- لا تفكر حتى في كتمان شيء عني يا برام. كلمة واحدة مني وستصل السيدة لاوسون بالوكيل بنفسها.
- إنها ليست السيدة لاوسون.
- فقط أعلمني بآخر الأخبار اللعينة، مفهوم؟

أقسم إن الأمر بدا وكأنه جذب خيطاً من ظهري وعندما أفلته خرجت الكلمات: «كان هناك عرضان. أعلاهما من زوجين ما زالا ينتظران بيع بيتهما الحالي. وأقلهما من زوجين باعاً بالفعل بيتهما، لذا لا وجود لارتباط الشراء بالبيع، وهما مستعدان للمضي قُدماً».

قابلتهما في يوم المعاينة، كما قال راف، رغم أني لم أستطع أن أميز وجهيهما وسط المجموعة الأنيقة من الأزواج المتشابهي الملامح. ديفيد ولوسي فون، مترقيان من بيت بسيط في إيست دولوويتش وحصلا على ثروة مفاجئة بعد موت جد ثري. أصغر مني أنا وفاي ويستعدان للبدء في تكوين أسرة.

سأل مايك: «كم؟»

- مليونان. هذا أفضل ما يمكنها دفعه، لا يمكنها الحصول على أي زيادة من مقرضهما. يوصي راف بأن نقبل العرض الأعلى، ونمنحهما فترة معقولة للموافقة على بيع بيتها.

قال مايك: «لا يوجد وقت لهذا. سيكون المليونان كافيين».

كأنه مصروف جيب، كأن الشحاذين لا يمكن أن يكونوا انتقائيين.

قلت: «إذا أنت تريدني أن أقبل؟»

- - أريدك أن تقبل.

لم يكن من الممكن لي أن أصمم طقسًا أكثر توافقًا بدقة مع حالتي النفسية بينما كنت أسير عبر أولدر رايز إلى عيادة الممارس العام في الجانب الشمالي من البارييد. تدلت السماء بشكل واطئ خانق حتى كادت تلمس أسطح البيوت، بينما تحللت أوراق الشجر تحت الأقدام إلى غبار.

كنت قد حجزت جلسة مع رئيس خدمات الصحة النفسية، د. بيرسون.

قلت له بصدق: «لا أستطيع الاستمرار».

كي أعطيه حقه، بذل الرجل ما بوسعه كي يكشف المسألة، لكنني التزمت بالخطوط العريضة: لا أستطيع التعامل، أشعر دائما كأني على وشك الإصابة بنوبة هلع، كل شيء يتفكك، أريد أن أبكي طوال الوقت.

قال: «سأكتب لك مضادا للاكتئاب. سنبداً بشهر، وإذا كنت سعيدا به، سنجدد الوصفة في العام الجديد. لكن الأدوية مجرد جزء من العلاج وأنا أوصي بقوة أن تتحدث مع معالج نفسي كذلك».

قمت باستجابة غير مفهومة، مراوغة، مضيفا إياه بالفعل إلى قائمة الأشخاص الذين لن أراهم مرة أخرى أبداً.

«يمكنني أن أقوم بإحالة حالتك من خلال هيئة خدمات الصحة الوطنية، أو إذا وددت أن تبدأ في وقت أقرب، يمكنك اللجوء إلى معالج خاص؟»

قلت لأزيمه عن كاهلي: «سألجأ إلى معالج خاص». وأعطاني رابطاً لموقع إلكتروني يعرض قائمة بالخيارات المحلية. تخيلت أن تقوم حيزبون متحمسة في العقد السادس من عمرها بسؤالي عن الخيارات الفقيرة في نمط الحياة والتعامل مع الضغط. كنت لأقول: «اسمعي أيتها البقرة الغبية، لقد تسببت في موت طفلة. لقد قتلت شخصا وأنا الآن أتعرض للابتزاز كي أشارك في احتيال إجرامي وإذا لم أتعاون سأسجن لمدة عشر سنوات. المبتز يضاجع زوجتي ويهدد أطفالي وأتخيل طوال الوقت قتله، لكن إذا قتلته سيكون عليّ أن أقتل شريكته أيضاً، التي نمت معها بالمناسبة، وحتى وقتها قد تصل

الشرطة إليّ أيضا لأنه يمكن أن يكون هناك شهود آخرون هناك،
ناهيك عن المرأة الناجية من الحادث نفسها، التي بحسب علمي ربما
تعاني من اضطراب ما بعد الصدمة الذي يمنعها من تذكر الحادث
بشكل كامل لكنه ربما يذهب في أي وقت...»

لا، من الأفضل أن أحتفظ بمشكلاتي لنفسي.

برام، ملف وورد

منذ حادث، التصادم، لم أر شيئاً من القصة في نشرة الأخبار التلفزيونية، سواءً انطونية أو المحلية، أيا كان مُحْكَمو الموت، فهم لم يقضوا بأن موت إيلي رودرفورد يستحق وسيطاً رفيع المستوى كهذا. ومع ذلك، تابعتُ المشاهدة، ليلة بعد ليلة (عندما لم أكن في الحانة)، لسبب واحد حقير هو أن الأخبار السيئة كانت تجعلني أشعر بشعور أفضل. جريمة حربية بشعة، انطلاقة قاتل متسلسل، تشاجر عصابات بالسكاكين: نجحت كل واحدة منها في إقناعي بأن جريمتي ليست بهذا السوء.

شيء مقرف، أعرف.

ثم في ليلة من أواخر نوفمبر، عندما كنت أواشي نفسي بزجاجة نبيذ والصور المأساوية لحطام قطار هندي، مفكراً ماذا يهم في أي ارتكبت خطأ فظيلاً منذ شهرين ونصف بينما هناك سبعة مليارات شخص آخرين بائسين مثلي تماماً، ظهرت العناوين الرئيسية للأخبار المحلية وجمدتني رعباً:

«الليلة، نتحدث إلى العمدة حول مخاوف السلامة بالنسبة لعمال البناء في مبنى جديد بمنطقة ساوث بانك سيجعل من جيرانه أقزاماً... وكذلك هذا المساء: بعد إعلان الحكومة عن أحكام أشد صرامة على جرائم القيادة الخطيرة، نسأل لماذا بعد أكثر من شهرين من حادثة جنون السرعة في جنوب لندن التي قتلت إيلي رودرفورد الفتاة ذات العشرة

أعوام وما زال لم يتم القبض على أي مشتبه به. يتحدث والد إيلي إلى ميرا بوويل في مقابلة حصرية...»

انتظرتُ في عذاب محبوس الأنفاس كي تنتهي الفقرة المتعلقة بناطحة السحاب - وقد بلغ الألم أشده في العمق. ثم، وبعد عشر ثوان من تعليق المذيع في الاستديو، ملأت الشاشة لقطة طويلة لطريق سيلفر رود وبدأ تعليق صوتي يلخص الحقائق المعروفة عن التصادم مع لقطات أرشيفية من حركة المرور في ثورنتون هيث ومدخل مستشفى كرويدون. بعد ذلك أتت سلسلة لقطات من الجنازة - أطفال في ثياب صفراء، وزهور منسقة على شكل فراشة - تبعها مقطع فيديو لآل روزرفورد متجمعين في غرفة معيشة حسنة التجهيز، في النافذة نبتة سرخس هائلة والرفوف مكدسة بالكتب. كان شقيق إيلي المراهق يساعد أمه في النهوض عن مقعدها ويسندها وهي تتحرك متألمة إلى رف المدفأة كي تنظر إلى صورة مدرسية مؤطرة لإيلي. ثم التقطت الكاميرا مقعدا متحركاً مطويا في الركن وكومة صغيرة من الهدايا الملفوفة على منضدة جانبية. أوضح التعليق الصوتي: «إنه عيد ميلاد إيلي هذا الأسبوع. كانت ستكمل الحادية العشرة».

أخيراً، أتت مناشدة من تيم روزرفورد، الذي كان رابط الجأش على نحو إعجازي ومثير للإعجاب:

«نحن لا نقول إن الشرطة لا تعمل بجِد في هذه المسألة، لأننا نعرف أنها تعمل. نحن فقط نطلب من كل من يشاهد هذا أن يعود إلى ذلك المساء مرة واحدة أخيرة. راجعوا دفاتر يومياتكم وانظروا أين كنتم بعد العمل ذلك اليوم. كان يوم جمعة، في منتصف سبتمبر، لذا كان الضوء ما زال موجوداً؛ لعلكم كنتم عائدين إلى البيت من المكتب أو متوجهين لتناول شراب. ربما

لم تشاهدوا التصادم ذاته، لكن ربما رأيتم سيارة أودي أو فولكس فاجن هاتشباك سوداء تغادر المنطقة بسرعة. ربما لاحظتم أن من يقودها رجل أو امرأة، في أي عمر كانا، ماذا كانا يرتديان. تفصيلة صغيرة كهذه قد تكون هي المعلومة الهامة التي تحتاجها الشرطة».

وهذا كل ما في الأمر. رغم أنه كان صادمًا بما يكفي ليهزني، إلا أن المقابلة أكدت حدسي بأن الشرطة لا تعرف ما يكفي -إن كان كثيراً أصلاً- لتوجيه الاتهام لي، ويمكنني فقط أن أفترض أن أي اتهام كانوا يحاولون تجميع أطرافه فهو إما ضد اللص المشتبه به في سرقة سيارتنا أو شخص مرتبط بسيارة مختلفة تماماً.

لا أحد سيتذكر أي شيء جديد عن أمسية روتينية منذ شهرين ونصف، أليس كذلك؟ أمن الممكن حقاً أن أصل إلى خط النهاية دون أن أنكشف؟ أم أن العقل البشري هو السلاح العجيب الذي يتمنى آل روذرفورد أن يكون؟ («مهلاً، كانت هناك سيارة، اعتقدت أنها ستخطب مرآتي الجانبية. بالقطع كانت أودي. وكان الرجل ذا شعر أجمع...»)

بعد أن أطفأت التلفزيون، وجدت أن فتح زجاجة نبيذ ثانية ساعدني على المبالغة في التفاؤل (لم توقفي بأي شكل حقيقة أن خلط الكحول مع دوائي الجديد ممنوع تماماً).

لكن عندما استيقظت في الصباح التالي، لم أستطع إبعاد صورة إيلي الصغيرة عن عقلي، صورتها تلك بكثرتها المدرسية الخضراء. كانت تشبه البنات في فصل ليو، ربما ليست هي الفتاة الذهبية، الفتاة ذات الشعبية، لكنها ذكية، طيبة، ربما خجولة قليلاً إلى أن تكون مع صديقاتها وعندئذ تكون أجراً، أكثر ثقة.

مجرد طفلة جميلة مثل طفلك أو طفلي.

«قصة فاي» < 02:30:15

لا، أنا أشعر بالخزي إذ أقول إنني لم أفكر في حادثة سيلفر رود مرة أخرى. في دفاعي، ضابط الشرطة الذي جاء لسؤالي عن السيارة لم يتصل بي مرة أخرى قط وربما قرأت عن حوادث أخرى لا حصر لها بعدها، وكوارث أخرى لا حصر لها. لم يكن هناك عجز فيها السنة الماضية، أليس كذلك؟

ولا مرة ذكر برام آل روزرفورد لي، لا. فقط بعد أن بلغت كل الأمور ذروتها ليلة العام الجديد سمعت اسمهم أصلا.



telegram @
yasmeenbook

برام، ملف وورد

من المحير للعقل إلى أي حد كان من الممكن لعملية نقل الملكية أن تسير دون الحاجة إلى اتصال مباشر وجهًا لوجه مع أي محام. اختار مايك، بالطبع، جراهام جنسون من مكتب ديكسون بويل وشركاه في كريستال بالاس، ربما بسبب قلة شهرته بالتميز (بالفعل، على موقع التقييمات القانونية الذي طالعته، لم يحرز جنسون شيئًا ملفتًا في إرضاء العملاء). مثله مثل راف، لم يكن جزءًا من مؤامرتنا ولذا مرة أخرى كان عليّ فقط أن أتابع السير في الإجراءات وكأن البيع يحدث بشكل عادي. أنشأتُ حساب بريد إلكتروني جديد باسم (أ. ف. لاوسون)، وتشاركت كلمة المرور مع سادتي، وأعطيت رقم الهاتف غير المسجل لجنسون ومساعدته.

قبل أول ديسمبر، كنت قد جمعت الأوراق المطلوبة وإثباتات الهوية، وملأت كل الاستبيانات، وقدمت رقم استرداد الرهن العقاري، الذي سيُدفع أليًا عند استكمال الإجراءات. كانت الوثائق داخل وخارج خزانة الملفات في جادة ترينيتي مع مجيئي وذهابي وفقًا لجدول عش الطائر. (في الحالة غير المتوقعة لأن ترغب فاي في البحث عن شيء قمت بأخذه، كنت أعرف أنها ستفترض ببساطة أنه وُضع في ملف خطأ). لتجنب وصول الطرود إلى جادة ترينيتي في البريد - كنت أعلم بالفعل بناءً على خبرتي السيئة السابقة أن فاي لا تتورع عن فتح البريد الموجه لي، حسنا، تلك الطرود كانت موجهة لها أيضًا - اتفقنا أن تتسلمها ويندي شخصيا

من مكتب الاستقبال لدى المحامي، مستخدمة توقيعها الذي تدربت عليه باسم فيونا لاوسون كلما اتصلوا بها. بعد ذلك تسلمها لي يدًا بيد في الشقة وتنتظرنني كي أضيف المعلومات المطلوبة أو الموافقات المشتركة قبل إعادتها إلى المحامي في أقرب فرصة. أما الوثائق القليلة التي تطلبت شهودًا على توقيعنا فأحيلت إلى مايك ليضيف أي أسماء ومهن ملفقة يراها مناسبة. في الوقت ذاته، زودت ويندي السيد جنسون بالتفاصيل المتعلقة بحساب التمويل الذي سيغذي الدفع النهائي لأي بديل خارج البلاد قام مايك بفتحه مستخدمًا اتصالاته الخرافية بالإنترنت الأسود.

كل هذا كان خطيرًا بجنون ويسيرًا بجنون في نفس الوقت - أسهل بكثير مما كان ليغدو عليه الأمر لو لم يكن أحد من المتأمرين يمتلك خمسين في المائة من العقار. كانت تلك عبقرية الخطأ، ويجب أن أنسبها إلى مايك.

رغم أن طلبات المشتريين كانت في حدها الأدنى، إلا أن شركة الرهن العقاري التي كانا يتعاملان معها طلبت تقييمًا حيًا للمنزل، وهو بند غير قابل للتفاوض ولا يمكن ترتيبه إلا في يوم من أيام منتصف الأسبوع. ورغم أن هذا لم يخلُ من توترات، إلا أنه كان لعب أطفال مقارنةً بيوم المعاينة المفتوح: رتبْتُ أن أعمل من البيت وطلبتُ أن يأتي القائم بالمسح عند الظهر، حتى ينصرف قبل وقت معقول من موعد عودة فاي أو والدتها بالولدين بعد المدرسة. كان الشارع هادئًا، لكنني أعددت عذرا بشأن إصلاحات في السقف لو اقترب مني أي شخص متسائلًا.

قبيل منتصف ديسمبر، كانت مسودات العقود قد كُتبت وأُرسلت إلى محامي المشتريين.

أرسل لي مايك رسالة نصية: عمل طيب يا صاحبي، ومرت بي لحظة مشوشة نسيت نفسي فيها تماماً وشعرت بسعادة من مديحه النادر لي. ثم عاد الرعب، أكثر ثقلًا، أكثر إثارة للجنون من قبل.

من الواضح أن الأدوية لم تؤت ثمارها بعد.

«قصة فاي» < 02:30:45

أعلم أنه سيبدو وكأنني كنت أقدم تنازلاً بعد آخر، لكن عليكم أن تتذكروا أنني كنت متورطة هنا في شيء أشبه بالواقعية السياسية. لم أكن في وضع يسمح لي باتخاذ موقف أخلاقي صارم. ما اتخذته كان موقفاً أمومياً صارماً وفي هذا الجانب لا أشعر بأي ندم.

لأن برام كان محققاً بشأن سعادة ليو وهاري. كانا سعيدين فعلاً. بل إنني رأيتهم يتعاملان بلطف أحدهما مع الآخر، كما يليق بالإخوة في القصص - أقصد، ليس تماماً كما في سلسلة قصص (آل سوالو وآل أمازون)⁽³²⁾، لكنه كان لطفاً وفقاً لمعاييرهما.

هبت موجة برد في أول ديسمبر وصارت جادة ترينيتي صورة لشجيرات مكسوة بالثلج وسحابات ضباب متلاثلة. كانت أجواء الكريسماس تملأ الهواء، وهو وقتي المفضل من العام دائماً. ما إن يعودا إلى البيت من المدرسة، كان الولدان يفضلان البقاء في البيت، ويهجران الحديقة من أجل غرفة المعيشة، بموقدها الذي يحرق الحطب وسدودها المقامة بالمساند المصنوعة من

32 رواية مغامرات إنجليزية نُشرت عام 1930 وتحولت بعد ذلك إلى سلسلة قصص للكاتب آرثر رانسوم. (المترجم)

الفراء. عند رؤيتهما متعانقين، بوجنات متوردة وعيون ناعسة، كنت أقنع من جديد بجمال ترتيباتنا لعش الطائر. لعل تلك المناوشة مع توبي التي شهدا جزءاً منها لم تكن لتمثل شيئاً مقارنةً بالصراع الذي كنا لنُعرضهما له أنا وبرام لو ظللنا معاً.

في اجتماع الآباء المسائي، الذي كنا أنا وبرام نخلي جدولينا من أجله، لم يذكر أي من معلمي ليو أو هاري أي دليل على نوعية القلق أو السلوك المضطرب اللذين يُلاحظ غالباً عندما ينفصل والدا طفل ما حديثاً.

قالت مسز كارفر معلمة هاري: «أيا كان ما تفعلانه في البيت، استمرا في فعله. إنه عبقرى فعلاً».

بروح معنوية مرتفعة، رتبنا أنا وبرام الذهاب إلى حفل ترانيم الكريسماس في نهاية الفصل الدراسي معاً.

برام، ملف وورد

حتى وأنا أخطط لسرقة مستقبلهما منهما، كنت أضع الأولوية للولدين. لأول مرة في حياتيهما، حضرتُ كل حدث مدرسي أخير في موسم الأعياد، حتى مشاركة هاري في جلسة زينة الكريسماس، التي غادرها كل أب وأم حضراها إلى لقاءاتهما اليومية وقصب الزينة الصغير يلمع في آذانها. لم يعد للعمل صلة بالأمر -سأرحل قريباً- وكلما أمكن كنت أفوض أو ألغي أو أمرر المهمة. اتصلت ثلاث مرات في ديسمبر لأعذر بمرضي أو غادرت العمل مبكراً بسبب التعب (ولم أكن كاذباً تماماً، حيث لم يتعد عني قط شعوري بالغثيان).

قلت لنيل (ومرة أخرى لم أكن كاذبا تماما): «أعتقد أن بي مشكلة ما، لعله فيروس من نوع ما».

قال: «طالما أنه كذلك بالفعل وأنت لا تسخر منا فقط..» وكان هذا ما يساوي لديه إنذاراً أول. لم يتحسن الموقف بقراري التغييب عن حضور حفل مشروبات الكريسماس في العمل لصالح حفل ترانيم الولدين في الأسبوع الأخير من الفصل الدراسي.

«أيها المنصاع!» قالها نيل، وكلانا يعرف أنها الطريقة التي كان المغني كيث ريتشاردز يعاكس بها المغني روني وود عندما سجل نفسه في مصحة لإعادة التأهيل.

قلت في عقلي بأسى: آه لو كان الإدمان هو أكبر مشكلاتي. تأثيرات الشطط في الروك آند رول.

كاد حفل الترانيم يكشفني. ترنيم «جاءت في منتصف الليل صافية» هي المفضلة لفاي، وبالصدفة، غناها الأطفال في ختام الحفل، وأصواتهم العذبة الصغيرة المثلثة بالأمل كانت أكثر مما يمكن أن أحتمله. كانت أقرب مرة كدت أنهار فيها على الملأ.

«رائعة تماماً». قالتها فاي، بينما الفصول مصطفة في الممر بعدها. «أكنت تصور هذا يا برام؟»

قلت: «الأغنية الأخيرة فقط. هذا مسموح به، أليس كذلك؟ كل الآباء الآخرين كانوا يفعلونها».

- نعم، أعتقد ذلك. على أي حال، أنا لست من حراس الأمن.

خطر ببالي أنه ثمة رسالة هنا، أو على الأقل اخترت أن أعتقد ذلك. كانت تقول إنها انتهت من الحرب المنذرة وتريد الآن عودة إلى عملية السلام.

انتظرنا حتى خلا صف المقاعد في القاعة قبل أن نخطر خارجين. إلى يميني، كانت هناك لوحة من الجص تمثل محاكمة أحد الشهداء وفي كل السنين التي عشتها كابن لأم تخشى الرب، لم أشعر قط بمثل هذا الشعور من الاتصال في كنيسة كما شعرت ساعتها.

قلت لفاي: «باسم العطف على كل الناس، هل يمكنني أن أطلب منك معروفا؟» لا يوجد إلا رجل لم يعد لديه شيء ليخسره هو الذي يتمنى أمنية لا يوجد أي احتمال لأن تتحقق له. وأضفت: «إنها آخر أمنية سأطلبها منك على الإطلاق».

دارت بحدقتيها في عينيها وقالت: «لا ضرورة لأن تبالغ في الأمر يا برام، أنت لست مريضاً مرضاً قاتلاً. ماذا تريد؟»

- هل يمكن أن يقضي الولدان معي الكريسماس؟ سوف... سوف يعني هذا الكثير لي.

لأنها قد تكون المرة الأخيرة. سوف تكون المرة الأخيرة. في مثل هذا الوقت من العام القادم، سأكون في محاكمة مثل صاحبنا القديس، أو في السجن، أو أعيش في جُحر في الأرض مثل أي إرهابي. لم أكن قد قررت وقتها مسار فعلي الحالي -الذي تجلّى لي لاحقاً في لحظة كشف شبه مقدسة- لكنني قدّرت أنني سأرغب في الاستمرار في العيش، مهما كان مثيراً للراء.

لم ترد فاي في البداية. كان بمقدوري أن أرى استجابتها الطبيعية تسري بداخلها كموجة على وشك أن تنفجر معارضةً، وعلى طرف لسانها جرائم الماضي والحاضرة، لكنها بعد ذلك ابتلعتها، وتذكرت التزامها المتجدد بالمسألة. ربما أيضاً بسبب منظر كل هؤلاء الآباء الآخرين بابتساماتهم المتماثلة كأشخاص مازالوا متزوجين واشتراكهم في ارتداء الأوشحة الكشميرية الملفوفة حول أعناقهم، لكنني وجدتها فجأة تقول شيئاً غير متوقع تماماً:

- اسمع، لم لا يكونا معنا نحن الاثنين؟ في المنزل، مثل كل كريسماس آخر عرفاه؟

«ماذا؟» شعرت بوجهي يتورد. «هل أنت جادة؟»

- نعم. سيحبان أن نكون معا جميعاً. وسيكون ذلك يوم نهاية أسبوع، لذلك لماذا لا نبقي نحن الاثنين في المنزل لقضاء ليلة الكريسماس ونهاره؟ في يوم الصناديق⁽³³⁾ كنت آمل أن أصطحبهما لزيارة والدي، لذا ربما يمكنك زيارة أمك معها خلال نهار ليلة الكريسماس؟ هل يبدو هذا عادلاً؟

سرت النشوة بداخلي. «نعم، أكثر من عادل. أشكرك». الشيء الوحيد الأفضل من قضاء الكريسماس الأخير لي مع ولدي هو قضاؤه مع زوجتي وولدي.

33 يوم الصناديق يوم عطلة رسمية يحتفل به في بريطانيا وكل الدول الناطقة بالإنجليزية باستثناء الولايات المتحدة ومعظم دول الكومنولث، يحتفل به في 26 ديسمبر من كل عام غداة عيد الميلاد. (المترجم)

قالت: «هيا نسير إلى منزل كيرستي ومات معًا. تعرف أنهما يقيمان حفل شراب الآن؟»

تنازل آخر جبار؛ كان مفهوماً أنه باعتبارها الطرف المضار في انفصالنا - باعتبارها المرأة - هناك رفض أوليٍّ منها لدعوات الحي الاجتماعية.

عندما أطلق المعلمون سراح الولدين وسلموهما لنا، قال ليو: «لقد نسي هاري كلمات ترنيمه «نحن الملوك الثلاثة». كان هذا واضحاً جداً».

قالت فاي: «ليس لنا. استطعنا فعلاً أن نسمع صوتيكما، أليس كذلك يا بابا؟»

قلت: «طبعاً». وأنا أساعد هاري في ارتداء قفازيه. برز إبهامه الأيسر عبر مزق صغير وأبقيت يده في يدي، مغطياً الثقب.

«لم أنس الكلمات!» قالها متشكياً، ونحن نتوجه إلى الشارع، وانتظرت برهة غير متناسبة مع الموقف أن ينتزع يده. لكن لم يفعل ذلك، بل أبقاها في يدي طوال الطريق.

عندما مررنا بشارع باريد، سرنا نحن الأربعة صفّاً واحداً حيث كان الرصيف واسعاً إلى درجة كافية، كما كنا نفعل كثيراً عندما كان الولدان صغيرين.

هما في المنتصف، وواحد منا على كل جانب.

قلت لبولي: «قررنا أن نقضي الكريسماس معا، من أجل خاطر الولدين».

قالت: «لا بد أنك تمزحين معي. لمن كانت تلك الفكرة المجنونة؟ أنت أم هو؟»

«فكرتي. بدا في حالة مزرية جدا يا بولي». في الحقيقة، بدا أشبه بسجين محكوم عليه بالإعدام يتلقى خبراً عن إرجاء تنفيذ مؤقت عندما كنا نناقش الأمر في حفل الترانيم. (ورعبه عندما ظن أنه صوّر الأطفال دون إذن: كان برام القديم ليهتج بهذه التمردات الصغيرة). لقد ارتبكت من شدة امتنانه وفي نفس الوقت من الكآبة التي بدا أنها كامنة تحتها، وكأنه يعتقد أنه لن يعيش أبدا ليشهد موسم أعياد آخر. «وأنت تعرفين كيف يمكن أن يكون الكريسماس في بيت أمه».

«ماذا؟ احتفال ديني فعلا؟ يا له من شيء عجيب!» ورمقتني بولي بنظرة محذرة: «إلا إذا كانت هديتك له في الكريسماس خطابا من محامية طلاقك».

كانت أليسون أقل قسوة. قالت: «أعتقد أن هذا شيء لطيف فعلا القيام به. أنت إنسانة طيبة جدا يا فاي. أعرف كم لا بد أن يكون عقابه بنبذه مغرياً».

قلت: «لست واثقة أنني بحاجة لعقابه. يبدو أنه يفعل ذلك بنفسه».

@tillybuxton #الضحية فاي أسوأ عدو لنفسها، أليس كذلك؟ أعتقد أنه من الظلم قليلا لوم الضحية.
@tillybuxton @femiblog2016 ظلم شديد، لكنه شائع جدا أيضا. اسمها «فرضية العالم العادل»: نحن ننال ما نستحق.
@tillybuxton @femiblog2016 @IanHopeuk لا أصدق هذا ثانية واحدة #الحياة خراء

برام، ملف وورد

كما أقول، كرسْتُ نفسي تماما للأسرة في تلك الأسابيع الأخيرة. لا انشغالات الكريسماس ولا حفل شراب في العمل. سقطت ليالي الثلاثاء في حانة توبرووارز من جدولتي مؤخرا ورأيت شلة جادة ترينيتي لتناول الشراب مرة واحدة فقط في ديسمبر، تلك الليلة في منزل كيرستي ومات بعد حفل الترانيم. كان عليّ أن أكون حريصا حول ما أقوله الآن. كان عليّ أن أعزل نفسي عن الحشد.

على النقيض، كنت متصلا بالمنطقة كما لم أفعل من قبل قط، مقدرا التفاصيل وكأنني أتيت تَوّا من العشوائيات - أقف في المتنزه وأغلق عينيّ وأشعر بالحرية على وجهي، خالصة وصافية وملاذاً من نوع ما. ربما كانت تلك فقط راحة الهروب من المنزل الذي كنت أسرقه والشقة التي صارت مقر التآمر لهذه السرقة، الهروب من دعوة الأجهزة الأشبه بالنداهات، والتي قد أتصفح فيها مقالات عن وحشية الحياة في السجن.

أذكر تباين الطقس دائما بين البرد القارص والدفء اللطيف، شعور بالعقاب والإرجاء. مرت أوقات حيث كنت أجد راحة عجيبة في هذا - إذا لم يكن بمستطاعك أن تأخذ الخير كأمر بديهي، فلا يمكنك أن تأخذ الشر كذلك. إذا كان بمقدورك أن تواجه النصر والكارثة / وتتعامل مع هذين المحتالين بنفس الطريقة... ستكون رجلاً يا ولدي!⁽³⁴⁾

تعلمنا هذا في المدرسة.

لكنهم لم يعلمونا أن أسوأ الكوارث ستكون تلك التي نصنعها بأيدينا.

34 من قصيدة «لو» للشاعر الإنجليزي روديارد كيبلنج (1865-1936). (المترجم)

برام، ملف وورد

«لماذا تفعلين هذا يا ويندي؟»

«ماذا؟» أخذت على غرة، أطلقت ضحكة نصف مرتبكة، وقبضت على المنديل الورقي في يدها بإحكام أكبر قليلاً.

«أنا جاد. لماذا تربطين عربتك بنجمه على هذا النحو؟»

عادةً، في زيارتها للشقة، كنت أبقى التفاعل الاجتماعي في حده الأدنى، وأرد بفظاظة على محاولاتها للتغنج وأتجنب عينيها خوفاً من الكراهية العنيفة التي قد تستثيرهما في. كوسيط، كان يروق لها أن تقدم نفسها كفتاة لطيفة، تقريباً ساذجة، لكن كنت أنا من سيغدو ساذجاً لو سمحت لنفسني بنسيان الأدلة السابقة على مكرها: ذلك الأداء الفولاذي منعدم الحس عندما اتصلت بالمستشفى أمامي لتختبر أعصابي، والطريقة الشريرة التي تلاعبت بها معي بعد ليلتنا معاً.

لكن في زيارتها الأخيرة قبل الكريسماس، وجدت أنني في مزاج يسمح لي بالتورط. ربما لأنها كانت تعاني من نوبة برد، وتنشق بشكل مثير للشفقة كل عشر ثوانٍ وتدلك عينيها المحترقتين بأطراف أصابعها، أو ربما نجحت أقراص الدواء أخيراً في إخماد غضبي، لكنني وجدت نفسي أشعر بنصف أسف تجاه هذه المرأة.

كانت تمط شفيتها عابسة في وجهي الآن، وقد بدا عليها تعبير معاتب: «أربط عربتي؟ ماذا يعني ذلك؟»

«يعني تمتطين ذيل معطفه. تثقين أنه على حق عندما يقول إن الأمر سيفلح. ماذا يعرف هو بحق الجحيم؟ إنه هاوٍ، مثلنا».

هزت كتفيها. لكنني أحسست أنني لمست وتراً حساساً، لأنها لم تبادر سريعاً بتلك الضحكة المصطنعة التي تضحكها دائماً.

ضغطت عليها: «هذه الفكرة بأكملها كانت فكرته، أليس كذلك؟ هل قمتما بعمليات احتيال معاً من قبل؟ ربما مجرد أشياء تافهة، صحيح؟ لا شيء كهذا. هذا عمل شاق. أقرب لمباراة طويلة».

خواء نظراتها أكد صحة ظنوني. وفيما هي تنتظر استمارة تسجيل المبنى التي طلبها محامي آل فون (والتي وجدتها بالضبط حيث توقعْتُ أن تكون، في ملف جادة ترينيتي المسمى «تحسينات البيت») تابعتُ: «كيف يُعقل أن يكون لديك هذا الإيمان به؟ هل أنتما متزوجان؟ تخرجان معاً؟ أنت تعلمين أنه يضاجع زوجتي، أليس كذلك؟»

ظننت أنني قرأت رسالة سلبية في عينيها، وقتها. لم تكن موافقة تماماً على سلوكه ومع ذلك ظلت راضخة لنير عبوديته، بطريقة ما. هل كان لديه شيء ضدها أيضاً؟

- ألا تبالين بأنك تدمرين حياتي وحياة أطفالي؟

هزت رأسها: «لا، أنت من تفعل هذا، وليس أنا».

- صحيح. إذا فأنت وحش مثله. لا تتحملين أي مسؤولية عن أفعالك.
يا له من شيء مثير للإعجاب!

حدقت في، وهي تصارع بوضوح بين الفعل الغبي الذي تسعى وراءه والذكاء الأكثر تعقيدا الذي أدركت بالتأكيد معرفتي بأنها تمتلكه. «مملة جدا الطريقة التي تفكر بها يا برام».

مملة؟ آسف يا حبيبتى. سأحاول أن أكون أكثر تألقا في جهودي لانتزاع نفسي من أحشاء الجحيم التنتة. «أنا فقط أحاول أن أفهم لماذا تتورطين في الابتزاز والاحتيال. إنها جرائم خطيرة فعلا، كما تعلمين. طيب، إذا أنت لا تبالين مقدار ذرة خراء بي أو بأسرتي، لكن لا بد أنك ترين المجازفة التي تقومين بها شخصيا؟ هذه ليست سرقة مائة جنيه من محفظة أحدهم. قلت إن لديك وظيفة محترمة، ألا تكسين ما يكفي للعيش؟ ستنايلن ترقية، زيادة في المرتب. تبدين لي ذكية إلى حد كبير - أذكى من الاستمرار في هذا، بالطبع».

تلقت هذه الضربة في صمت، بدلا من أن تصرخ في وجهي، في نفور طبيعي. كانت فتحتا أنفها متقرحتين من الدعك. لا شك أنها تساءلت لماذا لم أقم بالبحث وراءها هي ومايك كما فعلا معي. لماذا لم أستاذجرح محققا خاصا ليتبعهما - أو حتى خدمات نفس حثالة العالم السفلي التي استخدماهما هما نفسيهما. الحقيقة أني فكرت في الأمر مائة مرة، لكن في كل مرة كنت أسمح للوهم أن يصر على أن محتتي ستنتهي قبل أن أحتاج إلى التصرف بنفسي. الحقيقة أني كنت جبانًا.
حتى الآن، بوضوح.

- هل أنت خائفة منه يا ويندي؟ هل هذا هو السبب؟ أعلم أنه خيف، رجل ضخيم. صدقيني، شعرت كم هو صلب، لا شك أنه أخبرك بأمر مباراة مصارعتنا القصيرة في المنزل؟ لكن هناك وسائل لحماية نفسك، كما تعرفين. لو أخبرناه نحن الاثنان بتراجعنا، يمكننا الوقوف أمام سَفَّاح مثله، ألا تعتقدين ذلك؟

لكنني فهمت أنني ارتكبت خطأ قبل أن أنهي جملي. غدت متصلبة وممتلئة بالاعتراض، وأسنانها العلوية تكز على شفثيها مثل باب حصن منزلق. قالت من بين أسنانها: «هو ليس سَفَّاحًا، ذلك أخي من تسبه».

«أخوك؟» كان ذلك الاحتمال الوحيد الذي فشلت في التفكير فيه. «لا تشبهان أحدهما الآخر في شيء».

«لسنا توأمًا، بحق اللعنة». وأشارت إلى الوثيقة في يدي بعداء جديد: «أيمكنك فقط أن تعطيني هذه؟ أحتاج إلى العودة؟»

إلى المحامي أم إلى مايك؟ أخوها، يا للمسيح! هل ستخبره بما قلت؟ ولو أخبرته، هل سييالي؟ ماذا يمكنه أن يفعل الآن ولم يفعله من قبل بالفعل؟

لم يكن من الصعب تخيله. بعد أن غادرت، أرسلت رسالة نصية إلى فاي بأصابع مرتعشة:

- قرأت للتو عن محاولة اختطاف في كريستال بالاس، شخص في الثلاثينات من عمره في سيارة بيضاء يطوف حول بوابات المدرسة.

- لا تقلق. (كان هذا رد فاي) يعرف الولدان كيف يبقيان آمنين. لكنني سأذكر ذلك للمدرسة غدًا. شكرًا على تحذيري.

- على الرحب والسعة. هذا ما كتبت له.

في مساء الأربعاء قبل الكريسماس، أحضر برام سلمًا نقالاً وعلّق عناقيد مصاييح صغيرة في شجرة الماغوليا، بينما علقتُ مائة حلية فضية في أغصانها السفلية. نفعل هذا -أقصد فعلنا هذا- كل عام ورغم أنني أقول لنفسي إنها دائمًا تبدو جميلة (توقف الناس ليصوروها، فعلاً). من الناحية المثالية، كانت لتغدو هناك زينة من الجليد الحقيقي الذي شهدناه في أوائل الشهر، لكن النصف الثاني من ديسمبر تحول إلى طقس لطيف بشكل غريب، كأنه ربيع زائف شجع حتى أزهار النرجس على التبرعم.

أبقينا أعضاء بيت اللعب معلقة طوال العام. كان برام قد بنى البيت في ليلة الكريسماس الماضية بينما أخذت الولدين إلى ويست إند لنرى فيلم (رجل الثلج) في السينما. بعد أن أويّا إلى الفراش، علّقنا مصاييح صغيرة جليدية الشكل ووضعنا مقاعد صغيرة مكسوة بجلود الغنم على ظهر البيت بحيث بدا كبيت جبلي منمنم. كان الظلام ما زال مخمياً عندما استيقظا صبيحة الكريسماس وأخذناهما إلى النافذة من أجل الاكتشاف الكبير.

«هذا لطيف بشكل مقزز!» قالتها ميرل عندما أتت هي وأديان لتناول الشراب يوم الصناديق وقدمنا لهما رائعتنا الجديدة. «أتمنى تقريباً لو لم ترياهما لي».

«أنت ظريفة..» قلتها وأنا أضغط على ذراعها بخفة.

«كدتُ أنسى..» قالتها فاي خلال زيارتي الأخيرة يوم الأربعاء لجدة ترينيتي قبل يوم الكريسماس، بعد أن زينا شجرة الماغوليا وفقاً للتقليد العريق (ربما لم تكن هناك جائزة رسمية، لكن صدقني، كانت هناك منافسة في الشارع لأحسن زينة - ولا أحد كان يفهم هذا أفضل من المرأة التي كانت تعمل في محل الأدوات المنزلية). «أتى هذا من أجلك اليوم. يدًا بيد».

مررت لي مظروفاً أبيض كُتب عليه اسمي بحروف كبيرة دون عناية. لم يكن لسان المظروف مختوماً، فقط مدسوس داخله. لا يمكن أن يكون شيئاً له علاقة ببيع المنزل، هكذا فكرت. ولن يجازف مايك بشيء كهذا، بالتأكيد؟

أضافت فاي عندما رأت وجهي: «لم أنظر بداخله».

«أشكرك».

فتحت وأنا عائد سيراً إلى الشقة. كان منه بالطبع، انتقاماً من كلامي مع ويندي. كان هناك شيئان، أولهما تحميل من موقع إخباري، موقع جريدة التليغراف لا أقل (تخيلته سعيداً بنفسه لذلك. أنا لست جاهلاً. أقرأ أخباراً من نوعية عالية، ألا تعرف ذلك؟):

دراسة تقول إن القيادة الخطيرة تنتقل بين أفراد الأسرة

السائقون الشباب الذين شاهدوا آباءهم يقودون بسرعة أو وهم سكارى لديهم احتمال أكبر ثلاث مرات لارتكاب نفس الجريمة هم أنفسهم، وفقاً لدراسة نُشرت اليوم...

الثاني ورقة واحدة مطبوعة من موقع إلكتروني حكومي، جدول ممتلئ بالأسماء، من بينها اسم أبي. غامت عيناى بالفعل: كانت صدمة هذا الاستعراض للمعرفة أكثر حبسًا للأنفاس حتى من أي مرات سابقة. كيف أمكنه أن يعرف - ولماذا يرسل هذا؟ ماذا يحدث هنا؟ بالتأكيد لا علاقة لما فعله أبي منذ عقود بأي ملاحقة لجرائمي - أيمن ذلك؟ أهذا مسموح به في المحاكمة كخلفية من المعلومات؟

ليس لأول مرة يخطر ببالي أنه قد يكون مع الشرطة ويمثل فقط أنه محتال. لكن ألا تشكل أفعاله حتى اليوم فخًا؟ ليست ممارسة يمكن الدفاع عنها، والجميع يعلم ذلك. لا، أي غرض آخر يمكن أن يكون من وراء همزي وإرهابي بهذه الطريقة إن لم يكن من أجل الكسب المالي؟

ليس هذا إلا مزيدا من الضغط، إعلان بأنه يمكنني الاستمرار في المقاومة، يمكنني محاولة الضغط على ويندي إلى الأبد، لكنه لا نية لديه في إطلاق سراحني.

ألقيت الورقة المطبوعة من جريدة التليغراف في صندوق القمامة بجوار بوابات المتنزه، لكنني احتفظت بالورقة الثانية، طويتها ووضعتها في محفظتي. لم يكن بمقدوري أن أكتفي بزميها في الصندوق ومشاهدتها على الرصيف في اليوم التالي، بعد أن نبشها ثعلب أو ربا ألقى بها الريح.

كان الكريسماس تنازلاً كبيراً، نعم. هل كان لتعاطفي أي علاقة بأبيه؟ كل أيام الكريسماس تلك التي قضاها معه؟ البهجة التي أحس بها دائماً في أيامنا؟ لا أعرف. ربما. كان هناك دائماً في مشاعري تجاهه تعقيد ما، اختلاف ما، لا بد من وضعه في الاعتبار.

لم أكن سأفشي هذا، لكن الآن بعد أن بلغنا هذا الحد أعتقد أنه من المناسب ذكر أن والد برام قضى فترة عقوبة في السجن عن قيادته وهو سكران. صدم أحد المارة، رجلاً عجوزاً - لا، لم يتعرض لإصابة بالغة، لا شيء من هذا، لكن كان هذا في السبعينيات من القرن الماضي وكان المجتمع بادئاً للتوّ في فهم مقدار تكرار الكحول كعامل وراء حوادث الطرق. في إطار حملة لفرض النظام، جُعل والد برام مثلاً وتلقى حكماً بالسجن.

بدا لي أن الحديث عن السجن أو مشاهدة خبر عن التكدر والعنف في زنازيننا قد يكون الشيء الوحيد الذي يثير أعصاب برام حقاً. أذكر أننا أخذنا الولدين ذات مرة إلى متحف سجن كليتك، تعرفونه.. ذلك السجن القروسطي قرب النهر؟ يمكنكم مشاهدة الزنازين القديمة وأدوات التعذيب، وأشياء من هذا القبيل - أحبها الولدان. على أي حال، لم يدخل برام. بجداً، اضطر أن ينتظر في الخارج. يسمونه رهاب السجن، كما أخبرني أحدهم.

مات أبوه بعد ذلك بوقت قصير وبالتالي ربما كانت قصصه عن السجن هي آخر ما يتذكره برام من حكاياته له. يا لها من فكرة حزينة!

سبب مشاركتي لكم هذا أن أبين وجود سياق لكل ذلك: لقد تعلم برام مخالفة القانون من المقعد الخلفي. (بالفعل، في تلك الأيام، كان مسموحاً بجلوس الأطفال في المقعد الأمامي ولم يكن عليهم حتى أن يضعوا حزام الأمان. كان برام يلهو بدمية أكشن مان الخاصة به عندما أوقفت الشرطة أباه).

أتذكره وهو يقول لي قبل زواجنا: «هل أنت واثقة أنك تريدين الارتباط بشخص ينتسب لأسرة إجرامية؟»

قلت: «أوه، أتخيل أننا جميعاً من نسل إجرامي لو عدتَ إلى الوراء مسافة كافية».

قال: «إجابة جيدة». سعيد بي كما كنت سعيدة بنفسي. وقتها، أردته بسبب حدثه وعلى الرغم منها على السواء.

لكننا تكبر ونتخلص من تلك الأنواع من الأذواق، أليس كذلك؟
على الأقل يفعل ذلك بعضنا.

#VictimFi

@deadheadmel إذا هل #الضحية_فاي تقول إن برام كان في حادثة السيارة تلك وأفلت وقتها؟

@lexie1981 @deadheadmel يبدو ذلك. ليس السجن بهذا السوء، أليس كذلك؟ ألا يشاهدون التلفزيون طوال اليوم ويدخنون حجر الكوكايين؟

@deadheadmel @lexie1981 يبدو أفضل كثيراً من *يومي*
هاهاها.

برام، ملف وورد

وبعد ذلك أخيراً، أخيراً، ظهر تأثير الأدوية. آه يا إلهي! ما أحلى صديقنا المسمى سيروتونين؛ ذلك الناقل العصبي الجميل المؤثر على الحالة المزاجية، وفي اللحظة الأخيرة تماماً - كأنها معجزة من معجزات الكريسماس. اختفى ذلك العذاب الأبدي، تلك الضربات الكرتونية لقلبي، العنيفة لدرجة أنها تهز القميص فوق صدري كلما أَرَّ جهاز الطَّنَّان أَوْرنَ جرس الباب. الألم العاصف من الهلع عندما أَرِنَ خياراتي (أُسلم نفسي إلى جريمة واحدة أم أكمل بثانية كنت آمل - لكن ليس لديّ ضمانات - بأن تموّه على الأولى؟).

لا، الآن صرت هادئاً، متفائلاً، عدت إلى تركيزي على بذل الجهد خلال المدى القصير وتجزئته.

شكراً يا أبانا الكريسماس.

شكراً على الساعات التي قضيتها أصنع من مكعبات (الليجو) دبابة (كلون تربو) الخاصة بلعبة (حرب النجوم)، وألهو بألعاب بوكيمون القديمة على جهاز (نيتيندو) وأشعر بخفة كافية كي أمزح بأي قادم من عصر أقدم من عصر أولادي، وأكل الحلوى من برطمان زجاجي يحوي تشكيلة عتيقة في حجم جذع هاري. شكراً على فاي المبتسمة دائماً - حتى لي، لأنني كنت أسعدها في حد ذاتي، وليس فقط كوالد ابنيها.

قلت: «كأن ريتشارد كورتيس⁽³⁵⁾ يقوم بتوجيهنا». بينما نحن الأربعة مجتمعون في المطبخ لنقشر البراعم، ونصب الزبد على الديك الرومي ونقلب صلصة اللحم، رغم أننا كنا نعرف جميعاً أن فاي هي من توجهنا، أن هذه الشريحة من الأوقات القديمة هي هديتها لي في الكريسماس.

قالت موافقة: «نعم، إما هذا أو أننا في مباراة كرة القدم بين الجنود الإنجليز والألمان خلال الحرب العالمية الأولى. تعرف؟ هدنة يوم الكريسماس».

ضحكتُ (لم أضحك منذ زمن بعيد). «تشبيه حربي، إمم. هل الأمر سيء إلى هذا الحد بيننا؟»

فسرْتُ صمتها بأنه «لا».

انتظرت حتى سقط الولدان نائمين في الليل قبل أن أقدم لها هديتي.

وبختني قائلة: «قلنا إننا لن نتبادل الهدايا»، لكنها لم تأتِ على ذكر «تأمين السيارة» أو «الأكاذيب» - لم تفعل ذلك طوال اليوم - وكان هذا تجلياً للفضل والنعمة في حد ذاته.

قلت: «لم تكلفني الكثير».

«حسنًا، في هذه الحالة...» رفعت بأحد أظافرها لسان المظروف وأخرجت البطاقة. «شهادة تبني شجرة في الحدائق الملكية؟ يا لها من فكرة جميلة!»

«حسنًا، أعرف كم تحبين الماغوليا».

وستفتقدنيها عندما أقوم ب....

35 ريتشارد كورتيس، (1956) كاتب سيناريو ومنتج وخرج أفلام بريطاني. (المترجم)

توقف. أو صعد على الفكرة مقبرتها وعُد إلى عالم الأحياء. حدّق مباشرةً في الضوء الساطع، إذا لزم، مهما استغرق ذلك من وقت لتمحو صورة فاي وهي تبدي إعجابها بشجرتها الحبيبة القائمة لكن فقط من الجانب الآخر من البوابة، بينما المالكون الجدد يشاهدونها من النافذة...

قلت توقف.

«أشكرك يا برام». كانت على وشك أن تُقبّلني على وجنتي، لكنها عندئذ تذكرت أن الأمر اختلف معي. لم أعد زوجاً، ولا صديقاً حتى.

أردت أن أسألها ماذا أعطائها هدية. أظن ملابس داخلية. شيء بدا غالي الثمن لكنه في الحقيقة رخيص. شيء زائف أو مسروق. شيء جعل أخته تختاره له. فقط لو تمكن أحد من إعطائهما هما الاثنين علاجاً بالصدمة الكهربائية، يفرغ مخططهما الشهير وذكرياتهما من كل اتصال بي: يا لها من هدية!

«انظر كم أنت حزين!» قالتها فاي، بحنانها القديم، وبعد ذلك قالت في تعجب مفاجئ: «مهلاً، أهكذا يفلح الأمر؟»

رمشت بعيني، واستعدتُ انتباهي نحوها. كانت بشرتها متوردة، ووقفها متراخية من مجهود اليوم - والكحول. لقد شربت أكثر من اللازم، وصدقني، لا ينبئك مثل خبير. «ما هو ذلك الذي يفلح؟»

- أنت. أراهن أنك لم تعد المقترس على الإطلاق.

قلت: «لا أعرف عمّ تتحدثين».

- النساء يا برام. أنا مهتمة فعلاً. الآن أنت حركي تفعل بالضبط ما تحب - بمن تحب - هل عليك فعلاً أن تلاحقهن؟ أم أنك تكتفي بأن تبدو حزيناً تماماً وجذاباً كأنك أنت الفريسة؟

لم أرد، لكن السؤال ظل بيننا بينما وجهها يقترب أكثر.

قلت: «ماذا تفعلين؟» لكن ليس احتجاجاً. دعها تثبت وجهة نظرها. تلاقى فنانا. كانا يعرفان شكل أحدهما الآخر ومذاقه، والطريقة التي تستجيب بها العضلات والأعصاب. لطالما اعتقدتُ أن إعادة الاكتشاف أحلى من الاكتشاف الأصلي: تلاحظ أكثر دون ما تسببه الجدة من إلهاء. ماذا غير ذلك وراء عودة الناس إلى نفس المكان في الإجازة أو زواجهم من جديد بنفس الزوجة أو انتقالهم عائدين إلى شارع طفولتهم في الوقت الذي يمكنهم فيه اختيار أي مكان آخر في الأرض؟

قلت برفق: «أنت سكرانة جداً».

قالت: «شكراً على المعلومة».

لا، إنه ليس مجرد الإحساس بالعودة إلى البيت؛ بل هو فهم أن ما أو أين أو مَنْ تحب ليس إلا شيئاً مستعاراً أصلاً. لا توجد ملكية دائمة، ولا لأي أحد منا.

كريسماس مع الأسرة. الأخير لنا - على الأقل أظن الآن أنه كذلك.

لاختصار قصة طويلة، شربتُ أكثر من اللازم بكثير، بكثير جدا، ونمنا معًا. تركتُ نفسي فعلا، أعرف ذلك.

#VictimFi

@KatyEVBrown حسنا، رأيت *ذلك* آتيا من على بُعد ميل

#جنس ارتدادادي

برام، ملف وورد

تبين أن معجزة الكريسماس لم تحرمني من وظائف الجسم ولا من تفاؤل ما بعد الجماع المنقوع في الهرمونات. تلك المسألة مع مايك وويندي؟ يمكنني أن أسويها بالتأكيد. غداً، نعم، سأرتبها وأنظر بعدها إلى هذه الفترة كومضة، كفاصلة في متواليّة الزمان، كحالة رعب مر بها برام مواز، نسخة بائسة تعيسة من هذه النسخة الحالية.

قالت فاي: «فيم تفكر؟» في العادة لم أكن أرحب بهذه العبارة، لكن تلك الليلة، معها، في الفراش الذي كان فراشنا من قبل وصار فراشها الآن، كان هذا بالضبط ما أردتها أن تسألني عنه.

- أتريدون أن تعرفي فعلاً؟

«رباه! ربما لا أريد، لكن استمر، قل لي على أي حال». كانت مسترخية تماماً، هادئة البال، قلبها... مفتوح؟

- أفكر في أنه.. هل بالفعل لا توجد أي فرصة؟

- أي فرصة من أجل ماذا؟

قلت مبتسما: «من أجلنا». وفكرت، بطريقة ساذجة وحالة تقريبا، أنها لو قالت بلى، سأعترف لها بكل شيء هنا والآن، لأن هذا سيعني أنها تحبني مهما حدث وعندما يحبك أحد إلى ذلك الحد تفعل كل شيء في وسعك لإنقاذه. لكن لو قالت لا، لن أفعلها، ولن يضيع شيء أكثر مما ضاع بالفعل.

«من أجلنا؟» صدمتني حدة نفورها. بل إنها انتفضت بجسدها، واعتدلت في جلستها، وقد توترت كتفها من السخط: «أنت في عالم الأحلام، أليس كذلك؟»

اعتدلت جالسا أيضا، شاعرا بالغرق في الذل، بفقد الأمل. «لست في عالم الأحلام. إذا كان يجب أن تعرفي، كنت في جحيم كامل».

«إذا كان يجب أن أعرف؟ ماذا تتوقع مني أن أقول يا برام؟ مسكين أنت لأنك لا تحب وحدتك، لأنك أفسدت زواجك بمضاجعتك نسوة أخريات؟ إذا كان جحيمًا فذلك لأنك خلقتة، وليس أحداً آخر».

ومدت يدها إلى أقرب قطعة ثياب وغطت بها نفسها، لم تكتفِ بسحب عطاياها بل فعلت ذلك بطريقة مليئة بندم كبير على أنها قدمتها في الأساس.

قبل الصباح، كنت قد قررت أن هذا ضروري. تذكرة ضرورية.

قلت له: «اسمع، لا أريد أن يعرف توبي بهذا». امرأة تطلب من زوجها ألا يخبر خليلها الجديد أنها نامت معه: لم أكن واثقة إن كان هذا رُخصًا أم أرسقراطية، لكنني كنت متأكدة إلى حد ما أنه ليس حواراً يجري في أي مكان آخر في جادة ترينيتي ذلك الصباح من يوم الصناديق.

سأل: «أما زلتِ ترينه؟ اعتقدت أن الأمر ليس جادًا».

«هو ليس جادًا. لكنه أيضا ليس من شأنك».

استرحتُ عندما رحل في الساعة المحددة من قبل، في وقت يسمح لي بتجهيز الولدين من أجل زيارتنا لوالديّ.

عندما انطلقت سيارة الأجرة عبر شوارع جنوب لندن الفارغة بشكل خفيف، تلكعت في ذهني فكرة تلك المباراة في كرة القدم أثناء الحرب العالمية الأولى. الطريقة التي نظف بها هؤلاء الرجال المساكين أجسادهم من آثار الأرض الخراب حتى يتمكنوا من اللعب، وبعد ذلك في اليوم التالي عاد الرعب وكأنه لم يكن هناك قط أي لحظة توقف.

#VictimFi

@themattporter لست متأكدا إن كانت #الضحية_فاي بالفعل في خنادق الجبهة الغربية، لكنها أغلقت الباب بعض الشيء هناك.

@LorraineGB71 @themattporter لم تنته معركة لاوسون

ضد لاوسون بعد، هل تذكر؟

برام، ملف وورد

في صباح يوم الصناديق، قَبَّلْتَنِي قَبْلَةَ الوداع وشممتُ رائحة الفراق
على جلدها. كان الأمر أشبه بوضع الزهور على قبر بعد أن لم يعد الحزن
طازجا.

تحية في ذكراي.

الجمعة، 13 يناير 2017

لندن، 5 مساء

ينفتح باب المطبخ على مصراعيه ويدخل ديفيد فاردًا قامته قبل أن يعلن بيانه: «سند الملكية باسمنا. تم تحويل الملكية. المنزل لنا بشكل مؤكد».

إحقاقًا للحق، يتحدث بابتهاج أقل مما هو متوقع. لا أثر لزهو الانتصار.

وبينما تلهج لوسي بالحمد والشكر، يعبر وجه ميرل عن كل الخراب الذي يجب أن يكون على وجه فاي - أو ينبغي أن يكون، لو لم تكن أكثر اختناقًا من أن تبدي أي رد فعل. يضبط الثلاثة الآخرون تعبيراتهم ويحدقون فيها بدرجات متنوعة من نفس الشعور: الشفقة.

«لا أصدق ذلك..» تهمس بها فاي، أخيرا، وكأنها تجرب صوتها، وكأن الخبر قد سرق منها صوتها مثلما سرق بيتها. لديها فكرة باهتة بأنه حتى أي حكم ضدك أفضل من وقوفك على الأعراف، من عدم المعرفة، رغم معرفتها بأن تفكيرها سيختلف غدًا، عندما تخف الصدمة، عندما تتبين الفداحة الحقيقية.

يعود ديفيد إلى الإدلاء بآخر ما لديه: «إيما سوف تتصل بديكسون بويل الآن وتصل إلى قرار المكان الذي يوجد به المال، لكن الحقيقة التي لا تقبل الجدل أن المبلغ المطلوب غادر حساب عميلها هذا الصباح وتأكدت عملية

تحويله قبل الظهر. إذا قام أحدهم بخطأ رقمي في إرساله إلى آل لاوسون، ستم بالطبع متابعة هذا وتصحيحه - يوم الإثنين واقعياً». تلتقي نظرتيه بعيني فاي، فيزداد تعاطفه: «في الحقيقة، يمكن أن تكون هذه فرصتك كي تتدخل وتجليهم يحصّنون الأموال بينما تبينين موقفك؟ أو إن كان الأوان قد فات على ذلك، تقترح إياها أن تستمري في مخاطبة الشرطة وتجدي محامياً لمساعدتك في أي دعوى بالاحتيال ضد زوجك - أو أيًا كان الطرف المذنب - وتحاولي استرداد ما يحق لك بتلك الطريقة. نحن جميعاً آسفون جداً لاضطرابك خوض هذه المحنة».

عندما تفشل فاي في العثور على أي كلمات، ينظر إلى ميرل بحثاً عن استجابة.

«ليست المشكلة في المال..» تقول ميرل بنغمة جديدة، لم تعد عدائية بل متكافئة؛ ساكنة تتحدث لساكن: «إنه المنزل. أنا واثقة أنكما تفهماً هذا. هذا بيت فاي، بيت أولادها، وكان كذلك لزمان طويل».

يقول ديفيد: «أنا آسف، آسف فعلاً، لكنه لم يعد كذلك».

يسود صمت.

«علينا أن نرحل». تقولها فاي لميرل، بصوت مخدّر.

تقول لوسي: «قلت إن هناك شقة؟ هل يمكنك أن تبتي فيها الليلة؟» تقول ميرل: «سنذهب إلى بيتي. نحتاج أن نكون في المكان لو حدث أي شيء آخر».

«ربما ينبغي أن نلتقي مرة أخرى صباح الإثنين، كما اقترحت، ونحاول أن نبين الأمر أكثر من بين كل هذا؟ أي شيء يمكننا

أن نفعله للمساعدة في كشف هذا، سنفعله، أليس كذلك يا ديفيد؟»

يقول موافقا: «طبعاً».

تقول فاي في عقلها: لقد انكشف بالفعل، وهي تلتقط حقيقة يدها. تذكر حقيقة ملابسها الخفيفة، على الأرضية أمام الموقد، الدليل الوحيد الملموس على أن حياتها كان لها وجود من قبل.

عندما تغادر هي وميرل، يبدو لها أن مزاج المنزل قد تغير، كأنه يتقبل حقيقة مالكيه الجدد. سرعان ما سيبدأ آل فون في تفريغ أمتعتهم، ومعاملته كمنزلهم، هذه الشبكة من التعقيدات تبطئ انتقالهم، لكنها لا توقفه. لا تسمح لنفسها بالتفكير في ليو وهاري، كيف قد لا يهبطان الدرج متعثرين مرة أخرى أبداً، وهما يتجادلان، ويزعقان، مطالبين بالسهر إلى وقت متأخر، كيف حرماً من الحق في توديع غرفتي نومهما، وبيتهما الأول. لا تسمح لهذه الأفكار بالمرور ببالها، لكنها مدركة بغريزة كامنة أنها ستأتي. سينفجر الأدرينالين ويهدم السد ويقودها إلى العودة نحو هذا الباب، لتضربه بقبضتيها.

يخطر ببالها أن آل فون لم يطلبوا منها مفاتيحها، تتساءل إن كانوا سيغيرون الأقفال خوفاً من دخولها في الأيام القادمة (يمكنها أن تخيم في بيت اللعب، ربما، وتغلق الدائرة التي بدأت ذلك المساء من يوليو الماضي).

لا يمكنها أن تدفع نفسها إلى إغلاق الباب من ورائها، مستخدمة حافة الترباس لتقوده برفق إلى مكانه كما فعلت آلاف المرات طوال السنين، وترك ميرل أن تفعل ذلك بدلا منها.

«لا تستسلمي..» تقولها فاي بعينين متقدتين. «لم ينتهِ الأمر بعد».

بين جنيف وليون، 6 مساء

يشق القطار طريقه عبر الظلام، عابراً من أرض إلى أخرى، ليست أيًا منهما أرضه. الظلمة أشد من أن يرى معالم الطريق، حتى لو كان مهتماً، رغم أنه واع بتبدل الصوت والضغط الذي يميز امتداد النفق عبر جبال الألب. لا يجعل نظراته تلتقي بنظرات المسافرين الآخرين، العائلات والمتزلجين والأغلبية الصامتة التي لا يمكنه إلا أن يحسس أسبابها في السفر.

هاتفه، بلا بطاقة تعريف، والذي هو بصراحة ملك جهة عمله (السابقة)، يعرض شرائح لصور ومقطع فيديو للولدين. يبدأ في مشاهدة المقطع الذي صوّره لحفل الترانيم، لكن وقع صوتيهما المتحمسين، ومرأى وجهيهما البريثين، أكثر إيلا ما من طاقته وعليه أن يغلقه.

إذاً لتكن الموسيقى، بلا صور. يضغط على زر التحويل وأول أغنية يُشغلها أغنية قديمة: «أنا قادم إلى البيت يا حبيبتى» للمطرب ميل تورمي. يملك القليل للغاية من الأغنيات العاطفية وسط موسيقى الروك والفولك المجردة ومفضلاته من أغنيات الثمانينيات والتسعينيات في أيام صباه، يبدو من القسوة أن تكون هذه الأغنية أول ما يشتغل. كان من الممكن أن يختارها مايك نفسه كي يعذبه.

يقول في عقله: أكرهك. أكرهك إلى درجة عميقة تجعلني أرى أني لم أكره قط من قبل في حياتي بأكملها. أنت فقط.

حتى الآن، لو تمكن من التفكير في طريقة يفعلها بها دون أن يجعل الأمور تسوء أكثر بالنسبة لفاي مما هي عليه بالفعل، سينزل من هذا القطار، ويطير إلى الديار، ويقتله.

برام، ملف وورد

رأس السنة، لا بد من ترتيبات جديدة فيما يتعلق بتنفيذ عملية احتيال إجرامية.

قابلنا أنا وويندي محامينا لأول وآخر مرة كي نوقع العقود قبل تبادلها يوم الجمعة 6 يناير. جلسنا جنبًا إلى جنب أمام مكتبه في مكتب المحاماة الصغير الحقيق أعلى محل جبن في كريستال بالاس. جراهام جنسون، بعينه الباهتتين وهيئته المتداعية تقريبا، له سمت من وصل إلى منتصف العمر مهزوماً هزيمة ساحقة أكبر مما كان يأمل، وهو ما عكس حالتي إلى درجة مزعجة. في ظروف مختلفة، ربما كنا لتبادل قصص الحرب حول قذح من الشراب ومنتافس على لفت انتباه مساعدته المتدربة المرحة: راشيل.

بدلاً من ذلك، وضعت جوازي سفر على المكتب أمامه: جوازي وجواز فاي.

«من حسن الحظ أنهم لا يطلبون رخصة القيادة كبطاقة هوية». قالتها ويندي لي بلطف وبشكل جانبي. امتدت أصابعها لتلتقط جوازي، وتصفحته لتصل إلى الصورة، ثم لمست ذراعي كأنها تذكر بدلال تلك النسخة من زوجها الأكثر شباباً. في تأويلها لتمثيلنا هذين الدورين المتلوين، لم تكن غريبن عن بعضنا البعض، بل ملتصقين بشدة.

أما بالنسبة لصورتها «هي»، لم أكن بحاجة إلى رفعها إلى وجهها كي أعرف أنها فعلت ما يكفي. رغم أنها أقل جاذبية بكثير وأثقل بحوالي ستة كيلوجرامات على الأقل من فاي، إلا أنها كانت تملك وجهها له نمط مشابه بما يكفي كي تقدم نفسها على أنها هي. كلتاها لهما عينا سوداوان وشعر أشقر - صبغت ويندي شعرها لتحاكي درجة لون شعر فاي الأقل حدة وأنزلت قُصتها لتخفي حاجبيها الأرفع والأعلى. لدى فاي ذقن مدببة بشكل جميل، لكنها لم تكن ملمحاً بارزاً وليست شيئاً يلتقطه ملاحظ عابر؛ مثلاً وكيل نقل ملكية مؤهل لديه سلطة التعامل مع ملايين الجنيهات. (أعتقد أنهم ينبغي أن يجعلوا اختبارات الدم إجبارية، أو بصمات الأصابع). ما حدث أن أسرع مقارنة جرت بين جواز سفر فاي وفاي المزيفة، واعتُبر بوضوح ملف النسخ المصوّرة إجراء كافياً لإرضاء المتطلبات.

وضعت جوازي السفر في جيبي. سيعاد الاثنان إلى الملف في جادة ترينيتي في أقرب فرصة.

قال جنسون لنا: «تمام، أعتقد أننا قاربنا على الانتهاء». كانت الأوراق مرتبة، وتم التعامل مع كل المتطلبات، واكتملت الآن أبحاث المشتريين العديدة. راجعت ويندي مرة أخرى تفاصيل الحساب المصرفي الذي ستُدفع إليه الأموال عند انتهاء الإجراءات، بمجرد أن يُسترد الرهن العقاري وتُخصم أتعاب الوكيل والمحامي بشكل آلي. (كما فهمتُ الاحتيال من بحثي الخاص، ستبقى الأموال بضع دقائق في حساب مسجّل داخل بريطانيا قبل أن تنتقل خفية إلى حساب بديل لا يمكن تعقبه خارج البلاد). أكدنا أن مكتب تشالونر سيتولى أمر نقل الخدمات، بعد الانتهاء منها، مع تعليمات صارمة بأن تكون كل الفواتير الأخيرة غير ورقية، ومثل بقية مراسلاتها، تُرسل إلى بريد إلكتروني «مشارك» سري.

«فلنؤق هذه العقود...» قالها جنسون، وأنا أعرف أنه ليس إلا خيالي من يفعل ذلك، لكنه جعلها تبدو وكأنها مجموعة من أوامر الإعدام.

«رائع..» قالتها ويندي لي، وفي صوتها رعدة فرح خفيفة.

«إمم». عندما التقت عيوننا، تخيلتُ نفور فاي في مقابل هيام ويندي الزائف، ذلك الانكماش بالجملة لأي فائدة شك باقية، لأي احترام إيجابي لنفسي.

أنا أوقع تنازلاً عن منزلنا! هنا والآن، هذا هو ما أفعله.

وعندئذ انتابتني فجأة رجفة إشراق غريب: كم كنت قصير النظر أصلاً؟ لو كنت سلمت نفسي بعد حادثة طريق سيلفر رود، كنت لأسجن، لكن الجريمة -وعقوبتها- كانا سيئتيان عند هذا الحد. بدلاً من ذلك، نمت وتحورت. هكذا تعمل الكارثة البشرية: تبدأ بمحاولة إخفاء خطأ ما وينتهي بك الأمر هنا؛ مقترفاً لمائة خطأ آخر. كي تتجنب بضع سنين في السجن، ضحيّة بحياتك كلها - بقدر ما اخترت أن تستمر في عيش هذه الحياة القذرة البائسة.

حرضتُ نفسي: اذهب الآن. اذهب قبل أن تُؤق أي شيء، قبل تبادل العقود. لن أحصل على جواز السفر المزور المرتبط بإكمال البيع، لكن لا يوجد ما يمنع استخدامي لجوازي أو الاختفاء في مكان ما في بريطانيا - وليس هذا مثل خروجي بكفالة من القسم.

افعلها الآن، اذهب!

لكن مايك سيتعقب ليو وهاري، أليس كذلك؟ هل يمكن أن أنبه الشرطة؟ أحصل على بعض الحماية لهما؟

لا، ستكون الشرطة أكثر اهتماماً بي.

«دورك كي تُوقّع يا حبيبي». دلتني ويندي على الفراغ المجاور لتوقيعها، صورة طبق الأصل بشكل مثير للإعجاب من توقيع فاي أتقنتها طوال الأسابيع القليلة الماضية. وأضافت بحنان: «أنت ترتعد. لا بد أنك ما زلت تعاني قليلاً من تلك الأنفلونزا. لقد هلك طوال الكريسماس ورأس السنة». موجهة حديثها الأخير إلى جنسون.

قلت: «أنا بخير». شيء جنوني؛ عندما تفكر في حجم ما تسرقه مني، ولكنني أعترض بقوة فقط على اختلاقتها تفاصيل حميمة لحياتنا كزوجين. وقَّعتُ.

تبدّى إرهاق ورخص ممثلنا القانوني في تهنئته الفاترة. وأضاف بارتباك ملحوظ: «ما زال الوقت مبكراً قليلاً على تناول شراب احتفالي».

«شكراً». قالتها له ويندي مقلدة نبرته المنخفضة الصوت. «سننتظر كي نسمع منك أن التبادل تم». كانت جيدة جداً. مسترخية، مهذبة، لكنها باهتة على نحو ما. لا يمكن أن تبقى في الذاكرة. ليست المرأة التي جذبت عيني أمام البار في حانة توبرووارز.

قالت عندما وصلنا الشارع: «ابتهج».

- وماذا لو لم يحدث ذلك أبداً؟

«لطيفة منك يا برام». قالتها وقهقهت. «دعني أعطيك قبلة سريعة، في حالة ما إذا هذا الشخص الذي لا أذكر اسمه يراقبنا من النافذة. لا يعني هذا أنه سيفعلها. كان يعمل بهمة فاترة، كما اعتقدت، ألا تتفق معي؟»

تمتّت: «لهذا اختاره مايك. لا تتصرفي وكأنك لا تعلمين».

قالت ويندي: «لا ضرورة لأن تكون نكدًا هكذا».

لا ضرورة لأن أكون نكدًا؟ هل هذه المرأة جادة؟ عندما مدت رقبته لتقبّلني على فمي، زممتُ شفتيّ. توقفت السيارات بحدة عند تغير أضواء إشارة المرور، وحوّل الرذاذ المتساقط هدير السيارات المعتاد إلى نوع من العواء المخنوق.

قالت: «يا معكر الفرح! لو كنت زوجتك الآن، لطالبتُ بحقوقتي الزوجية، ألا ينبغي لي؟ لسنا بعيدين للغاية عن شقتك».

قلت عابسًا: «لقد سرقنا للتو منزلًا معًا، لكننا لم نتزوج». وتذكرت، على نحو عابر، ليلة الكريسماس.

قلت في عقلي: ادفع تلك العاهرة اللصة تحت حافلة. بالطريقة التي كان تيار السيارات ينطلق مسرعاً بها بعد تغير الإشارة، مقترباً منا على الرصيف، وتشوّش رؤية السائقين وراء الزجاج الأمامي المكسو بالبخار، والركاب المحققين في هواتفهم، كان هذا سهلاً.

لا بأس، هكذا سأكون مطلوباً عن قتيلين بدلاً من واحد، لكن ما الفرق؟

التقيت مايك مرة واحدة أخيرة، لقاء سريالي بدأ بشكل ودي كافٍ لي كي أمر بوهم المشاعر المختلطة، كما لو أننا شريكان ينهيان صفقة كنا متحمسين لها بنفس القدر منذ البداية.

قلت: «ماذا عن فاي؟ قلت إنك ستأخذها بعيدًا لكنها لم تقل أي شيء حول ذلك لي بعد».

قال: «كله تحت السيطرة. سأخذها من بعد ظهر الأربعاء إلى مساء الجمعة. بمجرد أن يصل المال، في وقت مبكر من بعد ظهر الجمعة بحد أقصى، ستوصل ويندي متعلقاتك إلى الشقة. بعد ذلك يمكنك أن تطير».

لأول مرة تكون لغته المتعجرفة مريحة. «متعلقات» وليس جواز السفر المزور ومواد الابتزاز التي علقها أمامي كجبل المشقة لمدة ثلاثة شهور، «أطير» وليس أفر من حياتي. من المفترض أنه وويندي سيطيران إلى دبي ليلة الجمعة الأخيرة ليتسلما غنيمتهما، سيربطان أحزمة مقعديهما في مطار هيثرو بينما تصل فاي لتجد غرباء يعيشون في بيتها.

- إلى أين ستأخذها؟

قال: «دعني أتأكد من الصندوق المشترك، وأرى ما يمكننا أن نتحملة».

الصندوق المشترك الذي مؤلته.

كنت قد فتحت بالفعل صندوقًا ماليًا خاصًا بي وأودعت فيه آخر ما تبقى لي من استثمارات، حساب ادخار فردي. من الآن وحتى يومي الأخير، سأسحب كل قرش باق من حسابي الحالي، مخصصًا منه الجزء الذي يجب إيداعه في الحساب المشترك عند نهاية الشهر. الحساب المشترك الذي لن أمسه - ومن الواضح أن هذا ليس عملاً نبيلًا بأي حال، نظرًا لما سوف آخذه، لكنه رغم ذلك إشارة، مهما كانت ضئيلة.

قال مايك: «إذا يوم الخميس من اللازم أن تأخذ اليوم إجازة من العمل وتخلي المكان؟»

- نعم، لكن ينبغي أن نتوقع وصول رسائل من الجيران إلى فاي بأن شيئاً ما يحدث. لن أتمكن من إخلاء منزل ضخم دون أن يلاحظ أحد.
- نقطة جيدة. قل لأي جيران فضوليين إنك تجد ديكور البيت كمفاجأة لها وإذا كلموها ينبغي أن يتكتموا الأمر. هل سيفلح هذا؟

نعم، سيفلح. سكان الشارع الذين يعرفون بأمر الانفصال يعرفون كذلك أننا على علاقة ودية. يعرفون أيضاً أنني كنت الطرف المذنب - وبالتالي لن يكون من قبيل المبالغة أن أحاول تقديم أمانة رمزية كبيرة لاستعادتها. «ماذا لو لم تستطع فاي أن تأخذ إجازة بعد هذا الإشعار المتأخر؟ وبعد وقت قريب للغاية من الكريسماس؟»

- إذا سأقنعها بأن تدّعي المرض. لن تكون مشكلة.

تصلب جسدي. كان واثقاً على نحو بغيض من قدراته على الإقناع، واثقاً على نحو بغيض أنه يستطيع أن يأخذ منزلي مني، وفي نفس اللحظة التي يأخذه فيها، يُلْهي زوجتي بالحجز لها في فندق ومضاجعتها.

«أوه يا برام!» قالها شاعرًا بهبوط روعي المعنوية ومستمتعا بأن يزيد بها هبوطاً: «من كان يصدق أن الأمر سينتهي بك خاسراً مثلك مثل أبيك؟»

تبخرت كل أوهام الزمالة في لحظة ووجدت نفسي أمسك بخناقه، وأصابعي تضغط على حلقه. لو كنت أنا الأقوى لأمسكت رأسه بيديّ وحطمتها في الجدار. لكنني لم أكن وأبقاني بعيداً بامتداد ذراعه المفروود كأني صبي خائر القوى إلى أن ابتعدت عنه وتراجعت مترنحاً. قلت بصوت كالفحيح: «لماذا أرسلت تلك القائمة إلى المنزل؟»

- ماذا؟ كانت موجهة إليك، أليس كذلك؟
 - هل اعتقدت أن فاي لا تعرف؟ بالطبع تعرف، تعرف كل شيء عني.
- «ليس كل شيء يا برام. لا تعرف الإدانة بتهمة الاعتداء، هه؟ ولا تعرف عنا. على الأقل أمل ذلك». وقفه مستمتعا بالفعل. كان فاسداً، عديم الأخلاق تماماً وكليةً. تقريباً بنفس مقدار ما كان يفعلُه مرعباً، كانت معرفة ألا شيء من هذا، ولا قرش واحد من المنزل، ولا لحظة واحدة مع فاي، كانت بدافع شخصي.

كان يمكن لأي أحد أن يكون مكاني.

«قصة فاي» < 02:38:27

العام الجديد، مرحلة جديدة مع توبي. سيصطحبني إلى فندق فاخر في ونشستر لبضعة أيام. لن أستخدم تعبير «رحلة هروب رومانتكية»، ليس الآن. أدرك أن الحصان انطلق من عقاله فيما يتعلق بأي مصداقية قد أمتلكها كحكم على الشخصيات. هل يمكنني فقط أن أقول إن مسألة ذهابي لم تكن نتيجة متوقعة سلفاً على الإطلاق؟ ترددت: لقاءاتنا المنتظمة في ليالي السبت شيء، وقضاء ليلتين بعيداً عن البيت شيء آخر. حتى أنني اخترت أن أستشير بولي، متوقعة بطريقة لا واعية أنها ستثبط عزمي.

قالت: «اذهبي. ما المشكلة؟»

قلت: «لقد غيرتِ نعمتك».

- إنها إجازة! لو كنت مكانك لاستغللتها.

- استغللتها؟

- نعم. لتفتشي عن الحقيقة. ابحثي في محفظته، انظري في هاتفه.
- من أجل ماذا يا بولي؟
- بحثا عن صور لزوجته يا فاي.

تأوهتُ. «ربما يمكنني أن أخفي في ثيابي مسجلاً صغيراً أيضاً؟»

- لن تخسري شيئاً. إذا اكتشفت أنه ليس متزوجاً، عظيم. لو وجدته كذلك، وأقصد أنه يعيش معها على نحو جيد، ليس بنظام عش الطائر أو أي ترتيب آخر شائع، حسناً، من الأفضل أن تعرفي.
- ضحكتُ: «ربما ينبغي أن تذهبي أنت مكاني».

ذكرتني بذلك لاحقاً. قالت: «لم يكن برام ليفعل قط ما فعله لو كنت في البيت طوال الوقت. لقد استخدم ترتيبات وصايتك ضدك».

قلت: «بعد نظر بعد فوات الأوان».

هل كنت واقعة في حب توبي؟ لا أعتقد هذا، لا. أوه، لا أعرف. ربما قليلاً، خلال تلك الرحلة بعيداً. لكن ماذا يهم؟ بعيداً عن كلامي معكم، بذلت ما في وسعي كي لا أفكر فيه.

أما بالنسبة للعمل، فكان التوقيت ممتازاً بما أن عرضاً تقديمياً عملت عليه مع كلارا كان على وشك الذهاب إلى وكالتنا للتصميم، ومن المنتظر أن تأتي النتيجة في الأسبوع التالي، ليسمح لي ذلك باستراحة طبيعية.

قلت لتوبي: «سأحتاج إلى تأمين تغطية من أجل الولدين، وإلا لن أستطيع القيام بالرحلة».

- يبادر زوجك السابق بذلك، أليس كذلك؟ فهمت أنه تجاوز رفضه الأولي لنا؟
- يمكنك أن تقول ذلك.

إذا لم يستطع برام، كنت أعرف أن إحدى الجدتين أو الجارات ستساعد، لكنه وافق دون سؤال، سعيدًا بوضعه الأسرة كأولوية فوق العمل والتعامل مع كل تفصيلة في رعايتها. ورغم ذلك، أعددتُ أليسون لأي طارئ.

قالت عندما مررت عليها لتناول القهوة: «لم تخبرني كيف سار الأمر في الكريسماس مع برام؟»

- سار بشكل جيد. بأمانة، ما زلت أحاول أن أنسى كم كان جيدًا.
- أفهم ذلك. لكن ألم يتغير شيء؟

سكتُ لحظة، معجبة بالرخام المصقول لسطح طاولة الإفطار لديها، والزهور الرائعة المنسقة في المزهريّة المتألقة التي اخترتها من خطنا لإعادة تدوير الخزفيات منذ بضع سنين.

أطلقتُ تنهيدة آسفة، وتخللت بأصابعها شعرها الأشقر، الذي قامت بتفتيحه مثل شعري كي نخفي الشعرات الرمادية. «لا أقول إنني تمسكتُ بالأمل، لكن -كما تعرفين- عندما وصلتما إلى بيت كيرستي معًا بعد حفل الترانيم...»

«أعرف. بدا الأمر أشبه بالأيام الخوالي». رفعتُ رأسي وتابعت: «لكن لا، لم يتغير شيء. فات الأوان».

لُذنا بالصمت بعدها، ربما احترامًا للموقف.

تعرفون.. الحديث عن الوقوع في الحب صعب مثله تقريبا مثل الحديث عن الوقوع منه، أليس كذلك؟ لدي إحساس قوي جدا بأن مجرد عجزك عن ذلك، لا يعطيك الحق في إنكار وجود الحب.

قد أكون أشياء كثيرة، لكنني لست من أنصار المراجعات والتنقيح.

#VictimFi

@DYeagernews كلام حقيقي جداً وصادر من القلب فعلا.
بدأت أتمنى لو يعودان معاً... #برام&فاي
@crime_addict @DYeagernews هل تمزحين معي؟ أنتِ
سيئة مثلها تماماً!

برام، ملف وورد

أرسل المحامي بريدأ إلكترونيأ ليقول إن تبادل العقود قد تم. وصل إيداع المشتريين لنسبة عشرة في المائة 200,000 - جنيهه إسترليني، وهو مبلغ ساعدتني الأدوية على تصوره كأنه دولارات بنك الحظ - وأرسل كشف الحساب الأخير إلى محاميهم. تأكد ميعاد إنهاء البيع يوم الجمعة 13 يناير (كان قد فات الأوان كثيراً، كثيراً جداً، على ملاحظة شؤم التاريخ)، ومن المتوقع أن تُسوى الميزانية -مخصوم منها تسوية الرهن العقاري، ورسوم الوكالة العقارية، والأتعاب القانونية والمدفوعات الأخرى- قبل الواحدة ظهرأ. ستقرب من 1,6 مليون جنيهه إسترليني.

قابل راف آل فون في المنزل يوم السبت 7 يناير ليلقوا نظرة أخيرة على التجهيزات والتركيبات، لكنني اخترت ألا أكون موجوداً، وأخذت

الولدين من درس السباحة مباشرة إلى مطعم بيتزا إكسبريس لتناول الغداء.

كان شعاري الجديد: هذا ليس حقيقياً.

في اليوم التالي، صباح الأحد الأخير لي في المنزل، أتت صوفي ريس إلى البوابة الأمامية بينما كنت أدخل الولدين المنزل بعد جولة بالدراجات في المتنزه.

اقتربت منها قائلاً: «هل كل شيء بخير؟»

- نعم، بخير. إلا أنني كدت أتصل بالشرطة أمس!

لماذا كنت ستفعلين ذلك بحق الجحيم؟ «لماذا؟»

- كان هناك بعض الأشخاص واقفين في نافذتكم الأمامية بوضوح وكنت أعرف أنكم خرجتم للسباحة. بدوا أبرياء بما فيه الكفاية، لكن اللصوص صاروا متمرسين جداً الآن، أليس كذلك؟ يحملون أدوات كأنهم يقومون بأعمال السباكة، متظاهرين بقياس الأبعاد من أجل الستائر، وأشياء من هذا القبيل.

ابتسمتُ لها: «لا بد أنه كان صديقي راف. يدير مكتباً للديكور. سيقوم ببعض المهام من أجلي الأسبوع القادم، وربما قد ترين بعض أفراد فريقه كذلك. كان هنا مع بعض العملاء الآخرين، يحدثهم عن خططه».

«آه، هذا يفسر الأمر. حسنا كذلك أني لم أتدخل، إذا. يقولون إنك لا يمكن أن تكون حذرًا أكثر من اللازم، لكنك يمكن أن تكون هكذا بالفعل، أليس كذلك؟» وأضافت: «هو أنيق جدا بالنسبة لعامل في الديكور!»

«نعم، أليس كذلك؟» لقد علمتني عقود من العمل في المبيعات أنه لا توجد طريقة أكفأ من الموافقة في إغلاق مسار تساؤلات غير مرغوبة. «هو أقرب إلى مخرج مبدع، لا يوسخ يديه. بالمناسبة، أردت أن يكون الأمر مفاجأة لفاي، لذا لو لم يكن لديك مانع...؟»

ندت عنها تلك الحركة التي تفعلها النساء حيث تتسع أعينهن عندما يباح بسر أمامهن، وأطلقت «أوو!» صغيرة. قالت: «طبعاً. لم أصادفها منذ زمن. أنت تعرف كيف تسير الأمور».

قلت موافقا: «الكل مشغول والدنيا تلاهي..»

كل ما بقي أن أحجز مكانا للتخزين وخدمات النقل وأشحن ممتلكات عمرنا دون أن يعرف أحد من أسرتي أو زملائي شيئا عن ذلك.

ورغم أني بذلت ما في وسعي كي أتكتم الأمر، إلا أن نيل سمعني وأنا أتلقي مكالمة وحام حول مكتبي منتظراً أن أنتهي. «ما هذا؟ أنت لا تنتقل من منزلك إلى مكان آخر، أليس كذلك؟»

- لا، لا، فقط أساعد ماما. ستضع بعض الأشياء في مخزن.

ترى هل يمكن أن تستجوبه الشرطة، هكذا تساءلتُ، ويكتشف أنه لم يكن هناك أي ترتيب كهذا؟ لا بهم. يمكن أن يخبرهم بما سمعه حرفيًا؛ سأكون قد رحلت منذ زمن طويل.

قال: «لعلها كذلك تتخلص منها. أعرف إن كلامي قد يبدو قاسيًا، لكن من الواضح أن الغالبية العظمى من الناس الذين يخزنون الأشياء لا يكلفون أنفسهم قط عناء إخراجها مرة أخرى. أنا مندهش أن امرأة مسيحية صالحة لم تتبرع بها إلى جمعية خيرية؟»

قلت بطريقة مبهمة: «إنها مجرد كراكيب، لن يرغب أحد فيها».

- ألهذا ستأخذ الخميس والجمعة إجازة؟

- جزئيًا.

ضيق عينيه: «ليست هناك مشكلة، أليس كذلك؟ أقصد فيما يتعلق بالصحة».

- لا، أُمي بخير. باستثناء أوهام الحياة الأبدية طبعًا.

- ليس هي، أنت يا مغفل، أنت. ولا أقصد ذلك الفيروس الغامض.

اعتقدت أن ما يقصده هو الخمر. اللغد المرتخي والعينان الحمراء كالدم، رائحة البيرة بعد الظهر في الأنفاس. قلت: «لا، أنا أفضل كثيرًا الآن».

كان يراقبني باستمرار، وهذا واضح تمامًا، وليس فقط كمدير مبيعات يحمي دخل شركته، بل كصديق. وحقيقة أنني سأخذه على كلتا الجبهتين كانت بشكل ما أسوأ لمعرفتي بأنه لن يحمل لي ضغينة. بل ربما سيجد طريقة ليلتمس لي العذر.

«قصة فاي» < 02:41:48

إنها إحدى المفارقات الشهيرة في الأبوة والأمومة، أليس كذلك؟، أن ترتيب قضاء الوقت بعيداً مع شخص ليس هو قرينك أسهل ألف مرة من ترتيبه مع من هو قرينك. في الأيام الخوالي، كانت رحلة مع برام خلال ثلاثة أيام دراسية تستلزم دهاء تشرشل وجيشاً من المساعدين، لكنه الآن صار زوجي السابق وكل ما عليّ أن أفعله أن أقدم موجزاً مدته خمس دقائق وبعدها أصبح حرة كالطائر الطليق.

في صباح الأربعاء، بعد توصيلة المدرسة، مررت على الشقة كي أستعيد زوجاً من الأحذية تركته هناك في عطلة نهاية الأسبوع واحتجته للذهاب إلى ونشستر، مفترضة -على نحو صحيح- أن برام سيكون قد غادر المكان بالفعل إلى العمل. نظرًا للقواعد الصارمة فيما يتعلق بدخول جادة ترينيتي في يوم «عطلة»، لم تكن هناك إلا بضعة قواعد مثيرة للضحك، إن كانت هناك أصلاً، بالنسبة ليبيبي ديكو. لماذا كنا لنرغب في الذهاب هناك إلا إذا كنا مطرودين من المنزل؟ كان هذا هو التفكير الأصلي ومع ذلك فقد أصبحت هذه الشقة الاستديو الضئيلة، في حد ذاتها، بيتاً.

حين دخلت، دُهِشت فوراً من رائحة السجائر. ما زال برام يدخن، ولا بد أنه بلغ حداً بعيداً لدرجة أنه يُهَوِّي المكان كل مرة يغادره فيها لأنني لم ألحظ قط تلك الرائحة في مرات وصولي يوم الجمعة. كان باب الحمام مفتوحاً، وثمره برك من الماء تجمعت على البلاط من أثر الدُش الذي أخذه، والملابس

المستخدمة متناثرة على الأرض قرب الفراش المشعث. على الطاولة القريبة رقد كيس ورقي أخضر وأبيض من الصيدلية الموجودة في شارع باريد.

لم يكن ينبغي أن أنظر داخله، ليس عليكم أن تخبروني بهذا - فقد كان هذا اختراقاً للخصوصية وفي نفس الوقت تصرفاً يتسم بالرياء - لكنني فعلته. كان فيه نصف دسنة علب متطابقة لأقراص مكتوبة في وصفة طبية. أخرجتُ علبة لأفحصها عن قرب. لم أتعرف على اسم الدواء - سيرترالين - الذي وُصف لبرام أن يأخذ جرعة يومية منها قدرها 50 ملليجرام، وبالطبع قبل أن أمد يدي نحوها نفسي كنت قد أقنعت نفسي أنه في وضع خطير. الأكاذيب التي كان يقولها، وشعوره البالغ بالكرب عند مواجهته: هل كان يحميني طوال الوقت من شيء أسوأ بكثير من الضعف؟

وتلك الملاحظة التي أبديتها في الحفل عن كونه يتصرف وكأنه مصاب بمرض قاتل! كيف أمكنني أن أكون بكل هذه القسوة؟

بحثت في جوجل عن «سيرترالين»، معتقدة أنني لو كنت على حق سألغي هذه الإجازة مع توبي وأنتظر وصول برام، كما هو مخطط، كي يأخذ الولدين، ونتحدث عن الطريقة التي سنتعامل بها مع الموقف، ونتجاوزه معاً.

ظهرت نتائج البحث: كان أحد أنواع مشبطات استرداد السيروتونين الانتقائية؛ مضاد للاكتئاب يُستخدم لعلاج القلق والهلع.

جلستُ على الفراش لحظة، غير قادرة على الحركة. ما الذي سبب له القلق والهلع؟ هجري له؟ لا بد أن أقول إن الفكرة أثارت مشاعر الحزن أكثر من الذنب؛ في النهاية، ألقى باللوم عن خساراته على نفسه، كما

أكدتُ على ذلك بقسوة ليلة الكريسماس، وكان محظوظاً لأنني ساعته على شجاره مع توبي. لكنه ما زال إنساناً وكلنا نرتكب أخطاء، كلنا نتسبب في الأضرار.

قررتُ أنه لا حاجة لإلغاء الإجازة، لكنني سأحدث معه يوم السبت، كما هو مخطط. سأكتشف بهدوء إن كان هناك أي شيء يمكنني أن أفعله لأساعد في تخفيف عبئه.

عندئذ كان الوقت قد تأخر بي. جمعت أشياءي وتوجهتُ نحو الباب، تاركةً كيس الصيدلية على الطاولة حيث وجدتُها.

برام، ملف وورد

يوم الأربعاء الأخير، اليوم السابق على إخلائي المنزل ويومي الأخير في العمل -دون علم زملائي- تلقيت اتصالاً على هاتفي من رقم غير معروف.

- هل يمكن أن أتحدث إلى السيد أبراهام لاوسون من فضلك؟

كان الوقت ضحى وكنت جالساً إلى مكتبي. لم أكن أعاني من أثر الشراب، على الأقل ليس بشكل ملحوظ، وكان عقلي يعمل بشكل طبيعي. أبراهام: لم يكن أحد يستخدم اسمي كاملاً، وهذا يعني أنه شخص في منصب رسمي. لا بد أنها الشرطة. كانت المتصلة أنثى، لذا فهو ليس المحقق الذي أتى لرؤيتي قبل ذلك في...

- آلو؟

تكلم يا برام.

«أخشى أنه ليس موجوداً هذا الأسبوع..» قلت بصوتي، بطريقة عادية ومهذبة. «من المتصل؟»

- معك الرقيب محقق جوان ماكجوان من وحدة التحقيقات في حوادث التصادم الخطيرة في كاتفورد. إذاً هذا ليس هو الرقم الذي أتصل به؟

قلت: «هذا هاتفه في العمل. سياسة الشركة هي أن تسلم هاتفك عندما تذهب لقضاء إجازة». كذبة - أي شركة تطلب هذا في عام 2017؟ «يمكنني أن أترك رسالة مع فريقه، رغم ذلك، وأجعل أحدهم يتصل بك لو كان لديهم رقم اتصال به؟»

لا تعطها رقم الخط الأرضي في المنزل: قد تكون فاي ما زالت هناك!

- لدينا رقم خطه الأرضي، لكن لا أحد يرد حالياً.

«أظن أنهم ليسوا في البيت..» قلتها بتعاطف مهذب تناقض مع تعاقب إحساسي بالرعب والارتياح الذي تسببت فيه ملاحظاتها الأخيرة. «ربما هاتف زوجته؟»

تفكير سريع يا برام. إذا صدقتُ أن فاي في مكان بعيد معك، فقد تؤجل أي خطط للاتصال بها وحدها.

- أشكرك. لدينا رقم هاتفها الجوال بالفعل. كم سيغيب السيد لاوسون؟

- أعتقد أن أحدهم قال إنه سيعود يوم الإثنين.

- هل هو في بريطانيا، هل تعرف؟

«إمام، أسكتلندا، ربما؟» من الأفضل ألا تذكر وجهة قد تجعلهم يراجعون بيانات الركاب الخاصة بشركات الطيران.

«أشكرك». وأنهت المكالمة.

بقيتُ هادئا. فكرتُ: هم لا يعرفون شيئا. في الغالب اكتشفوا مكان السيارة ولديهم قليل من الأسئلة الإضافية لي - قليلة لدرجة أنها يمكن أن تُسأل عبر الهاتف. حتى في السيناريو الأسوأ، سيمهلونني حتى يوم الإثنين. سينتظرون حتى عودتي من جزر هيبيرديز قبل أن يضعوا القيود حول رسغي اللذين أبلاهما الطقس.

«لماذا تضع كل شيء في هذه الصناديق؟» سألني هاري صباح الخميس عندما هبط إلى الطابق الأرضي مع ليو لتناول الإفطار. كنت قد أيقظتهما مبكرا كي أتمكن من إعدادهما للترتيبات المقبلة.

- سأخبركما، لكن فقط لو يمكنكما أن تحتفظا بالأمر سرا؟
وعداني بذلك.

- أنا أجهز مفاجأة لماما.

لو كنت توقعت أن هذه ستكون واحدة من أكثر اللحظات غير المحتملة، حيث أخدع حملي أضحيتي كي يعبرا عن بهجتهم من فكرة الذبح، فلم أكن في حاجة إلى القلق.

قال ليو وهو يصب حبوب القمح في سلطانية: «هي لا تحب المفاجآت، لم أكن لأفعل ذلك لو كنت مكانك يا بابا».

وافقه هاري: «إنها تكرهها، إلا عندما أعددنا لها كعكة مغطاة بالكراميل».

- ستعجبها هذه المفاجأة. سوف أغير ديكور البيت.

- متى؟

- اليوم وغداً. لذا ستمكثان في بيت الجدة تينا ليلتين -والجزء الأفضل -

ستأخذان يوم غد إجازة من المدرسة!

صارا الآن سعيدين، أو هكذا كان ليو على الأقل.

تساءل هاري: «هل قالت مسز كارفر إن هذا مسموح؟» بالنسبة لكونه طفلاً دائماً الإثارة للصخب، كان مهتما بالتصاريح على نحو غريب.

- نعم. تحدثتُ إلى السيدة بوتوملي وليس لدى الجميع مشكلة في ذلك. لذا عندما أقلكما من المدرسة اليوم، سنذهب مباشرةً إلى بيت الجدة بالحافلة. ستتصل بهما في الطريق، لكن تذكر، لا تقولا أي شيء عن المفاجأة. أو عن قضائكما الجمعة إجازة من المدرسة. لا أريدها أن تقلق.

كنت قد حجزت أُمي منذ أسبوع أو نحو ذلك كي تساعدني (دون علمها) في الجريمة خلال تلك الأيام التالية. وافقت تماماً على خطتي الخاصة بالديكور، وعرضت أن تعتنني بأمر اليوم الدراسي يوم الجمعة حتى لا يضطر الولدان لتفويت دروسهما، لكنني تحايلت عليها. لم أستطع المجازفة بمرورها قرب المنزل واكتشافها لانتقال غرباء إليه. ليس مع الولدين. لم تكن هذه هي الطريقة التي ينبغي أن يكتشفوا بها الأمر.

بعد الإفطار، اقترحت على ليو وهاري أن يأخذا أكثر ثلاثة أشياء مفضلة لديهما كي يصطحبها إلى بيت الجدة. «سأتي بها بعد المدرسة مع مناماتكما وبعض الملابس من أجل إجازتكما غداً».

رغم أنه كان طلباً غير معتاد، إلا أنها كانا أهلاً للتحدي، ولم يلاحظا والدهما الذي يراقبهما مغموماً من وراء الباب.

قال ليو متشكياً: «أحتاج أكثر من ثلاثة».

قال هاري: «لا أملك إلا اثنين».

لذا قلت إن ليو يمكنه أن يحصل على خيار هاري الزائد، فاعترض هاري بأنه سيستخدم خياراته في النهاية، ووصفه ليو بأنه خنزير أناني وأوقفتُ الجدل باقتراح أن نتحرك إلى المدرسة فوراً ونمرُّ على المخبز في شارع باريد لنشتري كرواسون بالشيكولاتة.

فقط تجاهل كم تشعر بالكآبة والحرمان وانكسار القلب، هكذا شجعتُ نفسي.

هذا ليس حقيقياً.

كعاشقة مخلص للتلخيص من الأشياء الزائدة، قامت فاي بتطهير المنزل بانتظام على مدار السنين، لكنها كانت ما زالت مهمة هائلة أن تشحن وتُخرج أمتعتنا. حتى مع وجود عاملين محترفين معي، استغرق الأمر اليوم بطوله كي أنقل الأثاث إلى المخزن الذي استأجرته لفترة قصيرة في بيكنهام وكى أعبى كل ثيابنا ومتعلقاتنا الشخصية في صناديق وأنقلها إلى الشقة.

بالطبع كانت تمطر، كأن الآلهة تنتحب احتجاجاً على شُرِّي - إما هذا أو أنها كانت تساعدني بإبقاء الجيران في بيوتهم. أتى عدد قليل جداً منهم وسط المطر الغزير ليسألوا عما يحدث ومن فعل ذلك ابتلع قصتي التي اختلقتها للتغطية على الأمر وهم ينظرون إليّ بعين والعين الأخرى على مداخل بيوتهم الجافة.

مقابلة واحدة بعد الظهيرة بقليل مع أليسون أرهقت أعصابي إلى حد خطير بعض الشيء.

سألتها: «لست في العمل؟» مخفياً رعبي من اقترابها. كان روكي إلى جانبها - كانت تقوم بتمشيته بالحكم على معطفها الغارق بهاء المطر وحذائها أيضاً - وبدلاً من أن يجذبها نحو بابها استقر مطيعاً بيننا كأنه سيبقى إلى الأبد.

قالت: «أعمل فقط من الإثنين إلى الأربعاء، أتذكر؟ أو على الأقل أتلقى أجراً عن هذه الأيام فقط».

طبعاً. كانت أحياناً تُقل الولدين من أجلاً أيام الخميس، وترد فاي الجميل أيام الجمعة.

- ماذا يجري إذاً هنا بحق السماء؟ هل ستركان المدينة أم ماذا؟

ابتلعت ريقِي: «أقوم ببعض أعمال الديكور».

- الديكور؟ هل تعرف فاي بهذا؟

ربْتُ على أذني روكي الرطبتين، وأنا أصلي كي لا يبدو عليّ نصف الكرب الذي كنت أشعر به: «لا، وتلك هي المسألة. أنا أصنع مفاجأة لها».

«يبدو وكأنه عمل ثقيل..» قالت أليسون وهي تسترق النظر إلى شاحنة نقل أمتعتي من وراء قلنسوة معطفها التي يقطر الماء منها: «لماذا تحتاج إلى نقل المتاع من البيت؟»

- لأنني أقوم بالعمل كله مرة واحدة، لا يمكننا نقله من غرفة إلى أخرى.
- ألا يمكنك فقط أن تكومه في منتصف الغرف وتغطيه بالملاءات؟ هذا ما نفعله دائماً. إلى أين سيذهب؟
- فقط إلى وحدة تخزين في الناحية الأخرى من بيكنهام.
- واو! هذه عملية كبيرة. متى تعود فاي من ونشستر؟
- في وقت متأخر من ليلة الغد، لكنها لن تعود إلى المنزل قبل صباح السبت. الجدول الزمني ضيق جداً.

ضيّقت عينيها، ولَوَتْ فمها إلى جانب: «ليس ضيقاً يا برام، إنه مستحيل. شيء على هذا النطاق يستغرق أسابيع. كيف اخترت الألوان دون رأيها؟ أتمنى أن تكون قد اخترت درجات غنية من الأزرق والأخضر؟ لا شيء من تلك الألوان المحايدة الشبيهة بالألوان عش الغراب؟»

أكان من الطبيعي الاستمرار في الإجابة على مثل هذه الأسئلة أم سيكون من الطبيعي أكثر الاستعانة بأليسون في التحقيقات؟ «أليسون، كنت لتبلىن بلاء عظيماً لو عملت في الجستابو، هل أخبرك أحد بهذا من قبل؟»

ضحكت وقالت: «آسفة. أود أن أعتقد أن فاي ستفعل المثل في حالة لو صنع روج مفاجأة كهذه».

آه لو كانت لديها أي فكرة عن حقيقة هذه المفاجأة!

قلت: «كانت تريد تغيير الديكور منذ زمن، وأنا واثق أنك تعرفين، وثمة زميل قديم لي يبدأ مشروعاً جديداً، وقدم لي خصماً كبيراً. هو بالداخل الآن مع فريقه، يعملون بهمة».

مع هذا الاستعراض الحماسي، عبرت وجهها لمحة من تساهل ووضعت يداً في قفازها الرطب على ذراعي. ظنت أنني أحاول استعادة فاي، ربما سمعت بالكريسماس. «برام، آمل ألا يكون كلامي غير لائق، لكن هل تعرف أنها الآن في رحلة مع شخص آخر؟»

«أعرف. ما...» وضبطت نفسي: «توبي. هل قابلته؟»

«ليس بعد. أعتقد أنها تنتظر...» منعتها اللياقة من الإكمال، لكنها لم تكن بحاجة إلى القلق. قلت في عقلي: تنتظر حتى تتأكد من جدية الأمر.

إذاً لن يحدث هذا أبداً، لأنه بعد غد سيكون كازانوفا قد رحل وسيضيع ألم انقطاع العلاقة وسط رعب التعامل مع خسارة بيتها، ولغز اختفاء والد طفليها.

- سأتركك تدخل من المطر. هل تريدني أن أقل ليو وهاري من أجلك لاحقاً؟

«أشكرك، لكنني بخير. سأخذهما إلى بيت ماما في الحقيقة، المكان في حالة فوضى بعض الشيء هنا». ولم أذكر أنني لن أذهب بهما إلى المدرسة في اليوم التالي. أمهات جادة ترينيتي يرين أي يوم غياب من المدرسة الابتدائية مدمراً لفرص أبنائهن في الالتحاق بأوكسفورد أو كامبريدج.

قالت أليسون: «حسناً، حظاً طيباً. آمل أن ينجح الأمر».

انتابني شعور (ربما خاطئ) بأنها تقصد «بالأمر» شيئاً أكبر من مشروعى في تغيير الديكور وانغمستُ في خيال فوري حول كيف كان يمكن أن تتطور الأمور في رواية موازية. كان هناك أناس مثلها ومثل أمي، وربما والديّ فاي أيضاً، كانوا ليدعموا لم الشمل من جديد - أو على الأقل لا يعارضونه بقوة. لو ابتعدتُ عن إثارة المتاعب وانتظرت أن تهدأ المسائل، لو أظهرتُ لفاي أنني يمكن أن أتغير...

عندئذ كان المطر قد تحللني حتى العظام، عدت إلى الداخل ورتبتُ تعبئة آخر محتويات غرفة نومها وإخراجها.

«قصة فاي» < 02:44:36

كانت عطلة سيئة تقليدية إلى حد كبير في ونشستر، رغم أنها في منتصف الأسبوع: ممارسة الجنس وخدمة الغرف، وتحللتها زيارات إلى الكاتدرائية وتمشيات في الشوارع القديمة والبال مشغول نصفه بجين أوستن ونصفه الآخر بأحدنا الآخر.

كنت ميّالة لإخبار توبي بموضوع حبوب الدواء الموصوف، لكنني ذكرت نفسي أن خصوصية برام من حقه، وعلى أي حال، من بين كل الأوقات لم يكن هذا بالوقت المناسب لمشاركة توبي أي هموم عن الصحة النفسية للرجل الذي اعتدى عليه.

عندما كلمت الولدين يوم الخميس بعد المدرسة، لم يخطر على بالي شيء من هذا عندما قال هاري إن لديه سرّاً.

- سر جيد أم سر سيء؟
- سر جيد. مفاجأة.

- مفاجأة لليو؟

- لا، ليس ليو، أنتِ!

- أنا متلهفة.

- بابا سوف...

«لا تخبرني!» قلتها ضاحكة، لكن على أي حال كان برام قد قاطعه على الطرف الآخر.

بالطبع فعل ذلك. بسذاجتي، ظننت أنه قد يكون شيئاً من قبيل كعكة «مرحبا بعودتك» -وبرام كان راغباً على نحو مدهش في الإشراف على خبزها- وعليها طبقة زرقاء من الكريمة وشيكولاتة مالتيزرز، أو تخوفت أن يكون بورترها رسمه أحدهما لي في المدرسة، بأصابع كلها كالنقائق وأذنين تدليان حتى كتفيّ.

تخيلتُ أن وعد الاحتفاظ بالسر درس في الثقة، وليس انتهاكاً لها.

برام، ملف وورد

حتى بالنسبة لهؤلاء الذين لا يُعدون لترك أسرهم للذئاب، هناك حلاوة مُرة مميزة في مسألة أن تُقل أطفالك من المدرسة.

ناقشتها ذات مرة مع فاي وقالت إنها ليس فقط تعرف هذا الإحساس بل إنها تشعر به على نحو أكثر حدة مما أشعر به (كانت تقول هذا دائماً: ليست المسألة أن الأمهات يحتكرن الحب والتفاني تجاه الأبناء، هن فقط يشعرن بهما على نحو أكثر حدة). قالت إن سبب هذا أن الأطفال الصغار يكونون سعداء بشكل غير مشروط برؤيتك عند بوابة المدرسة ومع ذلك أنت تعرف، حتى إذا كانوا يرمقون في أحضانك ويلحون في طلب الحلوى، إلا أنهم ذات يوم،

ربما ليس ذلك العام ولا العام التالي لكن بالقطع في وقت أقرب مما تود، سيشعرون بالإحراج عند رؤيتك هناك، أو الغضب، أو حتى الخوف؛ لأنه لماذا ستأتي عندما يعبرون بقوة عن رفضهم لذلك إلا إذا كان هناك خبر سيء بشكل أو آخر؟

قالت إنها على الأقل ليست ضربة مباغطة أو شريرة، بل هي انفصال تدريجي: كل يوم يقل احتياجهم إليك إلى أن تأتي اللحظة التي لا يحتاجونك فيها على الإطلاق.

فقط لو ظهر مايك آجلاً بدلاً من عاجلاً! فقط لو أتى عندما لا يعود ابناي في حاجة إليّ، عندما يكون قول الوداع ليس أسوأ جريمة على الإطلاق.

في طريقنا إلى بيت أُمي بالحافلة، التقطت صورة لهما معاً ثم صورة أخرى وأنا بينهما. رغم أني سأتخلص من بطاقة تعريف الهاتف، إلا أني خططت للاحتفاظ بهاتفني من أجل الموسيقى ومخزون الصور الصغير للولدين. بينما كنت ألتقط الصورة، متوسلاً هاري كي يتسم مثلما فعل ليو طواعيةً، لمحت شابة تراقبنا من صف المقاعد المقابل، وهي تقول في عقلها، بلا شك، أمل أن أحظى بزواج كهذا، أب عظيم.

احذري مما تتمنين يا حبيبة قلبي.

لم أستطع البقاء في بيت ماما كثيراً لأنني كنت سألتقي بعمال التنظيف في المنزل الساعة السادسة مساءً. معتقدين أنها سيريانني قريباً بما فيه الكفاية، حاول الولدان أن يتملصا، وتشكيا عندما شددتها لعناق أخير.

- تعاليا. قبل أن تدخل، أريد أن أخبركما بشيء.

انتظرا وهما يسمعانني بنصف تركيز.

- أحبكما وسأحبكما إلى الأبد. لا تنسيا هذا أبدا، اتفقنا؟

ثم قبّلتها بالدور.

كانا متحيرين، مندهشين، رغم أن كلمة «تنسيا» استدعت لدى هاري شيئا ذا صلة، على الأقل: «بابا، نسيت أن أحضر كتاب هجائي! عليّ أن أتعلم كلمتين من قائمتي كل ليلة دون انقطاع».

قبّله مرة أخرى وقلت: «سأجده من أجلك ويمكنك أن تعوض المسألة في عطلة نهاية الأسبوع، اتفقنا؟ وإذا لم تستطع، قل فقط إنك آسف وأخبر مسز كارفر أنها غلطتي».

بمقدوري أن أقول إنه لن يفعل هذا. لن يرغب في أن يضعني في مشكلة.

قال ليو: «هل يمكننا أن نذهب؟» عندما سمع جدته تفتح علبة البسكويت الصفيحية في المطبخ. وبعد ذلك صارت في الرواق معنا، والعلبة المفتوحة ماثلة نحوهما، والتفتا عني ونطقْتُ بوداعي الأخير وأغلقتُ الباب وانتهى الأمر.

آخر مرة رأيت فيها ابنيّ.

في طريق عودتي إلى أولدر رايز، لم يسمح عقلي لنفسه بالتعامل مع ما كان عليه الأمر بالفعل. كان القيام بذلك يعني أن أجعل نفسي غير قادر على إنجاز بقية الواجبات التي أمامي.

كنت قد خططت للنوم في الشقة، لكن في حالة بقائي في المنزل الفارغ، سأفرد حقيرة نوم على البساط في غرفة ليو. شعرت بالتزام غير عقلائي بحراستها من الدخلاء، رغم أنه بالطبع لم يكن أحد قادمًا - على الأقل

حتى اليوم التالي، عندما يكون هنا من يُقر القانون وجودهم. (سيلاقون نصيبهم من المعاناة خلال الأيام والأسابيع القادمة، كما أظن. كنت أفهم أثر التموجات، حتى لو لم يبق لدي أي شعور أدخره للحلقات الخارجية في الموجة التي سأصنعها).

لم يكن هناك أي شعور بالرضا يمكن أن يأتيني من التجول في الغرف العارية، ولا قدرة على تجنب واقع أني أُجرّد مما أملك. كان قضاء الليلة، لو أمكن وصفه بأي شيء، عقابًا. ولعلي أملت أن أموت من انكسار القلب في حقبة النوم تلك على الأرض.

كفاي تخبّطًا.

في العاشرة، اتصلت بأمي لأطمئن على أن الولدين أويًا إلى الفراش. قالت: «لقد تأخرت قليلًا عن أن تلحق بهما. تركتهما يسهران لأنه ليس عليهما أن يستيقظا من أجل المدرسة في الصباح، لكنهما نائمان الآن».

- أشكرك. أشكرك على كل شيء يا ماما. آسف لو لم أقل هذا بقدر ما كان ينبغي أن أفعل.

قالت: «لا تكن سخيًا».

أنهيت المكالمة، وأنا أفكر أنه ثمة راحة ما في كلماتها الأخيرة تلك.

كيف تقول وداعًا لأمك؟

الإجابة هي: لا تقل. لأنه هكذا يكون الأمر اللطيف.

«قصة فاي» < 02:45:48

آخر مرة رأيت فيها برام، بعينيّ هاتين؟ كان ذلك في الأحد الأخير، الأحد الموافق الثامن من يناير، أثناء تسليم المناوبة في جادة ترينيتي ظهرًا. هل كان هناك أي شيء مختلفاً فيه، أي شيء في سلوكه ينبئ بالخيانة - الخيانة على مستوى جديد كليّة؟

لم يكن. أسفة. قدم لي ملخصاً بأحوال الولدين، وسألني عن حالي. لاحظتُ، وقدّرتُ، غياب أي ذكر لتوبي. حتى الآن، عندما أحاول أن أجد شيئاً مهماً في أي تفصيلة صغيرة، أفشل. كانت تمطر ولم يكن يحمل مظلة؟ لعلها كانت صورة مجازية، كما أظن.

كان برام وكفى، أو على الأقل المخلوق الذي غدا عليه برام. عندما رحل، كان لديّ ذات الشعور الذي أحسست به كل يوم أحد والذي كنت لأستمر بلا شك في الإحساس به لو لم تنطبق السماء على الأرض: عدم التصديق بأنه يمكن أن يفعل هذا بنا، والحزن لأنه لم يعد لي بعد الآن.

أعترف أنه كان فاصلاً أسبوعياً من الشعور اللاعقلاني. لكنني لن أكون إنسانة إن لم يجعلني هذا حزينة قليلاً.

فأي.. ودعتها بطريقي، أي دون أن تعرف. (ربما تقول في عقلك يا لك من رجل محدد جدا!) كان ذلك يوم الثلاثاء العاشر من يناير وكنت أعرف من تطبيق اليوميّات أنها ستفعل ما تفعله عادةً كل ثلاثاء؛ ألا وهو الوصول إلى محطة أولدر رايز في الساعة السادسة والنصف مساءً من فيكتوريا والذهاب إلى البيت مباشرةً، حيث تكون أمها قد أطعمت الولدين وأصدرت حكمها في آخر نزاعاتهما. ظهرت من النفق على حافة حشد الركاب، وهي تهرش جلدها قرب حاجبها الأيمن، وتضبط حزام حقيبة حاسوبها المحمول على كتفها. لم تلاحظني هناك، ولم تشعر بي وأنا أتتبعها عبر شارع باريد (لم تلق حتى نظرة على حانة توبرووارز). عند ناصية جادة ترينيتي، توقفت قليلاً وأدارت رأسها. لم تكن صورة «مميّزة» لم يهب النسيم ليطير ثيابها، ولا كان هناك ضوء قائم بالصدفة ليحيطها بظل يبقى في الذاكرة. لا شيء في تعبيرها أو هيئتها وشى بالمشاعر التي اعترفت بأنها تحس بها عند الاقتراب من المنزل بعد العمل: التشوق العام لرؤية الولدين، الخوف بشكل خاص من أنها ربما يتعاركان، إن مشاق يومها على وشك أن تبدأ في الوقت الذي تحتاج فيه فقط إلى الراحة.

كانت تماماً كما قد تكون في أي يوم قرب هذا الوقت. امرأة وراءها نصف حياتها والنصف الآخر أمامها.

وهو، كما أعرف، مكان من الظلم أن أتركها فيه.

قبل الفجر، عدت إلى الشقة لآخر مرة. وضعت المفاتيح على نضد المطبخ، إلى جانب تفاصيل وحدة التخزين وكتاب الهجاء الخاص بهاري، الذي أخرجته في آخر لحظة من أحد الصناديق.

لا إشارة، ولا رسالة.

كتبْتُ رسالة نصية لمايك:

- كل شيء جاهز.

كالعادة، رد على الفور:

- بمجرد أن يأتيني التأكيد بأن الأموال وصلت، ستوصل ويندي جواز السفر الجديد وخلافه إلى الشقة. في صحتك.

في صحتك؟ السافل! حذفتُ الرسالة، ووضعت الهاتف غير المسجل في جيبي، ثم التقطت حقيبتني التي حزمتهما من قبل ورحلت. ركبت شاحنة صغيرة من المحطة إلى باترسي، حيث جعلت السائق ينتظر بينما أرسلت بالبريد طردًا عبر صندوق بريد مكتب تشالونر يحوي سلسلتي مفاتيح للمنزل (سلسلتي والأخرى الاحتياطية التي كانت كيرستي تحتفظ بها لنا، لكنني لم أستطع الحصول على مفاتيح فاي أو أمها). طلبت من السائق أن يأخذني إلى محطة فيكتوريا وأرسلت إلى أمي رسالة في الطريق لأطلب منها أن تُقبّل لي الولدين مع تحية صباح الخير وتتمنى لهما يوماً جميلاً. كنت قد ذكرت لها سريعاً بالفعل أن تتصل بفاي مباشرة لتنسق معها عودتهما صباح السبت.

في الشارع خارج المحطة، أزلتُ شريحة الهاتف من جوّالي الرسمي، وألقيت بها في بالوعة، ثم وضعت الهاتف من جديد في جيبي. حرصت

على أن أترك الهاتف غير المسجل يعمل كي أتلقى الرسائل الأخرى الكثيرة التي سيحرص مايك على إرسالها لي طوال اليوم، أغلقت جهاز التنبيه الرنان وألقيت به في أقرب صفيحة قمامة.

بالداخل وجدت ماكينة صرف نقود وأفرغت حسابي البنكي من آخر أمواله، قبل أن أشتري نقدًا التذكرة وأستقل قطار جاتويك السريع التالي. كانت الساعة السابعة والنصف صباحًا، وحشود الركاب القادمين تتكاثف بالفعل. خُنت أن فاي لم تستيقظ بعد، حتى لو كان النصاب الذي يشاركها الفراش يراجع هاتفه بالفعل، متلهفا على تلقي التأكيد بحدوث التغيير الملحوظ في أقداره.

«قصة فاي» < 02:46:45

على مائدة الإفطار في الفندق قلت لتوبي: «أنت لا تكف عن النظر إلى هاتفك، هل تنتظر مكالمة؟»

- مجرد رسالة إلكترونية تؤكد شيئاً من أجل الليلة.

كان لديه عمل هام ذلك المساء، اجتماع عاجل للجنة قبل إعلان النتائج الأولية لتقريرها الأسبوع القادم. مسؤولون تنفيذيون عن النقل والمواصلات من سنغافورة وستوكهولم وميلانو سيكونون حاضرين، وكذلك مسؤولون حكوميون. ورغم أنه كان مضطراً لمغادرة ونشستر بعد الغداء، إلا أنه رتب لي الاحتفاظ بالغرفة والعودة إلى لندن متأخراً كما أشاء.

يا إلهي! كم كنت بلهاء! أتذكر بوضوح شديد كيف كنت جالسة هناك إلى طاولة الإفطار عندما ذهب إلى الحمام، محدقة في الهاتف الذي

رقد مقلوباً على وجهه إلى جوار فنجانه من الكابوتشينو وأنا أتجاهل
عن قصد ذكريات تحريض بولي لي كي «أفتش عن الحقيقة».

تلك هي مشكلة أن تفصل نفسك بقوة عن المتشككين في الحياة: تحرم
نفسك من نصائحهم الجيدة.

برام، ملف وورد

في جاتويك، اشتريت تذكرة إلى جنيف نقدًا. (كان تفكيري: تذكرة
ذهاب وعودة أقل إثارة للشك من تذكرة ذهاب فقط. ومن ناحية أخرى،
هل الدفع نقدًا أكثر إثارة للشك من استخدام البطاقة؟ ثم: ولا طريقة منهما
مثيرة للشك. ملايين الأشخاص يطرون من هنا كل أسبوع وطاقم العاملين
في المطار رأوا كل الغرائب العجيبة من سلوكيات المسافرين. تماسك يا برام).

استخدمتُ طريقة التسجيل الذاتي، وتجاوزت مكتب مراجعة الجوازات
دون أي متاعب، واشتريت خليطاً من العملة السويسرية واليورو هات بالمال
الذي جمعته.

بعد أن لم يعد هناك وقت للشك في الذات، تقدمتُ نحو البوابة.

«قصة فاي» < 02:47:37

كما تبين لاحقاً، كنت أنا من تلقى مكالمة العمل المزعجة، عندما عدنا إلى
غرفتنا بعد الإفطار كي نجمع بضعة أشياء من أجل جولة إرشادية في كلية
ونشستر.

«أين ملخص (سبيرالز) من أجل الوكالة؟» تساءلت كلارا، وقد بلغ
هلعها حدًا يشير إلى أنه قد تراكم منذ بعض الوقت.

قلت عابسة: «ألم ترسله إليهم بالأمس؟»

- لا، لقد طلبوا ملخصاً يُقدم بشكل شخصي ورتبنا أن يحدث هذا بعد الظهر. لكنه ليس موجوداً على الخادوم، أتيت بفريق تقنية المعلومات ليسيحثوا ولم يستطيعوا العثور عليه في أي مكان.

من الواضح أن الاتصال بي كان ملجأها الأخير. فهمتُ بالضبط ما كان يحدث. في غيابي، أحست بفرصة أن تقدم العمل باعتباره عملها. (نعم، شيء مزعج، لكنك لو كنت جيداً في عملك، لست مضطراً للشعور بالتهديد).

- لا تقلقي، هو موجود على القرص الصلب الخاص بي في البيت. سأرى إن كان يمكنني أن أجعل أحداً يوصله إليك.

- نحن نحتاجه فعلاً هذا الصباح يا فاي. بعد الظهر بقليل بحد أقصى.

الاجتماع في الثالثة.

«الثالثة؟» من الجنون الاتفاق على موعد كهذا لتقديم ملخص، آخر شيء يوم جمعة. لم أشر إلى أنها كانت بطيئة قليلاً في ملاحظة غياب الملف - ناهيك عن التدريب على عرضها التقديمي. فلم أعمل عليه منذ مساء الثلاثاء.

- دعيني أعاود الاتصال بك. في هذه الأوقات، ابحثي مرة أخرى، ربما استخدمتُ اسم ملف مختلف.

تساءل توبي: «ما الأمر؟» وهو يرمقني من فوق هاتفه.

- مجرد عرض تقديمي لا بد أني نسيت أن أضعه على خادوم العمل قبل أن أغادر. موجود على حاسوبي المحمول في البيت. لاحظتُ كلارا الموضوع حالاً.

- ألا تستطيع الانتظار حتى يوم الإثنين؟

- لا، ستقدم هذا العرض اليوم. لا تقلق، لدى جارتى كيرستي مفاتيح المنزل لذا سأطلب منها أن تجده. أنا فقط أحاول أن أتذكر أين تركته. ربما في غرفة نومي...

قال توبي مقترحاً: «لم لا تسألين برام؟ ألم تقولي إنه كان يعمل من البيت اليوم حتى يتمكن من إحضار الولدين من المدرسة؟»

«هذا صحيح». طردت الأفكار القلقة عن المرة الأخيرة التي أُعطي فيها برام الإذن بدخول غرفة نومي واتصلت برقمه. «غريبة! يقول إن هاتفه خارج الخدمة».

- حقاً؟ هذا ليس مفيداً إلى حد كبير، أليس كذلك؟

- فلأجرب كيرستي. وإلا قد يتوجب علي أن أعود مبكراً قليلاً.

راقبني توبي بفزع وأنا أبحث عن رقم كيرستي. شعرت بالإطراء من رغبته في أن أبقى، في دوام وقتنا معاً. تعرفون، كانت هناك أشياء كثيرة أستمتع بها في العلاقة الحرة، لكن الشيء الذي خطر على بالي من وقت لآخر هو السيطرة. التوازن. كنت أنا من اختصر الإجازة، أنا من يقرر ما يأتي أولاً - في هذه الحالة واجبي نحو زملائي. وخطر ببالي، نعم، أي كنت أيضاً من انحرف إلى علاقة أخرى، لكن لم يكن الأمر مثلما هو الحال لو أننا أقسمنا على العلاقة الحصرية، أليس كذلك؟ المسألة أن هذا كان في تناقض كبير مع حالة الشك التي شعرت بها خلال تلك الأعوام الأخيرة مع برام. جعلني ذلك متفائلة حيال مستقبلنا، أمله أننا سوف نقيم علاقة حصرية.

«كيرستي؟ أهلا حبيبتي، هل أنت في البيت اتفاقاً؟ هل يمكنك أن تصنعي لي معروفاً وتستخدمي المفتاح الاحتياطي لتدخلي منزلي؟ ما أحταجه هو... أوه، فعلاً؟ لا بأس. لا مشكلة. أراك فيما بعد». التفتُ إلى توبي عابسة. «تقول إن برام طلب منها المفاتيح في وقت سابق من هذا الأسبوع. من الواضح أنه أضاع مفاتيحه. لم يخبرني بهذا، مفاجأة، مفاجأة!»

قال توبي منفعلًا: «أحمق!»

«أعرف. هذه نوعية الأفعال التي تقودني إلى الجنون. أعرف أنه هو من أضاع مفاتيح تلك السيارة». عندما تذكرت مضاد الاكتاب، اخترلتُ أي انتقاد آخر، ربما أثر الدواء بالسلب على ذاكرة برام؟ (حسنًا، لو كان في البيت ذلك المساء عندما أعود، ستكون هذه هي الفرصة المثالية لطرح الموضوع). «أنا آسفة، لكن يبدو أنني مضطرة إلى الانطلاق مبكرًا واللحاق باليوم».

قال توبي: «هل أنت متأكدة من أن حاسوبك المحمول ليس في الشقة؟»

«وأي فرق في ذلك؟» كنت قد لاحظت أنه منذ حادثة الاعتداء عليه كثيرًا ما يسألني عن ترتيبات عش الطائر اللوجيستية، ربما تحسباً من الاصطدام مرة أخرى بزوجي السابق الذي تحول إلى إنسان نياندرتال. «لا حاجة لك أن تأتي معي. إذا لم تكن مهتمًا بالجولة في الكلية، لدينا تلك الطاولة المحجوزة للغداء، يمكنك أن تذهب إليها مع ذلك؟ ثم تعود في الوقت المناسب لاجتماعك».

أدهشني عندئذ حين قطع الغرفة كي يُقبِّلني. «على الأقل ابقِ قليلاً..»
تمتم وأصابعه في شعري.



- بربك! ماذا يضريك في عشرين دقيقة؟

عندما غادرت الفندق أخيرًا، حيث كانت سيارة الأجرة تنتظرني لتقلني إلى المحطة، قبلني مرة أخرى بشغف كبير حتى أن سائق السيارة حوّل عينيه.

سألني بعد أن أطلق سراحني أخيرًا: «كم يستغرق القطار من وقت؟»

- سأغير القطار عند تقاطع كلابام لأذهب إلى أولدر رايز، حتى أتمكن من الحصول على الملف لكلا را قبل الواحدة، ليتسنى لها وقت كافٍ للتحضير قبل الملخص. ينبغي أن أكون ممتنة لأنها لم تدرك الأمر إلا الآن وليس قبل ذلك. كانت إجازة قصيرة عظيمة يا توبي. فعلاً، دعنا نفعلها مرة أخرى.

قال موافقاً: «بالقطع. ابعثني لي عندما تصلين إلى البيت بالسلامة».

فعلاً، كان لطيفاً منه أن يبدو مغتماً هكذا لرحيلي.

كانت الآلهة في صفّي وكانت وصلات قطاراتي سلسلة، لتجعلني أصل إلى أولدر رايز قبل الثانية عشر والنصف. أرسلت إلى برام لأبلغه أنني قادمة، لكن الرسالة لم تصل، نظرًا لوجود خطئه خارج الخدمة. هذا ليس جيدًا إذا احتاجت المدرسة للوصول إليه، لكن لا يهم، لقد عدت إلى أولدر رايز، عدت لتحمل المسؤولية.

انعطفتُ في جادة ترينيتي وعلى وجهي ابتسامة. كان ضوء الشمس على

غير العادة ثريًا وذهبيًا بالنسبة ليناير. جميل، جميل حقًا. عندما ركزت على الشاشة الصغيرة في نصف الطريق تقريبًا، قلت في عقلي: لا بد أني مخطئة، لكن يبدو تمامًا وكأن أحدًا ينتقل إلى منزلي...

#VictimFi

@Leah_Walker ها نحن ذا...

الجمعة، 13 يناير 2017

لندن، الساعة مساء

لم تعد في منزلها (تصحيح: منزل آل ثون)، لكن في منزل ميرل. لقد تحدثنا أخيراً إلى جراهام جنسون وأبلغته بالموقف، رغم أن فاي أصبحت أكثر كرباً من أن تفكر بفعالية وعندما وضعت ميرل المكالمات على الساعة الخارجية، بدت اتهاماتها بسرقة الهوية والاحتيايل مجنونة حتى بالنسبة لفاي.

قال جنسون: «لقد شهدت العملية كلها مع محامي المشتري ومع السيدة لاوسون نفسها، وأوضح أن لا يوجد أي خطأ من جانبنا. وبعيداً عن هذا، لا يمكنني مناقشة ذلك. عليّ أن أحترم خصوصية العميل». ومع ذلك، فقد وافق على لقاء يوم الإثنين صباحاً.

لقد قضيتا الساعة الأخيرة تتصلان بالمستشفيات في جنوب لندن وغيرها ونجيب سعيهما مرة بعد مرة، وهو ما كان -كما كررت إحداها للآخرى- خيراً طيباً، خيراً طيباً.

والآن دخلتا غرفة المعيشة في مدخل المنزل ومعهما أكواب مشروبات كبيرة. المكان فوضى بعض الشيء، كما هو الحال عادةً في بيت ميرل. ثمة إبر صنوبر قرب ألواح الجدران السفلية، بواقي الكريسماس التي لا يجري التخلص منها أبداً، وتنحني فاي لتلتقط واحدة، فينضغط طرفها في لحم سبّابتها. يبدو من المهم أن ترى فقاعة من دمها، قطرة واحدة فقط، لتثبت أنها

ما زالت حية وأن هذا يحدث فعلاً، لكن الإبرة تنحني قبل أن يمكنها اختراق جلدها.

لم تدخل هذه الغرفة منذ الاجتماع مع ضابطة شرطة الحي في سبتمبر الماضي، عندما وُزعت تلك الأقلام الفوسفورية (كان ينبغي أن تستخدم أقلامها لتضع علامة على المنزل نفسه). اعتقدت سيدات جادة تزينيتي أنهن ذكيات جدًا بتعهدهن حماية بعضهن البعض من المخترقين والنصابين. لم يخطر ببالهن أن العدو قد يكون في الداخل. قالت لبرام متذمرة: «لا يبدو عليك أنك مهتم بهذا» عندما تجاهل معاناة كاريس المسكينة. لم تكن المفارقة كلمة قوية بما فيه الكفاية.

«هل ينبغي أن أطلب من أليسون القدوم؟ يمكن أن يبقى روح مع الأطفال». تقترح ميرل هذا، لكن فاي لا ترى هذا الرأي. لا تملك الطاقة كي تشرح مصيبتها مرة أخرى، أو لتسمع اعتذارات أليسون المسكينة - لأنها اعترفت لميرل بأنها رأت برام ينقل أشياءهم بالأمس، وأنه نسج لها نفس قصة تغيير الديكور التي أخبر بها تينا. لقد خدعهن جميعاً، ولم تنجُ واحدة من خداعه.

الحديث إلى تينا مرة أخرى صعب بما فيه الكفاية، لكنها تفعله بعد ذلك: «إذاً اتفقت مع برام أن تُبقي ليو وهاري الليلة أيضًا؟» هذا مفيد. ليست في حالة تسمح لها برؤية الولدين، لا بد أن تتماسك هي نفسها على أمل أن يكون نومها الليلة وادعاً. «الأمر هنا تجاوزت ما هو مخطط لها بعض الشيء».

تقول تينا بلهفة: «لكنك مسرورة؟ هل برام موجود معك؟»

تقول فاي بصدق: «لست متأكدة أين هو الآن..»

يسألها ليو، عندما تتبادل معه الحديث: «متى سنعود إلى البيت؟»

- ربما غداً.

- هل سنعود في موعد مناسب للذهاب إلى تمرين السباحة؟

- لا، أعتقد أنه ألغي. فلتستمتع أنت وهاري فقط بصباح لطيف كسول.

تفكر بالفعل: كذبة واحدة كل مرة.

تقول لميرل: «أشعر بإحساس فظيع فعلاً، الفودكا لا تعمل».

«أنت مرهقة..» تجاوبها ميرل، وتبدو أيضاً متعبة حتى النخاع. «كأنها مائة يوم تجمعت في يوم واحد. سيساعدك النوم».

تقهقه فاي دون مرح: «مستحيل أن أتمكن من النوم الليلة».

«يمكنني مساعدتك في هذا». لدى ميرل بضعة أقراص منومة، تتذكر، وتحضرها من الطابق العلوي. «لديّ هذه الأقراص منذ العام الماضي عندما كنت أعاني من نوبة أرق، لكن تاريخ صلاحيتها ما زال سليماً. قد تحتاجينها على مدى الأسابيع القليلة التالية. خذيها، تحسباً».

- أشكرك..

تنتبهان إلى صوت فرامل زاعقة في الشارع، إلى سيارة تتوقف في ضجة كبيرة وباب ينغلق بقوة.

تمضي ميرل إلى النافذة: «ما هذا الصراخ؟ أعتقد أنه قد يكون شخصاً في منزلك يا فاي. من الأفضل أن يكون هو بحق اللعنة!»

لن يكون هو، هكذا تفكر فاي، لكنها تُظهر استعدادها وتبع ميرل إلى الباب الأمامي. هي سعيدة لأنها تفعل ذلك: تبتلع هواء الليل، تشعر بالبرودة الحادة تتخلل رثيها، تنال الألم الجسدي الذي تتوق إليه. الظلام مخيم على الشارع، وصقيع ليلي يتكوم على زجاج السيارات، وعندما تسترقان النظر إلى اليسار، عبر الحديقة الأمامية لآل هاميلتون نحو بيتها (تصحيح: بيت آل فون)، وعبر السكون ينطلق صوت ذكوري، فظ وعدواني:

- أين برام بحق اللعنة؟ لن أرحل دون رد!

يدخل ديفيد فون في مجال الرؤية عند الممر الأمامي: «والآن من تكون بالضبط؟»

- هذا لا يعنك، يجب أن أكلمه الآن!

«انضم إلى الطابور...» يقولها ديفيد بضحكة مريرة.

يستغرق الأمر لحظة من فاي كي تميز الشخص الثاني، الصوت الآخر. تقول لميرل مرتبكة: «إنه توبي. الشخص الذي أواعده. لقد كنا نقضي معا إجازة بعيداً للتو. قلت له إني سأرسل له عندما أعود - لا بد أنه قلق وجاء ليرى إن كنت بخير». إلا إذا كانت قد كتبت له، أرسلت إليه رسالة استغاثة خلال تلك الساعات الحائرة في المنزل؟ ممكن: ثمة أجزاء كاملة من هذه الساعات لا تتذكر منها شيئاً. لقد كانت أثقل ساعات في حياتها وأكثر انفلاتاً في نفس الوقت.

تقول ميرل: «سأذهب وآتي به. انتظري هنا في الدفء».

تسرع خارجة في البرد، بلا معطف، تاركةً فاي على عتبة الباب. «أهلا، هل يمكنني المساعدة؟ برام ليس هنا، لكن فاي موجودة، إذا كنت تريد الدخول؟»

عندما يلتفت توبي إليها، ينسحب ديفيد، وامتنانه ملموس حتى من هذه المسافة. لقد اكتفى من هذا اليوم، وهذا واضح.

عندما يدخل توبي وهو يوسع الخطأ رواق ميرل، ترتمي فاي عليه كأنها في حادث تصادم. لا تبالي إن كان من الخطأ أن تُظهر احتياجها إلى سلواه، إلى بعض القوة الذكورية البسيطة.

- توبي، شيء فظيع جداً، أسوأ شيء ممكن! لقد فقدت منزلي.

تقول ميرل وأصابعها تربت على ذراع فاي: «لسنا متأكدين من ذلك تماماً يا حبيبتي».

- بل متأكدون. لقد نقلت هيئة تسجيل الأراضي سندات الملكية. لقد فقدته.

«أين هو؟» يهدر توبي ويتحرر منها. يسمح بناظره الرواق، وتعاقب الأبواب التي تتفرع منه، وكأنه يتوقع أن يجد برام قابلاً في الظلال.

تقول فاي: «لقد اختفى. لكن الولدين بخير، الشكر لله. هذا هو المهم، أليس كذلك؟»

تقول ميرل مهدثة: «بالطبع هو ذاك. لم يمت أحد. إنها فوضى، شخص ما في مكان ما صنع أزمة هائلة، لكننا سنصلح الأمر. هل تود شراباً يا توبي؟ فودكا؟»

- أشكرك.

تقدم ميرل الشراب، وتملأ كأس فاي مرة أخرى، وكلتاها تحكي له ما تعرفانه عن بيع المنزل: يوم المعاينة المفتوح الذي أقامه برام، المرأة التي تزعم أنها السيدة لاوسون والتي اشتكت من عدم وصول مدفوعات آل فون إليها، التحويل الخاطئ الذي ينكره جراهام جنسون لكن ربما يمنح فاي في النهاية وقتا كي تسجل دعواها بأحقيتها في المال، الاندفاع للتخفيف من الأزمة التي ستبدأ من جديد بعد عطلة نهاية الأسبوع.

يوجه توبي سؤاله إلى فاي: «إذا ليس المال موجوداً في أي من حساباتكما؟»

- لا، راجعتها على الفور. ولا قرش. لن يكشف المحامي تفاصيل الحساب الذي استخدمه، لكن من الممكن أن يكون حساب برام الخاص. لا أملك وسيلة للدخول إليه.

تذكرها ميرل: «على الأقل الرهن العقاري وكل رسوم البائع دُفعت بشكل منفصل. لم تكن هناك أخطاء فيها، وهذا له دلالة».

تنتاب فاي قشعريرة. رغم أن التلميح كان جنونياً، إلا أنه يمكن أن يكون أسوأ. ربما فقدت المنزل وتركت مدينة بدين هائل.

تقول ميرل: «ما سأقوله ليس بجديد، لكن ألا تعتقدين أن برام يمكن أن يكون في الشقة؟ تعرفين ما يقولونه عن الاختباء على مرأى من الجميع، ولا يبدو أن الشرطة ستقتحم الأبواب في هذه المرحلة. كان من الصعب جعلهم يأتون إلى هنا ويتلقون البلاغ الأصلي..» توجه عبارتها الأخيرة إلى توبي.

يقول توبي: «هو ليس في الشقة بالقطع. ذهبت إلى هناك قبل أن آتي هنا».

تقول فاي مندهشة: «فعلتَ ذلك؟»

تشير ميرل: «ربما كان هناك ولم يرد؟» هناك شيء ما في سلطتها الوقور المهذبة يجعل توبي يبدو فظاً بعض الشيء. يمكن لفاي أن تقول إن ميرل أخذت قليلاً من غضبه. لم تكن تعرف أن فاي لديها شريك جديد على هذه الدرجة من العصبيّة النارية.

يقول: «جعلت أحد الجيران يُدخلني المبنى، وصعدت لأجرب الباب. لم يكن هناك من مجيب وكانت الأضواء مطفأة. هو ليس هناك بالقطع».

تقول فاي: «سأذهب إلى هناك بعد قليل. قد أضطر إلى النوم هناك الليلة».

تتدخل ميرل: «فاي، أعتقد فعلاً أنك ينبغي أن تظلي هنا. مررت بما يكفي من متاعب ليوم واحد. سييت روبي ودايزي لدى أليسون الليلة ولن يعودا قبل الغد. سنكون وحدنا، يمكننا أن نتصل بكل المستشفيات مرة أخرى في الصباح، ونُعد قائمة جيدة ليوم الإثنين، ونناقش كيف سنعاملين مع الولدين في هذه الأزمة. بعد ذلك يمكنك أن تذهبي إلى بيت تينا عندما تهدأين وتستريحين».

يتساءل توبي: «من تينا؟»

- والدة برام.

- أعتقدين أنه قد يكون هناك يا فاي؟ فلنذهب!

تقول له فاي: «لا، ليس هناك بالقطع. هي مقتنعة أنه هنا». الحديث عن الولدين يعيد إليها تركيزها. «سأنتظر حتى الصباح لأراها، أنت على حق يا ميرل. وسأحتاج إلى الذهاب وحدي يا توبي. لا أقصد أي إهانة، لكن الولدين لا يعرفانك وليس الآن بالوقت المناسب لهما كي يلتقيا أشخاصاً جددًا. سيحتاجان إلى أسرتهما».

تقول ميرل: «فاي، عندما ترينهما، لا تقولي شيئاً عن اختفاء برام. في الوقت الذي ما زلنا فيه لا نعرف كل الحقائق، لن ترغبي في إزعاجهما».

«أتعرفين شيئاً لا نعرفه يا ميرل؟» يقولها توبي، وارتياحه فيها غير خافٍ.

تقول ميرل بهدوء: «بالطبع لا، لكنه والدهما، سيكونان في كرب لو اعتقدا أن شيئاً ما قد حدث له». تعدها فاي: «لن أقول لهما أي شيء، أولتيانا. لكنني أعتقد أني سوف أنام في الشقة الليلة. أجد بعض الثياب الجديدة، أرى إن كان برام قد ترك أيًا من متاعنا هناك».

«مضبوط». ينهض توبي واقفاً في إشارة لتوليهِ المسؤولية. في يده بالفعل مفاتيح سيارته التويوتا. «سأوصلك إلى هناك».

ترفق ميرل كأسه الفارغ من الفودكا.

يخبرها: «لم أشرب إلا هذا. سأكون في حال طيب يمكنني من القيادة».

تتبعهما ميرل إلى الباب، وتقول لفاي: «اتصلي بي إذا احتجتِ أي شيء». تحتضنها بقوة وبعد ذلك تقول مرة ثانية، بتأثر: «أي شيء».

يمضي مباشرة من المحطة في ليون إلى أول حانة يراها ويطلب بيرة. هو ليس المسافر الوحيد في المكان والجو العام غير حميمي، لكن لا بأس بهذا؛ فهو لا يتطلع إلى عقد صداقات. تأتي البيرة بسرعة، ومعها الفاتورة. حين يبحث عن أول ما في محفظته من يوروهات، يلاحظ الورقة المطوية التي أرسلها مايك حتى باب المنزل في جادة ترينيتي ويشعر براحة غريبة لكونها موجودة في حوزته.

يدرك أن شيئاً ما قد تغير خلال رحلة القطار، الانتقال من عالم إلى آخر. دفقة ما تسري بداخله، لكنها ليست بحثاً عن الضوء، بل بحثاً عن الجزء الأكثر ظلمة فيه. هذه الدفقة الشريرة تجعله يشعر بهدوء أكبر، وهي مفارقة في حد ذاتها.

يفكر أنه في حاجة إلى كلمة أخرى غير «المفارقة»، كلمة أعمق وأكثر تأكيداً. ماذا كانت فاي لتختار؟ «التواء»، ربما. لا، ليس «التواء». «مصرية». «منذرة».

يغلق المحفظة بحدة، ويتجرع البيرة، ويرحل.

«قصة فاي» < 02:53:34

لا حاجة للشفقة عليّ، بأمانة. لا أريد ذلك. لست من تلقى أسوأ عقاب بهذا - ولا الأشد حرماناً. نعم، فقدت بيتي وفقد أطفالي الاتصال بالدهم، نعم، نعاني، لكن الحاصل النهائي أن أسرة أخرى تقيم الحداد على طفلة. إيلي رودرفورد الصغيرة، التي ماتت في حادث السيارة ذاك في ثورنتون هيث، ذلك الحادث الذي ربما تورط فيه برام أو لا.

تعتقد الشرطة يقيناً أنه متورط. قبل أسبوع أو نحو ذلك من اختفائه، وجدوا سيارتنا في شارع خلفي بمنطقة ستريتنام. لم تكن هناك علامات سرقة أو استعمال خاطئ، ولم تتوافق تحرياتهم مع أي من مشتبهينهم من سارقي السيارات، وهكذا عاد اهتمامهم إلى مالكي السيارة، خاصةً ذلك الذي كان قرار منعه من القيادة يعني أن لديه سبباً جيداً كي يترك مسرح حادث ما، سواء تورط فيه بشكل مباشر أو لا. لقد استجوبوه من قبل - ولم يفكر في أن يخبرني بذلك - وانتابهم إحساس بأنه يجب شيئاً ما، ربما شيء له علاقة بالمفتاح المفقود، لكن لقطات الأمن في محطة أولدر رايز صباح يوم 16 سبتمبر بيّنته بوضوح وسط الركاب المنتظرين على الرصيف وبالتالي وضعوا اسمه جانباً. ثمة خيوط أخرى كانت أجدر بالتصديق. لكنهم الآن تحدثوا إلى قسم الموارد البشرية في جهة عمله عن حضوره مؤتمر المبيعات وقيل لهم إنه لم يكشف أمر عدم أهليته للقيادة إلا بعد ذلك التاريخ. في يوم العمل التالي ذاته، في الحقيقة: ويا لها من مصادفة فعلاً! قرروا أن يعيدوا استجوابه بمجرد

عودته من «الإجازة»، ومن الواضح أنه لن يفعل ذلك أبداً. ثم، بعد حوالي أسبوع من اختفائه، أرسلت إليهم معلومة سرية من مجهول؛ صورة لسيارتنا على طريق سيلفر رود، التُقطت في نفس يوم الحادث، وثمة رجل داكن الشعر يجلس أمام عجلة القيادة. وأكدت تكنولوجيا التعرف على الوجوه مطابقتها لبرام.

ما اشتبهوا في حدوثه هو أنه ألقى بسيارة الضحايا خارج الطريق في نوع ما من حوادث جنون السرعة، ثم عرض منزلنا سراً للبيع كي يمول هروبه. ولم تؤد حقيقة أنه كان يقود أثناء منعه إلا إلى تأكيد شخصيته الإجرامية.

يخزيني أنه في الوقت الذي كانت فيه أسرة أخرى تعاني من الشكل، كنت أكثر اهتماماً بموضوع رفض طلبنا الحصول على التأمين، وبأثر ذلك على أحوالنا المالية. سيذل والدنا تلك الفتاة الصغيرة ألف سيارة جديدة، وألف منزل يساوي الواحد منها ألف مليون جنيه، كي يستعيدها! كما كنت لأفعل لو كنت مكانها. في النهاية، توضيح الحقائق حول الطريقة التي ماتت بها إيلي هو الشيء الوحيد الذي يستحق المتابعة، الشيء الوحيد الذي يستحق البكاء عليه.

بالطبع القول أسهل من الفعل، عندما تكون حياتك في حالة يرثى لها.

ما هو مقدار ما يعرفه الولدان؟ في هذه اللحظة، القليل للغاية. أخبرتهما أن برام ذهب إلى العمل خارج البلاد وإذا قال أي شخص كلاماً مختلفاً ينبغي أن يتعدا عنه ويفكرا في شيء آخر. ما زالنا في مدرسة أولدر رايز الابتدائية، لكننا نعيش في بيت والديّ في كنجستون والرحلة اليومية الطويلة غير محتملة فعلاً. قبل أن يُبث هذا على الهواء، سيكونان قد انتقلا من المدرسة. سيتحدث كل من في أولدر رايز عن برام بعد ذلك - وربما الناس في الحي الجديد أيضاً.

بشكل أساسي خسارة الخصوصية هي الثمن الذي دفعته من نشر هذه القصة هناك، من مساعدة أصحاب البيوت الآخرين الأبرياء على تفادي السقوط ضحايا لاحتيال على هذا النطاق.

أنهيت عقد شقة البيبي ديكو بمجرد أن سمح العقد وكان المالك متفهما جدا للأمر. طلبت مني الشرطة ألا أعلق على ما حدث هناك في اليوم التالي على بيع المنزل. لن يقنعني أي شيء بقول المزيد - يعلم الله أنني ربما كشفت بالفعل تفاصيل كانت الشرطة تفضل لو ظلت سرًا في هذه المرحلة. لا أريد أن أتهم بتضليل مسار العدالة. لكنني أحس بقوة أيضاً أن علينا أن ننق في رجال الشرطة كي يقوموا بتحقيقاتهم.

علمي علمكم إن كان هذا الأمر سيتطور أصلاً إلى قضية أم لا، إن كانوا سيجدون أصلاً هذه الأخرى التي ادعت أنها أنا، فيونا لاوسون الثانية تلك. لم يكن لدى الوكيل العقاري أو المحامي رقم هاتف يخصها، كان لديهم رقم برام فقط، والعنوان وتاريخ الميلاد اللذين قدمتهما كانا لي. نعرف أنها استخدمت جواز سفري كإثبات هويتها وأنها وبرام حضرا اجتماعاً معاً، ومثلاً أنها نحن. من الواضح أن مظهرها وتوقيعها كانا معقولين بما فيه الكفاية. لا، من الصعب تخيل أنها ستظهر في أي وقت قريباً وتورط نفسها في الاتهام بالتواطؤ لارتكاب جريمة احتيال. أقصد، هل كنتم أنتم لتفعلوا ذاك؟

أما عن مكان النقود، فيظل ذلك لغزاً معقداً. ما زال جراهام جنسون وزملاؤه في ديكسون بويل ينكرون أي سوء في الإدارة ولديهم مراسلات إلكترونية وسجلات هاتفية تثبت أن تفاصيل حساب استلام المدفوعات قدمها برام نفسه. استقرت مدفوعات البيع كما ينبغي في حساب قانوني بمصرف بريطاني كبير وباسمينا معاً: هكذا بكل بساطة (إذا تجاهلتم حقيقة

أني لم أعرف شيئاً عن فتح الحساب المذكور). لكن، خلال ساعات، تم تحويل نفس المبلغ إلى خارج البلاد. ليس الأمر بهذه البساطة إذًا. هناك كلام عن حسابات مجهولة في الشرق الأوسط ويعلم الله في أي مكان آخر - أمم مصرفية لا تملك اتفاقيات تعامل بالمثل مع بريطانيا.

أتعرفون أكثر ما يزعجني في ذلك؟ لم يكن بحاجة إلى إخفاء المال خارج البلاد لأسباب تتعلق بالتهرب من الضرائب؛ فلا توجد ضرائب مستحقة للحكومة عن هذا البيع. كان هذا بوضوح ليخفيه عني.

على أية حال، تقول الشرطة إنها تأمل في استعادة شيء ما من أجلي، لكن محاميتي أكثر حذرًا. تقول إن مكتب جرائم الاحتيال الخطيرة لديه أسماك أكبر يطاردوها. أكبر بكثير.

ما زال ديفيد ولوسي ثون في المنزل. في النهاية هو ملكهما قانونًا. يستخدم الجميع هذا المصطلح، هما المالكان «الشرعيان»، كأننا اتفقنا جميعاً على أنني المالك المعنوي، المالك الروحي. لن يضيرهما أن أخبركم بأنهما قالوا إنه بمجرد أن أكون في وضع يسمح لي بذلك، يمكنني شراؤه من جديد بسعر السوق، حتى لو كنا نعرف جميعاً أنني لن أكون أبداً في وضع يسمح بذلك. مع وقوع كل هذا، كنت محظوظة لأنني احتفظت بوظيفتي.

توبي؟ لا، لم أعد أراه على الإطلاق، ناهيك عن التخطيط لتكوين بيت معاً. أنا سعيدة لأن مستمعيكم لا يستطيعون رؤيتي وأنا أحمّرُ خجلاً، لأنه لن يكون من قبيل المفاجأة سماعهم أن عيني لم تقعا عليه منذ يوم السرقة. أظن أنني صرت أقل جاذبية له بمجرد أن أصبح واضحاً أنني خسرت منزلي الكبير في جادة ترينيتي.

ماذا يمكنني أن أقول؟ يفضل السادة الرجال صاحبات البيوت!

بصراحة، أنا أتعامل مع هذا ببعض الخفة. لا شك أنها آلية تأقلم. لقد أخبرتكم بالفعل أنني بدأت أثق به، بدأت أؤمن أنني يمكن أن أحبه. كل ما أعرفه بشكل مؤكد أننا اختلفنا تلك الجمعة على وعد منه أن يهاتفني في عطلة نهاية الأسبوع، لكن لم تأت هذه المكالمات قط. أصبح هاتفه، مثل برام، خارج الخدمة من ساعتها. على الأقل اختفاؤه قابل للتفسير بطريقة لا يمكن أبدا أن تُستخدم بالنسبة لبرام - تخيلوا لو كان عليّ أن أقدم بلاغ اختفاء أشخاص من أجله أيضا! كانوا ليعتقدوا أنني نوع من إناث العنكبوت المسماة بالأرملة السوداء.

قالت بولي عندما أخبرتها: «لعله يقضي بعض الوقت الإلزامي مع زوجته. هل جربت أن تضعي صورته على جوجل لترى ما ستأتي به؟»
كان عليّ أن أعترف بأنه لم تكن لدي أي صورة كي أجرب.

- لم يدعك تلتقطي واحدة، أليس كذلك؟ أوه يا فاي! كيف أمكن أن تفوتك كل هذه العلامات الواضحة؟ أتعرفين ما أفكر فيه؟ أعتقد أن زوجته كانت حبلى وكنّت أنتِ صيده العابر في إجازة الأمومة. وأراهنك أنه لا يعمل في أي بيت خبرة تابع لوزارة النقل. أراهنك أنه مندوب مبيعات سيارات. لا، شرطي مرور.

عليّ الأقل لم تقل «قلت لك ذلك»، ليس بهذه الكلمات ذاتها، رغم أنها لو فعلت، كانت لتغدو جملة جيدة كما يجب أن يكون لإنهاء قصتي.

لأن هذه هي النهاية. لا مزيد.

@VictimFi

@deadheadmel مستحيل، أهذا كل شيء؟

@IngridF2015 @deadheadmel كما تقول، ما زال التحقيق

مستمراً.

@richieschambers @deadheadmel @IngridF2015 أعتقد

أننا نتوقع الجزء الثاني من هذا الفيلم يا شباب.

@deadheadmel @IngridF2015 أين هو إذا؟ هيا، انضم إلى

هذه المحادثة يا @برام_لاوسون!!

@pseudobram @deadheadmel @IngridF2015 أنا هنا

يا سيداتي! فتحت للتو زجاجتي الثالثة من النبيذ الأحمر.

@deadheadmel @pseudobram هاها، حساب مزيف

بالفعل. أحييت هذا!!

برام، ملف وورد

سوف أنهي علاقتي اليوم بالرقميات، وليس بالرسائل، مع تأكيد أنني أعدت المال. ستجدينه في نفس الحساب الذي دفع المحامون إليه في أول الأمر، مجرد حساب ادخاري عادي في مصرف بريطاني كبير، فُتح عبر الإنترنت باستمارات الهوية المطلوبة والتي «استعرتها» ببساطة من ملفات فاي في جادة ترينيتي. من السهل الدخول لأي مالك للحساب بشكل فردي، وهو ما آمل أن يفيد.

لست بحاجة لمعرفة أين كان في تلك الأسابيع الماضية، غير أنني حوّلتني إلى مكان لا يمكن له أن يتعقبه. هو وعلاقاته. لكن مع هذا الاعتراف، هذا التحذير، أثق فيك كي تحتفظي به في أمان الآن من أجل فاي والولدين.

لا بد أنك استتجت قبل الآن أنني احتلتُ على المحتالين. حدث فعل الانقلاب الخطير بينما كنت في الجو بين لندن وجنيف، لكنني لم أعرف بشكل مؤكد أنني نجحت إلا بعد عدة أيام، عندما وجدت مقهى إنترنت هنا في ليون وأقنعت نفسي أنه لا وجود لأي كاميرات أو طاقم عمل مريب بشكل غير معتاد وأنه ربما يمكنني المجازفة بخمس عشرة دقيقة على الإنترنت.

ربما كانت تلك لحظتي الأخيرة من الفرح الدينيوي، حين اتصلت بالإنترنت للمرة الأخيرة (آسف، قبل الأخيرة) ورأيت أن النقود موجودة، موجودة قطعاً، مستقرة في حساب مجهول خارج البلاد وبعيداً عن متناول وقدرات الحكومة البريطانية. «بعيدا عن مخالبيهم» كما كان مايك ليقولها. بعيداً عن مخالبه.

أقل قليلاً من 1,6 مليون جنيه إسترليني. لا يبدو مبلغاً كبيراً بعد كل هذا، أليس كذلك؟

في وقت قريب نسبياً قررت أن اثنين يمكن أن يلعبا في لعبة مايك. كان ذلك بعد الكريسماس مباشرة، عندما فهمت أن فاي لن تنقذني أبداً، لن تنقذنا، لن تُصلح أبداً تلك الفوضى الشنيعة التي خلقتها لأسرتنا، لن تُبعد العذاب عن يديّ، عن رأسي.

كان هذا حلماً كاذباً. لقد اكتفت مني.

باستخدام وكيل لن تجد تفاصيله على أي محرك بحث قانوني، اشتريتُ لنفسي جواز سفر مزوراً، وبعد ذلك زودتُ جراهام جنسون بتلك التفاصيل البريئة عن ذلك الحساب المصّر في الجديد. كما ترى، نقطة

القوة في خطة مايك -الشرعية التي منحها تورطي لها- كانت أيضا نقطة ضعفها: لم أكن بحاجة إلى المساعدة الشريرة من بريد إلكتروني زائف كي «أصحح» التفاصيل، كان بإمكانني أن أرسل لجنسون ببساطة أنا نفسي. من الواضح أنني لم أستطع استخدام البريد الإلكتروني الذي كان لمايك وويندي إمكانية الدخول عليه، لذا أرسلتُ التعليقات الجديدة من بريد عملي الإلكتروني.

ومع ذلك، لم يكن مكتب ديكسون بويل وشركاه تقريبا بالتسيّب الذي كنت آمله، وقامت راشيل، المتدربة لدى جنسون، بالاتصال للاستفهام عن ذلك التغيير في حساب المستلم الذي جرى في اللحظة الأخيرة. بطريقة طبيعية، طمأنتها أن التعليقات صحيحة وأن بريدي الإلكتروني لم يتعرض للاختراق من جانب أي محتالين.

قالت: «علينا أن نكون حريصين جدا. تلقينا للتو تحذيراً من الجمعية القانونية بشأن مجرمين يعترضون الرسائل الإلكترونية بين المحامين وعملاتهم. بل كانت هناك حالة مؤخرا حيث أسسوا فرعاً زائفاً لمؤسسة نقل الملكية».

قلت: «مستحيل! أشكركم لكونكم بكل هذا التمكن».

أجد متعة -بائسة، جوفاء، لكنها متعة مع ذلك- في هزيمة مايك. في فكرة إلغائه رحلته إلى دبي، إلغاء كل شيء، مراجعة حسابه يوماً بعد يوم، في انتظار 1,6 مليون جنيه استرليني لن تجيء أبداً. أتخيله وهو يصب اللعنات والتهديدات، ويتناقش مع صاحبه أي عذاب سيصبونه عليّ عندما يعثران عليّ في النهاية.

لكن هذا لن يحدث. لقد أفلت من الشبكة الآن. فلتكوم رسائله النصية فوق بعضها، ولن تصل أبداً، فلتتراكم رسائل بريده الإلكتروني، ولن تُقرأ أبداً.

فليبك الولدان لكن لوقت قصير فقط.

لأنني خلال بضع ساعات سأكون خارج الشبكة على الطريقة القديمة. إذا كنت تفهمين ما أقول.

تعرفين؟ ربما كنت مخطئاً عندما أسميته كشافاً إلهياً. لا يأتيك قرار القضاء على حياتك كتجلٍ للمسيح. أعرف القليل عن الانتحار، ومن ضمن ذلك حقيقة أنه القاتل الأكبر للشباب في بريطانيا. اكتتاب بلا تشخيص، عامل الكحول والمخدرات... لن ألقى عليك محاضرة. ليس الأمر كما أنفقت مائة صفحة أشرح لك فيها سياق قراري.

أعتقد فعلاً أنه كان هناك بداخلي، كامناً، طوال زواجي، طوال حياتي - أو على الأقل منذ مات أبي. لم يكن الشراب فقط هو ما موَّهه (أو عبَّر عنه)، بل الجنس أيضاً، والقيام بالمخاطرة، والشجارات، والاستهتار. ألم يكن ذلك كله مجرد تدمير للذات بألف طريق مختصرة؟

تقطيع بطيء.

تعرفين؟ في دورة الانتباه للسرعة التي أخذتها منذ بضع سنين، كان هناك تدريب يدور فيه المعلم حول الغرفة ويسألنا أن نقول في كلمة واحدة لماذا نقود بسرعة.

«الجهل».

«التأخر».

«نفاد الصبر».

«التجاوز».

«العادة».

ومضى الأمر هكذا، كل الجناة القابلين للتوقع، إلى أن قال أحدهم: «كنت أطارد أخي». وضحكنا كلنا بقوة.

ثم أتى دوري. كان يمكنني أن ألق شيئا ما (بدت «الأسباب النبيلة» مقبولة، حتى لو كانت مكونة من كلمتين أو أكثر: مثلا اصطحاب زوجة في آخر أيام حملها إلى المستشفى، أو طفل لديه شيء ما عالق في حلقه). أو كان يمكنني أن أقول الحقيقة.

قال المعلم: «برام؟» مجتهداً في القراءة من بطاقة اسمي، في لمسة تهذيب صغيرة. «لماذا تعتقد أنك كنت تسرع؟»

كان بمقدوري أن أقول الحقيقة في كلمة واحدة، وهي نفس الكلمة التي سأستخدمها الآن لأفسر هذا، نهايتي:

«الآلم».

فبراير 2017

لندن

كان يوماً طويلاً جداً، لكن كلاً من منتج ومحاور (الضحية) كانا مثاليين في احترافيتهما وها هي فاي تغادر استوديو فارينجدون شاعرةً بالإنجاز، بأن شيئاً جيداً قد تم. هناك إحساس بالانعتاق والتحرر أيضاً، رغم أنها من بين كل الناس تعلم أن الحرية وهم.

في مقهى بشارع جريفيل بالقرب من استوديو فارينجدون، تنتظر ميرل. إنه واحد من تلك الأماكن الطليعية الواعية بذاتها حيث تتدلى المصابيح عارية من الأسلاك وتتخلص المقاعد من مساندها. أكواب قهوتها مرسوم على رغوتها قلوب مُحبة وتأتي مع حبة صويا مغطاة بالشيكولاتة في جانب الطبق الصغير.

«أهذا عيد الحب أو شيء من هذا القبيل؟» تقولها فاي وهي تمحو القلب المحب المرسوم على قهوتها بظهر ملعقتها.

تقول ميرل: «لقد جاء وانقضى». ترتدي السواد، مثل فاي. دائماً ما تفعّلان هذا عندما تلتقيان، كأنهما تقيان حداداً ليس على شخص واحد وإنما على روح شعب أو حالة وجود. امتياز/ ريبا، أو تحكّم. «ماذا أهداني أدريان؟ أوه، نعم، نسيت». تطرق ناظرة إلى جسدها، إلى بطنها المتنامي بحملها، وتذكر فاي فجأة لوسي فون المسكينة والطريقة التي رمقت بها

ثوب ميرل الأحمر ذلك اليوم في المنزل، متسائلة إن كان ينبغي لها أن تقدم لها التهاني.

تطمئن ميرل ألا أحد هناك يسترق السمع. «إذا كيف سار الأمر؟»

تومى فاي: «بشكل جيد فعلا. لكنه مرهق. أشعر وكأنني يمكن أن أنام أسبوعاً».

تمد ميرل يدها لتناول كفها. لقد فعلتا ذلك كثيرا، مؤخرا، حيث تعانقت يدهما في دعم أخوي. «أحسنت يا حبيبتي. التركيز لهذا الوقت الطويل مرهق. هل لديك أي فكرة متى سيذيعونها؟»

- قال المنتج في الأسبوع الأول من مارس. لديهم دورة عمل سريعة فعلا.

- ألم يسألوا أي سؤال محرج أكثر مما يجب؟

- سألوا، لكنني التزمت بموضوع بيع البيت، بوضوح. قلت إن الشرطة نصحتني بعدم مناقشة أي شيء آخر.

«وهو صحيح تماما. ممتاز. انظري ماذا وجدت للتو». تفتح ميرل صفحة موقع خاص بالأشخاص المفقودين على هاتفها. تُكبّر بإبهامها وسبّابتها وجها مألوفاً لفاي كوجهها:

أبراهام لاوسون (المعروف باسم برام)

أبلغ عن فقدته بعد عطلة نهاية الأسبوع يومي 14-15 يناير 2017، عندما وقعت جريمة في مسكن السيد لاوسون في أولدر رايز، جنوب لندن. لم يُرَ منذ الخميس 12 يناير، عندما تكلم مع بعض الجيران وطاقم العمل في مرفق تخزين في بيكنهام.

إذا كنتم تعرفون مكان وجود هذا الرجل، اتصلوا من فضلكم
بشرطة العاصمة على الرقم الموضح أدناه.

تقول ميرل: من المثير للاهتمام أنهم لا يقولون ما هي الجريمة».

تتنهد فاي وتقول: «ربما هذه سياسة عامة، لكن بعد أن يذاع
هذا التسجيل، سيعرف الجميع ما فعله».

- هل تعرفين أنه من الممكن أن يسمعه؟ يمكنك تحميل
(الضحية) من أي مكان.
- هذا ما قاله المنتج. حدث بضع مرات أن ظهر المتهم لينكر
الادعاءات. ومن الواضح أن هذا مفيد جدا للشرطة.
- حسنا، لو حدث واتصل، ستكون المسألة فقط كلمتك ضد
كلمته.

تقول فاي: «لطالما كان الأمر هكذا، أليس كذلك؟ طوال هذه
السنين معًا، كلمته ضد كلمتي».

«هذا هو الزواج..» تقولها ميرل، وعلى وجهها أثر من ابتسامتها
القديمة، اللعوب، الشريرة.

تخبرها فاي: «في الحقيقة تحدثت مع الشرطة هذا الصباح. قبل أن
أقوم بالمقابلة. أخبروني بشيء مثير للاهتمام».

- فعلا؟
- لقد وجدوا هاتفًا يعتقدون أنه يخص برام. فيه أرقام الوكيل
العقاري لمكتب تشالونر والمحامي، بالإضافة إلى عمليات
بحث متصلة بطريق سيلفر رود. واضح أنهم سيراجعون

كل الأرقام الأخرى، لكن المهم أن هذا الهاتف يحمل الرمز
التبعية الفوسفوري لعنواننا. عليه علامة بقلمنا الأمني.

«الأقلام التي وزعناها في الاجتماع؟ ذات السائل الذي يظهر تحت
مصابيح الأشعة فوق البنفسجية؟» تحديق ميرل فيها، وابتسامة تزحف على
شفتيها. «هذا دليل مستحيل. من الواضح أنه كان هاتف برام إذاً».

- لا بد أنه كان كذلك. دار هاري في أرجاء المنزل يضع علامة على كل
شيء غير مثبت بمسامير. لا بد أن برام كان يضعه في جيبه أو تركه
جانبا أو ما شابه.

- أين وجدوه؟ في الشقة؟

- لا، وجدوه مع مجرم تافه. كانت معه غنيمة من الهواتف المسروقة،
ويزعم أنه وجد هاتف برام في صحيفة قمامة في فيكتوريا.

تشهق ميرل: «واو! هذا هو الأمر إذاً. سيقبض عليه ما إن يجده. أين هو
بحق الجحيم؟ أعتقدين أنه ما زال في لندن؟»

تقول فاي: «أشك في ذلك. هناك شيء واحد أكيد، هو لن يرجع أبداً إلى
أولدر رايز».

- لكنك سترجعين، أليس كذلك؟ بمجرد أن يجدوا المال.

- لو وجدوه. ومن الواضح أن كل الحسابات المتورطة ستجمّد أثناء
التحقيق، ربما لسنوات. وبعد ذلك هناك كل التكاليف.

- لكن بعد كل هذا، قد تتمكنين من العودة إلى جادة ترينيتي؟

مرة أخرى تتلامس يداهما. تقول فاي: «لا أرى سبيلاً لذلك.
ستكون أسعار العقارات قد ارتفعت أكثر وقتها». تمر لحظة حلوة ومرة

عندما تعود إلى الماضي، إلى الأوقات البسيطة، عندما كانت هي وميرل وأليسون ونساء أخريات في جادة ترينيتي يتحدثن عن أسعار المنازل، وكيف أنقذتهن عقاراتهن، وأوقعتهن في الشرك، وصارت هوساً لهن. «سيمر زمن طويل قبل أن أشتري مرة أخرى يا ميرل، لكن لا بأس. هذا ليس همي الأساسي، بل الولدان. هما همي الوحيد».

«بالطبع هما كذلك. فاي، هل قمت ب...؟» تلعثم ميرل. إنها لحظة نادرة من الشك الذاتي. «يجب أن أسأل: هل قلتِ أي شيء عني خلال المقابلة؟ هل أنا بحاجة لتجهيز نفسي لذلك عندما يذاع؟ كل النساء في العمل يستمعن إليه».

تقول فاي: «بالطبع لا، تلك المحادثة الصغيرة العادية في كنت، ذلك النوع من الأشياء، لكن لا شيء غير ذلك».

تدفعان ثمن القهوة وتسيران معاً إلى المحطة. عند حواجز القطار البري، الذي ستستقله ميرل إلى أولدر رايز، تتعانقان مودعتين. ما زال من الغريب معرفة أنها ستأخذ مساراً مختلفاً، المترو إلى واترلو وبعد ذلك القطار إلى كنجستون.

تعدّها: «سنأتي ونزورك قريباً. لقد أخبرت ليو وهاري بأمر الوليد المنتظر وهما متشوقان جداً».

تقول ميرل: «هذا جميل! قبّلاهما من أجلي. يبدو أنك أبلت بلاء رائعاً اليوم يا فاي. أنا فخورة بك حقاً».

تراقب فاي صديقتها وهي تشق طريقها نحو السلام المؤدية إلى الرصيف، حركاتها -مثل ذهنها- رشيقة وأنيقة. تشعر بالسرور لأن ميرل فخورة بها،

هي فخورة بنفسها، إن لم يكن في قول ذلك ابتعاد عن التواضع أكثر مما يجب. نعم، كان مؤلماً الاضطرار إلى معاودة عيش أحداث الشهور الستة الأخيرة، لكنها كانت أيضاً - كما حذرت ميرل - غارة استباقية ضرورية.

يقولون إن كل الاعترافات تساعد النفس، أليس كذلك؟ حسناً، لم تكن اعترافاتها استثناءً. ويدها على قلبها، يمكنها أن تذكر بضعة سطور فقط من المقابلة كلها كانت أكاذيب صريحة.

تساءل أحياناً لماذا اتصلت بميرل تلك الليلة وليس أليسون. لا يمكن أن يكون الأمر ببساطة لأنها رأتها خلال النهار، وقبلت مساعدتها في معركتها مع آل فون، وفي الاتصال بالمحامين والشرطة والمستشفيات. أو لأنها قالت، عندما غادرت فاي: «اتصلي بي إذا كان هناك أي شيء يمكنني أن أفعله. أي شيء».

أنا أدين لك.

هل قالت ذلك بالفعل همساً، أم أن أذني فاي استحضرتاها من النسيم؟ لأن ميرل تدين لها حقاً. والآن قد سددت دينها مع الفائدة. في أعقاب كل ذلك، عندما انسد ذهن فاي وصار عديم النفع، عمل ذهن ميرل بصفاء ونشاط.

كانت فكرة ميرل التي اقترحتها عليها أن تتصل بصانعي (الضحية). كانت الشرطة تتقدم ببطء معذب في محاولاتها لإثبات أن الاحتيال متصل بحادث التصادم والجرائم الأخرى، وأسئلتهم لفاي لا تفيد التحقيق كثيراً نظراً لاختلاط الأمور في ذهنها. كان هذا يجعلها تعتقد

أنهم يجربون عنها ما عرفوه، ويطمثونها حتى تشعر شعورا زائفا بالأمن قبل أن ينصبوا كمينهم.

قالت ميرل: «لا بد أن يكون هناك بيان حول المسألة. ما عرفته ومتى. نحتاج إلى تأكيد أنك الطرف المتضرر قبل أن يفكر أي شخص في اقتراح شيء آخر».

لقد وجدت فاي فكرة مريعة: «لماذا أجدب الانتباه إليّ على هذا النحو؟ هذه القصص الموجودة على مدونة (الضحية) تحظى بمتابعات في جريدة الديلي ميل، وفي كل وسائل الإنترنت».

- بالضبط. لماذا تجذبن الاهتمام إليك إن لم تكوني مخطئة على الإطلاق؟ هذه خدمة عامة، عمل خيري فعليا.

ميرل امرأة استراتيجية بالفطرة، حقًا.

ثمّة لعبة تلعبها فاي عندما لا تستطيع النوم: تحاول أن تتذكر آخر لحظات براءتها، جهلها - لأنها في النهاية نفس الشيء. ليس هناك شك في اليوم: 13 يناير، بالطبع، عندما اكتشفت وجود لوسي فون في منزلها، وأثاثها ومتعلقاتها وحقوقها حلت محلها أشياء امرأة غريبة. لكن في أي لحظة بالتحديد من ذلك اليوم؟ ليس عندما سمعت بيوم المعاينة المفتوح الذي أقامه مكتب تشالونر، ولا عندما تبين أن برام كانت معه شريكة، ولا حتى عندما أعلن ديفيد تحويل سندات الملكية من آل لاوسون إلى آل فون. لا، كانت في المساء، بعد أن ذهبت إلى منزل ميرل ووصل توبي، وكان يحتضنها، يواسيها، يستمع إلى قصتها، وثلاثتهم يلعنون برام ويناقشون أين قد يكون مختبئاً. طوال فترة ما بعد الظهر، كان إحساسها

الأخير بامتلاك برام قد ذوى، لكن توبي كان موجوداً، توبي كان صخرتها
وسندها.

لقد نسيت ذلك الشكل من السند طوال سنوات كثيرة، وليس في
غضون شهور.

ربما كانت لحظة مغادرتها منزل ميرل هي تلك اللحظة. حين سارت
في الممر، دون أن تسمح لنفسها بالالتفات نحو منزلها الحبيب، لترى
الأنوار تسطع عبر الزجاج القديم من أجل المالكين الجدد.

نعم، كانت ما زالت جاهلة، ما زالت بريئة، عندما تبعت توبي إلى
سيارته. كانت مثل بطة قصة ليو المفضلة البطة جيمينا بادلذك، عندما
تبعت الثعلب إلى مطبخه، وهي تحمل في غفلة الأعشاب التي ستُستخدم
لحشوها.

الجمعة 13 يناير 2017

لندن، 8.30 مساء

هي في سيارة توبي التويوتا في المقعد الأمامي وقد وصلا التقاطع مع شارع باريد، لكنه لسبب ما ينعطف يسارًا، وليس يمينًا، وهو ليس الطريق الذي يدور حول المنتزه نحو عمارة بيبي ديكو.

«إذا، أين هو في رأيك؟» يقولها توبي، ونبرته مشدودة لدرجة أنها ترفع عينها إليه مفزوعة. فكه مطبق بشدة، وكتفاه مشدودتان. مثل ميرل، هو يشعر بالغضب الذي لا يمكنها أن تشعر به حتى الآن. تريد أن تمسك يده اليسرى بيدها اليمنى، وتشبك أصابعها في أصابعه، لكن يديه كليهما مشغولتان بعجلة القيادة.

تقول: «يمكن أن يكون في أي مكان. سيعرف أن الشرطة سترغب في الحديث إليه. على الأقل سيفعلون ذلك بمجرد أن يمتلكوا الدليل على أنه قام بعمل إجرامي». تتذكر حذر الضابطين، كيف توقفا فجأة عن الموافقة على وجود أي خطأ. والمحامي، جراهام جنسون، كان مُصرًا على أنه اتبع تعليمات عملائه حرفيًا. لن يتم شيء بسرعة في هذه العملية، والعدل ليس مضمونًا.

«سيكون هناك دليل، لا بأس..» يقولها توبي باقتناع يقارب الشراسة. «لا تقلقي بشأن ذلك».

يتباطأ عقلها، وتتعطل قدراتها على التفكير، وهي ما زالت عالقة في «لماذا؟ لو كان برام محتاجاً للمال على وجه السرعة، لماذا لم يوضح لها موقفه؟ لماذا لم يعطها الفرصة لشراء نصيبه من المنزل بنفسها؟ وحتى إذا كان قد أفنec نفسه بالتصرف وحده، ألم تكن الخديعة الأسهل أن يقدم طلباً لإعادة فك الرهن العقاري والإفراج عن القيمة المالية وليس بيع البيت تماماً؟

أضواء السيارات القادمة في الاتجاه المعاكس نظيفة بطريقة غير طبيعية في الظلام، كأن الهواء أصفى من المعتاد، وهي تحدق في الضوء الساطع. لا توجد أي موسيقى أو مذياع مفتوح في السيارة ويمكنها أن تسمع صوت تنفس توبي إلى جوارها.

تتذكر مناسبة في العمل، مناقشة عن شخصيات مرموقة من خارج البلاد. «ألا ينبغي أن تكون في لقائك ذاك وحفل الشراب؟ مع الناس القادمين من سنغافورة؟»

لا يجيب، لكنه فقط يكرر سؤاله الأسبق: «وأين يمكن أن يكون غير ذلك؟»

- لقد أخبرتك، ليس لديّ فكرة. إلى أين تذهب؟ أأأ تأخذني إلى الشقة؟

- بعد قليل. فكري يا فاي.

عندئذ فقط تعي أنه يدور في طرقات أولدر رايز ومحيطها، يقوم بوردية بحث فعلية عن برام. «لن يكون في أي مكان قريب من هنا، هذا أكيد. توبي، أعرف أنك تحاول المساعدة وأنا ممتنة فعلا، لكنني أريد فقط الذهاب إلى الشقة والراحة بضع ساعات. رأسي يقتلني».

«رأسك أنت». يفقهه على نحو مزعج. «حسنا، في تلك الحالة...»

تُقطب. هناك شيء غير سليم. ولم يكن سليماً أيضاً في بيت ميرل، تدرك هذا الآن. كأنه غاضب لكن ليس من أجلها، بل لأجله.

تلثفت إليه قائلة: «كيف عرفت أن هناك مشكلة؟ حسنا، أنا لم أرسل إليك لأطمئنك أني عدت، لكن هذه ليست مسألة كبيرة. بالقطع ليست كافية كي تترك مناسبة في العمل وتأتي وتبحث عني». كي يذهب إلى المنزل ويبحث عن برام، وليس هي. أين برام بحق الجحيم؟ «ماذا يجري يا توبي؟»

يتنهد، نافذ الصبر إلى درجة لا تمكنه من الشرح، وعيناه تمسحان المارة العابرين بانتباه احترافي.

لا يستغرق الأمر طويلا، حتى لعقل منكوب، كي يحدد موقع الرابطة الوحيدة التي يمكن تخيلها: «لهذا علاقة بوظيفتك؟ أنت تعرف برام من موقف ما في العمل؟»

لا يقول شيئا، وشفاته مضمومتان مغلقتان. تستخرج من الذاكرة صورة للمناسبة الوحيدة التي التقى فيها الرجلان، عندما كان برام متوعدا بشدة، وبشكل لا يُغتفر بشدة، وتوبي متالك نفسه بشدة. هل كان متالكاً لنفسه أكثر مما يجب؟ كأنه شخص مدرّب على ذلك؟

«أنت لا تعمل في بيت الخبرة ذاك، أليس كذلك؟ أنت تعمل في الشرطة. كنت تتحرى حوله. طوال هذا الوقت، كنت تتحرى حوله. لهذا كنت تواعدني؟ كي تقترب منه». يتورد وجهها بالدماء، غير واثقة إن كانت هذه السخونة من الصدمة أم من الخزي. «لهذا علاقة بهذا الموقف الخاص بالمنزل؟ هل تعمل في مكتب مكافحة الاحتيال؟» مع

اختلال عقلها، يعلو صوتهما: «ألم يمكنك أن توقف هذا؟ قبل أن يجري تبادل العقود؟ لماذا لم توقف هذا؟»

يقاطعها توبي بحدة: «توقفي عن طرح الأسئلة، بحق الشيطان، اخربي نصف دقيقة، ألا يمكنك ذلك؟ أنت تشتتين أفكارني بنحيبك؟»

تشهق، وتنكمش في مقعدها كأن قوة ما دفعتها إلى الخلف، لكن استجابتها المذعورة لا تجدي شيئاً في تخفيف غضبه.

- بجد، أنت تقذفين بأسئلتك ولا تنتظرين الإجابات. اهدأي يا فاي. تقول متذمرة: «لا يمكنني أن أصدق أنك تكلمني بهذه الطريقة. أنت الذي...»

«اسمعي فقط. إذا كنت تريدين أن تعرفي، سأخبرك، لكن عليك أن تخربي وتدعيني أتكلم». يسكت قليلاً، وعيناه ثابتتان أمامه، رغم أنها متوقفتان الآن في طابور من السيارات عند إشارة مرور حمراء، لا يتحرك إلى أي مكان. «لستُ محققاً في جرائم الاحتيال، لست محققاً، لا أعمل في الحكومة أو أي منظمة أخرى. ليست هناك شخصيات مرموقة تنتظرن في المدينة بكأس من الشامبانيا اللعينة!»

- لكنك قلت إن عملك يتعلق بالازدحام المروري. قلت...

«يا يسوع المسيح! ليس لديّ وقت لهذا». يلتفت ناخراً لها: «اسمعي وعي ما أقول: لفقتُ كل هذا. كل كلمة قلتها أنت من مقال في جريدة ستاندارد. لم أستطع أن أصدق عندما صدقتني. أقصد، كم أنت ساذجة! لا عجب أنك خدعتِ بهذه الطريقة. وهذا الشيء كله المسمى بعش الطائر، ماذا سيفعل هذا النوع من الهراء الغبي مع شخص مثله؟ ولم تكن حتى فكرته، بل فكرتك!»

تحس برعشة تسري في ذراعيها، وتفور الدموع في عينيها. إنه رجل مختلف،
حاد ومهدد، مليء بالقرف.

إنه ليس في الجانب الذي ظنت أنه عليه.

والآن يخالف الإشارة وينعطف من الطريق الرئيسي إلى شارع جانبي،
ويتوقف إلى جانب الطريق بعيداً عن أي عمود إنارة. لا تعرف الطريق، وتاه
منها تتبع كم ابتعدا، ولا توجد أي حركة سيارات أخرى، ولا أحد يمر ماشياً
على قدميه. نوافذ البيوت المضاءة بعيدة عن الطريق. آه يا إلهي! تتفحص
المفاتيح أمامها بحثاً عن زر فتح قفل الباب.

«والآن..» يقولها توبي وهو يفك حزام مقعده ويقرب منها أكثر: «رغم
أن قلبي يدمي من أجلك، أحتاج أن أعرف أين يوجد زوجك. لست مهتماً
بأي شيء آخر، هل تفهمين؟»

هي واثقة أنها حددت موقع المفتاح، هناك بالقرب من عصا ناقل السرعة.
لو مدت يدها اليمنى قبل أن تفتح الباب بيدها اليسرى...

لكن عندئذ أتها الفكرة التي شلَّتها على الفور تماماً، أسوأ فكرة
يمكن أن تخطر على بالها: «هل كنت... هل كنت مشتركاً في هذه السرقة
للييت؟»

يشيح توبي بيده اليمنى، ويشتعل وجهه غضباً من جديد، وتراجع هي
منكمشة مرة أخرى: «أنا من خطط لها! أين المال؟» تهبط يده على كتفها
الأيسر، وتثبتها بطريقة مؤلمة في المقعد. «لقد أخبرك، أليس كذلك؟ لقد
حاول أن يخفي المال من أجلك ومن أجل عيالك. هل ستلحقون به في مكان
ما؟ أين؟ أين؟»

تحقق فيه مذعورة: «لا أعرف أي شيء أيا كان! قال المحامي إن البيع جرى تماما كما كان مفترضاً به أن يجري. قال...»

«هذا كلام فارغ!» ينفجر صوته في السيارة المغلقة: «تحدثنا إليهم وأخبرونا أنه أمرهم بتغيير الحساب في اللحظة الأخيرة. إذا أين هو بحق اللعنة؟ أي حسابات أخرى تملكناها أنتم الاثنان؟»

ظنت أنها استهلكت كل قطرة أخيرة لديها من الأدرينالين، لكن صمماً ما يفتح ويدفعها كي تواجهه بتحدٍ قائلة: «ليست هناك أي حسابات أخرى يا توبي. كيف يمكن بحق السماء أن أعرف بمكان وجود المال إذا كنت لا أعرف شيئاً واحداً آخر عن هذه اللخبطة؟ وإذا كنت متورطاً، لا يمكن أن تكون قد توقعتَ جدياً أن يهبط مبلغ كبير من المال مثل هذا في حسابك وتتمكن هكذا من البدء في إنفاقه؟ كانت هيئة الإيرادات الداخلية لترغب في معرفة من أين جاء، وربما الشرطة أيضاً. لم تكن المسألة لتفلح أبداً، كان المال ليُصادَر. وما زال هذا ما سيكون، نصفه ملكي، وليس ملكه!»

يتحكم توبي على كلامها: «لو استخدم الحساب الذي كان مفترضاً به أن يستخدمه، لم يكن أحد ليتبع المال أبداً. نحن سنجدّه، وسنأخذ المال.»

- نحن؟ هل تقصد...؟

يقاطعها: «ليس أنت..»

السيدة لاوسون المزيفة. المحتالة.

تسأله: «من تكون هذه المرأة؟»

- لست بحاجة لأن تعرفي.

- لست بحاجة لأن أعرف؟ إنه منزلي يا توبي!

- لم يعد كذلك يا حبي.

- من تكون؟ ما اسمها؟

يقول بابتسامة متكلفة: «فيونا لاوسون. الحق أنها نسخة أصغر سنّاً قليلاً وأكثر إثارة. لا تأخذي كلامي كأمر مسلّم به. اسألي برام، فهو من ضاجعها».

أخيراً يحرر كتفها من قبضته ويمكنها أن تتنفس بحرية. ضربات قلبها أعلى من صوتيهما.

«كيف بدأ هذا؟ كيف تعرف برام؟ قل لي يا توبي، أنت مدين لي بهذا!» تبدأ في البكاء ويرمقها هو باحتقار. يمكنها أن تقول إن استعراضها العاطفي يثير اشمئزازه. أنت مدين لي بهذا: جملة ضعيفة وحزينة وأنثوية للغاية.

- صدم سيارة أخرى وأخرجها عن الطريق وتحطمت. لم يكن مفترضا به أن يقود، كان ممنوعا من القيادة. وكانت هناك طفلة في السيارة ماتت.

«ماذا؟» ينشفط الهواء من صدرها. «هل تقصد تلك الحادثة في ثورنتون هيث؟» الحادثة التي قرأت عنها، الحادثة التي كان المحقق يتحرى عنها، ذلك الذي جاء إلى المنزل. لو فكرت أن تسأله بعض الأسئلة، هل يمكن أن تفعل هذا هنا الآن؟ «أتقصد أنك كنت هناك؟ كنت شاهدا على هذا؟ اكتشفت مسألة المنع وقيمت بابتزازه؟»

يهز توبي كتفيه: «صحيح. تبين أنني عثرت على كتر. فهو يكره فكرة السجن أكثر مما يجب زوجته وطفليه. ماذا يمكنني أن أقول؟ كلنا لدينا كعب أخيل».

تهز فاي رأسها: «هذا ليس صحيحاً. مستحيل. ربما بدأ الأمر بخوفه من السجن، لكن لم يكن ليتأذى إلى هذا الحد».

- كان لیتھادی لو فکر أنه سینال حُکماً بعشر سنوات، وربما خمس عشرة. لديه ملف سوابق سيء تماماً، كان مداناً من قبل بتهمة الاعتداء، أكنت تعرفين ذلك؟

تبکي: «هراء..»

- لقد ضرب شخصاً ما خارج حانة، وأودعه المستشفى. منذ بضعة سنين فقط.

- لا أصدقك.

- لا، لا أظن أنك تفعلين. المهم أن الشرطة لن تبالي قيد خردة خراء بما تصدقينه أنت. إنه سجل يحمل سابقة عنف، أليس كذلك؟ وما إن ماتت الطفلة، صارت في انتظاره المدة الأقصى.

تشعر فاي أن أنفاسها تشح: «حتى لو كان الأمر كذلك، لم يكن ليختار هذا. لم يكن ليهجر ولديه. لا بد أنك... لا بد أنك كسرتَه».

ينظر إليها بفضول حقيقي. «لقد كسر نفسه. إنه خاسر. هذا في دمه، وأنت تعرفين هذا».

تحقق فيه مذعورة. حتى هذه اللحظة، كانت تعرف أن شخصاً واحداً فقط في حياتها يعرف الحقيقة حول والد برام، ألا وهي أرملته: تينا. لم تحدث قط أي مناقشة للأمر بين المرأتين، وجرت مرة واحدة فقط، في البداية، بينها وبين برام. همس: «كيف يمكن أن تكون بلا قلب إلى هذا الحد؟ كان طفلاً عندما مات أبوه، لقد دمره هذا».

- واء واء! هناك بيننا من هو أسوأ حالاً من صاحبنا! كان ينبغي أن تري كيف كان أبي.

تأخذ فاي نفساً عميقاً. لا مخرج من هذه الحادثة، لا طريق يؤدي إلى المنطق أو الرحمة. «أيا كان ما جرى في هذه الحادثة، لم يكن ليؤدي أحداً متعمداً. وهو لا يستحق هذا».

- أوه يا فاي، هل أنت مؤهلة فعلاً لقول ما يستحقه ابن القحبة ذاك؟
تشهق: «لا تدعوه بهذا».

يضحك ضحكة مشوبة بالضغينة، بالسادية. «هل تعرفين كم كنت تتحدثين عنه؟ لم تكوني لتسمعي كلمة واحدة ضده. أنت فقط المسموح لك بأن تتقديه وتبتلك الطريقة التقية الورعة. كان من المثير للرهاء كيف لم تستطعي أن تتجاوزيه. دائماً تقارنين بيننا».

- لم أقارنك به قط!
- لا تقلقي يا حبي، أنت لم تجرحي مشاعري.

لقد توقفت عن الارتعاش، توقفت عن البكاء، وهي ساكنة تماماً الآن، تملكها طاقة لا تعرفها، استجابة لهذه الإهانة أعمق من الكر والفر، شيء من داخل الروح، وليس العقل. «في ونشستر، ظننت أننا...»

«ماذا؟ نقع في الحب؟» يقولها وينخر.

- ألم تهتم على الإطلاق؟ بشأني؟
- بأمانة؟
- نعم.

يتحرك فم توبي بقسوة قبل أن يجيب: «لم يخطر ببالي أصلاً. كنت فقط طريقة أخرى لإلزامه السير في المسار الذي حددته. لأريه أنني سددت كل منافذ هروبه. لعلمك، ظننت أنه سيفضح الأمر تلك الليلة عندما وجدني في المنزل».

لكنه لم يفصح شيئاً. تركها بين مخالب الوحش، في الوقت الذي ربما كانت فيه الشخص الوحيد الذي يمكنه أن ينقذه منهم.

- وماذا عن زوجتك السابقة؟ وتشارلي وجيس؟ هل ثمة وجود لهم حتى؟

يقول: «مَن تشارلي وجيس؟» يمد يده إلى مفتاح التشغيل، ويدير المحرك. «والآن، إذا لم يكن لديك أي إسهام مفيد تقدمينه، يحسن بك أن تنزلي هنا. أحتاج إلى إكمال طريقي».

- كان مفترضاً أن تأخذني إلى...
- لست سائقاً لعيناً في أوبر. اخرجي من السيارة. بصراحة لا جدوى منك لأي أحد.

تخرج متعثرة، وحقائبها معها، وتشعر بالبواب يُسحب من يديها عندما يشده ليغلقه. تتناهى إلى أذنيها التكة الخافتة لإغلاق الأبواب وبعد ذلك تنطلق التويوتا مبتعدة عن الرصيف، في تسارع يخطف الأنفاس. ثمة سيارات مصفوفة على جانبي الطريق، وبالكاد توجد مساحة لأن تمضي سيارة في المتصف: لو قابل شخصاً قادماً بسيارته من الاتجاه الآخر، سيقتله ويقتل نفسه.

ليون، 9.30 مساء

هو مستقر في غرفته في فندق آخر تابع لسلسلة فنادق رخيصة، فندقه الثاني خلال اثنتي عشرة ساعة. غداً سيجد شيئاً شبه دائم. على الطاولة، يوجد ذلك الدليل المحدث باستمرار لمناطق الجذب والخدمات المحلية، وكذلك خريطة للمدينة، وهو يدرسهما معاً. يقرر أن يجرب شقة فندقية في شارع (دودويني) الذي يزهر بأسعار أسبوعية مخفضة للوحدات المسموح فيها بالتدخين مع وجود مطبخ صغير وخدمة تنظيف وشبكة إنترنت مجانية.

لن يحتاج شبكة الإنترنت.

يقطع الصفحة من الدليل ويحتفظ بها في محفظته إلى الصباح. تحته المازوخية، أو ربما حتى العاطفية، على أن يستخرج ورقة مايك المطبوعة من نفس المكان: المحفظة. يتوقف قليلاً قبل أن يفضها، ويتوقف مرة ثانية قبل قراءة العنوان:

حالات وفاة في فترة الحجز والسجن لعام 1978، إنجلترا وويلز

يوجد حوالي ستين اسماً في القائمة. حصيلة كثيفة من النفوس. تعثر عينه على الاسم الذي يعرفه بعد حوالي عشرة سطور ويتمعن في الحقائق المقدمة:

اسم العائلة: لاوسون

الاسم: ر.ل

النوع: ذكر

السن: 34

تاريخ الوفاة: 1978 / 07 / 24

المؤسسة: بريكستون

التصنيف: الانتحار شقاً

كانت سلطات السجن قد أرسلت خطاباً إلى والدته لم تسمح له قط بقراءته، لكنها لخصته لأذنيه الصغيرتين: «حسب أنه بهذه الطريقة ستكون الحياة أفضل لنا. كان مقتنعاً أنه من الأسهل لك ألا يكون هنا كي لا يجلب لك مزيداً من الحزني».

في السر، ودون أن يشارك أي شيء من هذا مع أمه أو - لاحقاً - مع فاي، قام بما استطاع أن يقوم به من بحث. كان هناك ارتفاع في معدل الانتحار في السجون البريطانية في السبعينيات من القرن العشرين، زيادة بالغة في معدل ارتفاع أعداد المساجين أدى إلى تكديس ومشكلات في الصحة النفسية مثل الاكتئاب والقلق، وهي العوامل التي زادت سوءاً إلى حد بعيد من وقتها. لم يكن من السهل اكتشاف تفاصيل حالة أبيه، لكنه وجد شخصاً كان موجوداً في بريكستون في نفس الوقت وعرف زميل زنزانة أبيه. كان لاوسون مضطرباً منذ وصوله ولم يتمكن من التأقلم. وكان هناك سجين على علاقة جيرة بالسيدة العجوز التي تسبب لاوسون في إصابتها ونتج عن ذلك حالة من التنمر. («كان يتلقى الركل والضرب أغلب الأيام»). توسل كي ينقلوه، لكن هذا لم يتيسر قط. شق نفسه بملاءة سرير في الليل، ولم يجدوا فيه أي نبض عندما اكتشفوه وأنزلوه.

يشعر برام بصفعة ألم حادة في صدره، يتبعها ذلك الشعور الوحيد الذي كان يتوق إليه طوال اليوم - بل أطول من ذلك، لأسابيع، وشهور، وسنين: معرفة أن المصير الأخير الذي اختاره لنفسه صحيح تماماً.

ليس من أجله فقط، بل من أجلهم جميعاً.



telegram @
yasmeenbook

الجمعة، 13 يناير 2017

لندن 9.30 مساء

تراجعت درجة الحرارة والبرد قاتل الآن. لكن الغضب يعزلها حتى الآن عن الشعور بالجو وتدس يديها في جيبي معطفها بحشا عن القفاز والطاقيّة اللذين كانت تستخدمهما في ونشستر. وقبل أن ترتديهما، تكورهما وترفعهما إلى وجهها وتشمم روائح الأمس، روائح الكاندرائية والغابة والأزقة العتيقة المرصوفة بالحصى. رائحة أسلوب حياة - حياة - ولت وانقضت.

تستغرقها لحظة كي تميز أين هي. ثمة محطة حافلات في الطريق الرئيسي وترى أنها تبعد عدة محطات جنوباً من أولدر رايز، ولا توجد حافلات منتظر وصولها خلال الخمس عشرة دقيقة التالية. يتأرجح عقلها. هل المشي أسرع؟ أم تنتظر سيارة أجرة؟ هل يمكنها أن تتحمل تكلفة واحدة الآن بعد أن ضاع كل شيء؟ أين النقود؟ ماذا فعل برام؟ ماذا سيفعل توبي؟ هل سيعود ويأتي وراءها، ينفس عن بعض العنف الذي كان مكبوتاً أكثر مما يجب في السيارة؟

تسير. وعندما تصل بيبي ديكو، تجد المبنى مضاءً بإنسانية ليلة الجمعة، الناس الذين تتحسن حياتهم بقدوم عطلة نهاية الأسبوع، فكرة مضحكة لولا أنها جعلتها راغبة في البكاء. تصعد السلم إلى الطابق الثاني. تتحرك

بطريقة غريبة، ببطء، وينطفئ النور قبل أن تصل إلى الباب. في أي وقت آخر، كان الظلام ليثير أعصابها، وصمت السلم الأجوف، لكنها الليلة تتقبل الأمر على ما هو عليه، كأنها -الظلام والصمت- استراحة من التدقيق والانكشاف.

عندما تفتح باب الشقة، تتعثر بالفعل إلى الوراء مرة أخرى. الشقة بأكملها، ما عدا مساحة المطبخ التي تلي الباب مباشرة، مكدسة بصناديق نقل ثقيلة المحمولة، كتل صخرية بنية بارتفاع السقف، مختومة بشعار علامة تجارية زرقاء. لا يمكن رؤية أبواب الشرفة الزجاجية إلا عبر شق وحيد، رغم أن شقا أوسع صُنع ليُسمح بالوصول إلى الحَمَّام. لا بد أن الفراش مختفٍ أسفل الصناديق، بينما تغير موقع المقعدين الكبيرين الرماديين ليوضعاً بعناية في مساحة المطبخ.

تتحسس أصابعها الأشياء الموضوعة على نضد المطبخ وكأن عيونها لم تعد أهلاً للثقة: مفاتيح الشقة الخاصة ببرام، ورقة صفراء مقاس A4، يتبين أنها كشف الحساب المدفوع لشركة تخزين ذاتي في بيكنهام تحدد أنها تضم أثاثها، وأيضاً -دون تفسير- كتاب الهجاء الأزرق الصغير والخاص بهاري. تتساءل ماذا كان يدور في ذهن برام كي يخون أسرته على هذا النطاق ومع ذلك يتذكر أن يضع جانبا كتاب تدريبات مدرسي؟ متى تحدث إلى الولدين آخر مرة؟ هل أعدهما لتلك الصدمة؟ هل يمكن فعلاً أن يكون قد قال وداعاً لهما وفي نيته أن تكون تلك هي المرة الأخيرة؟

لا توجد أي رسالة، ولا أي تفاصيل عن حسابات مصرفية، لكنها لم تتوقع هذا. هذه ليست فزورة وضعها برام من أجل تنويرها، إنها التصرف الأخير لرجل يائس.

دون وازع حقيقي وراء ما يجب أن تفعله بعد ذلك، تزيج أقرب الصناديق وتُنظر داخله. حليات وصور وكتب: كلها من غرفة المعيشة في جادة ترينيتي. والصناديق الثلاثة التالية تحوي المزيد من الكتب من نفس الغرفة. يحوي الخامس أشياء من غرفة المكتب، تضم ملفات ووثائق من الخزانة، وهي لقبة الحظ السعيد جاءت في وقتها - إن كان يمكن وصف أي شيء بالحظ السعيد في تلك الأيام الأكثر نحسًا - لأنها ستحتاج واثق مالية من أجل لقائها بالمحامي يوم الإثنين. عندما تستجمع نفسها، بمساعدة والديها، ستحتاجهما لإثبات ملكيتها للمنزل. تبدأ في غريلة المحتويات، لتضع جانباً أي شيء مفيد، ومن ضمن ذلك الملف البلاستيكي الأزرق الذي يحوي جوازات سفر العائلة. تُذهل عندما تجد جواز سفر برام، سليماً لم يمسه أحد، ويبلغ ذهولها حد أن تجلس لحظة كي تفكر.

لا بد أنه ما زال في بريطانيا إذا. رغم أن الإعياء أضنى عقلها، إلا أنه يبدو على معرفة بأن جواز السفر ضروري لأي مواطن بريطاني حتى كي يذهب إلى فرنسا أو آيرلندا. بالطبع يمكن أن يكون قد حصل على واحد مزور. إذا كان بمقدوره أن يسرق منزلاً (نصف منزل تحديداً) فيمكنه أن يشتري بطاقة هوية مزورة. من الواضح أن العالم الإجرامي السفلي مجاله الأمن. وتوبي هو رفيق رحلته السابق.

تشعر بفورة غضب عندما تتذكر توبي، تمنحها على الأقل طاقة لتقوم بنوبتها التالية من التفرغ. أدوات المطبخ، الثياب، الأحذية، اللعب... وهكذا. بعد ساعة أو نحو ذلك، تتوقف لتجد شيئاً تأكله وتشربه. لا شيء في الثلاجة، لا لبن حتى ولا ماء، فقط زجاجة من النبيذ الأحمر في الرف على النضد، ولذلك تجرب الرف العلوي من خزانة المطبخ حيث يحتفظان بالمعجنات والبقالة الأخرى. ستكفيها شرائح المكرونة الفورية، أو الحساء.

على الفور، تجد أصابعها شيئاً مسطحاً وبلاستيكيّاً. خلف أكوام الطماطم المعلبة والمقرمشات وأكياس الشاي يوجد هاتف سوني مضغوط يخص برام، بما أنه بالقطع لا يخصها، ومتصل بسلك الشاحن. هاتف ميت، لذا توصله بأقرب مقبس كهرباء وتأكل المقرمشات وتشرب كوباً من الماء بينما تنتظر أن يُبعث إلى الحياة.

عندما يستجيب أخيراً، تجد نفسها في مواجهة شاشة رئيسية بلا رمز مرور يتطلب الحل أو محتويات تستدعي الحماية. لا صور، لا بريد إلكتروني، ولا تاريخ عمليات بحث على الإنترنت. هناك مع ذلك رسالتان نصيتان من رقم بلا اسم. الأولى مفتوحة ويرجع تاريخها إلى شهر أكتوبر وتقول: مرحى، مرحى، يبدو أن أحدهم يستعيد ذاكرته... وروابط لمقال عن حادثة ثورنتون هيث:

غضب الطريق هو السبب في حادث سيلفر رود، كما تقول الضحية

تعرف من الذي أرسلها بالتأكيد حتى قبل أن تتذكر تلك الكلمات البشعة في السيارة - «صدم سيارة أخرى وأخرجها عن الطريق وتحطمت... وكانت هناك طفلة في السيارة ماتت». - وحتى قبل أن تفتح الرسالة الثانية، التي أرسلت اليوم في وقت سابق ولم تُقرأ حتى الآن:

- ماذا يجري بحق اللعنة لهواتفك؟ لا يوجد رد من رقمك المعتاد. فاي في طريقها عائدة إلى لندن. اتصل في أسرع وقت ممكن.

يعود غضبها في سيل جارف.

بصراحة لا جدوى منك لأي أحد...

نسخة أصغر سنأ قليلاً وأكثر إثارة...

ماذا سيفعل هذا النوع من الهراء الغبي...؟

على الفور تقريباً يرن إشعار جديد وتفهم أنها بفتحها الرسالة الأخيرة قد أعلنت عن وجودها -أو وجود برام- له.

- أعرف أنك هنا. مشكلة كبيرة، دفع المحامي المال لحساب خطأ. هل تعرف أي شيء عن هذا؟

تنتظر، محبوسة الأنفاس، حتى تصل الرسالة التالية:

- لا مال، لا جواز سفر - أنت تعرف الاتفاق. لديك مهلة حتى صباح الإثنين لتحل هذا وإلا سيذهب الدليل إلى الشرطة.

لا مال، لا جواز سفر؟ ومع ذلك جواز سفر برام هنا، في الشقة. يمكنها أن ترى الملف من مكانها حيث تقف. إذا كانت على حق، لا بد أنه كان هناك بديل، جلبه توبي واستبقاه إلى أن يستلم ماله. كم هو ماهر - أو ظن أنه كذلك. ومع ذلك ها هو يجد نفسه بلا شيء، لأن برام بطريقة ما انتصر، انتصر عليهم جميعاً. وإما أنه نسي وجود هذا الهاتف أو تركه هناك عن عمد. أينبغي أن تتخلص منه؟ ماذا يتوقع منها أن تفعل؟

ثم خطرت لها فكرة لم تخطر لها من قبل: لا يمكن أن يكون هذا... لا يمكن أن يكون هذا انتقام برام لأنها اختارت توبي بدلاً منه؟

لكن لا: لا بد أن برام فهم أن اهتمام توبي بها كان مجرد ادعاء. يتأبها الخزي إذ تتذكر غرورها تلك الليلة عندما أتى برام ووجد توبي في جادة ترينيتي: كل إيمانها النسوي، كل فخرها باستقلاليتها، وينحدر بها الأمر إلى استثارة امرأة كهف لصيادين وجامعي ثمار يتقاتلان حولها.

وهو ما تبين أنه لم يكن كذلك.
كم هي مثيرة للرثاء. مشردة ومهزومة وذليلة.
وعندما تستقر عينها على زجاجة النبيذ، يبدأ الهاتف في الرنين.

ليون، 10.30 مساء

ظن أنه لن ينام مرة أخرى أبدًا، لكنه في الحقيقة يغيب عن
الوجود وينام بعمق تلك الليلة الأولى في ليون، ولا يجتذبه شيء إلى
سطح الوعي إلا مرتين. الأولى كانت الحصة التي أفلقت منامه هي
الهاتف. الهاتف الثالث، على وجه الدقة، السوني الذي أعطاه له
مايك في المكتب ليحل محل السامسونج الذي هشمه. يعرف أنه لم
يستخدمه قط، لكن أين تركه؟ في المكتب؟ في الشقة؟

هل يوجد أي سبيل لأن يقود مايك إليه هنا؟ لا. لقد قام
بعمليات بحثه في جنيف وليون في مقهى الإنترنت بكرويدون
ومكالماته إلى مايك كانت من الهاتف غير المسجل، الذي يستقر الآن
في قاع صفيحة قمامة عند محطة فيكتوريا.

تنغلق عيناه.

تنفتح عيناه مرة أخرى. كانت به تلك الرسالة النصية الوحيدة،
أليس كذلك؟ رابط لخبر عن التحقيق في حادثة سيلفر رود. هل
هناك أي طريقة تقود الشرطة إلى مايك؟

ربما. لكن لعل هذا ليس شيئًا سيئًا.

لندن، 10.30 مساء

ترفض استقبال خمس مكالمات منه قبل أن ترسل رسالة نصية من هاتفها:

- اهدأ. أنا في الشقة.
- أيها العاهر اللعين. أين المال؟
- معي، لا تقلق. خلط في أرقام الحساب. تعال إلى الشقة وسأقوم بالتحويل بينما أنت هنا.
- لست واثقا إن كانت الشقة مكانا آمنا. لقد كانت فاي في المنزل، وأبلغت الشرطة.
- واضح. لن تأتي الشرطة في هذا الوقت المتأخر.
- أعتقد هذا؟
- تعال إن كنت تريد المال. الخيار لك.

لا بد أنه قاد سيارته كخفاش هارب من الجحيم لأنه وصل في غضون دقائق. عندما تضغط زر جهاز الاتصال الداخلي، يعوي فيه دون انتظار كلمة تحية: «مايك. أدخلني».

مايك؟ إذا كان توبي زائفا حتى في اسمه الذي عرّفها به.

أقصد، كم أنت ساذجة!

اسمعي وعي ما أقول: لفقتُ كل هذا.

تضغط على الزر لتُدخله.

من المدهش -نظراً لكل ما مرت به اليوم- أن يتأبها شعور قريب من المتعة عندما ترى الدهول على وجهه وهو يقترب من الباب المفتوح ويلمحها تنتظر بالداخل.

- ماذا تفعلين هنا بحق الجحيم؟

«قلت لك إنني قادمة إلى هنا. هذا هو البيت الوحيد لدي، أتذكر؟» نبرتها وقحة قدر ما يمكنها أن تتدبر، لكن لا شيء لديها تقوله يمكن أن يجرحه. لم يكن يراها إلا عقبة يجب ركلها جانبا. تضيف: «أنا أبحث عن برام، مثلك كما أظن، بما أنك كما هو واضح لم تعد لتعرض عليّ الزواج».

أليس كذلك يا مايك؟

يلوي شفثيه باحتقار: «أين هو؟»

- لقد أرسل لي رسالة للتو، قال إنه سيكون هنا خلال عشر دقائق.

يخطر لها أنها لم تضع هاتف برام على الوضع الصامت، وأخفته تحت حقيبتها على نضد المطبخ، تماماً إلى جانب السكين الذي أخذته من درج المطبخ تحسباً لأي شيء. تحسباً لأن يحاول هذا الوغد إيذاءها.

لكنها لا تستطيع أن تصل إلى الهاتف وهو واقف هنا.

يقول توبي، يقول مايك: «أخبرني أنه هنا بالفعل..»

- لا بد أنه أرسل لنا وهو في الطريق. سيستخدم المواصلات العامة، تذكر.

«لخاطر الجحيم!» يشتعل فتيله بالفعل، ينظر حوله بحثاً عن شيء يكسره. «حسناً، سيكون عليك الانتظار حتى أنتهي منه. ألحق بك في طريقك إلى شبكة إيه أند إي⁽³⁶⁾، هه؟»

36 شبكة إيه أند إي هي شبكة تلفزيونية أمريكية مدفوعة تركز بشكل أساسي على البرمجة غير الخيالية، بما في ذلك الواقعية والجريمة الحقيقية والمسلسلات الوثائقية. (المترجم)

كيف أمكنها أصلاً أن تجد هذا الرجل جذاباً؟ إنه وحش فظ، خسيس، قبيح. «لديّ كل وقت الدنيا. تفضل بالجلوس». تشير إلى المقعدين الكبيرين، المتجاورين في صالتهما الحزينة المؤقتة. «تشرب؟» تعرض عليه ذلك ممسكة بزجاجة النبيذ الأحمر التي بدأتها بالفعل.

- هل لديك أي فودكا؟

- ليس عندي إلا هذه.

- لا بأس.

كأسها مصبوب بالفعل وتملأ كأساً جديداً، تناوله له. لا يمكنها أن تربط هذا التجلي لكرم الضيافة بعشرات المرات الشبيهة عندما كان يزورها هنا خلال علاقتهما. الحديث والغزل والجنس: كان هذا مع رجل مختلف. رجل قدّم نفسه كمنافس ملتزم وغير معقد لرجل سابق اشتهر بانفلاته. أكانت العدوانية المكبوحه هي ما أحست بها واستجابت لها؟ كيف يتصرف مع النساء عندما لا يكون لديه أي دافع خفي، أي أجندة تعتمد على اكتسابه الثقة؟ بطريقة لا تسر، كما تظن. بطريقة قهرية.

يبتلع النبيذ في جرعات نافذة الصبر، ويشكو من أن مذاقه كالخراء، لكنه يستمر في الشرب. تصب له كأساً ثانياً وثالثاً، بينما تستمر في رشف كأسها.

يزجر قائلاً: «لقد مر أكثر من عشر دقائق بكثير..» ثم يتذكر شيئاً: «ماذا قصدتِ بقولك (في الطريق)؟ من أين كان آتياً؟»

تهز فأي كتفيها. ليست خائفة منه الآن: «لا أعرف، لم يقل هذا في رسالته، لكن من الواضح أنه تعطل».

«أرني الرسالة التي أرسلها لك». ينهض، ويترنح قليلا، وتقفز هي واقفة، وتسد طريق مروره بجوارها إلى حقيبتها.

- لا تقترب مني.

ينظر إليها بازدراء، قبل أن يمد يده نحو معطفه ويتحسس جيوبه بحثًا عن هاتفه. وبينما يضغط بقوة على لوحة المفاتيح، تتمكن بالكاد من العثور على هاتف برام وإغلاقه قبل أن ينظر إليها مرة أخرى. لو كانت أبطأ بمقدار جزء من الثانية لفضحها.

يتمتم: «لقد أغلقه. لا أعرف أي لعبة يظن أنه يلعبها بحق الجحيم».

- سيأتي إلى هنا.

يقول ساخرًا: «صرت فجأة واثقة جدا. أنسيبت أنه احتال عليك للتو في كل قرش تملكه؟»

تنظر في عينيه بثبات، وعلى وجهها تعبير شديد العدائية، شديد المرارة، كأن وجهها ليس لها. «اسمع، إذا لم تمنع، أفضل ألا نتكلم بعد ذلك إلى أن يأتي».

يكشر وجهه، ويستعيد كأسه، ويصب لنفسه آخر ما في زجاجة النبيذ. «ستفعلين بي معروفًا بذلك. أنت تصيبنني بالسأم لدرجة الانتفاخ، إذا كان لا بد لك أن تعلمي. سيدة التقوى العفيفة العجوز السمينة، لا أعرف كيف تحمل برام هذا طوال تلك السنين. لا عجب أنه لعب بذيله. كنت لأفعل الشيء نفسه. بجارتك تلك الثعلبية، بدايةً، ماذا كان اسمها؟» يمسك أحد المقعدين، ويضعه بزاوية أمام توأمه كأنه يدعوها إلى الجلوس وإخضاع نفسها لمزيد من الإساءة.

تقول في عقلها: أكرهك. لا يمكنني أن أكون بجوارك لحظة أخرى.

تقول: «سأذهب إلى الحمام. سأنتظر هناك».

توصد باب الحمام خلفها وتنزل نحو البلاط، وتجلس واضعة ذقنها على ركبتها. ترتعد بشكل سيء للغاية وتصطك أسنانها وتطبق فكها كي توقف صوتها.

تمنعها غريزتها من العثور على هاتفها ومراجعة رسائلها. وبدلاً من ذلك، تمد يدها لتسحب سلك المصباح، وتضع أصابعها في أذنيها وتغلق عينيها.

ليون، بعد منتصف الليل

المرة الثانية التي يستيقظ فيها، يرى مايك، تماماً كما لو أن مايك هو من سيوقظه أغلب المرات خلال الأسابيع القليلة القادمة. إذا كان قد تعلم شيئاً من رحلة زواله وضياح ممتلكاته تلك فهو أنه لا يجب أن يبخص هذا الرجل قدره. لقد رآه، في النهاية، في ذروته، متحكماً، طائراً. كيف سيتصرف عندما يعلم أنه خُدع؟ هل سيحاول أن يؤذي فاي؟ ستتعذب. هل سيخطف ليو أو هاري ويطلق رسالة على اليوتيوب مثله مثل أي متطرف يخفي وجهه وراء لثام؟ ادفع لي مالي وسأتركه يرحل. وهو يضع سكيناً على رقبة الولد الغالية.

لا، عليه أن يكون لديه إيمان بالشرطة. في اللحظة التي تنكشف فيها عملية الاحتيال ستتصل فاي بهم، وستنال الآن حمايتهم. لن يقوم مايك بالمجازفة.

على أي حال، هو انتهازي، وقح. سيضرب رأسه في حائط أو اثنين وبعد ذلك سيتنقل إلى فرصته التالية، وهو لا يكاد يعرج.

السبت، 14 يناير 2017

لندن، الثالثة صباحاً

رغم أن أذنيها تؤلمانها، إلا أن إصبعيها لم يعودا يسدانها ويمكنها أن تسمع أصواتا طاحنة فظيعة على الجانب الآخر من الجدار. إنه وحش يجلو حلقه ويستعد لالتها مها! لا، تلك مجرد قصة من قصص الأولاد، القصة التي يجبها هاري ذات الخروف الشره الذي يبتلع العالم.

«ما زلت جائعاً!»

تجاهد في البداية كي تفهم التصلب الذي تحس به في جسدها، وتمدده على سطح بارد صلب. هل كانت غافية؟ تتحرك يدها عبر البلاط، متحسنة، وتصل إلى جدار من بلاستيك أملس: مقصورة الدُش. إنها على بلاط الحمام، في الشقة.

لا، لستُ في قصة.

ترفع نفسها كي تتخذ وضع الجلوس، مستندة على المقصورة. تشعر بدوار خفيف، تعد إلى عشرة، عشرين، خمسين، قبل أن تحاول الوقوف. ساقاها ميتتان، تراخيان تحت ثقلها، وتقبض على مقبض الباب لتستند عليه. أخيراً، تجدد سلك الضوء وتشده - تجعلها بهرة الضوء تجفل - قبل أن ترفع مزلاج الباب وتفتحه بلا صوت قدر ما تستطيع.

الصمت يسود في الغرفة الرئيسية. وبينما تزحف بين كتل الصناديق، تلحق بها جزيئات الضوء، المتدفق من الحَمَام نحو مساحة المطبخ. على النضد، يمكنها أن تميز حقيبتها، زجاجة بها بقايا النيذ الأحمر، ورقة صفراء، كتاب تدريبات أزرق صغيراً.

في نهاية الممر، تراه. ما زال جالساً، ساقاه مفرودتان، لكن رأسه مائل إلى الوراء، ووجهه مرفوع نحو السماء. تخطو نحوه خطوة واحدة. عيناه مغلقتان. عظام جمجمته حادة تحت البشرة وثمة شعيرات نامية على وجهه وحلقه. هناك قشرة قيء على ذقنه وجزء من عنقه، وقطرات وردية قذرة منه متخثرة على المقعد. الأصوات التي سمعتها كانت له مختنقا، ربما في نومه، غير قادر على استعادة الوعي، لأنه ما من دليل على أنه استيقظ وفعل أي شيء ليحاول إنقاذ نفسه.

ولا فعلت هي شيئاً.

هو ميت، بالتأكيد، لكنها لا تستطيع أن تدفع نفسها للمس.

يبدأ قلبها في الارتطام داخل صدرها، ويدها تشنجان وتلويان. لديها صورة لنفسها من ليلة أمس لا يمكن أن تكون هلوسة. صورة وهي تُخرج حبوب ميرل المنومة من حقيبتها وتفتتها في زجاجة النيذ. تبدو في الصورة شاردة الذهن تقريباً، مثلما تكون عندما تعني بروكي وتعطيه الحبوب المضادة لالتهاب مفاصله. نصف قرص فقط، مكسور اثنين.

لكنها لم تكن شاردة الذهن، أليس كذلك؟ كانت متبهة إلى درجة الاحتياج. كانت هناك ست حبات منومة في العلبة وهي لم تستخدمها كلها فقط، بل قررت أيضاً أنها قد لا تكون كافية. عادت إلى حقيبتها

وأخرجت علبة مضاد الاكتئاب التي أخذتها من كيس برام صباح الأربعاء. لم تكن في نيتها الاحتفاظ بها، لكنها بعد أن بحثت عنها في جوجل وقرأت وقلقت من تأخرها، كان ما زال عليها أن تأخذ دُشًا وترتدي ملابسها وتذهب إلى المحطة في موعد القطار المتجه إلى واترلو كي تقابل توبي، وقد ألقت الحبوب في حقيبتها دون تفكير.

وهكذا أضافت العديد منها إلى النيذ أيضا.

قتلته وكان ذلك مع سبق الإصرار والترصد. أعددتُ الاسم.

لكن لا، لا يمكن أن يكون هذا صحيحا! كيف كان لها أن تعرف أنه سيشرب أغلب الزجاجة؟ كيف كان لها أن تعرف أنه سيشرب أيًا منها؟ كانت تهذي من الصدمة، وأفعالها أفعال شرطية، لا إرادية، لا تزيد كثيراً عن لعب طفل يمثل.

إلا أنها صبت لنفسها كأسًا من النيذ قبل أن تضيف الحبوب، أليس كذلك؟ لأنها احتاجت شراباً أم كخداع خبيث؟ إذا كانت تشرب بالفعل، فلاحتمال الأكبر أن يقبل كأساً، والاحتمال الأقل أن يرتاب في كونها لعبة قذرة.

إلا أنها ارتدت قفازا مطاطيا للتعامل مع الحبوب، أليس كذلك؟

أنا قاتلة. تصفق بيدها على فمها كي تمنع التقيؤ. وتبتلعه.

هاتفها في حقيبتها. تذهب إلى لوحة مفاتيح الأرقام وتحوم إصبعها فوق رقم 9 قبل أن تشهق وتتوقف. يمكن أن تطلب الشرطة سجلات الهاتف، وترى أين تمت المكالمات. كانت هناك تلك الحلقة في برنامج (الضحية) حيث تعلق الأمر كله بأعمدة إشارات الهاتف المحمول. قرأت عنها في الجرائد

كذلك، كيف يمكن للشرطة تتبع مكالمات الطوارئ في حيز ثلاثين متراً، حيث يستخدمون رسم الخرائط الحاسوبية، وشبكة الإحداثيات الوطنية.

ترفُّ عيناها. عقلها يعمل على نحو أفضل إذًا، إذا كان بمقدورها أن تتذكر ذلك. والآن يريد لها عقلها أن تلتفت، وتلقي نظرة أقرب إلى الشيء الشنيع الذي ما زال جانسا هناك.

لا.

تفكري.

تحركي.

ارحلي.

تناول حقيبة يدها وتترك الشقة، وتقطع الممر بسرعة وتهبط السلم، وتشق الرواق، وتخرج إلى ضباب يجمد الأطراف. عندما تسرع عبر الشوارع المختنقة بسحب الضباب، تهدأ. العالم هادئ، الضباب حنون، وليس مخيفاً، كأن الشوارع تحترم رغبتها في الاختفاء. تتجنب الطريق الرئيسي الدائر شمال المتنزه وبدلاً من ذلك تدور جنوباً حول طريق أولدر رايز وتنعطف نحو حدائق ويندهام، إلى جادة ترينيتي من ذلك الطريق.

عند رقم 87، ترن الجرس، وتكوّر يديها لتمنعها من تكرار الضغط مرة بعد مرة.

أخيراً يأتي الصوت - «من هذا؟» - وتجلس القرفصاء كي تنادي عبر صندوق الخطابات: «ميرل، إنها أنا. أما زلت وحدك؟ هل يمكن أن أدخل؟»

«فاي!» يفتح الباب وتندفع الحرارة نحوها. ها هي ميرل، ناعسة ترتدي منامة زرقاء سماوية مجمدة، وقدمها حافيتان. «ظننتكِ في الشقة. هل أنت بخير؟»

قولها الآن أو لن تقولها أبدًا.

تقول: «أعتقد أُنِي قتلته».

تسع عينا ميرل خوفًا. وتمسك يدها ببطنها. «ماذا؟ برام؟»

- توبي. لكن اسمه الحقيقي مايك.

تأتي لحظة سقيمة تعتقد فيها أن الأمر سيسير في الاتجاه المعاكس، عندما تحس يقيين أن قرار ميرل سيكون ضدها. وستقبله، لن تهرب.

«بسرعة، ادخلي». تجذبها ميرل من فوق العتبة، وتغلق الباب. تواجه إحداهما الأخرى في الرواق. البراءة المكروبة على وجه صديقتها شيء لن تتمكن فاي نفسها من نقله مرة أخرى، إلا بالتمثيل. «أتقصدين ذلك الشخص الذي ظهر ليلة أمس؟ قلت إنه صديقك... لا أفهم».

- هو الذي سرق المنزل يا ميرل. جعل برام يفعل ذلك.

- عم تحدثين؟

«أخبرني في السيارة. ابتزه». الآن وهي تقول هذا، تفهم بشاعة الأمر مرة أخرى، وتشعر بالإساءة تتعاظم بداخلها، مستعدة لشقها نصفين. «رمانى من السيارة. قال إني غبية ولا جدوى مني. أخذني إلى ونشستر فقط لأن... آه يا إلهي! تركت حقيتي في الشقة!»

تلمس ميرل حزام حقيبة يد فاي في ثنية كوعها: «لا، هي معك، انظري».

- أقصد حقبة السفر الخفيفة. عليّ أن أعود، عليّ أن آتي بها!

تقول ميرل برقة: «تنفسي. تعالي واجلسي».

تجلسان على السلم جنباً إلى جنب. ميرل تشع بالحرارة، وجهها متورد، أنفاسها ساخنة. «ارجعي إلى الوراء قليلاً. ماذا حدث بعد أن خرجت من السيارة؟»

- ذهبت إلى الشقة وأرسلت إليه رسالة.

- من هاتفك؟

- لا من هاتف برام. كان هناك هاتف ما في الشقة، هاتف قديم، لا بد أنه نساء. وهذا كل ما كان مهتماً به، الوصول إلى برام. لا بد أن برام لديه النقود.

- أين هو الآن؟ توبي؟ مايك؟

- ما زال هناك. في الشقة.

- ماذا فعلت يا فاي؟

تأخذ نفساً عميقاً من الهواء الدافئ: «أعطيته الحبوب المنومة».

- الحبوب التي أعطيتها لك ليلة أمس؟ كلها؟

- نعم. وحبوب أخرى كذلك. دواء برام. لا بد أنه مات من الجرعة المفرطة. لم يستيقظ عندما أصابه الغثيان واختنق بقيته.

يتقلص حلق ميرل: «أرأيت هذا؟»

- لا، كنت في الحمام. كنت مرعوبة، أوصدت على نفسي في الداخل. جلست في الظلام أرتعد فقط وبعد ذلك هدأت الأمور ولا بد أنني غبت عن الوعي. مرت ساعات قبل أن أخرج وأجده.

- وهو لا يتنفس الآن بشكل مؤكد؟
- لا أعتقد هذا.

تظل ميرل ساكنة جدا. «هل قصدت أن تقتليه يا فاي؟»

- لا. لا أعرف. أعتقد أني كنت كذلك لكن بعد ذلك هذا الصباح لا أرى في ذلك الشخص نفسي.
- لا بد. أنك فقدت السيطرة على تفكيرك. كنت في صدمة بالأمس، يمكنني أن أجزم بهذا. تصرفت وأنت في حالة اضطراب، هكذا يسمونها، أليس كذلك؟ إنها مسؤولية جزئية يا فاي.

تبدأ فاي في البكاء. «ميرل، لا أستطيع. لا أستطيع الذهاب إلى الشرطة».

تصمت ميرل عندئذ، وكأنها تتخير عن وعي طريقها عند تقاطع الطرق قبل أن تنهض من فوق السلم. تسرع صاعدة، وتظهر من جديد مرتدية جينزاً وكتزة صوفية وبعد ذلك تلبس حذاءها الطويل ومعطفاً أسود طويلاً، وطاقية رمادية محبوكة إلى الحاجبين. تُنزل طاقية فاي أيضاً، حتى تلامس عينيها تقريباً، وتستخدم أصابعها كي تمسح دموعها.

تقول: «علينا أن نذهب إلى هناك يا فاي. أحتاج أن أراه بنفسي».

السبت، 14 يناير 2017

لندن، الرابعة صباحاً

في الخارج، في جادة ترينيتي، ما زال الظلام والضباب سائدين، لا بد أن نفس الغشاوة التي تخفي النوافذ التي يمران بها تخفيهما أيضاً. قالت ميرل إنه لا داعي للكلام، وأن فاي لا ينبغي أن تفكر في أي شيء الآن، فقط تفرغ عقلها وتركز على التحرك والتنفس.

لا تتحدث ميرل إلا عندما يقتربان من بيبي ديكو: «هل توجد هنا كاميرات مراقبة؟»

- لا أظن ذلك.
- جيد. كنت أتأكد طوال الطريق ولا أعتقد أنه كان هناك أي شيء، المنطقة سكنية كلها. زائد الضباب. لكن لا تستخدمني الأضواء، تحسباً لأي شيء.

تصعدان السلام، وفاي لا تستطيع أن تحس بساقيها، كأنها تنزلق على الهواء. لا يوجد صوت بينما تتحرك قدماها في الرواق المفروش بالسجاد، ولا إحساس بالأنفاس التي تدخل وتخرج من جسدها. وعندما يخطوان داخل الشقة، يجدان رائحة قبيحة ونيذ وهو أمامهما تماماً، ما زال جالساً ورقبته ممطوطة إلى الوراء كأنها مكسورة. يهيمن عليها شعور بالخزي؛ الخزي من أنه كان خليلها، الخزي لأنه خدعها وأذلها. إنه يجعل المكان قدراً مرفأً.

تقول ميرل: «أوه يا إلهي! اعتقدت أنك ربما كنت.. لا أعرف...»

تقصد واهمة أو مرتبكة. ما زالت في تلك الحالة من الاضطراب. ليست هي ذاتها، بل شبح آخر لفاي. لكن لا، هذه حالة موت وهي من تسببت فيها. لا بد أن تواجه العواقب الآن، العواقب التي تجعل فقد بيتها أمراً تافهاً.

الولدان. ماذا سيحدث لهما؟ أب مفقود، وأم في السجن.

«ماذا سأفعل يا ميرل؟» صوتها عويل خافت مثير للشفقة.

تنظر ميرل إليها ويبدو لفاي ألا شيء في عينيها قد تغير عن الأمس: ما زالت فاي هي الضحية، الأضحية البشرية. «لا أعرف بعد. دعيني أفكر. أخبريني لماذا هو مايك وليس توبي». بينما تفسر فاي، تلتقط ميرل المعطف الملقى على صندوق مفتوح قرب المطبخ، وتقاطعها لتسأل: «هل هذا معطفه؟»
- نعم.

تختفي أصابع ميرل في طياته، وتعاود الظهور بمحفظة جلدية بُنية اللون. «مايكل فولر. حسناً. هذا جيد، على ما أعتقد».

تسألها فاي: «لماذا جيد؟»

- لأنك كنت تناديه توبي. ربما لم تذكرني قط اسم مايك أو مايكل لأي شخص، أليس كذلك؟
- لا. لم أعرف أنه اسمه حتى ليلة أمس.

تستمر ميرل في تفتيش محفظته. «وأذكر أن أليسون قالت إنك لم تقابلي أسرته بعد. هل هذا صحيح؟»

- نعم. أو أصدقاءه.

ترفع ميرل عينيها إليها: «ولا شخص واحد؟ لا زميل ولا جار؟
الأطفال؟»

«لا أحد. لم نتشارك أمور حياتنا على هذا النحو». لأن «نا» لم يكن لها وجود. لا فكرة لديها عما يكون توبي (مايكل فولر). من كان. لأنه ليس رجلاً الآن، إنه بقايا. وبينما تكبت فاي حاجتها للتقيؤ، تبدو ميرل مبتهجة على نحو غريب.

«كنت لأقول إن هذا من حسن الحظ جداً». تقولها، وتضع المحفظة على النضد قبل أن تفتش جيوب المعطف بحثاً عن أشياء أخرى. مفاتيح سيارة. علكة (نيكوريت) للمساعدة على الإقلاع عن التدخين. هاتفان. كلاهما مشحونان، كلاهما به شاشة أمان تتطلب رمز مرور لا سبيل للمرأتين كي تحدثانه. «أيها يستخدمه عندما يتصل بك؟» تتمتم لنفسها بقدر ما تهمس لفاي.

«لا أعرف، لكنني لو اتصلت به من هاتفي، سيرن. وسنعرف..» تقترح فاي.

«لا! تقبض ميرل على ذراعها. «لا تقومي بأي اتصال من هاتفك وأنت هنا، اتفقنا؟»

تومع فاي برأسها. مزاج ميرل أمر، موجه، ولدى فاي رغبة طفولية في أن تسعدها. «ماذا لو اتصلت بالرقم الذي لديّ مستخدمةً هاتف برام؟ الهاتف الذي استخدمته لكتابة الرسالة إليه؟ عندئذ يمكننا افتراض أن الهاتف الآخر هو الذي يستخدمه معي؟»

كان لم يعد له اسم الآن، لا يمكنها أن تدفع نفسها على استخدامها، كأنها لو فعلت ذلك ستبعثه حياً من جديد.

تصمت ميرل قليلاً قبل أن تفكر بصوت عالٍ: «حسب علمنا، قد يكون لديه رقمك على كلا الهاتفين. ستخلص منها معاً ونتمنى ألا يكونا قابلين للتعقب. هذا الرجل مجرم، صحيح؟ يستخدم أسماء زائفة. شخص كهذا لن تكون لديه علاقات عائلية لطيفة، أليس كذلك؟ هل سيبدو غريباً رغم ذلك؟ أتى هنا لأن برام أرسل إليه رسالة، إذاً أين الهاتف الذي تلقى الرسالة عليه؟ ومع ذلك، قد يكون هناك مائة سبب وراء تخلصه من هاتفه في الطريق». تعثر على كيس بلاستيكي في أحد الأدراج، تلقى بالهاتفين فيه، ثم تجذب فاي إلى داخل الممر بين الصناديق، كأنها تبعد نفسها وصاحبها عن مجال رؤية الرجل الميت. تتحدث بصوت منخفض متقطع: «اسمعيني يا فاي، هل يعرف أي شخص آخر أنك جئت إلى هنا ليلة أمس؟»

- لا. هو فقط.
- هل اتصلتِ بأي شخص عندما كنتِ هنا؟ والدة برام ربما؟ كي تحادثي الولدين؟
- لا، اتصلت بها فقط من بيتك في وقت أسبق. حسناً، أرسلت إليه رسالة، كما قلت، لكن من هاتف برام فقط.
- هل استخدمتِ الإنترنت؟
- لا.
- أين حاسوبك المحمول؟ لم تستخدميه هنا، أليس كذلك؟
- لا. لا أعرف أين وضعه برام. أظنه في أحد هذه الصناديق. لم أستخدمه منذ ما قبل ذهابي إلى ونشستر. مساء الثلاثاء.

«جيد». تخرج ميرل من الممر وتفحص الأشياء الموجودة على النضد قبل أن تمسح زجاجة النبيذ والأكواب بمنشفة شاي. وتفعل ذلك أيضا بالعلبة الملقاة من حبوب برام. دون تفسير، تناولها فاي السكين، الذي تنظفه ميرل وتعيده إلى درج أدوات المائدة.

- أي شيء آخر؟ أين الهاتف الآخر الذي أرسلت إليه تلك الرسالة منه؟

يُسمح هذا أيضا. تتساءل فاي إن كان سينضم إلى هاتفني توبي في الكيس، لكن ميرل تضعه على الورقة الصفراء.

- لماذا تركينه؟ هذا هو الهاتف الذي استخدمته!
- بالضبط. اسمعي يا فاي، هناك طريقة للخروج من هذا. ستجده الشرطة - ربما حتى تجدينه أنت، أو نجده معًا، ذلك أفضل! في وقت لاحق اليوم، اتفقنا؟ سنجد جثته وستتصل بالشرطة وسنقول إننا نعرفه من الأمس، إنه أثار لغطًا في جادة ترينيتي عندما جاء يبحث عن برام. تحدثنا إليه في البيت بضع دقائق لكنه صار عدوانيا وطلبنا منه الرحيل. قبل ذلك، لم تقع عليه عيوننا قط في حياتنا. هل تفهمين ما أرمي إليه؟

ثمة شعور ينتشر ببطء في معدتها وصدرها: يستغرق منها بضع ثوان كي تميزه على أنه الأمل. «تقصدين أن برام عاد وأرسل الرسالة؟ برام أعطاه الحبوب؟»

- نعم، أو تركه هنا في حالة بائسة لدرجة أنه تناول جرعة مفرطة بنفسه. لا أعرف، لم أكن هنا. ولا أنت. إنها حبوب برام، وليست حبوبك.

تخلق فاي، وعقلها يغربل صوراً من ساعات سابقة. «لكن الحبوب المنومة يا ميرل. آه يا إلهي! هل كانت من وصفة طبية مكتوبة لك؟»

«نعم، لكن ماذا حتى لو كانت كذلك؟» تركيز ميرل شديد. «لا توجد علبة عليها اسمي. ولو وصل أحد إلى هذا المدى، سأقول إنني أعطيتها لبرام. منذ بضعة أسابيع، لا أذكر متى بالضبط، لكن عندما كان يشكو من الأرق. لم يخبرني أن لديه أي وصفات أدوية أخرى وإلا لم أكن لأعطيها له أبداً».

تحقق فاي فيها، مجاهدة كي تلاحقها: «أشكر».

- المهم أنك لم تلمسي النبيذ أو الحبوب. وأي شيء آخر في هذا المكان يحمل بصماتك فهذا بوضوح لأنك تعيشين هنا نصف الوقت. هذه الأشياء أشياءوك.

«ارتديت قفازا لأفتت الحبوب وأدفعها عبر عنق الزجاجاة..» تخبرها فاي بذلك.

- عظيم.
- لكنني فتشت بعض الصناديق دون ارتداء القفازات، وهي موجودة هنا فقط منذ الخميس. لكن لا بأس بهذا، أليس كذلك؟ كنت بحاجة لأن أجد السجلات المالية كي أعرضها على الشرطة والمحامين بشأن المنزل.

- بالضبط. من الطبيعي أن تبحثي عن الأشياء الضرورية التي عباها برام دون رضاك. وقد تحتاجين أشياء للولدين كذلك. لكنك تفعلين هذا عندما تعودين في وقت لاحق اليوم، اتفقنا؟ عندئذ تلمسين الأشياء. ليلة الأمس، بقيت معي، ثم في هذا الصباح أخذتك إلى

والدة برام لتصطحبي الولدين، وهو ما سأفعله.. ماذا... في الثامنة؟
التاسعة؟ دعينا نعد إلى جادة ترينيتي حتى يحين وقت التحرك.

«لا يمكنني أن أعود بالولدين إلى هنا..» تعترض فاي مرعوبة.

توافقها ميرل: «بالطبع لا. سنذهب مباشرةً إلى والديك، أليس كذلك؟
سترغبين في إخبارهما بموضوع المنزل، وطلب نصيحتهما. ركزي على هذا. لم
تكوني هنا منذ... متى؟»

- الأربعاء. جئت لأخذ حذاء.

- عظيم. سيعود أدريان اليوم، لذا سيعتني بروبي ودايزي عندما أعود
لمقابلتك لاحقاً. من حسن الحظ أنني كنت أكثر إرهاقاً بالأمس من أن
أتحدث إليه. هل نذهب إذًا؟ فاي؟

نذهب؟ فاي متجمدة في مكانها، تحديق فيه. هل يبرد ويتصلب فعلاً،
ويتواجد لأول يوم كامل كشيء، كيان انتهت حياته إلى الأبد؟ كيف أمكن أن
يكون القيام بهذا سهلاً هكذا؟ كيف أمكن أن يشرب النبيذ بكل هذه الحبوب
الذائبة فيه؟ ألم يبدُ مذاقه مُراً؟ مسمماً؟

يتوقف قلبها: «بحثت في جوجل عن الدواء. على هاتفي، عندما كنت هنا
يوم الأربعاء.»

تعبس ميرل. «لا بأس. حسناً، فقط لأنك رأيته وأردت أن تعرفي ما هو،
هذا لا يعني أنك أخذته. ابقِي الأمر في رأسك يا فاي بهذه البساطة. أبقه
بسيطاً قدر المستطاع.»

«نعم». كم تبدو ميرل ثابتة لا تتلعثم. لديها كل الإجابات، كل الخطوط.
إنها منقذة فاي، ملاكها الحارس.

لكن هناك شيئاً آخر. «رأت لوسي حبوب برام. رأتها اليوم، في المطبخ. سقطت من حقيتي».

- هل قلتَ لها إنها تخص برام؟
- لا، ظننت أنها تخصني، ظلت تقول هذا.
- عظيم. هل حصلت على أي وصفات طبية أخرى مؤخراً؟
- لا.
- ولا أي شخص في الأسرة؟
- ليو فقط. يأخذ أقراص الحساسية تلك. إنها وصفة مكررة، نستخدمها عند الحاجة. لكننا لم نأت بعبوة جديدة منذ دهور.
- لا يهم. هل تأتي في عبوة مثل عبوة برام؟
- ربما بلون مختلف. لا أستطيع أن أتذكر.

تقول ميرل: «أرني».

«لا أستطيع، لا أعرف أين هي». تسمع فاي نبرة الهلع في صوتها، وإحساس الخلاص ينفلت من قبضتها. «كانت في المنزل، في خزانة الحمام».

يفحصان سويًا كتلة الصناديق المتطابقة، ولا صندوق واحدة يحمل بطاقة.

تقول فاي: «ليس هذا كل شيء. هناك كمية أخرى في مخزن».

«إذاً سنبحث». حتى تنهيدة ميرل مختصرة، منظمة. «وسنفعل ذلك في هدوء. لا يمكن أن ندع أحداً في العمارة يسمعنا ونحن نخبط الأشياء ببعضها».

يستغرق الأمر منهما أكثر من ساعة كي تعثرا على الصناديق التي تحتوي الأشياء التي كانت في حمام الأسرة، لكن أقراص ليو بينها. هناك

شريط نصف مستخدم وشريط آخر سليم، ما زال في علبة. تضع فاي هذا في حقيبة يدها. «دائماً أحمل علبة معي تحسباً لأن تزداد الأعراض على ليو عندما نخرج؟»

- ممتاز.

أخيراً، تغادران، فاي ومعها حقيبة ملابسها الخفيفة، والكيس الذي يضم هاتفني توبي في جيب معطف ميرل. انقشع الضباب لكن الصباح ما زال يبدو رقيقاً، داعماً لقضيتهما، معيداً إياهما إلى جادة ترينيتي تحت حمايته. تستمر كتابة السيناريو أثناء سيرهما عائدتين، وميرل تتحدث بصوت منخفض، ليس هامساً تماماً.

- هل حدث وراك أحد من جيرانك في المبنى مع توبي من قبل؟

- لا أظن هذا. لم أصادف أحداً منهم تقريباً، حتى وأنا وحدي. عندما كان يصل، كنت أدخله بجهاز التحكم الآلي وعادةً كان يخرج بنفسه، لذا أي شخص رآه لن يعرف بالضرورة أنه كان يزورني أنا وليس برام.

- ممتاز. وعندما أتى إلى بيتي بالأمس، قال إنه ذهب بالفعل إلى الشقة، أليس كذلك؟ جعل أحد الجيران يدخله وبعد ذلك طرق الباب بقوة. أراهن أنه كان منزعجاً إلى حد كبير من هذا، وربما أظهر بوضوح أنه غاضب من برام.

يقتربان من بيت ميرل، يمران ببيت فاي -آل فون- ولا يسجل محيط رؤيتهما إلا السكون.

تتوقف تماماً، وتقبض على ذراع ميرل. «آل فون، يا ميرل! رآه آل فون».

تقول ميرل: «استمري في السير. نعم رأوه، لكنه كان يبحث عن برام، وليس أنت. تذكرى، كان يزعم منادياً برام، وقال ديفيد شيئاً من قبيل: (انضم إلى الطابور). ثم خرجت ودعوته للقدوم. لذا ليس لدى آل فون أي سبب كي يعتقد أنه على صلة بك. ربما رأوك تغادرين معه، لكنني أشك في ذلك، كانا معسكرين في المطبخ. ويمكننا أن ننكر ذلك، على أي حال».

لم تكن أمامهما مدة طويلة قبل أن يحين الوقت لأن تلتقط ميرل مفاتيح سيارتها وترسل فاي رسالة إلى تينا، وبعد ذلك تعودان في أثر خطواتهما نحو حدائق ويندهام، حيث تقف سيارة ميرل الرينج روفر.

- إذا قولي لي ما سيحدث بعد ذلك.

تتلو فاي الخطأ: «ستصلين بي في الرابعة وتقرحين أن نذهب إلى الشقة ونرى إن كان برام قد ترك أية وثائق لها علاقة بالمنزل، أي أدلة قد تساعدنا مع الشرطة والمحامي يوم الإثنين. سنكتشف الجثة معاً ونقول إننا نعتقد أنه قد يكون نفس الرجل الذي جاء إلى جادة ترينيتي ليلة أمس باحثاً عن برام. بحثنا في محفظته عن أي بطاقة هوية».

- ممتاز. سيرون النبيذ، يفحصون هاتف برام، يبدوون في ربط الموضوعات بسرقة البيت.

لقد تحول الضباب إلى رذاذ وتأرجح المساحات يمينا ويسارا عبر زجاج السيارة الأمامي. تتساءل فاي: «وكيف أفسر أن الرجل الذي كنت أواعده اختفى؟»

تلقي ميرل نظرة في المرأة الخلفية: «سهلة. اختفى عندما اكتشف أنك فقدت المنزل. كان مهتماً بك فقط».

تقول فاي: «أعتقد أنه ربما كان متزوجا. لم يأخذني قط إلى بيته أو حتى يخبرني بعنوانه كاملاً. كانت أختي مرتابة من البداية».

- بالضبط. ستكونين سعيدة لو تتبعنا الشرطة أثره، لكن بأمانة هذا أقل ما يجب أن تقلقي بشأنه نظرا لحقيقة أن زوجك السابق قتل للتو أحدهم وسرق منزلك.

كلما ازداد فحصهما للتفاصيل، كلما تحسن الوضع أكثر. كلما صار أكثر تماسكا، ولديه قوة مركزية.

ثم تذكر فاي أليسون: «أوه، أليسون».

- ماذا عنها؟

- رآته. رأت توبي في الليلة التي التقينا فيها.

في البار في مطعم (لا مويت)، منذ كل تلك الشهور.
حسنا، بالتأكيد لديك ذوق خاص.

تقول ميرل: «لن تقول أليسون شيئا. ربما حتى لا يسألها أحد. ولو حدث، متى كان هذا؟»

- في سبتمبر.

عندما بدأ كل شيء. فجرها الجديد.

- منذ زمن بعيد. كانت قد تناولت بضع كؤوس، وكان المكان كائياً، وزحام شديد. إنه ليس بالشيء المفسد للصفقة يا فاي. لو وصلت المسألة إلى ذلك الحد، لن تشهد على أفضل صديقاتها. أعرف أنها لن تفعل.

اجتازتا متوالية من الإشارات الحمراء. يدور المحرك ويقف. يقف يدور، يقف يدور. سؤال وإجابة، سؤال وإجابة.

تغوص فاي في مقعدها، متمنية لو تختفي عن الأنظار، لو تغدو شبحاً لا يظهر إلا للمرأة الجالسة إلى جوارها. «ميرل، هل ستفعلين كل هذا فعلاً؟»

إشارة حمراء. يتوقف المحرك.

تقول ميرل: «سأفعل فعلاً».

«لماذا؟»

«بربك يا فاي! أنت تعلمين لماذا». تبسم لها، ابتسامة جانبية ظريفة وحزينة قليلاً. «لم أتخيل أن يكون هذا ما سيجعلك تكلميني مرة أخرى، لكن ها أنت ذا».

ضوء أصفر. يدور المحرك.

تعرف فاي لماذا.

السبت، 14 يناير 2017

لندن، 8 صباحًا

لم يكن الأمر سهلاً، التعايش في بيئة مجتمعية وثيقة مع صديقة وجارة خانتها بأشد الطرق جهورية. سرعان ما هدأت الرغبة الملحة في العقاب، لكنها تركت فاي وفيها شيء أكثر كآبة وأشد ضعفاً: فقدّ مزدوج. برام وميرل. وحقيقة أن الحياة في أولدر رايز قُبلية جداً جعلت الأمر أشد إيلاماً دائماً، لأنه صارت هناك الآن تقسيمات فرعية للأشخاص الذين عرفوا، والأشخاص الذين لم يعرفوا، والأشخاص الذين لم تكن واثقة إن كانوا يعرفون أم لا.

كانت رحلة كنت تدريياً مؤلماً على نحو خاص. فكرت مراراً في الانسحاب، لكن في النهاية، لم ترغب في أن تُحبط ليو وهاري - أو الأطفال الآخرين في المجموعة. كانوا قبيلة في حد ذاتهم. نجاتها من هذه الرحلة (التي استمتعت بها نصف استمتاع، إحقاقاً للحق) جعلتها تُقدّر أهمية المشاركات في الحياة الاجتماعية للحَي، وأهمية التضحية الشخصية. السعادة الأكبر للعدد الأكبر وما إلى ذلك.

في الأيام التي تلت موضوع بيت اللعب، وصل التماس. التماس مكتوب بخط اليد ومُسلم باليد، وُضع في صندوق البريد خلسةً، حتى لا يُصدر صوتاً.

أخبرها هاري: «توجد بطاقة بريدية لك يا ماما. رغم أن اليوم ليس عيد ميلادك».

قالت: «يرسل الناس بطاقات بريدية لأسباب أخرى».

قرأتها مرة واحدة فقط قبل أن تتلفها ولذلك لا تستطيع أن تتذكر إلا نتفا منها الآن:

فعل مجنون وحقير...

لن أسامح نفسي أبداً...

هل توجد أي فرصة لأن نكون متحضرين، من أجل الأولاد...؟

يجب أن تعرفي أنني سأفعل أي شيء لأرد دينك...

أزعجتها عبارة «لأرد دينك». كما لو أن فاي أقرضتها شيئاً ما، أعطتها له بمحض إرادتها وبحرية. منحتها تصريحاً بالموافقة على النوم مع برام. الأمسية التي تختارينها يا صديقتي، والمكان الذي يناسبك أكثر. سأترك لك الساحة.

بطريقة مضحكة، يمكنها أن تتخيل برام يعيد كتابة الحكاية بتلك الطريقة. لديه موهبة في إعادة صياغة مغامراته الفاشلة لتصبح ذات أغراض جديدة.

لكن ليس ميرل. حلالة المشاكل الاستثنائية، الزوجة والأم القوية والمفعمة بالحياة في جادة ترينيتي.

كتبت لها في التماسها ذاك: قولي لي ما هو، وسأفعله.

فقط بعد أن أوقفت ميرل السيارة في الطريق إلى شقة تينا كي تتخلص من الهاتفين تتساءل فاي لماذا مرة ثانية. هما في ساحة انتظار السيارات عند حديقة كريستال بالاس بارك وقد عادت ميرل للتو خاوية اليدين من بحيرة القوارب، عندما يخطر لفاي أنها قد لا ترى شريكها في الجريمة أبداً مرة أخرى - على الأقل ليس حتى تظهران في قفص الاتهام ومنصة الشهود على التوالي.

تقول ميرل: «قلتُ لك..» ليست نافذة الصبر، لكنها تركز على طلبات اليوم. «أنت تعرفين لماذا».

- لا، أقصد أنت وهو. لقد عرف أحدهما الآخر لزمان طويل جداً. كانت تلك هي المرة الوحيدة، أليس كذلك؟

الآن تتابعها ميرل: «نعم. نعم بالطبع».

- من بدأها؟ أكان هو؟

وقفة، ثم: «لا، كنت أنا. تلك هي الحقيقة. لم يدعني للقدوم. لم يكن يتوقع قدومي. لم يكن أمامه خيار غير أن يسمح لي بالدخول».

تنظر فاي بثبات في عينيها: «لكن كان أمامه خيار في مضاجعتك».

لا تجفل ميرل: «لست واثقة من ذلك يا فاي. كنت مصممة كأني في مهمة».

«لماذا؟ لماذا كنت لتفعل هذا؟» لا يمكنها أن تجادل بأن هذا ليس من سمات شخصيتها لأن شخصية ميرل لم تكن معروفة لها حتى الأمس، حتى هذا الصباح، لم تعرفها حق المعرفة. «كنت تعرفين

كم كنت مترعجة مما فعله من قبل. واسيتني، نصحتني أن أعطيه فرصة أخرى».

تقول ميرل بصوت منخفض: «أعرف. لا يوجد عذر. لا يوجد مبرر. ما زلت غير قادرة على أن أصدق هذا أنا نفسي».

إحقاقًا للحق، هي لا تحاول أن تقلل من أهمية الأمر. الجنس، الزنا، مؤسسة الزواج: أهميتهم قليلة الآن، إلى حد أنهم غير ذوي صلة بالسياق - وكيف لها ألا تكون كذلك؟ - لكن فاي ما زال عليها أن تعرف. ما زال عليها أن تفهم.

- أكان هناك انجذاب دائم إذًا؟

وقفة، تقبض أصابع ميرل على حافة المقعد الجلدي ثم تقول: «أعتقد أنه كان هناك، نعم، لكن أيا منا لم يكن سيعمل أبدًا عليه».

- إذًا لماذا عملت عليه تلك الليلة؟ إذا كنت قد تمكنت أن تمتنعي عن ذلك لسنوات قبلها؟ ماذا كانت تلك المهمة؟

الآن تلمس أصابع ميرل فمها، كأنها تراقب كلماتها ذاتها. السيارة مغلقة والصمت يملؤها، ثمة إحساس بأن جوها لن يقبل شيئًا إلا الحقيقة. «ذلك المساء، كانت لديّ جليسة أطفال في بيتي، كنت سأقابل أدريان في (لا مويث). عشاء متأخر احتفالًا بذكرى الزفاف السنوية. لم تكن الأمور تسير بيننا بشكل جيد، ربما أخبرتك بذلك وقتها. كنت قد تناولت بضعة كؤوس في البار عندما أرسل رسالة وقال إنه لا يستطيع القدوم. كانت واحدة من تلك الرسائل السريعة، ليست حتى اعتذارًا، فقط: (لا أستطيع، أعمل لوقت متأخر). كنت غاضبة جدًا منه، كم

كان يتعامل بطريقة عادية، لم يفكر حتى في الترتيبات التي قمت بها مع جليسة الأطفال، كل الأطواق التي يجب أن تقفزي عبرها فقط كي تجعلي الأطفال متقبلين للأمر وتخرجي من البيت، ناهيك عن التأنيق والاستعداد لأن تكوني امرأة بالغة، زوجة. كان الأمر وكأن هذا الإلغاء الواحد ذروة لكل الإلغاءات، لكل الأخطاء. أذكر أنني كنت جالسة هناك أغلي، وأدبر حرفياً للطلاق منه. كان هناك رجل عند البار وحاولت مغازلته ورفضني ببساطة، لم يشعر حتى بالإغراء. يتورد وجهها لدى الذكرى. «كان هذا مهيناً جداً. بدت كأنها أكثر اللحظات إذلالاً في حياتي. كأنها نقطة تحول».

تأخذ ميرل نفساً، وتحقق عبر زجاج السيارة الأمامي في الخضرة أمامها. «لذا عدت إلى المنزل وشعرت بلامبالاة شديدة. لم أكن في حالتي العقلية السليمة، تلك هي الطريقة الوحيدة التي يمكنني أن أصف بها الأمر. أظن أن شيئاً هرمونياً كان يجري. شعرت وكأن حياتي تتزلق نحو النهاية، تعرفين؟ تتسارع أكثر، وتغدو غير قابلة للإيقاف تماماً، واحتجت... احتجت أن أجعل شيئاً يحدث ليبقيني حية. حتى لو كان الشيء الوحيد الذي استطعت أن أفكر فيه لديه قدرة تامة على التدمير الذاتي. مدمرة لك. لكما أنتما الاثنان. وليو وهاري أيضاً، يا إلهي. لذا خرجت من بابي وذهبت إلى بيتك».

تستوعب فاي هذا. لو أنها فهمت على نحو صحيح، كانت تلك لحظة أزمة زوجية تحدث مرة واحدة، دفقة من هرمونات منتصف العمر، تعطي قوة الدفع لهذه النهاية للعالم. هل كان ليبدو الأمر مختلفاً أي اختلاف لو كان شيئاً مهماً بشكل أوضح؟ تشخيص لمرض قاتل، فقد أحد الوالدين، تراجع في العمل يُنهى مستقبلاً وظيفياً؟ من المستحيل ألا ترى تماثلاً بين جريمة ميرل وجريمتها، ليس أقله أن بينهما سبباً مشتركاً: رد فعل ضد الإذلال.

سيدة التقوى العفيفة العجوز السمينة، لا أعرف كيف تحمل برام هذا طوال تلك السنين. لا عجب أنه لعب بذيله...

كان هناك ما زال وقت لمنع حدوث ما حدث عندما قال لها هذا. كان يمكن أن تسكب النبيذ في الحوض. لكنها سكبت داخله هو. قتلت رجلاً.

أنا قتلتها!

تجلسان دقيقة في صمت.

- ميرل؟

- نعم؟

تحس فاي بشعور يفيض كأنه سائل ما، تبتلع ريقها قبل أن تتكلم: «أريد أن أوضح أنه لو طاردتني الشرطة، لو كان هناك دليل ما لا يمكنني إنكاره، سأبقى خارج الموضوع. لم يكن لك دور في هذا كله. لم تأتِ إلى الشقة معي هذا الصباح. أنا التي أتيت وطلبت منك أن تصحبيني بسيارتك إلى بيت تينا، وهذا كل شيء. لم تكن لديك فكرة عما فعلت».

تهز ميرل رأسها: «لن يصل الأمر إلى هذا الحد».

- لكن لو حدث، لو قبض عليّ، هل ستعتنين بليو وهاري؟ أقصد، سيأخذهما والداي، سيكونان أفضل وصيين يمكنني أن أتمناها، لكن هل ستبقيين الصداقات قائمة؟ تكونين موجودة من أجلهما أيضاً؟ سيحتاجان أسرة أخرى تبدو كأسرتهما. ليس على الفور، أعرف أنك ستكونين مشغولة بالوليد الجديد، لكن فيما بعد. يمكن أن أغيب سنوات.

تفرد ميرل كتفيها المرتعدين، وتعيد تثبيت حزام المقعد فوق جسدها المنفوخ، وتدير محرك السيارة: «بالطبع سأفعل».

كانت فاي قد خمنت بعد عطلة نهاية الأسبوع في كنت، بالطبع - ذلك العذر الضعيف لعدم الشرب، وبحثت عن ميرل في صالة الألعاب الرياضية يوم الأحد التالي. كانت كل واحدة منهما تتلقى فصلها العادي الآن: البيلاتس لفاي، واليوجا لميرل.

سيتوجب عليها أن تنتقل إلى يوجا الحمل قريباً.

«فاي؟» اندهشت ميرل لدى اقترابها. «لم أعتقد...»

لم تعتقد أن فاي ستخاطبها خارج المجموعة، خارج الآداب المتفق عليها لتوصيل الأطفال واصطحابهم.

قالت فاي: «لديّ سؤال».

انتظرت ميرل. وصلت امرأتان لحضور فصل اليوجا وألقيتا عليها التحية، ثم تراجعتا عندما شاهدتا تعبيرها المندesh.

- هل هو من برام؟

رأت فاي أن ميرل تفكر في إنكار الحمل ذاته، لكنها قررت أنه لا معنى لذلك. يمكنك أن تنكري حملك بحياة جديدة لوقت قصير، وعلى أي حال في ملابسها الخاصة باليوجا بدأ الحمل يظهر عليها.

أخيراً قالت ميرل: «لا، إنه أدريان. موعد الولادة في مايو».

- أنقسمين أن هذه هي الحقيقة؟

- أقسم.

قالت فاي ببساطة: «إذا لن أسألك مرة أخرى».

قالت في عقلها: ولا حتى لو أتى الطفل في أبريل وليس في مايو؟ وهي تسير مبتعدة. ربما. ستبقي عينها على الأحداث بالتأكيد.

لكن يمكن لأشياء من كافة الأنواع أن تحدث قبل هذا.

ليون، الثانية مساء

لقد قام بانتقاله الأخير واستقر الآن في الشقة الفندقية. يصدف أن سكنه الجديد لا يختلف عن الاستديو في بيبي ديكو: متقشف ومحايد، مصمم بإحساس أن الحد الأدنى يستحق الاحترام مثله مثل الترف - اللعنة، بل يمكنك حتى أن تجعل منه فضيلة. نعم، مناسب بالضبط لمعركة كاستر الأخيرة⁽³⁷⁾ ومقر لكاتب متواضع، إلى جانب هذا: جيد التدفئة وعازل للصوت، وتوجد ماكينة اسبريسو بها تشكيلة من البذور وبعض أكياس الشاي المغلفة بشكل فردي تلك التي يهتم بها الفرنسيون. هناك أيضا ثلاثة يضع فيها بيرته. وثمة أثر مطمئن لسجائر مدخنين سابقين.

أهم شيء أنه أتلّف ورقة المعلومات التي تضم كلمة سر شبكة الإنترنت وهو واثق أن قوة إرادته لن تخذله. لن يغريه إلا البحث في جوجل عن أخبار التحقيق في حادث التصادم، عن مكونات وجوده القديم. أن يرسل بريداً

37 الإشارة إلى هزيمة الكولونيل جورج كاستر الحاسمة على يد تحالف من قبائل السكان الأصليين لأمريكا في عام 1876. (المترجم)

إلكترونيًا إلى فاي ويبدأ في شرح ما يتعلق بالمال، متوسلاً إليها كي تسامحه، بل ونصحها حول كيف تعيد بناء الحياة الأسرية التي دمرها.

لا يمكن أن يُغفَر له، كان هذا ما قالت له ميرل. مجرد رجل آخر لا يمكن أن يُغفَر له.

من المثير لاهتمامه أنه رغم استعداده لحكي قصته كاملة، بكل نقاطها المهمة وتفصيلها الدقيقة، إلا أنه لا يتوقع أن ينحصر جزءاً كبيراً من قصته لها (لقد قرر بالفعل أن يمنحها اسماً مستعاراً). في النهاية، لم تكن مهمة، لم تلعب دوراً. استنتج أن فاي اختارت أن تداري على المسألة برمتها وتكنسها تحت السجادة من أجل صداقات الأولاد (ليو وروبي ملتصقان كفردى عصابة، وكانا هكذا دائماً)، من أجل انسجام الجيرة، من أجل استمرار العيش في المنزل. لم تذكر ميرل له مرة واحدة بعد أن انفصلا، وإذا أمكنها أن تمارس ذلك النوع من ضبط النفس الجامد مع طرف مذنب فربما يمكنها ذلك مع الطرفين. ولقد ذهبت إلى كِنت، أليس كذلك؟ ولم يعد أحد بجروح من طعنات.

ستمر فترة قبل أن يصل إلى ميرل خبر فقد المنزل، لكن بمجرد أن يصلها من المؤكد أنها لن تشمت في ذلك. لم تكن لعلاقتها في بيت اللعب قط صلة باشتهائها ما تملك فاي، لأنها كانت تملك بالفعل كل هذه الأشياء هي نفسها - وأكثر في الحقيقة، بما أن زوجها كان مخلصاً، إن لم يكن أحياناً ميالاً لعدم تقدير ما لديه، في رأي برام. لا، بالنسبة لها، كانت تلك الليلة تتصل بفعل شيء متهور لتجاوز بقوة لحظة مأزومة. لتذكر دمها أن ما زال لديه سبب كي يدور، حتى لو كان الجسد الذي يتدفق عبره يشيخ أسرع مما تود. لتسترد قناعتها بأن ما زال لديها شيء جيد تعطيه.

كان هذا هو الفارق بين ميرل وبينه. كان لديها إيمان بأنها تجعل الحياة أفضل لمن حولها، بينما لم يكن لديه أي إيمان بأنه يفعل ذلك. أو على الأقل ما كان لديه ذات مرة من إيمان قليل، فقداه.



telegram @
yasmeenbook

السبت، 14 يناير 2017

لندن، 5.30 مساء

تفكر إن أسوأ لحظة، أكثر لحظة تفتطر القلب في الحكاية كلها، هي عندما تدخل هي وميرل من جديد عبر باب الشقة - أسوأ حتى من اللحظة التي سألها فيها هاري إن كانت سعيدة بمفاجأة بابا والثقة تشع من عينيه. الإيمان بأن أباه قد نجح، وأن أمه سعيدة.

هل اختار الألوان الصحيحة من الدهانات؟ هل جفت في الوقت المناسب؟ هل فوجئت حقاً؟

لا تستطيع أن تفعل شيئاً إلا أن تحتضنه، وتقول له إن كل شيء جميل، إن الشيء الوحيد المهم هو وجودها معه ومع أخيه لأنها افتقدتهما، وأن الاثنين ليس لديهما والد محتمل ووالدة قاتلة.

أخذتهما بهدوء نسبي من بيت تينا، ولم تمكث وقتاً طويلاً بما يكفي كي تشعر بالرغبة في التعتيم على خبر رحيل برام والاحتياال المشبوه. خشيت التوتر الأكثر تعقيداً لوجودها مع والديها بقية اليوم، ليس أقله لحقيقة أنه لو أفلحت خطة ميرل سيتم استدعاؤهما للشهادة على حالتها العقلية في أعقاب وقوع الجريمة.

لكن، كما هو واضح، تأثيرات الصدمة الشديدة هي ذاتها مهما كانت أصولها. فقد عقلك لأنك قتلَ شخصا لا يختلف كثيراً عن فقد عقلك لأن زوجك سرق بيتك وهرب. على أي حال التعامل مع ذهول والديها وغضبهما حيال بيع المنزل نقطة تركيز مُرَحَّب بها، وموقفهما المدافع بشراسة عن الولدين تذكير بالطريقة التي ستوقع السلطات منها أن تقدم نفسها. يجري الاتفاق على بقاء ليو وهاري في كنجستون في الوقت الحالي، وتُستخدم كذبة عن تأخيرات في عملية تغيير الديكور لتفسير استحالة العودة إلى البيت. لم يذهبا قط للشقة وسيكون أخذهما هناك الآن مثيراً للاضطراب.

(بعبارة ألطف).

بناءً على تعليمات ميرل، تأخذ فاي دُشاً، وتضع ملابسها التي كانت ترتديها بالأمس وتلك التي ارتدتها في عطلتها مع توبي في الغسالة، ثم تغير ثيابها بالجينز والكنزة اللذين أقرضتهما ميرل لها. في الساعة الرابعة مساءً، كما هو متفق، تتصل ميرل وتعلن فاي لوالديها أنها يجب أن تذهب إلى الشقة. «تعتقد ميرل أن برام ربما خزنَ بعض أشياءنا هناك وأعتقد أنها قد تكون على حق. أحتاج إلى العثور على كل أوراق رهننا العقاري وأوراقنا المصرفية حتى أتمكن من البدء في الحديث إلى محام».

تُقابل عودة ظهور ميرل في حياة فاي بحواجب مرفوعة دهشة لكن بلا تساؤلات خاصة: والمغزى أن الأوقات الاستثنائية تستدعي إجراءات استثنائية. أي شيء - أي أحد - يساعدها على فك هذه اللخطة اللعينة. توافق أمها على توصيل فاي بالسيارة إلى الشقة، في رحلة أطاها المطر وازدحام المرور يوم السبت بشكل مؤلم، وعندما تتوقفان عند بيبي ديكو، تكون ميرل منتظرة بالفعل في الخارج.

تقول أمها وهي تطفئ المحرك: «هل آتي معكما وأساعد؟»

«لا، لا، عودي أنت للولدين. أشكرك يا ماما. شكراً جزيلاً». تريد فاي أن تقول المزيد، تريد أن تقول: «اعتني بليو وهاري، لأنه قد يُقبض عليّ في غضون بضع ساعات».

«كل شيء سيسير على ما يرام». تقولها ميرل وهما تنتظران المصعد؛ لا حاجة الآن للتسلل من السلم غير المضاء. «نقد عاد أدريان للتو من التزلج، وهو في البيت مع الأطفال. أبلغته بالأمير - أقصد بموضوع برام والمنزل. أصابه زعر كامل، كما يمكنك أن تتخيلي. وبالمناسبة، اقترحت عليّ أليسون اسم محام. تعتقد هي وروج أننا لا ينبغي أن نتعامل مباشرة مع هذا الشخص المسمى جنسون لأن ولاءه سيكون لعميله، وليس لنا».

لنا. نحن. ما زال واضحاً في كلمات ميرل، في أسلوبها: الولاء غير المشروط.

بعبارات متقطعة تتحدث فاي: «رؤيتهم لم... لم تغير رأيك؟ حول مساعدتي؟ كنت لأفهم لو حدث ذلك». مَنْ - حتى أكثر الأشخاص شعوراً بالذنب - كان ليرغب في التورط في هذا؟ «لقد ساعدتني بالفعل يا ميرل بما فيه الكفاية. عليك أن تركز على نفسك والطفل».

تقول ميرل بحسم: «ها هو المصعد».

داخل الشقة، لم يتغير شيء من المشهد الذي تركاه ذلك الصباح، باستثناء الرائحة، التي صارت أكثر قوة، أكثر نتانة. لا بد أنه القيء... إلا إذا كان هو قد بدأ يتحلل: أهذا ممكن؟

تنظر فاي إلى الجسد وكأنها تراه لأول مرة. ليس بالشكل الذي قرأت أن جثة متحللة من المفترض أن تجعلك تحسه، ذلك الإحساس العميق أنك أمام كيان مهجور، وعاء خاوٍ، روح مسروقة.

ربما لأنه لم يكن يملك روحًا.

تتقدم ميرل بخطوات واسعة، وهي تفكر بصوت عالٍ: «ماذا كنا لنفعله أولاً لو أننا عثرنا عليه الآن؟ على إحدانا أن نتأكد من نبضه. الأفضل أن تكون أنا - أنت ما زلت في كرب شديد بعد ما حدث بالأمس في المنزل». تلمس عنقه ورسغه بأطراف أصابعها. «لا أعتقد أن أحداً سيتوقع منا أن نجرب إنعاش القلب والرئتين يدويًا أو أي شيء كهذا، أليس كذلك؟ أعتقد أنني سأصاب بالغثيان لو اضطررت لوضع فمي على فمه».

تلبث فاي في الخلف، متجنباً النظر إلى وجهه. تسأل مرتعدة: «أهو بارد؟»

تقدم ميرل يدها، وتمرر بها في لمسة على جلده: «نعم، لكنني أعتقد أنه أدفأ منك. ألا يمكنك الشعور بالتدفئة في هذا المبنى؟ الجو خائق. سأحاول أن أشق طريقي إلى أبواب الشرفة، وأدخل بعض الهواء. وإلا سأتقيأ».

تقول فاي: «خذي حذرك». بينما تنحشر ميرل بين أبراج الصناديق، تمرر أصابعها المثلجة تحت صنبور المياه الساخنة في الحمام. لا تنظر إلى وجه القتالة في المرأة.

عندما تعود، تجد ميرل قد نجحت في فتح أبواب الشرفة وتمسك بهاتفها المحمول. «تمام. هل أتصل أم تتصلين أنت؟»

تقول فاي إنها ستتصل. ترتعش يدها بينما تستخدم الهاتف، صوتها باهت من الصدمة: «ألو؟ من فضلك، أحتاج أن يأتي أحد إلى شقتي... يوجد رجل

هنا... وصلت أنا وصديقتي للتو وتوجد جثة. نعتقد أنه شخص يعرفه زوجي السابق. نعتقد أنه ميت».

«عظيم..» تقولها ميرل عندما تنتهي. «بدا هذا مضبوطاً تماماً».

لأنها لا تمثل. هذا هو الجمال غير المقصود لخطتها تلك: لا شيء فيها يجب أن يكون مصطنعاً. الإحساس بأنها يمكن أن تتحب أو تصاب بالغثيان أو تولول وتولول حتى يغرس أحدهم إبرة في ذراعها ويظلم العالم من حولها: كل هذا حقيقي.

ليون، 6.30 مساءً

حل المساء الآن وهو يدخن سيجارة، مستعداً كي يبدأ. هو ليس كاتباً بليغاً ويتوقع أن يستغرق الأمر منه أسابيع، ربما حتى يمتد إلى شهر. عندما ينتهي، سيجمع ما تبقى لديه من مضاد الاكتئاب، بالإضافة إلى أي أدوية أخرى سيجدها فوق النضد من الصيدليات الفرنسية، وسيبتلعها في حفنات مع أقوى فودكا يمكنه أن يجدها. وسيموت. سيذهب إلى حيث أرسل إيلي روذرфорд الصغيرة.

يكتب: دعيني أزيل أي شك مباشرة وأخبرك أن هذه رسالة انتحار قصيرة... وعلى الفور، يفهم السبب من فعله ذلك، لماذا يؤجل المحتوم. يريد أن يقضي أسابيعه الأخيرة معهم، مع ليو وهاري وفاي. ليست الكتابة عنهم مثل أن يكون معهم، على الحقيقة، في المنزل، لكنه ما زال وقت يجمعهم، أليس كذلك؟

يمكنه أن يمنحهم هذا، إذا لم يكن هناك شيء آخر.

بينما تنتظران، تستعيدان الأوراق التي فتشت عنها فاي في الليلة السابقة وتبحثان في بعض الصناديق لتجميع البقية التي قد تحتاجها لبدء التحقيق فيما قام به برام من اختلاس.

تسأل ميرل: «هل سنفعل هذا؟ ألم نُصدَم بما فيه الكفاية بما اكتشفناه كي نرغب في تفتيش الملفات؟»

تتفكر ميرل قليلاً ثم تقول: «ربما، لكن المكان كله سُيغلق بالشمع الأحمر، لذلك الآن فرصتك الوحيدة لأخذ جوازات سفرك وأوراقك المالية. كما قلنا، قد نحتاج إلى تفسير لماذا توجد بصماتك داخل بعض الصناديق».

تومى فاي برأسها: «هل تعتقدين أنه ستكون هناك صفارات إنذار».

- نعم، أعتقد أن سيارة إسعاف ستأتي أولاً. لن يكتفوا بكلمتنا أنه ميت على أنها حقيقة نهائية. نحن هواة. سيرغبون في أن يتأكدوا إن كان يمكن إفاقة. ثم يأتون بأهل الطب الشرعي.

- هل تخلصتِ من الهاتفين نهائياً؟

تومى ميرل برأسها: «رميتهما في البحيرة إلى أبعد ما أستطيع. لم يرني أحد، أنا واثقة. لو تبين أن أحداً رأنا متوقفتين في ساحة انتظار السيارات، فقد توقفنا لأنني شعرت بالغثيان، اتفقنا؟ حدث هذا كثيراً مؤخراً».

ماذا عن حملها؟ أن تكون حبلٍ ومع ذلك تختار أن تفعل ما تفعله. التكفير عن الذنب شيء وهذا شيء آخر.

مع انطلاق صفارة إنذار بعيدة، تخطوان بالجانب مرة أخرى عبر الأخدود الضيق بين الصناديق لتنتظرا في الشرفة. الشارع بالأسفل زلق مع المطر، يعكس في ومضات صارخة ألوان أضواء السيارات العابرة. الرائحة طازجة ومنعشة على غير توقع، كأن المتنزّه القريب على أعتاب الربيع، وقد مر الأسوأ.

أول مركبة، سيارة إسعاف، تُشغل الضوء الأحمر عند التقاطع وتقترب من يبيي ديكو في الحارة القريبة، بينما يفسح تيار المرور القادم لها الطريق وينتظر.

تقول ميرل: «فرصتك الأخيرة كي تغيري رأيك..»

لا تعرف فاي ما الرد المطلوب. إنه لوهم أن بإمكانها تغيير رأيها الآن، كلتاهما تعرفان أنه لا توجد إلا رواية واحدة فقط أمامها. وهي رواية جيدة. الحاصل النهائي أنه طالما لا يمكن إيجاد صلة بين توبي الذي كانت تواعده فاي ومايك الممدد فاقداً الحياة في شقتها، فلديها فرصة معقولة للإفلات من هذا. الحرية، إن لم تكن من أجل برام، فمن أجلها ومن أجل ابنيها.

عندما يخرج المسعفون من سياراتهم، تعود فاي وميرل إلى الداخل. تتموضع ميرل أمام جهاز الاتصال الداخلي قبل أن ينطلق صوت الطنان، كأنها مايسترو يتخذ موضعه على خشبة المسرح.

تقول وأصابعها متأهبة للضغط: «مستعدة؟»

تقول فاي: «مستعدة».

وينطلق الطنين.

4 مارس 2017

ليون

الحبوب متجمعة بالفعل في المطبخ الصغير عندما يكتب السطر الأخير. تكفي لقتل حصان، في حكمه غير الاحترافي. شيء أقل هولاً من الشنق حين يعثروا عليه.

كان مقتنعا أنه من الأسهل لك ألا يكون هنا كي لا يجلب لك مزيداً من الخزي.

لم يترك أي رسالة، ولا اتخذ أي احتياطات كي يراعي مشاعر المنظف المسكين، الذي سيكون على الأرجح هو من أول من يكتشف، والذي ستكون نوبة عمله التالية خلال يومين. بعد أن يكون قد فات الأوان كثيراً على غسل معدته وإنقاذه.

آخر الكلمات تُكتب. قصة عن دورة تلقاها حول الانتباه للسرعة: ليست الطريقة التي توقع أن ينتهي بها عندما بدأ هذه الرواية، لكنها حكاية كاشفة كما يجب أن يكون. إنها بصوته، تعبر عنه، تعطي للقارئ صورة له.

بالإضافة إلى تفاصيل البنك بالطبع. لا شك أنه سيكون هناك تأخير، لكنه يثق أن الشرطة والمحامين سيقروون أن المال من حق فاي ويسمحون لها بالوصول المستحق له.

يعنون الملف: «عناية رقيقة المباحث جوان ماكجوان، شرطة العاصمة»، وينقله إلى فلاشة، ويطفئ الحاسوب المحمول. بالطبع يمكنه أن يستخدم شبكة الإنترنت الآن بأمان، فلن يصل أي ضابط شرطة على وجه الأرض إلى هنا بسرعة كافية لمنعه، لكن بعد ستة أسابيع بعيدا عن الإنترنت لا شهية لديه كي يعيد الاتصال بالعالم. علاوة على ذلك، يشعر بالرغبة في استنشاق بعض الهواء، في القيام بتمشية أخيرة.

وبينما يسير إلى مقهى الإنترنت، يفكر كم سيكون من المضحك لو وجد المكان مغلقاً، ليجبره ذلك على البحث عن مكان آخر، ويعيده إلى الاتصال بالبشرية، مصادفةً، كفرصة أخيرة في الحياة.

المقهى مفتوح.

كما هو مخطط تماما، لا يستغرق أكثر من خمس دقائق أمام الحاسوب. كان قد سجّل وحفظ عنوان البريد الإلكتروني قبل أن يغادر لندن، لكن كتأمين إضافي ينقل عنوانا عاما لوحدة التحقيق في حوادث التصادم الخطيرة في كاتفورد. وبينما ينتظر تحميل الملف، يُذكر نفسه أنه بحاجة إلى اتخاذ قرار بشأن أي موسيقى يُشغلها بينما يفقد الوعي. ينبغي أن تكون موسيقى قداس، عن حق، أو أوبرا -ربما- لكنه لا يملك أيًا منها في مجموعته.

ربما فرقة بينك فلوريد.

لا شك أن في الأمر خداعاً للذات، لكنه يفكر أن هذا الملف سيكون هديته الأخيرة لفاي. فهو لا يكشف فقط الطريقة التي يمكنها أن تطالب عبرها بعوائد المنزل، بل يفصح مايك أيضا: أفعاله الإجرامية، ابتزازه لبرام وخداعه لفاي. وخداعه لفاي على نحو خاص. لأن الشرطة يجب أن تعرف

أنها أصبحت متورطة مع هذا الرجل الشرير فقط لأنه استهدفها - لم تفعل أي شيء خاطئ هي نفسها، ولا خطوة، ولا نفس.

ما إن تعرف الشرطة أن مايك هو توبي وتوبي هو مايك، فلن يحتاجوا إلا لسؤال فاي كيف وأين يجدونه وبعد ذلك ستكون هي والولدان في أمان. أخيراً، عندما يرى الملف قد أُرْفِقَ بنجاح، يضغط زر «الإرسال».

شكر وتقدير

كُتبت هذه الرواية جزئياً دون عقد، وهو -كما يعرف الكتاب- ما يستلزم فترة عمل محرومة من المال ومع ذلك مبهجة، خلالها يكون هناك شخص واحد فعلاً في صفك: وكيلك الأدبي. لذا شكر كبير من قلبي لك يا شيلا كراولي: لن أنسى تشجيعك ودعمك خلال وقت كان لديك فيه أشياء أهم بكثير كي تفكري فيها.

شكري أيضاً لفريق كراولي في كيرتيس براون (بريطانيا): بيكي ريتشي، آبي جريفز، تيسا فيجانتز. وأيضاً في كيرتيس براون: لوك سيد، إيرين ماجريللي، أليس لوتيانز، كاتي ماكجوان.

شكراً لديورا شنايدر من شركة جلفمان شنايدر للوكلاء الأدبيين لخبرتها فيما يتعلق بالولايات المتحدة: كان العمل معك ممتعاً وأتمنى أن يستمر طويلاً. أعتبر نفسي محظوظة لحضوري إزاحة الستار عن (أحجار الأوبال).

شكر خاص جداً لدانييل بيريز في بيركلي على مهارتها وصبرها الاستثنائيين في تحرير هذا الكتاب. دانييل، كلتانا تعرف كيف قمت بتحسين هذا الكتاب على نحو رائع وأنا في غاية الامتنان لك. إيمانك المستمر بالكتاب ودعمك له في الولايات المتحدة يعني العالم بالنسبة لي.

شكراً للبقية الفريق الممتاز في بيركلي، ومن ضمنهم سارة بلومستوك، جنيفر سنايدر، ألانا كولوتشي، التي صممت الغلاف الجميل (قد لا تعرفين كم من النادر بالنسبة لي أن أحب تصميم غلاف من أول مرة!).

في دار نشر سيمون وشوستر ببريطانيا: أنا سعيدة جدا لاجتماعي مرة أخرى مع أسطورة الرواية جو ديكسون ولعملي لأول مرة مع فريق كنت معجبة به من بعيد لسنوات: جيل ريتشاردسون، لورا هاف، داون برنيت، هايلى ماكمولان، دوم بريندون، جيس بارات، ريتش فليسترا، جو روش، إيما كاهرون، مايلى لورانس، تريستان هانكس، بيب واتكينز، سوزان كينج. أخيرا لكن ليس آخرًا أبدًا، سارة--جايد فيرتشو التي أهدي إليها هذا الكتاب. كنت صديقة عظيمة وداعمة نشطة لأكثر من عشر سنين وما زلت لا أستطيع أن أصدق أننا نعمل معًا أخيرًا.

شكرا لجون كاندليش على المعرفة القانونية، وكذلك للاقتراحات العظيمة بكتب تأخذني بعيداً عن اختلاس الملكية. وإلى بقية أسرتي وأصدقائي، الذين ينصتون إلى تأوهاتى وشكاواي بوجوه محايدة، كما لو أن الكتب ماسات دموية وقد لا أخرج يوما ما من المناجم حية. لن أضع قائمة بأسمائكم خوفاً من نسيان أحدكم والتسبب في ضرر أكبر من الخير - ما عدا ماتس وجو، كالمعتاد.



telegram @yasmeenbook

المؤلفة في سطور

لويز كاندليش - مؤلفة بريطانية لها حوالي 15 رواية وصلت إلى أفضل المبيعات. فازت روايتها (منزلنا) عام 2019 بجائزة العام لأفضل روايات الجريمة والإثارة في جوائز الكتاب البريطاني. وقد حُوت هذه الرواية إلى مسلسل عام 2021. من رواياتها الأخرى: الارتفاعات (2021)، هؤلاء الناس (2019).

المترجم في سطور

عبد الرحيم يوسف - شاعر ومترجم مصري من مواليد 1975، له ثمانية دواوين بالعامية المصرية وأربعة وثلاثون كتابًا مترجمًا وحصل على جائزة الدولة المصرية التشجيعية في الآداب فرع ترجمة الأعمال الفكرية لعام 2016. من ترجماته الصادرة عن دار جليس: مدينة الظل.. جولات امرأة في كابول (2021)، حياة على كوكبنا (2021)، لذا لا وجود للسّمك (2022).